



مجلة شؤون

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة نالوت

3

العدد الثالث
2023 | 1444

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة نالوت



مجلة تشريعي العلمية

مجلة علمية محكمة سنوية تصدر عن جامعة نالوت

العدد الثالث – 2023/07/02



جامعة نالوت
NALUT UNIVERSITY

مجلة شروس



مجلة علمية محكمة سنوية تصدر عن جامعة نالوت

نالوت – ليبيا

منشورات جامعة نالوت - 2023م

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار محتويات هذه المجلة أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها أو استنساخها بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this Journal maybe reproduced or transmitted in any means, electronic or mechanical, including recording of by any stored retrieved system, without the permission from the publisher.

رقم الإيداع المحلي: 2018/ 293 - دار الكتب الوطنية - بنغازي

العدد الثالث 2023 م

منشورات جامعة نالوت - نالوت - طرابلس

أسعار المجلة

ثمن النسخة: (30) دينار داخل ليبيا - 25 دولار خارج ليبيا

إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة بينها ولكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في هذا الترتيب. وإن البحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجامعة.



مجلة شروس



مجلة شروس مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة نالوت

نالوت - ليبيا

هيئة التحرير

المشرف العام

د. سعيد امحمد ورغ

مدير التحرير

د. محمد الطيف عثمان شيجه

رئيس التحرير

أ. رمضان يوسف عسكر

الهيئة الاستشارية

- د. محمد قاسم الزغبى
- د. أبوبكر امحمد أحتيوش
- د. محمد عمر القلال

المراجعة اللغوية

- د. عادل سليمان عسكر
- أ. د. عبد الجليل أبوبكر أغزالة

التنسيق والأخراج

- أ. عادل سليمان عرفه
- أ. رياض سليمان جرناز
- أ. شعبان امحمد المشايخ

ترسل البحوث إلى موقع المجلة على العنوان التالي : sharws@nu.edu.ly

”القواعد العامة للنشر في ”مجلة شروس“

أولاً: شروط النشر:

تنشر مجلة شروس الدراسات والبحوث الاصلية في مجالات العلوم التطبيقية والانسانية، التي تتوافر فيها مقومات البحث العلمي من حيث اصالة الفكر ووضوح المنهجية، ودقة التوثيق. كما تنشر المجلة تقارير المؤتمرات والندوات ومراجعة الكتب الحديثة، وملخصات الرسائل الجامعية في مختلف مجالات العلوم، على أن تتوافر فيها شروط البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً:

- 1. أصالة أفكار البحوث:** يشترط في البحوث والدراسات المقدمة للنشر إلا تكون قد نشرت في أي من المجالات المحلية أو الدولية أو أي دورية علمية (بجميع اشكاله الورقية أو الالكترونية أو منقول أو منسوخ).
- 2. سلامة المنهج العلمي:** يجب التقيد بأصول البحث العلمي وقواعده وشكلياته من حيث اسلوب العرض والمصطلحات وتوثيق المصادر والمراجع وذلك وفق القواعد المتعارف عليها في كتابة البحوث والدراسات العلمية.
- 3. لغة النشر:** يجب أن تكون لغة الكتابة للبحوث والدراسات المقدمة باللغة العربية أو الانجليزية، أو الأمازيغية مكتوبة بلغة واضحة ومراجعة لغويا من قبل متخصص في علم اللغة.
- 4. حقوق الملكية والنشر:** تتقاضى المجلة أجورا على النشر فيها، ولا تدفع للباحث مكافأة مالية عن البحث الذي ينشر فيها. وبمجرد اشعار الباحث بقبول بحثه للنشر قبولا نهائياً، تنتقل حقوق الطبع والنشر إلى المجلة، حيث الأبحاث المقدمة للمجلة لا يحق لأصحابها نشرها في أي مجلة اخرى، وتحتفظ المجلة بحقها في نشر البحوث المقبولة وفقاً لظروفها الخاصة.

5. تخصص المجلة: تُعنى المجلة بالمراجعات العلمية والنقدية للبحوث والدراسات وكذلك مراجعات وعروض الكتب ذات القيمة الفكرية والعلمية والثقافية كما تنشر المجلة وثائق المؤتمرات والندوات العلمية ونتائجها.
6. ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة نظر الباحث (الباحثين)، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

ثانياً: اجراءات النشر

عملية النشر في مجلة شروس العلمية تخضع لعدد من الإجراءات:

1. يوقع الباحث على نموذج "طلب النشر بالمجلة" متضمناً تعهد بالمسؤولية الكاملة عن أي انتهاك أو تجاوز أخلاقيات البحث في حالة ثبوته، وإقراره بأنه لم ينشر البحث في أي مجلة أو دورية علمية أخرى ولن يتقدم لنشره في أي منها في حالة قبول بحثه.
2. عدم التقدم بطلب سحب البحث بعد إبلاغ الباحث بوصول بحثه للمجلة ودفع تكاليف البحث.
3. عدم اعتراض أي عضو من فريق البحث على أي قضية تخص فريق البحث نفسه، وفي حال تلقي هذا الاعتراض يلتزم الموقع بدفع تكاليف النشر ثم يتم التوقف كلياً عن السير بإجراءات نشر البحث.
4. يتم إخطار الباحث أو بوسائل الاتصال المتوفرة في حينها بتاريخ استلام البحث، والاشعار بالملاحظات إن وجدت، أو أن يتم الاعتذار عن السير في إجراءات النشر في ضوء التحكيم الأولي.
5. البحث المقبول يأخذ دوره للنشر حسب تاريخ قبوله للنشر بصرف النظر عن العدد الذي أرسل إليه. وترتب البحوث عند النشر في عدد المجلة وفق اعتبارات فنية.

ثالثاً: قواعد الكتابة:

عند إعداد البحث في ورقة علمية للنشر في المجلة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار

الاشتراطات التالية:

1. لا يزيد عدد صفحات البحث عن عشده(20)رون صفحة كحد أقصى بما في ذلك ملاحق البحث ولإيفل عن عشده(10)ر صفحات..
2. لا تزيد كلمات العنوان عن عشده(20)رون كلمة بما في ذلك العنوان الرئيسي والثانوي.
3. الكلمات المفتاحية من 5 إلى 7 كلمات.
4. لا تزيد عدد كلمات الملخص باللغة العربية عن 250 كلمة وباللغة الإنجليزية عن 300 كلمة.
5. يقدم البحث مكتوباً باللغة العربية أو الإنجليزية ومطبوعاً على الكمبيوتر باستخدام برنامج ميكروسوفت وورد (Microsoft-Word) بمسافات (1.15) وبخط (Simplified Arabic) وحجم 14 للبحث باللغة العربية، وبخط (Times New Roman) وبحجم 12 للبحث باللغة الإنجليزية وحجم خط الهوامش السفلية 11، على ورق A4 على وجه واحد من ثلاث نسخ ورقية ونسخة إلكترونية على "CD".
6. يكتب كامل البحث باللون الأسود بما في ذلك الجداول والأشكال.
7. يجب أن يظهر في الصفحة الأولى من البحث البيانات التالية:
 - عنوان البحث،
 - اسم الباحث (أو الباحثون)،
 - جهة العمل للباحث (أو الباحثون)،
 - العنوان الرئيسي لجهة العمل،
 - أرقام الهواتف الخلية والبريد الإلكتروني للباحث.
8. لضمان السرية والشفافية يجب عدم ذكر أسم الباحث (أو الباحثون) في المتن أو أي إشارة تكشف عن هويته (أو هويتهم).

9. إذا استخدم الباحث برمجيات أو أدوات قياس من اختبارات واستبانات، أو غيرها من أدوات البحث، فعلى الباحث أن يقدم نسخة كاملة من الأداة التي استخدمها إذا لم ترد في متن البحث أو لم ترفق مع ملاحظته، وأن يشير إلى الإجراءات القانونية التي تسمح له باستخدامها في بحثه. وأن يحدد للمستفيدين من البحث الآلية التي يمكن اتباعها للحصول على البرمجية أو الأداة.

10. تستخدم طريقة IEEE في كتابة المراجع أو الإشارة إليها داخل البحث.

11. عند تقديم البحث كاملاً يجب أن يحتوي على: المستخلص-المقدمة (بما في ذلك مشكلة البحث واهداف البحث) - طريقة البحث - النتائج - المناقشة والاستنتاج-المراجع.

12. يلتزم الباحث الناشر بتراتبية كتابة البحث المقدم للنشر (مقسماً الى أبواب رئيسية) كما هو مبين ادناه، وفي حالة مخالفة ذلك يرفض البحث المقدم لغرض النشر.

نموذج (1) العلوم الإنسانية

المستخلص- المقدمة - هدف البحث- أهمية البحث - حدود البحث- إشكالية البحث- الدراسات والبحوث السابقة ذات الصلة- فرضيات البحث- منهجية البحث (تقسيم البحث/ المبحث الأول...المطلب الأول....الخ- المبحث الثاني...المطلب الأول....الخ)-المناقشة والاستنتاج- المصادر والمراجع.

نموذج (2) العلوم الإنسانية

المستخلص- المقدمة - هدف البحث- أهمية البحث- حدود البحث- اشكالية البحث- الدراسات والبحوث السابقة ذات الصلة - فرضيات البحث- الطريقة والإجراءات (منهج البحث/ مجتمع العينة/ متغيرات البحث/ أداة البحث/المعالجة الإحصائية)- نتائج البحث ومناقشتها- التوصيات - المصادر والمراجع.

نموذج (1) العلوم التطبيقية

- المستخلص- المقدمة - الدراسات والبحوث السابقة ذات الصلة - الفرضيات - منهجية البحث (خلفية الدراسة / تصميم الدراسة/ موقع الدراسة / مجتمع العينة / أدوات الدراسة /تحليل البيانات احصائيا) - النتائج - المناقشة والاستنتاج - التوصيات - المصادر والمراجع.

ملاحظة: الأبواب المبينة أعلاه تحتوي على عناوين تحثيه أو فرعية.

ويجب التقيد بتراتبية كتابة أبواب البحث كما هو مبين.



الفهرس

الصفحة	العنوان	ت. ر
	الافتتاحية	*
1	الممرات الانسانية الأمانة في القانون الدولي الانساني الصادق محمد عمر الطبطش، اشرف احمد مصباح على، سعيد حبيب ساسي بلحارث	1
27	النمو الاقتصادي ومستقبل الطلب على الايدي العاملة في ليبيا علي الجحاوي محمد سعيد	2
44	تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا د. الياس أبويكر الباروني	3
60	تداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا : دراسة في المفاهيم والإشكال أ. علي جبران أحمد عطية	4
77	دراسة تحليلية لمياه الإمطار المجمعة من بعض الصحاريح الأرضية بمنطقة كاباو سليمان رمضان ناجعة، المنتصر بالله مختار القريني، حاتم إبراهيم الحجاج	5
92	إدارة الموارد البشرية وموقعها في الهيكل التنظيمي للمنظمة الحديثة أ. يوسف خليفة ناعم، د. موسى رمضان شريحة	6
119	طبيعة العلاقة بين المعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود في ليبيا خلال الفترة 2000-2020 د. امال احمد ابو عبودة	7
148	توجيه الهجرة غير النظامية، واستغلال المهاجرين سياسياً على ضفتي المتوسط... هل وراء: "إغراق" البلدان المغاربية بالمهاجرين أطراف معينة...؟ وهل يؤثر هذا العمل المسؤولية الجنائية الدولية...؟ وهل هو غزو أم استيطان... د. أبو المعالي محمد عيسى أبو المعالي	8
162	الإسرائيليات في تفسير البغوي (سورة البقرة من الآية 30-248) د. جمعة مسعود زايد	9
186	مميزات اللغة العربية وصفاتها الصوتية د. مفتاح محمد محمد عمر البكوش	10

199	دور الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف وتأثيره السلبي على الجالية المسلمة في الدول الأوروبية د. هشام خليفة الكاسح	11
235	علم الجمال - المفهوم والقيمة والاتجاهات الجمالية د. عبد الباسط إبراهيم الجهاني	12
243	الهجاء في ديوان الشاعر عمرو عيسى التندميرتي ناجي جمعة صالح لشهب	13
260	تقسيمات الحديث عند العلامة أحمد بن سعيد الشماخي دراسة استقرائية تحليلية مقارنة د. أحمد بن يحيى بن أحمد	14
292	الاجتهادات المقاصدية وتطبيقاتها عند الخلفاء معاذ محمد عمرو أمطواع	15
306	نظرية (المعرفة، والتعارف، والاعتراف) عند الشيخ علي يحيى معمر د. خالد سعيد نقوشيت	16
346	A comparative study of the structure, magnetic properties of Terbium and Erbium doped Yttrium Iron Garnet thin films Ramadan E. Shaiboub, Ftema W. Aldbea	17
354	Ultraviolet Far-UV (222nm): A Promising Approach for the Disinfection of Hospital and indoor Occupied Public Spaces. Warrag Saed, Agnan M M	18
368	The Geologic Contribution to the Mountain Slopes Instability and its effect on Rockfall Hazards. A Case Study to the Zintan Road, Jabal Nafusah, Libya Abdunaser, K.M , Swei, G , Bergeg K , Saeed M	19

الافتتاحية

بسم الله والحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد يسعدنا أن نضع بين أياديكم أيها القراء الكرام العدد الثاني من مجلة شروس (العدد الثالث) التي تصدرها جامعة نالوت ، سائلين الله تعالى أن، ينفع بما فيها من بحوث علمية لخير هذه البلاد ، وأن تفتح هذه البحوث آفاقا للمعرفة والبحث العلمي، وتحديثها بما يتلاءم مع التطور المعرفي، وثورة المعلوماتية وتكنولوجيا هذا العصر، فهي كغيرها من المنابر تسعى لنشر ثقافة المعرفة في مختلف الميادين العلمية وتنوع خبراتهم ، ولذا فإن هدف هذه المجلة نابع من سياسة الجامعة التي تقوم على نشر العلم والمعرفة واحترام الرأي والرأي الآخر. وتتمن هيئة التحرير بالمجلة عاليا الجهودات التي يبذلها الباحثين والقائمين على إظهار المجلة فى صورتها الجيدة لتنال رضا القراء الكرام بمختلف توجهاتهم.

أسرة التحرير

الممرات الانسانية الآمنة في القانون الدولي الانساني

Human corridors safe in international humanitarian law

الصادق محمد عمر الطبطش, اشرف احمد مصباح على , سعيد حويل ساسي بلحارث

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة نالوت.

0913819854 هـ - Tobetesh.1971@yahoo.com

0910524303 هـ - ashrfalshlghlgh@gmail.com

0913925851 هـ - Sbelhart8@yahoo.com

ملخص البحث

يتناول البحث المبادئ الحاكمة للممرات الانسانية الامنة اثناء النزاعات المسلحة سواء كانت نزاعات دولية او نزاعات محلية وتكمن اهمية هذا البحث في إنشاء الممرات الانسانية ولأى اسباب تنشئ وماهي انواع النزاعات التي تنشئ فيها الممرات الانسانية وماهي شروط الموافقة على انشاء الممرات الامنة ومن يدير هذه الممرات ومن المستهدف من هذه الممرات كل هذا نجد لها اجابات في المبادئ العامة والقواعد القانونية في القانون الدولي الإنساني الذي يهدف الى حماية المدنيين والغير مشتركين في القتال وانقاذ حياتهم وتقديم المساعدات الانسانية لهم ونقلهم الى اماكن امنة بعيدا عن مناطق النزاع

Abstract

The research covers the governing principles for the safe humanitarian corridor during armed conflicts whether they were international conflicts or local conflicts. or local conflicts .the importance of this research lies within to create humanitarian corridors we can find answers to all of this in general principles the legal rules and the international law which aims to protect civilians as well as those who are not involved in the conflict save their lives provide humanitarian assistance to safe areas away from conflicts zone.

مقدمة

شهد العالم العديد من الحروب والنزاعات سواءً كانت نزاعات محلية أو نزاعات دولية وما نتج عنها من ويلات والام على السكان المدنيين، وتدمير المنشآت العامة التي توفر حياة أفضل، فنتيجة هذا الصراع المسلح نشهد النزوح والدمار والقتل والتعذيب والتهجير القسرى وغيرها من الاعمال التي تضر بالإنسانية بكل معانيها، فشهوة المتحاربين لا يردعها مبادئ ولا أخلاق ولا قيم،

تجعلهم يميزون بين مسلح ومدني وبين مؤسسة مدنية وأخرى عسكرية، فكل همهم أن ينتصر طرف على الآخر، فالغاية تبرر الوسيلة في نظر كلاً منهم.

فعند اندلاع الحرب تختفي كل القيم الاخلاقية في معاملة المدنيين، كونهم ليسوا طرفاً في الحرب حيث يتعرض بعضهم للتعذيب والخطف والسجن ويتعرض البعض الآخر للتهجير القسري والجوع وغير ذلك من الاعمال العدائية التي تضر بحياتهم ومعيشتهم، من غداء ودواء والمأوى، حتى أن بعضاً من الحروب استخدمت فيها سياسة الارض المحروقة، بمعنى أنها حرباً تستخدم فيها أعتى أنواع الاسلحة التي لا تفرق بين مدني أو عسكري لكسب الانتصار في الصراع، فكان الضحية الاكبر هم المدنيين من الاطفال والنساء وكبار السن في هذه الحرب، فالشواهد كثيرة، نذكر منها ما قامت به الولايات المتحدة الامريكية في نهاية الحرب العالمية الثانية في حربها مع اليابان بأسقاط قنبلتين نوويتين سنة 1945م على مدينتي هيروشيما ونجازاكي، حيث أوقعت الهجمة النووية على اليابان أكثر من 120000 نسمة معظمهم من المدنيين وذلك في نفس اللحظة، كما أدت الى مقتل ما يزيد عن ضعف هذا الرقم في السنوات اللاحقة نتيجة التسمم الإشعاعي أو ما يعرف بمتلازمة الاشعاع النووي، وما حدث في حرب فيتنام من إبادة جماعية مع الولايات المتحدة الامريكية سنة 1965م، والنزاع المسلح الذي وقع ما بين قبائل الهوتسي والتوتي بدولة رواندا سنة 1994م، وما حدث في يوغسلافيا من مجازر ضد الاقلية المسلمة من طرف الصربيين سنة 1992م، كل هذا وغيرها من الحروب التي شهدها العالم كان للمدنيين النصيب الاكبر فيها، من حيث الضحايا والانتهاكات، لان المتحاربون لديهم مبدأ لتبرير أعمالهم مفاده " ان لا أخلاق ولا مبادئ في الحرب" فكل شي مباح لكسب النصر، متجاهلين القيم والأخلاق التي تجرم الضرر بمن لا يحمل السلاح وهم المدنيين والذي يجب حمايتهم وتوفير كل ما يلزم من امكانيات لعدم الضرر بهم.

حيث أصبح التفكير بسلامة المدنيين في النزاعات والحروب محل إهتمام العالم والمنظمات الحقوقية الدولية والاقليمية الذي يقضى بضرورة تكاتف الجهود الدولية لمنع هذه الانتهاكات والحد منها، وهو ما يسمى بتقديم المساعدات الانسانية وفق القانون الدولي الانساني، الخاص بحماية البشرية وقت إندلاع الحروب والنزاعات لمنع وقوع الجرائم الانسانية ومن بين المساعدات الانسانية الممرات الامنة لضمان حياة المدنيين من آثار الصراع والحفاظ على حياتهم ونقلهم لاماكن آمنة يستطيعون العيش فيها بكل أمان وعند حديثنا على هذا الموضوع قسمنا خطة البحث على النحو الاتي:

المبحث الاول: مفهوم النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني وأنواعها
المطلب الاول: القانون الدولي الإنساني ودوره في الحد من النزاعات الدولية.
المطلب الثاني: أنواع النزاعات المسلحة في القانون الدولي الانساني.
المبحث الثاني: الممرات الانسانية الآمنة وفق قواعد القانون الدولي الانساني.
المطلب الاول: مفهوم الممرات الانسانية الآمنة وفق القانون الدولي الانساني .
المطلب الثاني: المنظمات الانسانية ودورها في حماية المدنيين وفق قواعد القانون الدولي الانساني.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في توضيح دور الممرات الانسانية الآمنة لحماية المدنيين، وفق قواعد القانون الدولي الإنساني وقت الحرب، الذي أكد في قواعده أن مبادئ الانسانية تكمن في هذا القانون الدولي الذي يجرم ارتكاب الفظائع في حق المدنيين، ومن ضمنها الممرات الانسانية حفاظا على حياتهم.

مشكلة البحث:

. ارتكاب الجرائم ضد الانسانية عند اندلاع الحروب والنزاعات مما زاد من معاناة المدنيين .
. ما مدى تطبيق هذه القوانين على مرتكبي الجرائم والانتهاكات ضد المدنيين خصوصاً على بعض الدول، خاصة وانها موقعة على بنود القوانين المجرمة لهذه الاعمال.

أسئلة البحث:

- . ما مفهوم النزاع المسلح في القانون الدولي الانساني؟
- . ماذا يقصد بمصطلح المدنيين في القانون الدولي الإنساني؟
- . على من تقع مسؤولية مخالفة هذا القانون؟
- . من يوقع الجزاء على مرتكبي الجرائم ضد الانسانية في الحروب والنزاعات ؟

المبحث الاول

النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني وأنواعها.

سنتناول في هذا المبحث النزاعات المسلحة كما عرفها القانون الدولي الإنساني في قواعده القانونية ، كما صنف أيضاً أنواع الحروب والنزاعات التي تحدث بين المتقاتلين من حيث مكان اندلاعها واطراف النزاع

المطلب الاول

القانون الدولي الإنساني ودوره في الحد من النزاعات الدولية

اولاً: ما هو القانون الدولي الإنساني؟

إن الهدف من القواعد القانونية المتاحة في القانون الدولي الإنساني هي الوقوف في وجه جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية وغيرها من الجرائم التي ترتكب في إطار المجتمع الدولي. حيث يطبق القانون الدولي الإنساني على الحروب التي يكون فيها النزاع مسلحاً ، كما يميز هذا القانون بين نوعين من النزاعات ، وهما النزاعات المسلحة الدولية ، والنزاعات المسلحة غير الدولية، وهو ما سنتناوله في المطلب الثاني من هذا البحث، وأما الاضطرابات والتوترات الداخلية لا تنطبق عليها أحكام القانون الدولي الإنساني، وإنما تنطبق عليها القوانين المحلية السارية ، والقانون الدولي لحقوق الانسان.

إن القانون الدولي الإنساني جاء رادعاً لتصرفات المتحاربين عندما تخفى قواعد المبادي والاخلاق التي تحمي المدنيين والمنشآت المدنية من ارتكاب جرائم ضد الانسانية وقت نشوب الحروب والنزاعات ، كما ورد في قواعده، الاسس والمبادئ التي يجب الالتزام بها تجاه السكان المدنيين والعسكريين ايضاً وتقديم كل ما يلزم لحمايتهم وضمان سلامتهم وقت الحرب، فقد حدد الفئات المشمولة بالحماية سواء كانت فئات بشرية أو مؤسسات في النزاع وهي¹

1. الالغام المضادة للأفراد ،حيث تؤذي هذه الالغام المدنيين ،كما أن هذا السلاح لا يمكن أن يميز بين الهدف المدني والهدف العسكري.

2.الاسلحة التي تسبب العمى مثل الليزر كون ان الاصابة به تلازم العدو او الشخص المصاب طيلة حياته وليس الهدف منها تحقيق ميزة عسكرية .

¹ دليلك في القانون الدولي الإنساني،سلسلة القانون الدولي الإنساني رقم 12 ،الامارات العربية المتحدة، 2008م،ص3

3. الاسلحة الحارقة مثل قنابل النبالم التي تخلف الأما ومعانة لا داعى لها.
4. الاسلحة السامة والتي تنتشر سمومها مسببة الدمار والتلف سواءً للبيئة أو البشر
5. الاسلحة الذرية ، وما تلحقه هذه الاسلحة من اضراراً بالغة ومعانة غير ضرورية نتيجة لقوتها الهائلة واشعاعها طويل الأمد .
- 6 . الاسلحة البيولوجية مثل نشر الفيروسات التي تسبب أمراضاً خطيرة ومميتة وتؤذى البشرية وتترك أثراً رهيبه.
- 7 . الاسلحة الكيماوية مثل الغازات الخانقة.
- 8 . القذائف المتفجرة القابلة للانتشار ، أو التمدد في الجسم أو القذائف "الرصاص الدمدم أو المتفجر" يحدث هذا الرصاص أضراراً والأما غير مبررة يصاب بها الشخص وتنفجر داخل جسمه.
- 9 . القذائف القابلة للانفجار أو الحارقة.
- 10 . الاسلحة التي لا يمكن الكشف عن شظاياها في الجسم بأشعة اكس.¹

كما حدد القانون الدولي الإنساني المؤسسات التي يجرم الاعتداء عليها من قبل الاطراف المتحاربة

- 1 . الاحياء السكنية التي يقيم فيها المدنيين
- 2 . دور العبادة سواءً كانت مساجد أو كنائس أو غيرها.
3. المستشفيات العامة ، والمستشفيات الميدانية التي تقدم العلاج للمدنيين والعسكريين.
4. المدارس والملاجئ التي يحتوى بها المدنيين .

ثانياً: ماهي الاتفاقيات التي يتكون منها القانون الدولي الإنساني؟

1. اتفاقية جنيف الاولى لعام 1949م الخاصة بالجرحى والمرضى من القوات المسلحة في الميدان، والتي من خلالها تم مراجعة أحكام اتفاقيتي جنيف لعام 1929م وتطويرها.
2. اتفاقية جنيف الثانية لعام 1949م بتحسن احوال الجرحى والمرضى والغرقى من القوات المسلحة في البحار .
3. اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949م الخاصة بأسرى الحرب، والتي جاءت تطويراً لأحكام الاتفاقية الثانية لعام 1929م

¹ اللجنة الدولية للصليب الاحمر، موقع الكتروني، شبكة المعلومات الدولية الانترنت، الاسلحة المحظورة في القانون الدولي الانساني، تاريخ النشر 30 نوفمبر 2011م، ICRC.ORG/ara/document/weapons

4. اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م والخاصة بحماية المدنيين من ضحايا النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية وحالات الاحتلال.

وتقع اتفاقيات جنيف وبروتوكولاتها الاضافية في صلب القانون الدولي الإنساني، وهي عصب القانون الدولي، الذي ينظم السلوك أثناء النزاعات المسلحة ويسعى الى الحد منها.¹ وحيث أن مجال البحث يركز على النقطة الرابعة من هذه الاتفاقيات السالفة الذكر والتي تركز على حماية المدنيين من آثار الصراع وتقديم كل ما يلزم لهم من المساعدات الانسانية التي تقيهم ويلات الحرب في البروتوكولان الاضافيان لاتفاقية جنيف المؤرخان في 8 / 6 / 1977م حيث جاء البروتوكول الاول لحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية، أما البروتوكول الثاني فخصص لحماية ضحايا النزاعات المسلحة الغير دولية "الحروب الداخلية"

المطلب الثاني

أنواع النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني.

الثابت وفق قواعد القانون الدولي المعاصر أن النزاعات المسلحة تقسم الى نزاعات مسلحة دولية، وغير دولية، حيث أن اتفاقيات جنيف الاربع لعام 1949م تضمنت المادة الثالثة المشتركة والمتعلقة بالنزاعات المسلحة ذات الطابع غير الدولي²، وأبقت على عناوينها الصفة الشخصية التي تتعلق بالنزاعات المسلحة الدولية، كما قد تجلى هذا التقسيم بوضوح في عنواني البروتوكولين الاضافيين لاتفاقيات جنيف الاربع لعام 1949م، حيث خصص البروتوكول الإضافي الاول لعام 1977م، لحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية، في حين نظم البروتوكول الاضافي الثاني لعام 1977م لحماية ضحايا النزاعات غير الدولية.³

وبناءً على ذلك فإن النزاعات المسلحة تنقسم الى نزاعات مسلحة دولية وغير دولية.

أولاً: النزاعات المسلحة الدولية.

¹ اتفاقيات جنيف وبروتوكولاتها الاضافية معاهدات دولية تضم اكثر القواعد أهمية للحد من همجية الحروب، وتوفر الاتفاقيات الحماية للاشخاص الذين لايشركون في الاعمال العدائية"المدنيون، عمال الصحة، عمال الاغاثة" والذين توقفوا عن المشاركة في الاعمال العدائية"الجرحي، المرضى، جنود السفن الغارقة، وأسرى الحرب" والمؤسسات المدنية"المدارس، والمستشفيات، ودور العبادة" للاطلاع انظر اللجنة الدولية للصليب الاحمر، شبكة المعلومات الدولية، مرجع سبق ذكره

² المادة الثالثة المشتركة، القانون الدولي الانساني، الخاصة بالنزاع ذو الطابع الدولي

³ عامر الزمالي، مدخل الى القانون الدولي الانساني، الطبعة الثانية، المعهد العربي لحقوق الانسان، تونس، 1977م، ص33

النزاعات المسلحة الدولية هي تلك النزاعات التي تنشأ بين الدول، أو بين دولة أو حركات تحرر وطني، شريطة أن تستوفى الشروط الضرورية، وعملاً بأحكام المادة "2" المشتركة في اتفاقيات جنيف الرابع لعام 1949م تنطبق هذه الاتفاقيات على جميع حالات الحرب غير المعلنة، أو في أي اشتباك مسلح آخر ينشب بين طرفين أو أكثر من الاطراف السامية المتعاقدة حتى لو لم يعترف احدهما بحالة الحرب.

ومن التعريفات الفقهية للنزاعات المسلحة الدولية بأنه "ذلك النزاع الذي يقوم بين الدول أو هذه الاخيرة ومنظمات دولية وحركات تحررية أو حتى بين دولتين بوصفهم أعضاء في المجموعة الدولية.¹

وتعرف كذلك بأنها " صراع بين دولتين أو أكثر ينظمه القانون الدولي ويكون وراء هذا الصراع من جانب أحد أطرافه بأنه يسعى كل منهم للمحافظة على مصالحه الوطنية من خلالها، وهي تختلف عن الاضطرابات أو الثورات التي تقوم بها المستعمرات".²

وقد كان قانون لاهاي لعام 1899م، يشترط ألا تنشب الحرب إلا بعد إعلان سابق تكون له مبرراته، أو إنذار مع الاعلان عن الحرب بشروط، أما اتفاقية لاهاي لعام 1907م فإنها لم تتضمن تلك الإشارة أي بشرط الاعلان عن الحرب.³

وبخصوص اتفاقيات جنيف الرابع لعام 1949م فإنها تطبق في حالة الحرب المعلنة أو أي نزاع مسلح آخر ينشب بين طرفين أو أكثر من الاطراف السامية المتعاقدة حتى إن لم يعترف احدهما بحالة الحرب.

وبناءً على ذلك جرى تطوير مفهوم النزاع الدولي داخل منظمة الامم المتحدة تضمن البروتوكول الإضافي الاول لعام 1977م الملحق باتفاقيات جنيف الرابع لعام 1949م حيث تقرر ادراج حروب تقرير المصير وحروب حركات التحرر ضمن مفهوم النزاعات المسلحة الدولية.⁴

ثانياً: النزاعات المسلحة غير الدولية.

¹ خيارى عبدالرحيم، حماية الممتلكات الثقافية في المنازعات المسلحة في ضوء أحكام القانون الدولي الانساني، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الحقوق والعلوم الادارية، جامعة الجزائر، 1996م، ص8

² د.سعد عبدالرحمن زيدان. تدخل الامم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، دار الكتب القانونية، 2006م، ص22

³ عامر الزمالي، مرجع سبق ذكره، ص34

⁴ المادة 1 الفقرة 4، من البروتوكول الإضافي الاول لعام 1977م

كانت النزاعات المسلحة غير الدولية تخضع وفقاً لمفهومها التقليدي للاختصاص الداخلي للدول والتعامل معها يعد جزءاً من اعتبارات السيادة، ولا يمكن أن يسرى عليها قوانين الحرب ما لم يكتسب الثوار صفة المحاربين من قبل الدولة التي يدور على أرضها النزاع وهو ما يصعب تحقيقه، فما من دولة ترغب بنقوية المتمردين عليها¹، ويترتب على اكتساب الثوار صفة المتحاربين أن يحل القانون الدولي محل القانون الداخلي في علاقة دولة الاصل بالجماعة المعترف بها بصفة المتحاربين، وبالتالي يترتب على هذا الاعتراف مجموعة من النتائج منها، حلول القانون الدولي العام محل القانون الجنائي الداخلي لدولة الاصل، ويعامل هؤلاء المتحاربين معاملة أسرى الحرب عند القبض عليهم.²

وقد ظلت النزاعات المسلحة غير الدولية بهذه الصفة حتى عام 1949م وهو تاريخ تبنى اتفاقيات جنيف الرابع والتي احتوت على المادة الثالثة المشتركة والتي تتعلق بالنزاعات المسلحة غير الدولية، حيث أوردت المادة الثالثة المشتركة في جملتها الاولى عبارة "النزاع الذي ليس له طابع دولي والذي يقع في أراضي أحد الاطراف السامية المتعاقدة.

تعد المادة الثالثة المشتركة خطوة مهمة في مجال تطور القانون الدولي الإنساني حيث أخرجت النزاعات المسلحة الداخلية من الاختصاص الداخلي للدول إلى مستوى الاهتمام الدولي، وقد حسنت من ظروف ضحايا النزاعات المسلحة، لأنها توجب معاملة الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في العمليات العسكرية وأفراد القوات المسلحة الذين سلموا أسلحتهم أو الذين أصبحوا عاجزين عن القتال بسبب المرض أو العجز أو الاحتجاز معاملة إنسانية وتحرم أية معاملة لا تحمل هذه الصفة كالاعتداء على الحياة والسلامة البدنية وعلى كرامة الانسانية وأخذ الرهائن والادانة وأحكام الاعدام بدون محاكمة قانونية.

ورغم هذه الأهمية التي تحظى بها المادة الثالثة المشتركة كونها النص الوحيد المعنى بالنزاعات المسلحة غير الدولية ضمن اتفاقيات جنيف الرابع لعام 1949م، إلا أنها لم تكن كافية لتغطية جميع الجوانب الانسانية المتعلقة بتلك النزاعات، لذا صيغت أحكام جديدة للتعامل مع مثل هذه

¹ محمد غازي الجنابي، التدخل الإنساني في ضوء أحكام القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007م، ص232

² د. عصام العطية، القانون الدولي العام، الطبعة الثانية، 2010م، ص468

النزاعات تمثلت بالبروتوكول الإضافي الثاني لعام 1977م، حيث جاء البروتوكول الإضافي الثاني لعام 1977م مكملاً للمادة الثالثة المشتركة، وقد نص صراحة على أنه يطبق في الحالات التي لا تشملها النزاعات المسلحة الدولية ويطبق في النزاعات المسلحة التي تدور على إقليم أحد الاطراف السامية المتعاقدة بين قواته المسلحة، وقوات مسلحة منشقة، أو جماعات نظامية مسلحة أخرى وتمارس تحت قيادة مسئولة على جزء من أقليمه من السيطرة ما يمكنها من القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومنسقة وتستطيع تنفيذ هذا البروتوكول.¹

وقد استنتى هذا البروتوكول حالات الاضطرابات والتوترات الداخلية مثل الشغب وأعمال العنف العرضية وغيرها من الاعمال المماثلة من أحكامه، وبالتالي لا تعد نزاعات مسلحة.² بالإضافة الى ذلك، واستناداً لقواعد القانون الدولي الإنساني فقد عرفت اللجنة الدولية للصليب الاحمر النزاع المسلح غير الدولي بأنه "مواجهة تنشب داخل إقليم دولة بين القوات المسلحة النظامية وجماعات مسلحة يمكن التعرف على هويتها، أو بين جماعات مسلحة"

المبحث الثاني

الممرات الانسانية الآمنة وفق قواعد القانون الدولي الإنساني.

سنتناول في هذا المبحث مفهوم الممرات الانسانية لحماية المدنيين وقت اندلاع النزاعات المسلحة سواءً كانت دولية أو داخلية وفق قواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني الذي وضع الاسس لهذه الممرات حماية للمدنيين ومن توكل هذه المهمة من حيث رعاية ومراقبة الممرات من وجود انتهاكات في حالة قيامها من قبل الاطراف المتعاقدة.

المطلب الاول

مفهوم الممرات الانسانية الامنة في القانون الدولي الانساني.

الفرع الاول: ماهي الممرات الانسانية الامنة وقت الحرب.

يعد احترام الكرامة الانسانية المبدأ الاسمى في العمل الإنساني، من أجل تخفيف المعاناة والمشقة على المدنيين، ويمثل احترام والحفاظ على الكرامة الانسانية، وتحديدا كبيرا للمجتمع الدولي، وخاصة للمنظمات العاملة في المجال الإنساني، ولا يقتصر عمل هذه المنظمات على تخفيف المعاناة

¹ المادة 1، الفقرة 1، من البروتوكول الإضافي الثاني لعام 1977م، الملحق باتفاقيات جنيف الرابع لعام 1949.

² المادة 1، الفقرة 2، من البروتوكول الإضافي الثاني لعام 1977م.

للمدنيين الابرياء العزل، ضحايا النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية، لكنه يمتد ليشمل تشجيع قدراتهم على المساعدة الذاتية والصمود في مواجهة الازمات المستقبلية.

حيث تعد الممرات الانسانية الامنة أحد أهم الاليات القانونية التي تستهدف حماية المدنيين الابرياء اثناء النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، وحُبرت الانسانية بأهوال وملامات فضيعة حاقت بأمن وسلامة وكرامة وشرف المدنيين الابرياء العزل الذين لا يشتركون اشراكا مباشرا في النزاعات المسلحة.

وعلى هذا الاساس كان من الضرورة حماية هؤلاء من ويلات هذه النزاعات والحروب وذلك من القواعد والمبادئ التي جاء بها القانون الدولي الإنساني، والذي تطرق في قواعده الى الممرات الامنة لحماية المدنيين

حيث يدل مصطلح الممر الإنساني على منطقة خالية من الوجود العسكري، يقوم طرف ثالث بحمايتها عادة ما تكون قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، أو الصليب الاحمر أو الهلال الاحمر، ويكون هذا الطرف خارج النزاع القائم، فيمكث المدنيون بعيداً عن الاخطار التي تهدد حياتهم، كما تعنى مناطق خالية من الوجود العسكري يجرى الاعلان عنها أثناء الاضطرابات أو نزاع مسلح بقصد حماية

المدنيين، وايصال المساعدات والخدمات الانسانية لهؤلاء بواسطة طرف ثالث، كما ينصرف الى المواقع والطرق والمعابر والتفاوض عليها بين أطراف النزاع من أجل نقل المساعدات للضحايا، فهي بذلك ممرات محددة في الزمن والنطاق الجغرافي تستخدم لضرورتها في توفير المساعدات والخدمات الصحية الاساسية، لاسيما الامدادات بالغذاء والماء لصالح الاشخاص المتضررين من الحرب.

توفر الممرات الانسانية حلاً مثالياً للمنظمات الانسانية فيما يتعلق بعملياتها من أجل توفير الحماية والمساعدة للذين يتضررون من جراء الحرب، حيث يتطلب موافقة كافة الاطراف المتحاربة وكسب تقّتهم بالنسبة الى تسليم المساعدات الانسانية، ولكن أحياناً تفرض هذه الممرات والمناطق المحمية جبراً حين يصدر بصددها قرار من مجلس الامن تأسيساً على الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة، والمثال الصارخ الذي يضرب في هذا الصدد، المناطق الامنة التي أنشئت في جمهورية البوسنة والهرسك أثناء الحرب اليوغسلافية في منتصف التسعينات من القرن المنصرم

1995.1991م، ويطلق على هذه الممرات عدة تسميات منها الممرات الانسانية الآمنة، والملاذات الآمنة أو المناطق الانسانية الآمنة.

وتوفر اتفاقيات جنيف الاولى والرابعة عام 1949م امكانية انشاء مناطق استشفاء وأمان، كما تعرضان مشروع اتفاق بشأن اقامة هذه المناطق ملحقاً بكل منها، وعلاوة على ذلك توفر اتفاقية جنيف الرابعة امكانية انشاء مناطق محايدة، والقصد من انشاء هذين النوعين من المناطق ايواء الجرحى والمرضى والمدنيين ووقايتهم من اخطار النزاع المسلح، بينما تقام مناطق الاستشفاء والامان بعيداً عن مسرح العمليات العسكرية، وتقام المناطق المحايدة في الميادين التي تدور فيها عمليات عسكرية بين المتحاربين، وقد ادمجت الاحكام ذات الصلة بهذا الامر من اتفاقيات جنيف في الكثير من كتيبات الدليل العسكري للدول التي تؤكد وجوب احترام هذه المناطق، وبمقتضى تشريعات عدة دول يعتبر الهجوم عليها جرمًا.

لقد جرى الاتفاق على مناطق توفر ملاذاً آمناً للجرحى والمرضى والمدنيين في نزاعات مسلحة دولية وغير دولية، وعلى سبيل المثال أثناء حرب التحرير في بنغلاديش والنزاعات المسلحة في كمبوديا وتشاد وقبرص ونيكارغوا وسيرلانكا ويوغسلافيا السابقة، وانشئت معظم هذه المناطق بناءً على اتفاقات مكتوبة استناداً الى المبدأ الذي يوجب عدم الهجوم على المناطق التي تنشأ لتكون ملاذاً آمناً للجرحى والمرضى

والمدنيين، هذا ويتعين عدم مهاجمة المناطق التي تحوي الجرحى والمرضى أو أفراد الخدمات الطبية والدينية، أو أفراد الغوث الإنساني أو المدنيين تطبيقاً للقواعد المحددة التي تحمي هذه الفئات من الاشخاص، والتي تطبق في النزاعات المسلحة بنوعها الدولي او المحلي.

الفرع الثاني: المبادئ الاساسية لتقديم المساعدات الانسانية.

يأتي هذا المبدأ المتعلق بتقديم المساعدات الانسانية بعد أن يتم الاتفاق على وجود ممرات آمنة يتفق عليها الاطراف المتحاربة، وبرعاية دولية من أجل منع وتخفيف المعاناة الانسانية، وحماية وضمان احترام الانسان، وينبغي توفيرها لكل من يحتاج اليها دون تمييز بسبب اللون أو الدين أو اللغة.¹

¹ وائل انور بندق، موسوعة القانون الدولي الانساني، مكتبة الوفاء القانونية، 2013م، ص432

وقد تناول معهد القانون الدولي عام 2003م المساعدات الانسانية، حيث عرفها على انها كل الاعمال والانشطة والموارد البشرية، والمالية، المخصصة لتقديم السلع والخدمات، والتي لها طابع انساني كامل ولا غنى عنها لبقاء ضحايا الازمات والكوارث، وتلبية احتياجاتهم الاساسية.¹ ويعرف البروتوكول الإضافي الثاني الملحق باتفاقيات جنيف لعام 1949م، في فقرته الثانية من المادة 18، المساعدات الانسانية في وقت النزاعات المسلحة بانها "اعمال الغوث ذات الطابع الانساني، والحيادي البحث وغير القائمة على أي تمييز محجف، لصالح السكان المدنيين بموافقة الطرف السامي المتعاقد المعنى، وذلك حين يعانى السكان المدنيون من الحرمان الشديد بسبب نقص المدد الجوهري لبقائهم كالأغذية والمواد الطبية."²

كما جاء في تعريف المساعدات الانسانية في الحكم الصادر عن محكمة العدل الدولية، بشأن قضية الانشطة العسكرية وشبه العسكرية في نيكاراغوا لعام 1986م على انها تتمثل في تلك المساعدات التي تقدم في شكل توفير المواد الغذائية والملابس والادوية، واية معونات أخرى، واستثنيت من المساعدة توزيع الاسلحة والعتاد الحربي أو المركبات أو المعدات التي يمكن استخدامها لألحاق جروح خطيرة أو التسبب في الموت.³

تقدم المساعدات الانسانية في زمن النزاعات المسلحة، وفي زمن السلم، ففي زمن السلم تقدم المساعدات الانسانية للسكان في حالات التوتر والاضطرابات الداخلية، والكوارث الطبيعية والطوارئ، وتقدم في زمن النزاعات المسلحة المساعدات للمدنيين والمحرومين من أساسيات الحياة بسبب نزاع مسلح، مع مراعاة أن تقديم المساعدات الانسانية لا تتدخل في العمليات العسكرية في

النزاع المسلح.⁴

¹ تعريف معهد القانون الدولي لمعنى المساعدات الانسانية في سنة 2003م، حيث تضمن هذا المفهوم كل ما يحتاجه المدنيون من وسائل انسانية لبقائهم على قيد الحياة، ويتم ذلك عن طريق حمايتهم من أضرار الحرب وتقديم كل مايمكن من غذاء ودواء ومياه واللبسة وغيرها من لوازم الاغاثة لهم.

² المادة 18 الفقرة الثانية، البروتوكول الإضافي الثاني، اتفاقية جنيف لعام 1949م، القانون الدولي الانساني، الخاصة بايصال المساعدات الانسانية لمناطق النزاع

³ أنظر حكم محكمة العدل الدولية الصادر في القضية المتعلقة بالانشطة العسكرية وشبه العسكرية في نيكاراغوا الصادر بتاريخ 1986/6/27م، الوثيقة رقم: (ST/LEG/SER.F/1) متاح على الرابط (www.icj-icj.org/hompage/ar/summary.php)

⁴ ماهر جميل ابوخواث، المساعدات الانسانية الدولية، القاهرة، دار النهضة العربية، 2009م، ص19

طبقاً لما سبق يمكن تعريف المساعدات الإنسانية بأنها "أعمال الاغاثة العاجلة والضرورية بالمواد الأساسية، كالغذاء، والدواء، والكساء، اللازمة لحياة الإنسانية للمدنيين أثناء النزاعات المسلحة".¹ ويكتسى تقديم المساعدات الإنسانية خصائص عدة، تتميز بها تلك المساعدات، إضافة الى تمييزها عن غيرها من الاعمال التي تستهدف حماية الانسان، تلك الخصائص لصيقة بأي عملية مساعدات إنسانية، وفقاً للمفهوم السابق، ويمكن إجمال تلك الخصائص فيما يلي:

أولاً: الخصائص الذاتية.

تتمتع المساعدات الإنسانية الدولية بالعديد من الخصائص النابعة منها التي تمكنها من تحقيق الاهداف، فعنصر الزمن يعد خاصية مهمة للمساعدة الإنسانية، وبدونه تقل اهميتها كثيراً، حيث لا فائدة من مساعدة تأتي متأخرة بعد أن تكون المخاطر المحدقة بالإنسان قد أدت الى موته، أو الى احداث أضرار يصعب تداركها.

1- خاصية الاستعجال.

إن عنصر الاستعجال ضرورة ملحة لحماية حقوق الانسان، وممارسة العمل الإنساني، لذلك يجب ان يكون تقديم المساعدات الإنسانية الدولية فورياً، للحيلولة دون تفاقم الحالة الصحية للضحايا، أو تأزم الاوضاع بشكل يصعب إصلاحه لاحقاً، بحيث تتوقف أهمية المساعدة الإنسانية على قدرتها للاستجابة الفورية الإنسانية.

وتعد المساعدة الإنسانية السريعة هي واحدة من أهم وظائف الامم المتحدة عند وقوع الكوارث الطبيعية، واحكام الصراع المسلح، لذلك يوجد بالأمم المتحدة الصندوق المركزي، للاستجابة لحالات الطوارئ، الذي توسع ليصبح واحداً من أكبر مصادر التمويل الإنساني المتاح، والسريع، فهو يتيح التمويل في بداية الازمة، عندما يكون الوقت هو جوهر المسألة، وهناك حاجة ملحة لعمليات الاغاثة الطارئة،

ويعمل مكتب الامم المتحدة للشئون الإنسانية، لتقديم المساعدة الفورية حال وقوع الكوارث، والنزاعات المسلحة، لإنقاذ حياة الاف الارواح، دون الحاجة الى انتظار وتدفق المعونات بعد وقوع الكارثة، وضمان التمويل اللازم لتمكين عمال الاغاثة من بدء عملهم بسرعة، نظراً لتوفر الاموال اللازمة لنشر الموظفين وتقديم الخدمات.²

¹ د. ابراهيم الطاهر التومي، المبادئ الحاكمة لتقديم المساعدات الإنسانية الدولية، مجلة جامعة صبراتة العلمية، ليبيا، 2017م، ص47

² المجلة الدولية للصليب الاحمر، العدد 874، السنة 2009م، ص78

2- خاصية الاحتياط.

تقع المسؤولية الاولى لحماية السكان على الدولة التي تمارس السيادة على الاقليم، ولكن في حال فشل أي دولة بشكل واضح في القيام بمسئولياتها في حماية شعبها، يقوم المجتمع الدولي باتخاذ إجراء جماعي وحاسم، وهو ما يعرف بمسئولية الحماية، فالسيادة ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة لغاية، والغاية هي خير سكان الدولة، احترام كرامة الناس، وحقوقهم الاساسية في الداخل، وحمايتهم من الاعداء في الخارج، وفكرة التزام الحماية اول اهداف الدولة، ومبرراً لوجودها، ليست فكرة جديدة، بل هي نابعة من مفهوم سيادة الدولة ذاتها¹

وقد أكدت الجمعية العامة بموجب قرارها رقم 43/131 الصادر بتاريخ 1988/12/8م حيث نص القرار في ديباجته على أهمية تقديم المساعدات الانسانية، ولكنه نص في فقرته الثانية على سيادة الدولة المتضررة ودورها الأساسي في بدء وتنسيق وتنظيم وتنفيذ خطط المساعدة الانسانية على أراضيها، وهو ما يؤكد الطابع الاحتياطي للمساعدات الانسانية، واعتبار أن الدولة هي المسؤولة الاولى التي تقع على عاتق الدولة صاحب الاقليم، وهو ما اكدته ايضاً ديباجة الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 45/100 الصادر بتاريخ 1990/12/14م²

ثانياً: الخصائص القانونية.

لابد للمساعدات الانسانية الدولية من الحصول على رضا الدولة التي تقدم لها المساعدات أولاً، أن تقديم هذه المساعدات يجب ان يكون عملاً مشروعاً طبقاً لقواعد القانون الدولي العام.

1- خاصية الرضا

تتسم المساعدات الانسانية بطابع غير قسري، فهي مقيدة بإرادة الدولة المعنية بالمساعدة، حيث لا يمكن أن تقدم المساعدات الانسانية إلا بناءً على الإرادة والرضاء بين الطرفين، أي بين الجهة المانحة والمتلقية للمساعدات الانسانية، بحيث ان الجهة المانحة لهذه المساعدات يقع عليها واجب

¹ د. ابراهيم الطاهر التومي، مجلة جامعة صبراتة العلمية، مرجع سبق ذكره، ص51

² انظر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (43/131) د. الصادر بتاريخ 1988/12/8، المتضمن المساعدات الانسانية الى ضحايا الكوارث الطبيعية، وحالات الطوارئ المماثلة، والوثيقة رقم (A/RES131/43) وكذلك القرار رقم (100/45) د. الصادر بتاريخ 1990/12/14م، المتضمن تقديم المساعدات الانسانية الى ضحايا الكوارث الطبيعية وحالات الطوارئ المماثلة، الوثيقة رقم (A/RES100/45) الرابط متاح على موقع الامم المتحدة، شبكة المعلومات الدولية الانترنت، WWW.DOCUMENT-dds-my.un.org/doc:RESOLUTION/GEN/NRO/526/48/IMG/NRO52648.pdf

الحصول على موافقة مسبقة من الدولة المتضررة، فالملاحظ ان الموافقة التي تحصل عليها المنظمات الانسانية من طرف الدولة المعنية يعتبر إجراءً جوهرياً ولا يجوز اختراقه. ويحد من هذه الرضائية ما تضعه اتفاقية جنيف الرابعة من التزامات أوقات النزاع المسلح، حيث تقوم بعض الدول من تلقاء ذاتها، أو بتوجيه من منظمة او منظمات إنسانية، أو منظمة الامم المتحدة أو أي منظمة إقليمية، بتقديم معونات ومساعدات للمتضررين في النزاع المسلح،¹ وحق الدول والمنظمات الانسانية في تقديم مواد الاغاثة للسكان في الأراضي المحتلة ومناطق النزاع، نصت عليه المادة 59 فقرة 2 من اتفاقية جنيف الرابعة بالقول "تكون هذه العمليات التي يمكن أن تقوم بها دول أو هيئة إنسانية غير متحيزة كاللجنة الدولية للصليب الاحمر، على الاخص من إرسالات الاغذية والامدادات الانسانية والملابس، ويجب على الدولة أن تسمح بمرور المساعدات الانسانية عبر أراضيها، وذلك بأن تكفل حرية مرور جميع ارسالات الادوية والمهمات الطبية ومستلزمات العبادة المرسلة حصراً الى كان طرف آخر حتى ولو كان خصماً".²

ثالثاً: خاصية المشروعية.

تعتبر المساعدات الانسانية عملاً مشروعاً طالما كانت ضمن المبادئ الحاكمة للعمل الدولي الإنساني، وهي ليست عملاً مشروعاً فحسب، بل هي عملاً مطلوباً ومرغوباً ويدخل في العمل الى تقديم المساعدات الى مستحقيها، الامتناع عن عرقلة تقديم تلك المساعدات، التزاماً باتفاقيات القانون الدولي الإنساني، وهو ما أكدته الحكم الصادر عن محكمة العدل الدولية في قضية الانشطة العسكرية وشبه

العسكرة بين نيكاراغوا والولايات المتحدة لعام 1986م في فقرته رقم 216 و220، بشأن عمل المنظمات الدولية والسماح لها بالعمل الإنساني وتقديم المساعدات الانسانية للسكان المدنيين عن طريق ممرات آمنة في تلك البلاد.

المطلب الثاني

المنظمات الدولية الانسانية ودورها في حماية المدنيين وفق قواعد القانون الدولي الانساني. إن جميع الدول باتت ملزمة باتفاقيات جنيف الاربعة لعام 1949م التي توفر في أوقات الحرب الحماية لأفراد القوات المسلحة والمرضى والجرحى والمنكوبين، وأسرى الحرب، والمدنيين .

¹ د. ابراهيم الطاهر الفيتوري، المبادئ الحاكمة لتقديم المساعدات الانسانية الدولية، مرجع سبق ذكره، ص52
² المادة 59 الفقرة 2، من اتفاقية جنيف الرابعة

وبات أكثر من ثلاثة أرباع جميع الدول أطرافاً في البروتوكول الاضافيين الى اتفاقيات جنيف لعام 1977م، بينما ينص البروتوكول الاول على حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية، وينص البروتوكول الثاني على حماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية، وقد دون هذان السكان بالخصوص، القواعد التي تحمي السكان المدنيين من آثار العمليات العدائية، " وقد اعتمد القانون الدولي الإنساني اللجنة الدولية للصليب الاحمر والهلال الاحمر بالقيام بعمليات الاغاثة للمدنيين وجرى الحرب وتقديم المساعدات ، والاشراف على الممرات الآمنة وقت النزاعات والحروب وتبادل الاسرى وغيرها من الاعمال التي تفضى الى حماية المدنيين وانقاذهم من ويلات الحرب.

الفرع الاول: مفهوم اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

ان هدف اللجنة الدولية للصليب الاحمر هو حماية ضحايا النزاعات المسلحة والاضطرابات ومساعدتهم، وذلك عن طريق عملها المباشر عبر انحاء العالم، وكذلك من خلال تشجيع تطوير القانون الدولي الإنساني وتعزيز احترامه من قبل الحكومات وجميع حاملي السلاح، وتعكس قصة اللجنة الدولية تطور العمل الإنساني واتفاقات جنيف وحركة الصليب الاحمر والهلال الاحمر.

1- نشأة اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

اسست اللجنة الدولية للصليب الاحمر بمبادرة من رجل اسمه، هنري دونان، قدم يد العون الى الجنود الجرحى في معركة سولفرينو، في عام 1859م ثم حاول اكتساب تأييد القادة السياسيين من اجل بذل مزيد من الجهد لحماية ضحايا الحرب، وكانت فكرته الرئيسيتان تتصبان على وضع معاهدة تلزم الجيوش بتوفير الرعاية الى جميع الجرحى من الجنود، وانشاء جمعيات وطنية تقدم المساعدة الى الخدمات الطبية العسكرية.¹

صاغ دونان فكرته في شكل كتاب لأثارة وعى الناس تحت عنوان تذكار سولفرينو، ثم نشره في 1862م، ومن هنا كان النواة التي انبثقت منها اللجنة الدولية للصليب الاحمر وعين دونان أمينا له، وعقد اول مؤتمر بمدينة جنيف في فبراير 1863م، من أجل تجسيد مفهوم الجمعيات الوطنية.

¹ جان بكتيه، المبادئ الاساسية للصليب الاحمر والهلال الاحمر، اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، ص35

واتفق المؤتمر على وضع شعار موحد للتعرف على الافراد الطبيين الذين يعملون في ميدان المعركة كان في شكل صليب احمر على خلفية بيضاء واعتمدت الامبراطورية العثمانية شعار الهلال الاحمر في سبعينيات القرن التاسع عشر.

وفى اغسطس 1864م، اعتمد مندوبين من حوالى اثني عشر بلدا اتفاقية جنيف الاولى التي وضعت اطارا قانونيا لتلك القرارات وازافت عليها الطابع الإلزامي الذي يوجب الجيوش على توفير الرعاية الى كل الجنود الجرحى بصرف عن طرف انتمائهم في النزاع.¹

واصبحت اللجنة الدولية للصليب الاحمر بفضل هذه التطورات المصدر الذي انبثقت عنه الحركة الدولية للصليب والهلال الاحمر، التي تضم اليوم اللجنة الدولية للصليب الاحمر والجمعيات الوطنية التي تبلغ عددها 185 حتى 2007م، واتحادها الدولي، والقانون الدولي الإنساني الحديث، الذي يتضمن اتفاقيات جنيف الاربع لعام 1949م وبروتوكولاتها الاضافية الثلاثة لعامي 1977م و2006م.²

وتعتبر اللجنة الدولية للصليب الاحمر من بين المنظمات غير الحكومية الدولية، وذلك بالنظر الى طبيعة المهام الموكلة اليها بمقتضى اتفاقيات جنيف لسنة 1949م، هذا ما يؤكد الراي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية سنة 1949م، والذي يتضح من خلاله، أن منح صفة المنظمة غير الحكومية تكون للمنظمات التي اوكلت لها مهام تمارس على الصعيد الدولي.

2- مبادئ وأهداف عمل اللجنة الدولية للصليب الاحمر

تشارك اللجنة الدولية مع مؤسسات حركة الهلال الاحمر والصليب الاحمر الدولية في نواح عدة، لعل أهمها المبادئ الاساسية، جزء من النظام الأساسي لكل عضو من اعضاء الحركة ومن نظام الحركة الأساسي ذاتها، وتمت صياغتها في مؤتمرها الدولي العشرين "فيينا، 1965م" ومن المبادئ السبعة التي

أقرها المؤتمر المذكور إلا ترجمة وجيزة لتجارب طويلة عاشتها المنظمات المنتمية الى الحركة وخلصت الى اعتمادها للسير وفق مقتضياتها في عالم متعدد الثقافات، متباين الرؤى، مختلف السبل تتنابه الصراعات والنزاعات وتجتاحه الكوارث أياً كان مصدرها وحجمها، وبعد جهود متنوعة واجتهادات فقهية من أبرزها ما دونه أحد رواد القانون الدولي الإنساني وخبراء اللجنة الدولية

¹ مفيد شهاب، دراسات في القانون الدولي الانساني، القاهرة، بعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر، الطبعة الاولى، 2000م، ص 25

² شريف عليم محمد، ماهر عبدالواحد، موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الانساني، القاهرة، بعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر، الطبعة السادسة، 2005م ص 6

الراسخين في معرفة تاريخ الحركة ونظمها، ونعنى جان بيكتيه "2002.1914 وافقت الحركة على الالتزام في عملها بالمبادئ التالية¹.

الانسانية، عدم التحيز، الحياد، الاستقلال، الخدمة الطوعية، الوحدة، العالمية..

ولما كانت اللجنة الدولية جزءاً من الحركة، بل انها مؤسسها فإن عليها مراعاة تلك المبادئ في نشاطاتها كلها، ومن المفيد التذكير بمضمون المبادي السبعة الواردة في وثائق مؤسسات الحركة المعتمدة، بشيء من التصرف².

أ-الانسانية:

ان الحركة الدولية للصليب الاحمر والهلال الاحمر التي ولدت من الرغبة في إغاثة الجرحى في ميادين القتال من دون تمييز بينهم، تسعى سواءً على الصعيد الدولي أو الوطني الى منع المعاناة البشرية حيثما وجدت والتخفيف منها، وهدفها حماية الانسان وصحته وكفالة احترامه، وهي تسعى الى تعزيز التقاهم والصداقة والتعاون والسلام الدائم بين جميع الشعوب.

ب . عدم التحيز:

لا تمارس الحركة أي تمييز على أساس الجنسية أو العنصر أو المعتقدات الدينية أو الحالة الاجتماعية أو الآراء السياسية، فهي تسعى الى التخفيف من معاناة الافراد على أساس واحد هو مدى حاجتهم الى العون، مع تقديم الحالات الاشد إلحاحاً على ما سواها³.

ج . الحياد:

حتى تحظى الحركة بثقة الجميع، تمتنع عن اتخاذ أي موقف لمصلحة طرف ضد اخر في اثناء الحروب، وتحجم عن اقحام نفسها في مجالات ذات طابع سياسي أو عنصري أو ديني أو عقائدي.

د . الاستقلال:

الحركة مستقلة، وإذا كانت جمعيات الهلال الاحمر والصليب الاحمر هيئات مؤازرة للسلطات العامة في بلادها وتخضع للقوانين الوطنية السارية، فإن عليها الحفاظ على استقلالها باستمرار لأداء عملها وفقاً لمبادئ الحركة في جميع الاحوال⁴.

¹ الوثيقة A/46/182 بتاريخ 19 ديسمبر 1991م: تعزيز تنسيق مساعدة الطوارئ الانسانية لمنظمة الامم المتحدة

² تقرير لجنة القانون الدولي عن الدورة 47، من 2 مايو الى 21 يونيو 1995م، ومشروع مدونة الجرائم ضد السلم وامن البشرية، (A/CN.4/L.506) بتاريخ 1995/5/22م

³ المائدة المستديرة 29 عن المشاكل الراهنة للقانون الدولي الانساني، المجلة الدولية للصليب الاحمر، العدد 306، 1995م، ص 347

⁴ المائدة المستديرة والمؤتمر الدولي 20، متحدون من اجل احترام القانون الدولي الانساني، 1995م، التي ناقشت من بين الامور امور اخرى، المسائل المتعلقة بالمؤتمر الدولي الـ 26 للصليب الاحمر والهلال الاحمر (القانون العرفي، الخدمة الاستشارية، ومتابعة توصيات مجموعة الخبراء الحكوماتية من اجل حماية ضحايا الحرب)

هـ . التطوع:

خدمات مؤسسات الحركة طوعية وهي لا تستهدف الربح المادي بأي شكل من الاشكال

و . الوحدة:

لا تقوم في أي بلد من بلدان العالم غير جمعية واحدة تنتمي الى الحركة "هلال أحمر /صليب أحمر" ويجب أن تكون مفتوحة أمام الجميع وأن تمارس عملها في كامل الاقليم الوطني بلا استثناء.¹

ز . العالمية:

الحركة عالمية، وحقوق الجمعيات الوطنية المنتمية إليها متساوية، وتلتزم جميعها بمؤازرة بعضها بعضاً.

الفرع الثاني: الممرات الانسانية الامنة في الحرب الروسية الاوكرانية

"الغزو الروسي لا كورانيا ، 24/2/2022م"

لم تخل الحرب الروسية الاوكرانية كغالب الحروب الممرات الانسانية، التي يرافقها عملية إجلاء المدنيين في المناطق المحاصرة.

وكان أول الممرات الانسانية، تم التوافق عليها في 3مارس 2022م، أي بعد مرور نحو 8أيام على بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، التي انطلقت في 24فبراير 2022م.

وبعد جولتين من التفاوض بين الجانبين الروسي والأوكراني أتفق الجانبان على إقامة ممرات إنسانية من وإلى المدن التي تتعرض للحصار، على أن يرافق عمليات الاجلاء وقف لأطلاق النار.

وجاء تعجيل إقامة هذه الممرات استجابة لطلب من الرئيس الفرنسي، ايمانول ماكرون، عبر اتصال هاتفي مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين.

وأعلنت وزارة الدفاع الروسية في 6 مارس موعد بدء تنفيذ الممرات في الساعة العاشرة من صباح يوم 7مارس، لبدء تنفيذ الوقف المؤقت لأطلاق النار، وبدء عمليات إجلاء المدنيين والجرحى.

وفى يوم 7مارس اعتبرت نائبة رئيس الوزراء الأوكراني، إيرينا فيريشوك، ان إيصال بعض الممرات الى روسيا أمراً غير مقبول، لكن أوكرانيا أعلنت لاحقاً، على لسان مستشار الرئيس

¹ المائدة المستديرة ال21:النزاع المسلح وتفكك الدول، التحدى الانسانى 2-5-1996م.

الأوكراني، ميخايلو بودوليك أن حكومة بلاده توافق على الممر الآمن الذي يصل مدينة سومي بمدينة بولتاف.

وأعلنت وزارة الدفاع الروسية في بيان، عن فتح 6 ممرات آمنة تشمل:

- 1- ممر من العاصمة كييف الى مدينة جوميل في بلاروسيا.
- 2- ممر من مدينة خاركييف باتجاه مدينة بيلجورود في بلاروسيا.
- 3- ممران من مدينة سومي، أحدهما يتجه نحو مدينة بيلجورود الروسية، والثاني نحو بولتافا الاوكرانية.
- 4- ممران من مدينة ماريوبول، أحدهما يتجه نحو مدينة روستون الروسية، والآخر يتجه نحو مدينة زابوريجيا الاوكرانية.

وباءت اولى عمليات إخلاء المدنيين بالفشل نتيجة عدم التزام سريان الهدنة، حيث تبادل الجانبان الروسي والأوكراني يومي 6 و7 مارس الاتهامات بشأن خرق الهدنة في مدينة ماريوبول، حيث اتهمت كييف موسكو باستمرار عمليات القصف بمحاذاة الممر الآمن، فيما اتهمت موسكو القوميين الأوكرانيين بأطلاق الرصاص على المغادرين بغية ترويعهم ومنعهم من مغادرة المدينة.

وزاد تأخير عمليات الاجلاء، البيان الصادر عن وزارة الدفاع الروسية، حيث حدد الساعة العاشرة من صباح يوم 7 مارس 2022م¹ كموعدا لبدء تنفيذ الهدنة، دون توضيح إذا كان المقصود التوقيت الأوكراني أو الروسي، كما أن البيان لم يحدد توقيت انتهاء الهدنة، وكان من أبرز عراقيل الاجلاء هي التشكيك في نوايا روسيا حيث أن توزيع الممرات الانسانية حسب الخطة الروسية أظهر أن 4 من 6 ممرات وجهات لهذه الممرات تقود المدنيين الأوكرانيين نحو بلاروسيا، ما أثار الشكوك حول نوايا موسكو، إضافة الى عدم وجود ضمانات حول عدم حصول اعتقالات واسعة للمدنيين الأوكرانيين المعارضين للتدخل العسكري الروسي بعد وصولهم الى الأراضي الروسية. كما أن الممرات الاخرى المفتوحة كانت تمر بمحاذاة جبهات القتال وخطوط التماس، ما دفع الجانب الأوكراني للتشكيك في نوايا روسيا بشأن عرض الممرات، وهل هو السماح للمدنيين بالمغادرة أم الاستمرار في ترهيبهم.

¹ حددت الممرات الانسانية لحماية المدنيين بسرعة كبيرة اى بعد ثمانية ايام من بداية الغزو الروسي، وهذه من اهم الخصائص التي لايد من توافرها في عملية انشاء الممرات الامنة وقت الحروب طبقاً لقواعد القانون الدولي الانساني حتى يتم انقاد المدنيين وعدم وقوع ضحايا من جراء هذا الصراع.

كذلك، فإن الاعلان بشكل احادي من الجانب الروسي عن الممرات الانسانية، وأن كان قد سبقه اتفاق مبدئي مع اوكرانيا، ومراقبة الممرات بالطائرات المسيرة الروسية، زاد الريبة من جانب أوكرانيا.

وكان من بين العراقيين أيضاً الترويج لاستخدام المدنيين كذريعة، من كلا الطرفين الروسي والأوكراني، حيث يحاول الجانب الروسي إظهار أن الدافع الحقيقي لرفض اوكرانيا مبادرته حول الممرات الانسانية الآمنة، هو استغلال بقاء المدنيين داخل المدن المحاصرة لاستخدامهم كدروع بشرية، فيما تؤكد أوكرانيا أن الممرات الامنة المطبقة لا تختلف كثيراً عن عمليات التهجير القسري. كما أنهم الجانب الأوكراني روسيا باستخدام الممرات الانسانية من أجل تحقيق أهداف عسكرية بشكل غير مباشر، وبينها اقتحام المدن المحاصرة، وتهيئة الارضية لمعارك المدن، حيث سيسهل على القوات الروسية التقدم في مدن خالية من المدنيين بعد إخراجهم عبر الممرات الامنة¹.

• دور الصليب الاحمر في تثبيت الممرات الامنة في الحرب على اوكرانيا

منذ بداية الحرب والاعلان عن الممرات الامنة الانسانية، قامت اللجنة الدولية للصليب الاحمر بأدوار متعددة، منها الاشراف على الممرات الامنة.

حيث قامت اللجنة الدولية للصليب الاحمر بالاتصال بالأطراف المتحاربة منذ اللحظات الاولى لاندلاع النزاع المسلح، عبر رئيسها بيتر ماورير، الذي حض الحكومتين الروسية والاوكرانية على ضرورة الاتفاق المبكر في إنشاء الممرات الانسانية الامنة، والعمل الجاد على إخلاء المدنيين من أماكن القتال.

وبعدها قامت الفرق التابعة للجنة الدولية للصليب الاحمر، بتسيير الموكب الانسانية، واستلام المساعدات وتوزيعها، متسلحة بالحصانة التي يكفلها لها القانون الدولي الإنساني، وكان الهدف من إقامة الممرات الامنة في اوكرانيا في إخراج المدنيين من مناطق القتال في المدن المحاصرة وتحييدهم.

وأظهرت الإحصائيات المعلن عنها من قبل السلطات الأوكرانية أنه في الايام الاولى، وبعد إنشاء هذه الممرات، تم اخراج 35 ألفاً من المدنيين، وذلك وفقاً لما أعلنه الرئيس فولوديمير زيلينسكى.

¹ العين الاخبارية،خريطة الممرات الامنة الانسانية في الحرب الروسية الاوكرانية،تاريخ النشر 2022/4/7م،الساعة 1:03 بتوقيت بوظبى، انظر العنوان الالكتروني،شبكة المعلومات الدولية الانترنت

كما تساهم الممرات كذلك في اوصول المساعدات الانسانية الطبية والغذائية للسكان المدنيين الذين لم يتمكنوا من الخروج من المدن التي تتعرض للقصف أو تدور في محيطها عمليات قتالية. إن هذا العمل الإنساني، جاء تطبيقاً لقواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني في المادة 23 من اتفاقية جنيف لعام 1949م¹ والتي تنص على حرية المساعدات المتضمنة الادوية والمواد الصحية والاعذية والثياب، للسكان المدنيين، كذلك البروتوكول الإضافي لاتفاقيات جنيف للعام 1977م، يكمل الاحكام السابقة معتبراً أن عروض النجدة والمساعدة لا تعتبر تدخلاً في النزاع إذا استوفت شرطي الحياد والتجرد.²

ومن هذا نخلص الى أهمية دور القانون الدولي الإنساني لحماية المدنيين وقت النزاعات المسلحة الدولية "بين الدول" أو النزاعات الغير مسلحة "النزاعات المسلحة الداخلية"، اينما وقع القتال فان حماية الارواح من ويلاته، هدف نبيل تدعمه القوانين الانسانية ، من أجل تخليص المدنيين من المعاناة، والالم الجسدي والنفسي الذي قد يتعرضون له من جراء التصرفات اللانسانية من قبل المتحاربين، فهي قوانين تدعو الى السلام والوثام وحماية الانسان بدون تمييز بسبب الدين أو اللغة أو اللون أو العرق، الكل محميون ، أينما وجد الصراع ظهر قانون الانسانية "القانون الدولي الإنساني" وظهرت أدوات تنفيذه "اللجنة الدولية للصليب الاحمر /الهلال الاحمر" متحصنة بالمبادئ والقيم التي جاء بها هذا القانون لحماية الانسانية جمعاء .

الخاتمة

تعود فكرة إقامة ممرات آمنة الى القانون الدولي الإنساني، الذي يؤكد على ضرورة وصول المساعدات الانسانية الى المناطق التي تدور فيها نزاعات مسلحة، سواء كانت نزاعات دولية، أو نزاعات محلية.

ونصت اتفاقيات جنيف الاربع للعام 1949م، في المادة 23 من الاتفاقية الرابعة، على حرية مرور المساعدات الانسانية المتضمنة الادوية والمواد الصحية والاعذية والثياب للسكان المدنيين، وكذلك عمليات الاخلال لمدينين من مناطق الصراع ونقلهم لاماكن أكثر أمناً وتوفير كل ما يلزم لهم من مساعدات لضمان حياتهم من اثار الحرب .

¹ المادة 23 من اتفاقية جنيف لعام 1949م.

² البروتوكول الاضافي لاتفاقيات جنيف لعام 1977، بالخاص بان عمليات النجدة واغاثة المدنيين لايعتبر تدخلاً في الصراع اذا استوفى شوط العمل الانساني وفق قواعد ومبادئ واسس القانون الدولي الانساني.

ولا يجوز استخدام هذه الممرات التي تم اعتمادها وفق قواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني، استخدام الممرات الانسانية كممرات لإدخال معدات عسكرية لاحد الاطراف، المشتركة في الصراع، وإنما هي ممرات اقيمت لأغراض انسانية صرفة هدفها حماية الارواح البشرية من اثار الحروب، وتقديم كل يلزم لبقائهم على قيد الحياة وحمايتهم من التعذيب والخطف والتتكيل والانتقام، والتهجير القسري لاماكن تتعرض فيها حياتهم للخطر .

ولا يقتصر وجود الممرات الانسانية في حالة الصراع المسلح فحسب، بل وجودها يأتي حتى في حالة الكوارث الطبيعية والاضاع الاستعجالية لتقديم المساعدات من اجل حماية حياة الناس المتعرضين لهذه الكوارث. فالهدف نبيل وسامى، الهدف حماية الانسان، والحفاظ على حياته، وفق قواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني.

ويأتي بعد إقامة الممرات الآمنة مرحلة المساعدات الانسانية عن طريق هذه الممرات التي تم الاتفاق بين اطراف الصراع وقت الحرب، أو موافقة الدولة لتقديم المساعدات الانسانية فى حالة الكوارث الطبيعية وذلك لاعتبارات السيادة.

وفى بعض الحالات يتم اقتراح قوات متعددة الجنسيات لحماية مواكب المساعدات الانسانية وصولاً الى السماح لهذه القوات باستخدام القوة، وإنشاء ممرات آمنة تحت إشراف الأمم المتحدة، وبقرار من مجلس الامن لاحقاً بضرورة مرور المساعدات الانسانية، كما حصل فى الصومال 1992م، والبوسنة 1994م، ورونداء 1993م .

وتأتى اهمية المنظمات الدولية والاقليمية في ادارة هذه الممرات الآمنة، ومن أهمها اللجنة الدولية للصليب الاحمر والهلال الاحمر التي يأتي على عاتقها استلام وادارة الممرات الإنسانية، والتي بدورها تقوم بإغاثة المدنيين من إجلاء واغاثة وانقاد لا رواح الناس متحصنة بذلك بقواعد ومبادئ اللجنة الدولية السامية، والمنبثقة من مبادئ القانون الدولي الإنساني.

قائمة المراجع

اولاً: الكتب

1- جان بكتيه، المبادي الاساسية للصليب الاحمر والهلال الاحمر، اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

- 2- خيارى عبدالرحيم ،حماية الممتلكات الثقافية في المنازعات المسلحة في ضوء أحكام القانون الدولي الانساني، رسالة مقدمة الى معهد الحقوق والعلوم الادارية، جامعة الجزائر، 1996م.
- 3- د. أبراهيم الطاهر التومي، المبادى الحاكمة لتقديم المساعدات الانسانية الدولية، مجلة جامعة صبراتة، ليبيا ، 2017م.
- 4- د. سعد عبدالرحمن زيدان، تدخل الامم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، دار الكتب القانونية، 2008م.
- 5- د. عصام العطية، القانون الدولي العام، الطبعة الثانية، 2010م.
- 6- شريف عليم محمد، ماهر عبدالواحد، موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني، القاهرة، 2005م.
- 7- عامر الزمالي، مدخل الى القانون الدولي الانساني، الطبعة الثانية، المعهد العربي لحقوق الانسان، تونس، 1977م.
- 8- مفيد شهاب، دراسات في القانون الدولي الانساني، القاهرة ،بعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر، الطبعة الاولى، 2000م
- 9- ماهر جميل أبوخوات، المساعدات الانسانية الدولية، القاهرة، دار النهضة العربية، مصر ، 2009م.
- 10- محمد غازي الجنابي، التدخل الانساني في ضوء مبادى وأحكام القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007م .
- 11- وائل أنور بندق، القانون الدولي الانساني، مكتبة الوفاق القانونية، 2013م

ثانياً : المجالات :

- 1- المجلة الدولية للصليب الاحمر، العدد 874، السنة 2007م
- 2- دليلك في القانون الدولي الانساني، سلسلة القانون الدولي الانساني، مجلة، رقم 12، الامارات العربية المتحدة، 2008م.

ثالثاً: المؤتمرات الدولية:

- 1- المائدة المستديرة والمؤتمر الدولي عن المشاكل الراهنة للقانون الدولي الانساني، المجلة الدولية للصليب الاحمر، العدد 306، 1995م.

3- المائدة المستديرة والمؤتمر الدولي 20، متحدون من أجل احترام القانون الدولي الانساني، 1995م.

4- المائدة المستديرة والمؤتمر الدولي، النزاع المسلح وتفكيك الدول، التحدي الانساني، 1996م.

رابعاً: التقارير

1- تقرير لجنة القانون الدولي عن الدورة 47 لسنة 1995م، ومشروع مدونة الجرائم ضد السلم وأمن البشرية (A/CN.4/L.506) بتاريخ 1995/5/22م

2- تقرير A/46/182 بتاريخ 19 ديسمبر 1991م، بشأن تعزيز تنسيق الطواري الانسانية لمنظمة الامم المتحدة.

خامساً: القرارات والاحكام.

1- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (100/45)د.45، الصادر بتاريخ 1990/12/14م، المتضمن تقديم المساعدات الانسانية الى ضحايا الكوارث الطبيعية وحالات الطواري.

2- حكم محكمة العدل الدولية والصادر في القضية المتعلقة بالأنشطة العسكرية وشبه العسكرية في نيكاراغوا، الصادر بتاريخ 1986/6/29م،

سادساً: المواد.

1- المادة 1 الفقرة 4، من البروتوكول الاضافي الاول لعام 1977م.

2- المادة 1، الفقرة 1، من البروتوكول الاضافي الثاني لعام 1977م، الملحق باتفاقيات جنيف الاربع لعام 1949م.

3- المادة 1، الفقرة 2، من البروتوكول الاضافي الثاني لعام 1977م.

4- المادة 1، الفقرة 4، من البروتوكول الاضافي الاول لعام 1977م.

5- المادة الثالثة المشتركة، القانون الدولي الانساني، الخاصة بالنزاع ذو الطابع الدولي.

6- المادة 18، الفقرة 2، من البروتوكول الاضافي الثاني لعام 1977م.

7- المادة 59، الفقرة 2، من اتفاقية جنيف الرابعة

سابعاً: شبكة المعلومات الدولية.

1- اللجنة الدولية للصليب الاحمر، الاسلحة المحظورة في القانون الدولي الانساني

www/icrc.org/ara/document/weapons

النمو الاقتصادي ومستقبل الطلب على الأيدي العاملة في ليبيا

علي الجحاوي محمد سعيد

كلية الاقتصاد و العلوم السياسية- جامعة نالوت

0916245517 – 0926506898

sydly9769@gmail.com البريد الإلكتروني:-

الملخص:

تناول البحث موضوع النمو الاقتصادي والطلب على الأيدي العاملة في ليبيا، على اعتبار أن النمو الاقتصادي أهم المتغيرات الاقتصادية المؤثرة في البطالة، ويهدف البحث الى دراسة وتحليل التطورات الاقتصادية في ليبيا، ومعدل النمو، ومعدل البطالة، ومعرفة التوزيع النسبي لنواتج وعدد العمال في القطاعات الاقتصادية المختلفة، ومعرفة اثر نمو الناتج المحلي الاجمالي على معدل البطالة، واتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، بالإضافة الي المنهج القياسي باستخدام التحليل الاحصائي Spss، وينقسم البحث الى أربعة مباحث أساسية هي، المبحث الأول مفهوم البطالة وأنواعها وطرق قياسها، والمبحث الثاني العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة، والمبحث الثالث المساهمة النسبية للأنشطة الاقتصادية في الناتج المحلي وعدد القوى العاملة، والمبحث الرابع أثر معدل النمو الاقتصادي ومعدل البطالة، وتوصل البحث الي أهم النتائج وهي، أغلب الأيدي العاملة تتركز في قطاع الزراعة والخدمات، ووجود علاقة عكسية بين معدل النمو الاقتصادي ومعدل البطالة، ويوصي الباحث بتعزيز الربط بين التعليم العالي وسوق العمل.

الكلمات المفتاحية: البطالة. الناتج المحلي الجمالي. قطاع الخدمات. قطاع الزراعة. قطاع الصناعة.

المقدمة:

تعتبر البطالة ظاهره اقتصادية، تسبب في اختلال التوازن في سوق العمل، فهي من الظواهر السلبية التي تواجه كافة المجتمعات، فالاقتصاد الليبي يواجه جملة من الظواهر الاقتصادية، كالبطالة، والتضخم، والفقر، والبنية التحتية المدمرة، والفساد الاداري والمالي، وعدم تشجيع الاستثمار في المشاريع الصغرى والمتوسطة والقطاع الخاص، ووجود عدد من الخريجين عاطلين عن العمل، على الرغم من أن الاقتصاد الليبي شهد في غالب السنوات الاخيرة تدفق كبير لإيرادات النفط من شأنه ان يؤدي الى تنفيذ تنمية اقتصادية طموحه تساهم في الطلب على القوى العاملة وارتفاع مستوى الاستخدام، لذلك يجب أن تعمل الدولة على وضع حلول مناسبة وملائمه لحل هذه الظاهرة.

مشكلة البحث:

تعاني دولة ليبيا من ارتفاع معدل البطالة وانخفاض الطلب على الايدي العاملة في سوق العمل، وبالتالي تكمن مشكلة البحث في مدى تأثير النمو الاقتصادي على معدل البطالة في الاقتصاد الليبي.

اهمية البحث:

تنقسم اهمية البحث الى:

- 1- ارتفاع معدل البطالة في الاقتصاد الليبي لأسباب متشابهة داخلية وخارجية اهمها عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والامني.
- 2- دراسة المتغيرات الرئيسية التي تعالج البطالة.
- 3- مساعدة الدولة في رفع مستوى الاستخدام وتوفير فرص العمل والقضاء على ظاهرة البطالة.

هدف البحث:

يهدف البحث الى:

- 1- دراسة وتحليل التطورات الاقتصادية في ليبيا، بقصد التعرف على حجم الناتج المحلي الاجمالي، معدل النمو ومعدل البطالة.

2- معرفة التوزيع النسبي لنواتج وعدد العمال في القطاعات الاقتصادية المختلفة.

3- معرفة اثر نمو الناتج المحلي الاجمالي على معدل البطالة.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها ان النمو الاقتصادي يعتبر احد المتغيرات الاقتصادية المؤثرة على معدل البطالة .

حدود البحث:

يغطي هذا البحث الفترة الممتدة من (2005-2019) وذلك لتتبع المشكلة موضع الدراسة لتوفير البيانات التي تغطي هذه الفترة عن الناتج المحلي الاجمالي والقوى العاملة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي من خلال الاستفادة من الدراسات العلمية السابقة التي تناولت موضوع البحث، إضافة الي المنهج القياسي باستخدام التحليل الإحصائي Spss.

الدراسات السابقة:

1- مدى تحقق قانون اوكن (Okun Law) في الاقتصاد المصري خلال الفترة (1990-2019) دراسة تحليلية قياسية.

د. علي عبد الوهاب نجا استاذ الاقتصاد كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية جامعة الاسكندرية.

د. شيرين عادل حسن نصير أستاذ الاقتصاد مساعد كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية جامعة الاسكندرية.

2- تنمية الصادرات والنمو الاقتصادي في الجزائر الواقع والتحديات.

د. وصاف سعيدي - جامعة ورقلة souassaf@caramail.com

3- الإنفاق الاستثماري ومستقبل الطلب على الأيدي العاملة في العراق

د. علاء الدين جعفر - جامعة بغداد قسم الدراسات والبحوث

4- مقارنة النمو الاقتصادي والبطالة في ليبيا دراسة قياسية في إطار قانون (Okun)

أ. سلوى جمعة عيسى جامعة بنغازي مجلة العلوم المالية والإدارية .

5- محددات البطالة في ليبيا - دراسة قياسية

أ. سعاد عبد السلام عريقيب المؤتمر الدولي مخرجات التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل

الليبي " رهانات الحاضر وآفاق المستقبل " جامعة مصراتة.

تقسيم البحث:

ينقسم البحث الى أربعة مباحث أساسية هي:

المبحث الأول: مفهوم البطالة وأنواعها وطرق قياسها.

المبحث الثاني: العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة.

المبحث الثالث: المساهمة النسبية للأنشطة الاقتصادية في الناتج المحلي وعدد

والقوى العاملة

المبحث الرابع: أثر معدل النمو الاقتصادي ومعدل البطالة.

النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم البطالة وأنواعها وطرق قياسها

أولاً: مفهوم البطالة.

مفهوم البطالة حسب سوق العمل:

تعرف بأنها ظاهرة اختلال التوازن في سوق العمل، بحيث لا يتمكن جزء من قوة العمل في المجمع

من الحصول على منتج رغم انه قادر على القيام بالعمل⁽¹⁾

⁽¹⁾ د. حسن محيد علي وآخرون، مقدمه في التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل ص 327 بدون سنة نشر.

حسب المفهوم الاقتصادي:

فالاقتصاديون يعتبرون ان عاطلين عن العمل. هم اولئك الأشخاص الذين يرغبون في العمل ولا يستطيعون ان يجدو اي فرصة عمل وتقاس البطالة عادة بما يسمى معدل البطالة⁽¹⁾

مفهوم البطالة حسب منظمة العمل الدولية:

تعرف منظمة العمل الدولية (ILO) البطالة هو كل شخص قادر على العمل وراغب فيه، ويبحث عنه، ولكن دون جدوى . من هذا التعريف يتضح انه ليس كل من لا يعمل عاطل فالتلاميذ والمعاقين والمسنين والمتقاعدين لا يتم اعتبارهم عاطلين عن العمل. ويسمى من يعاني منها عاطلاً في المشرق وبتّالاً في المغرب.⁽²⁾

هناك شرطان اساسيان لتعريف العاطل هما:⁽³⁾

1- ان يكون قادر على العمل.

2- ان يبحث عن فرصة عمل.

لقد بدأت حكومات العالم الثالث في الفترة الأخيرة تشجع ابنائها على الهجرة للخارج ولو لفترة قصيرة لعدم قدرتها لخلق وظائف في الداخل مثل مصر وكذلك دول شرق اسيا تشجع العمالة للهجرة للحصول على فرص عمل في الدول الغنية بالبترول⁽⁴⁾

ثانيا: انواع البطالة.

1-البطالة الدورية cyclical Unemployment:

مرتبط هذا النوع من البطالة بالنشاط الاقتصادي العام الى انها مرتبطة بما يسمى بالزواج والكساد

⁽¹⁾د. عبد الرحمن اسماعيل، وآخرون مفاهيم ونظم اقتصادية، دار وائل ص 151 بدون سنة نشر.

⁽²⁾ (<https://cutt.us/HUe8C>) منظمة التعاون الدولي.

⁽³⁾ د. زكي رمزي، الاقتصاد السياسي للبطالة، دار عالم المعرفة ص 16 1998م.

⁽⁴⁾ د. منصور طه عبدالله، اقتصاديات التنمية، دار المريخ بلا سنة نشر ص 335.

الاقتصادي ويحدث هذا النوع من البطالة في فترة الكساد وخاصة في الدول الرسالية والصناعية⁽¹⁾

2- البطالة الاحتكاكية frictional Unemployment :

وهي التوقف عن مزاولة العمل بسبب التغيير من وظيفة الي اخرى ،او التوقف للبحث عن وظيفة اخرى او بسبب استكمال الدراسة⁽²⁾

ومن اشكالها ما يلي:-

أ- البطالة الموسمية:

هي زيادة عرض العمل خلال مواسم معينة من السنة كفترات تخرج الطلبة من الجامعات وغيرها من مراكز التعليم والتدريب ،او فترات انتهاء العمل في جني المحاصيل الزراعية⁽³⁾

ب- البطالة الاختيارية:

وهي الحالة التي يتعطل فيها العامل بإرادته ،عن طريق تقديم استقالته من عملة⁽⁴⁾.

3- البطالة المقنعة disguised Unemployment

هي الحالة التي يتكدس فيها عدد كبير من العمال، يفوق عدد الحاجة الفعلية للعمل، اي وجود عمالة زائدة، كالعمالة في القطاع الحكومي⁽⁵⁾

ثالثا: طرق قياسها.

تقاس البطالة عادة بما يسمى معدل البطالة Unemployment Rate

⁽¹⁾ د. الطبولي ابو القاسم عمر وآخرون، اساسيات الاقتصاد، دار ليبيا للنشر والتوزيع والاعلان سنة 1999م ص268.

⁽²⁾ د. شكر اسماعيل علي، مشاريع القطاع الخاص ودورها عن الحد من البطالة، مركز الكتاب الاكاديمي سنة 2016م ص52.

⁽³⁾ د. حسن محمد علي وآخرون، مرجع سابق ص331.

⁽⁴⁾ د. الوادي محمود وآخرون، لأساس في علم الاقتصاد، دار اليازوري 2007 م ص 296.

⁽⁵⁾ بكرابي نجاه وناني مبروكة، رسالة ماجستير منشورة دراسة تحليلية قياسية، اثر البطالة على النمو الاقتصادي في الجزائر للفترة (2003-2017)، جامعة احمد دراية ادرار سنة 2019 ص 8.

وهي نسبة غير المشتغلين من القوة العاملة الى اجمالي القوة العاملة ويحسب معدل البطالة كالآتي: (1)

$$\text{معدل البطالة} = \frac{\text{عدد العاطلين عن العمل}}{\text{اجمالي القوى العاملة}} \times 100$$

إذاً حالة التوظيف الكامل لا تعني ان نسبة العاملة تكون 100%، فهذه النسبة تختلف من مجتمع الى اخر، فأحياناً تكون 95%، وهذا يعني ان حالة التوظيف تتطلب وجود معدل بطالة 5%.(2) ويحدد قانون(okun)، علاقة سالبة بين التقلبات الدورية، في فجوة الناتج المحلي الاجمالي والبطالة، وتمثل البطالة تحدياً تواجهه الدول النامية وغير النامية.(3)

فيعتبر قانون اوكن (okun) مقياس مهم، في التحليل الكينزي للاقتصاد الكلي، فهو يربط سوق السلع، وسوق العمل، حيث يصف العلاقة العكسية، بين الناتج المحلي، و معدل البطالة، خاصتاً في المدى القصير، فمعامل اوكن (okun) يساعد في التنبؤ، ووضع السياسات الاقتصادية المناسبة، حيث ان وفقاً لهذا القانون ان زيادة الناتج المحلي الاجمالي، بنسبة 1% يقابلها انخفاض في معدل البطالة بنسبة 3%.(4)

ويشير معدل البطالة عند منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD)، الى عدد الاشخاص العاطلين، كنسبة مئوية من القوى العاملة.(5)

(1) د. عبد الرحمن اسماعيل، وآخرون مرجع سابق ص 151.

(2) د. المقرى عامر الفيتوري، وآخرون، مبادئ علم الاقتصاد، منشورات ELGA 1995 ص 342.

(3) د. الشناوي عبدالله محمد، اختبار صلاحية قانون (okun) في حالة الاقتصاد المصري، باستخدام ARDL، بدون سنة نشر ص 14.

(4) د. نجا علي عبد الوهاب وآخرون، دراسة تحليلية قياسية، مدى تحقق قانون اوكن في الاقتصاد المصري، خلال الفترة (1990-2019) ص 17.

(5) <https://cutt.us/i0J4T> منظمة العمل الدولية.

وهكذا فإن النشاط الاقتصادي المتمثل بنمو الناتج المحلي الإجمالي، الذي بدوره يؤدي للطلب على العمل، أي ارتفاع معدل نمو الطلب على الأيدي العاملة.⁽¹⁾

المبحث الثاني : العلاقة بين النمو الاقتصادي والبطالة

سوف يتم في هذا الجانب، التوزيع النسبي لمعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي، ومعدل البطالة خلال الفترة (2005 - 2019) كما هو موضح بالجدول رقم (1)

نلاحظ من خلال الجدول رقم (1) ان معدل البطالة عالي جداً، وشبه مستقر طول الفترة فهو يتراوح ما بين (19.00 - 19.70)، حيث بلغت 19.70 % في عام 2019 فهذا مؤشر قوي يدل على وجود عدد من القوى العاملة عاطلة عن العمل، وكذلك انخفاض معدل النمو الاقتصادي حسب البيانات الظاهرة بالجدول، تشير اغلب المعدلات لناتج المحلي الإجمالي بالسالب او اقل من معدل البطالة مما يدل على وجود علاقة عكسية بين النمو و البطالة، هنا يجب تطبيق سياسيات اقتصادية لكي نحقق معدل نمو كبير في الناتج المحلي الإجمالي، يشرط الحفاظ على التوازن الاقتصادي ولأجل تحقيق انخفاض في معدل البطالة بنسبة 1%، يجب تحقيق معدل نمو بمقدار 3% حسب النظرية الاقتصادية وقانون(okun).

ان تحقيق النمو الاقتصادي، يكون بوسائل متعددة من خلال خلق فرص عمل للأيدي العاملة، وزيادة مساهمتهم في العملية الانتاجية وزيادة انتاجيه العمل من خلال التقدم التكنولوجي، وليس الاعتماد فقط على خلق فرص عمل في القطاعات الاقتصادية وخاصة الخدمي، لأنه سيخلق مشكلة على مستوى الاقتصاد، وسوف يؤدي الى نمو غير مرغوب فيه، إذاً هناك علاقه بين نمو الناتج المحلي الإجمالي واستخدام عناصر الانتاج، بلاشك إن زيادة نمو الناتج المحلي الإجمالي، يساهم في انخفاض معدل البطالة، بسبب العلاقة العكسية بين معدل النمو الاقتصادي، ومعدل البطالة.

⁽¹⁾ د. جعفر علا الدين، الانفاق الاستثماري ومستقبل الطلب على الأيدي العاملة في العراق، قسم الدراسات والبحوث بغداد سنة 2008م ص3.

فإن النشاط الاقتصادي، يساهم في زيادة الطلب على الأيدي العاملة، ورفع مستوى الاستخدام على مستوى الاقتصاد الليبي.

الجدول (1) (*)

متوسط حجم ومعدل الناتج المحلي الاجمالي ومعدل البطالة للفترة (2019-2005)
(بالمليون دينار)

السنة	الناتج المحلي الاجمالي	معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي	معدل البطالة
2005	43561.6	9.94	19.40
2006	46583.6	6.18	19.40
2007	48898.0	4.96	19.40
2008	74746.7	56.95	19.40
2009	74341.1	-3.13	19.40
2010	76191.5	2.49	19.30
2011	27287.4	-64.18	19.40
2012	56355.1	106.52	19.00
2013	111438.1	97.74	19.50
2014	86649.2	-22.24	19.50
2015	83147.5	-4.04	19.50
2016	80892.6	-2.70	19.5
2017	103937.0	28.48	19.40
2018	112442.8	8.18	19.50
2019	99113.0	-11.85	19.70

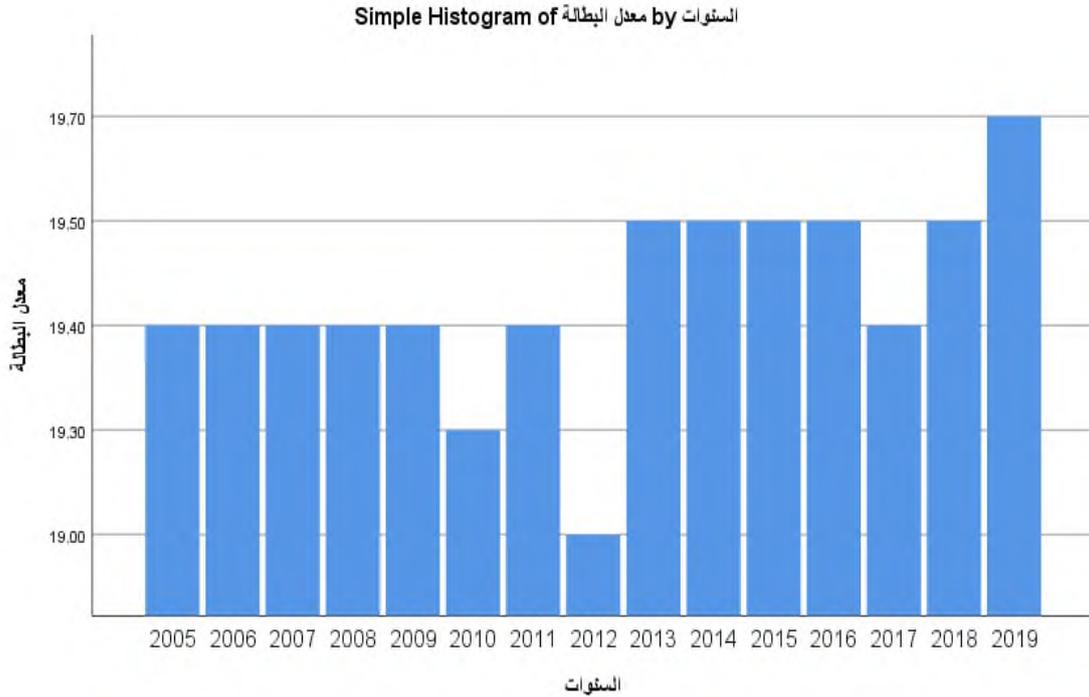
(*) المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على.

- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، ادارة البحوث والاحصاء، المجلد 52 النصف الاول 2012م، النشرة الاقتصادية، لمصرف ليبيا المركزي، ادارة البحوث والاحصاء المجلد 60 الربع الرابع 2020م.
- النشرة الاقتصادية، لمصرف ليبيا المركزي، ادارة البحوث والاحصاء، المجلد 62 الربع الثاني 2022م.
- <https://cutt.us/TWDzv> منظمة العمل الدولية.

$$\text{قانون معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي} = \frac{\text{الناتج المحلي الجديد} - \text{الناتج المحلي القديم}}{\text{الناتج المحلي القديم}} \times 100$$

الشكل رقم (1) (*)

تطور معدل البطالة في ليبيا خلال الفترة (2005 - 2019)



(*) المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على.

- على الجدول رقم (1) ص 10 باستخدام البرنامج الإحصائي Spss.

المبحث الثالث : حجم الاستخدام في الأنشطة الاقتصادية المختلفة في الاقتصاد الليبي.

قد تم تقسيم القطاعات الاقتصادية إلى ثلاث قطاعات :

حيث يشمل قطاع الزراعة وفقاً لهذا المقياس (الغابات وصيد الأسماك والصيد العام) ويشمل قطاع الصناعة (النفط والتعدين والمحاجر والصناعات التحويلية وامتدادات الكهرباء والغاز والمياه والانشاءات) ويشمل قطاع الخدمات (تجارة الجملة واصلاح المركبات والسلع الشخصية والاسرية و الفنادق والمطاعم والنقل والتخزين والاتصالات والوساطة المالية والانشطة العقارية وإيجاريه وانشطة المشاريع التجارية والادارة العامة والدفاع والضمان الاجتماعي الاجباري والتعليم والصحة والعمل الاجتماعي وانشطة الخدمات المجتمعية والشخصية الاخرى).

سوف يتم في هذا الجانب عرض التوزيع النسبي للنتائج المحلي الاجمالي والقوى العاملة على الأنشطة الاقتصادية للفترة (2005 - 2019)، كما هو موضح بالجدول رقم (2).

من خلال الجدول رقم (2) نلاحظ ان معظم الأيدي العاملة الليبية تتركز في قطاع الخدمات حيث تستوعب مجتمعة في المتوسط 53.7% من اجمالي القوة العاملة وكانت مساهمة قطاع الخدمات في الناتج المحلي الاجمالي 35% في حين نجد اقل القطاعات تشغيلاً للأيدي العاملة في قطاع الزراعة حيث لا تشغل هذه القطاعات مجمه سوى نسبة بسيطة من الأيدي العاملة تتراوح في المتوسط 20% من اجمالي القوة العاملة وكانت مساهمة قطاع الزراعة في الناتج المحلي الجمالي سوى 1.8 % في المتوسط في حين نجد قطاع الصناعة تستوعب مجتمعة في المتوسط 26.3% من اجمالي القوى العاملة فهي تعتبر نسبة ضئيلة جدا مقارنة مع القطاع الزراعي والخدمي نظرا للمساهمة الكبيرة لقطاع النفط في الناتج المحلي الاجمالي بنسبة 63.2% وخاصة في الوقت الراهن بعد زيادة انتاج النفط وارتفاع الاسعار في السوق العالمي في المقابل استيعابه محدود جدا للأيدي العاملة، ويعتبر هذا التوزيع في القوى العاملة مشكلة يعاني منها الاقتصاد الليبي.

إذا كان هدف الدولة معالجه البطالة وخلق فرص عمل إضافية فيجب عليها أن تزيد من الانفاق الاستثماري والانفاق الحكومي في القطاعات المستوعبة لأكثر نسبة من الأيدي العاملة

كالمقطع الخدمي والزراعي لكي تساهم الأنشطة غير النفطية في نمو الناتج المحلي الإجمالي وتنوع مصادر الدخل.

الجدول (2) (*)

التوزيع النسبي للناتج المحلي الإجمالي والقوى العاملة على الأنشطة الاقتصادية المختلفة للفترة (2005-2019)

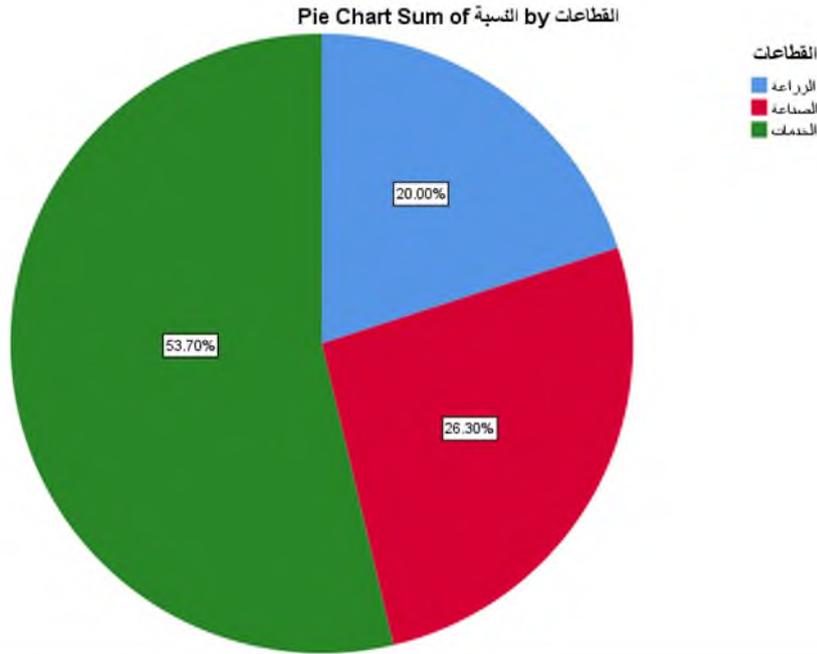
الخدمات		الصناعة		الزراعة		الأنشطة السنوات
عمل %	ناتج %	عمل %	ناتج %	عمل %	ناتج %	
48.0	31.93	28.0	64.71	24.0	3.36	2005
48.0	37.07	29.0	59.51	23.0	3.42	2006
49.0	32.46	29.0	63.94	22.0	3.50	2007
49.0	16.72	29.0	82.46	22.0	0.82	2008
49.0	18.25	30.0	80.88	21.0	0.87	2009
50.0	18.54	29.0	80.62	21.0	0.84	2010
52.0	34.92	28.0	64.42	20.0	0.66	2011
53.0	23.56	27.0	76.00	20.0	0.44	2012
55.0	42.32	25.0	55.60	20.0	2.07	2013
57.0	54.87	24.0	42.31	19.0	2.80	2014
58.0	53.73	23.0	43.75	19.0	2.5	2015
60.0	55.67	22.0	42.37	18.0	2.00	2016
59.0	30.84	23.0	67.87	18.0	1.30	2017
59.0	36.77	24.0	61.99	17.0	1.20	2018
60.0	35.40	24.0	62.90	16.0	1.70	2019
%53.7	%35	%26.3	%63.2	%20	%1.8	المتوسط

(*) المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على.

- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي ادارة البحوث والاحصاء المجلد 52 النصف الأول 2012م، النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي إدارة البحوث والإحصاء المجلد 60 الربع الرابع 2020م.
- والنشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي ادارة البحوث والاحصاء المجلد 62 الربع الثاني 2022م.
- وزارة التخطيط. <https://cutt.us/ZFHY2> البنك الدولي .

الشكل رقم (2) (*)

التوزيع النسبي للقوى العاملة في ليبيا خلال الفترة (2005 - 2019)



(*)المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على.

- على الجدول رقم (2) ص 13 باستخدام البرنامج الاحصائي Spss.
- المبحث الرابع : تقدير النموذج القياسي لأثر نمو الناتج المحلي الاجمالي على معدل البطالة.

الجدول رقم (3) يعرض نتائج تقدير النموذج القياسي لأثر معدل النمو الاقتصادي على معدل البطالة في ليبيا خلال الفترة (2005-2019) وذلك باستخدام النظام الإحصائي (SPSS) بطريقه المربعات الصغرى العادية (OLS) حيث تم صياغة المعادلة كالآتي:-

$$Y = 0\beta + 1\beta X$$

حيث أن

Y = معدل البطالة المتغير التابع

X = معدل النمو متغير المستقل

1β = معلمة النموذج

0β = الحد الثابت

الجدول رقم (3) (*)

نتائج تقدير النموذج القياسي لأثر معدل النمو على معدل البطالة

Coefficients

Model	Unstandardized Coefficients B	Std. Error	Standardized Coefficients Beta	T	Sig.
1 (Constant)	19.443	.037		530.538	.000
ومعدل النمو المحلي الاجمالي الناتج	-.002-	.001	-.475-	-1.946-	.074
Dependent Variable: معدل البطالة					

(*) المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج الاحصائي Spss .

فكانت المعادلة كالآتي :

$$Y = 19.443 - 0.002X$$

يتضح من المعادلة اعلاه ان معلمة معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي اشارته سالبة مما يدل على وجود علاقة عكسية بين معدل النمو الاقتصادي ومعدل البطالة وهذا يؤثر سلباً على معدل البطالة. فزيادة معدل النمو بنسبة 3% يؤدي الى انخفاض معدل البطالة بنسبة 0.002% إذاً هذه النتيجة تتفق مع النظرية الاقتصادية بوجود علاقة عكسية بين معدل النمو ومعدل البطالة مع بقاء العوامل الاخرى ثابتة ، وقد تبيث معنوية المعامل باختبار (t) عند مستوى معنوية (1%) مع الجدير بالذكر ان اشارة (t) المحسوبة تهمل.

النتائج :

- 1- بلغ أعلى معدل للبطالة 19.70 في عام 2019م.
- 2- معظم الأيدي العاملة تتركز في قطاع الزراعة والخدمات حيث كانت نسبة قطاع الزراعة 20%، ونسبة قطاع الخدمات 53.7%، من اجمالي القوى العاملة.
- 3- مساهمة قطاع النفط في الناتج المحلي الاجمالي كانت كبيرة جدا بنسبة 63.2%.
- 4- وجود علاقة عكسية بين معدل النمو ومعدل البطالة.

التوصيات:

- 1- تعزيز الربط بين التعليم العالي وسوق العمل.
- 2- تشجيع الاستثمار المحلي لخلق فرص عمل جديدة، وإعادة توزيع الاستثمار للقطاعات الإنتاجية والخدمية المستوعبة للأيدي العاملة.
- 3- إقامة الدورات التدريبية لتنمية الموارد البشرية.
- 4- الاهتمام بالمعاهد المهنية خاصة المعاهد الصحية لزيادة الطلب على هذه المهن في القطاع الخاص والعام.
- 5- الاهتمام ببرنامج الدراسات العليا الدكتوراه والماجستير بالداخل والخارج لنقص الحاد في اعضاء هيئة التدريس الجامعي في بعض الكليات.

المصادر و المراجع :

أولاً الكتب العلمية

- 1- أرحومة، سالم عبد السلام، مؤشرات التنمية الاجتماعية في ليبيا (1970- 1980)، دار ليبيا 1988.
- 2- الحاسية، ميلود جمعة، دور النقود في الاقتصاد الليبي دراسة تحليلية وتطبيقية، الشركة العامة للنشر 1979.
- 3- آل شبيب، دريد كامل، الاستثمار والتحليل الاستثماري، دار اليازوري 2008.
- 4- حسن، مجيد علي وآخرون، مقدمه في التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل بدون سنة نشر.
- 5- خمش، مجد الدين، الدولة والتنمية في إطار العولمة، دار مجدلاوي 2004.
- 6- زكي، رمزي، الاقتصاد السياسي للبطالة، دار عالم المعرفة سنة 1998.
- 7- شكر، اسماعيل علي، مشاريع القطاع الخاص ودورها عن الحد من البطالة، مركز الكتاب الاكاديمي سنة 2016.
- 8- الشمري، ناظم نوري وآخرون، عمان الاردن 1999.
- 9- الطبولي، ابو القاسم عمر وآخرون، اساسيات الاقتصاد، دار ليبيا للنشر والتوزيع والاعلان سنه 1999.
- 10- عبد الرحمن، اسماعيل وآخرون، مفاهيم ونظم اقتصادية، دار وائل بلا سنة نشر.
- 11- عبد الوهاب، نجا علي وآخرون، دراسة تحليلية قياسية، مدى تحقق قانون اوكين في الاقتصاد المصري خلال الفترة (1990-2019)
- 12- عزيز، محمد وآخرون، البطالة مشكلة سياسية اقتصادية، منشورات جامعة قاريونس 1997.
- 13- علا الدين، جعفر، الإنفاق الاستثماري ومستقبل الطلب على الأيدي العاملة في العراق، قسم الدراسات والبحوث بغداد سنة 2008
- 14- محمد، الشناوي عبدالله، اختبار صلاحية قانون (okun) في حالة الاقتصاد المصري باستخدام ARDL بدون سنة نشر
- 15- المقري، عامر الفيتوري وآخرون، مبادي علم الاقتصاد، منشورات ELGA 1995.
- 16- مندور، عصام عمر، التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتغير الهيكلي في الدول العربية، دار التعليم الجامعي 2011.
- 17- منصور، طه عبدالله وآخرون، اقتصاديات التنمية، دار المريخ بلا سنة نشر.

18- الوادي، محمود وآخرون ، لأساس في علم الاقتصاد، دار اليازوري 2007.
ثانياً الدوريات:

1- عريقيب، سعاد عبد السلام، محددات البطالة في ليبيا، دراسة قياسية، جامعة مصراته مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال 2022.

2- عيسى، سلوى جمعة، مقارنة النمو والبطالة في ليبيا دراسة قياسية في إطار قانون (okun)، جامعة قاريونس مجلة العلوم المالية والادارية.

3- الفارسي، عيسى حمد، تنمية مصادر الدخل في الاقتصاد الليبي وتويعها الشراكة مع القطاع الخاص، مجلة البحوث الاقتصادية بنغازي المجلد الخامس عشر العدد الأول 2004.
ثالثاً الرسائل:

1- بكرابي نجاه وناني مبروكة، رسالة ماجستير منشورة دراسة تحليلية قياسية اثر البطالة على النمو الاقتصادي في الجزائر للفترة (2003-2017)، جامعة أحمد دراية ادرار سنة 2019.

رابعاً المنشورات:

1- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والإحصاء المجلد 52 النصف الاول 2012.

2- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والإحصاء المجلد 60 الربع الرابع 2020.

3- النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي، إدارة البحوث والإحصاء المجلد 62 الربع الثاني 2022.

4- وزارة التخطيط.

5- <https://cutt.us/HUe8C> منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

6- <https://cutt.us/i0J4T> منظمة العمل الدولية.

7- <https://cutt.us/TWDzv> منظمة العمل الدولية.

8- <https://cutt.us/ZFHY2> البنك الدولي.

تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا

د. الياس أبوبكر الباروني

قسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة نالوت

elyas4010@yahoo.com

0925074656-0915074656

الملخص:

إن ليبيا التي شكلت استثناء في علاقاتها الإقليمية "المتقلبة" مع دول الجوار، إبان عهد القذافي، دخلت في استثناء من نوع آخر في مرحلة ما بعد الثورات، بفعل معطيات وضعها الداخلي المضطرب الذي يتراوح ما بين انتشار للأسلحة، واشتباكات ذات طابع قبلي، ودولة تعاني هشاشة سياسية وأمنية، مما تقدم تتركز إشكالية البحث في: ما تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا. حيث تهدف الدراسة إلى التعرف على المحددات الأساسية للعلاقة بين الأوضاع الداخلية في ليبيا والجوار الإقليمي، وتوضيح دوافع وأسباب اهتمام دول الجوار بأحداث ليبيا، وتبيان آليات تنسيق دول الجوار لدعم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، كذلك إبراز التداعيات على عملية التحول الديمقراطي، واتبع الباحث المنهج الاستقرائي الوصفي، والمنهج التحليلي النقدي، وذلك لفهم ودراسة تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا. ووصولاً إلى أهم النتائج المتمثلة في إن هناك عدد من الآليات التي من الممكن أن تعتمد عليها هذه الدول في التنسيق بينهما لمواجهة خطر الإرهاب المتصاعد في ليبيا ودعم عملية التحول الديمقراطي، وذلك بتسخير الأدوات التي تمتلكها وذلك عن طريق تنسيق أمني وعسكري بين دولتين أو أكثر والتحرك من خلال قوة عربية لمواجهة الإرهاب، والعمل على ضرورة النظر في أهداف التحالف الدولي القائم لمواجهة الإرهاب، وكذلك آلية العمل الجماعي من خلال عقد الاجتماعات واللقاءات المتتالية.

كلمات مفتاحية: تأثير - دول الجوار - عملية - التحول الديمقراطي - ليبيا

Abstract:

Libya, which constituted an exception in its "fluctuating" regional relations with neighboring countries, during the Gaddafi era, entered into an exception of another kind in the post-revolutionary period, due to the data of its turbulent internal situation, which ranges from the proliferation of weapons, clashes of a tribal nature, and a country suffering Political and security fragility. From the foregoing, the research problem is focused on: What is the impact of neighboring countries on the process of democratic transition in Libya? The study aims to identify the basic determinants of the relationship between the internal situation in Libya and the regional neighborhood, and to clarify the motives and reasons for the interest of neighboring countries in the events in Libya, and to show the coordination mechanisms of neighboring countries to support the democratic transition process in Libya, as well as to highlight the repercussions on the process of democratic transformation, and the researcher followed the inductive approach Descriptive, and critical analytical approach, in order to understand and study the impact of neighboring countries on the process of democratic transition in Libya. In order to reach the most important results represented in the fact that there are a number of mechanisms that these countries can rely on in coordination between them to confront the escalating threat of terrorism in Libya and support the process of democratic transition, by harnessing the tools they possess, through security and military coordination between two or more countries and moving from Through an Arab force to confront terrorism, and work on the need to consider the objectives of the existing international coalition to combat terrorism, as well as the mechanism of collective action through holding successive meetings and gatherings.

Keywords: influence - neighboring countries - process - democratic transition – Libya

مقدمة:

ما زاد من تعقد تأثيرات الداخل الليبي في دول الجوار أن هنالك حالة من الغموض النسبي في التوجيهات الخارجية لدى النخبة الليبية الجديدة، يمكن إيعازه إلى عدم اكتمال بنية النظام الليبي، أو شكل الدولة ذاتها، وانكفاء النخبة الجديدة على جمع فرقاء الداخل في المرحلة الانتقالية، علاوة على أن الإرث المعقد لعلاقات القذافي مع دول الجوار لا يزال مؤثرًا في العلاقات الليبية الخارجية (1).

إشكالية الدراسة:

في ضوء ذلك، يصبح من الضروري استجلاء مدى تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي، باعتبارها عنصرًا أساسيًا يؤثر ويتأثر بما يجري في الداخل الليبي، وهو الأمر الذي أتضح كثرة الاجتماعات واللقاءات التي عقدها وزراء خارجية دول جوار ليبيا، والتي بلغت أكثر من ستة اجتماعات ولقاءات لكبار قادة ومسؤولي دول الجوار، مما تقدم تتركز إشكالية البحث في سؤال رئيس المتمثل في: ما تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟

تساؤلات الدراسة:

تتركز تساؤلات الدراسة على:

- 1- ما المحددات الأساسية للعلاقة بين الأوضاع الداخلية في ليبيا والجوار الإقليمي؟
- 2- ما دوافع وأسباب اهتمام دول الجوار بأحداث ليبيا؟
- 3- ما آليات تنسيق دول الجوار لدعم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟
- 4- ما التداعيات على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟

(1) الشلوي، هشام، قراءة في مواقف دول جوار ليبيا، 2014/8/27، على الرابط:

<http://www.noonpost.net/content/3546>

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- 1- السعي نحو تسليط الضوء وإثراء الدراسات النظرية فيما يخص موضوع تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.
- 2- هذه الدراسة تعتبر استكشافية تسعى إلى رصد ظاهرة تأثير دول الجوار وتقييم المتغيرات على نحو يحقق دور فاعل لعملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- 1- التعرف على المحددات الأساسية للعلاقة بين الأوضاع الداخلية في ليبيا والجوار الإقليمي.
- 2- توضيح دوافع وأسباب اهتمام دول الجوار بأحداث ليبيا.
- 3- تبيان آليات تنسيق دول الجوار لدعم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.
- 4- إبراز التداعيات على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

منهج الدراسة:

اتباع الباحث المناهج التالية:

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي، والمنهج التحليلي النقدي، وذلك لفهم ودراسة تأثير دول الجوار على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

أدوات الدراسة:

تم الاستعانة في الدراسة بالأدوات التالية:

- 1- الرجوع إلى المصادر الأصلية في الموضوع والتأصيل ما أمكن لقضايا البحث.

2- جمع المعلومات بالاعتماد على المعلومات المكتتبية والدوريات وشبكة المعلومات الدولية الإنترنت.

3- تحليل المعلومات وتفسيرها، واستخلاص أهم النتائج والتوصيات.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى:

المبحث الأول: المحددات الأساسية للعلاقة بين الأوضاع الداخلية في ليبيا والجوار الإقليمي.

المبحث الثاني: دوافع وأسباب اهتمام دول الجوار بأحداث ليبيا.

المبحث الثالث: آليات تنسيق دول الجوار لدعم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

المبحث الرابع: التدايعات على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

المبحث الأول

المحددات الأساسية للعلاقة بين الأوضاع الداخلية في ليبيا والجوار الإقليمي

لقد شهدت ليبيا تغييرات داخلية عميقة بعد الثورة على القذافي، فتحت ملفات لا ترتبط بتغيير النظام، وإنما لجهة صياغة عقد اجتماعي جديد يشكل الدولة، إذ إن المجتمع الليبي المتنوع قبائليا وأيديولوجيا بات مشاركا فعليا في تقرير مصير دولته، بعد أكثر من أربعة عقود من حكم القذافي، الذي لم يقيم أي اعتبار لفكرة الدولة، بل ظل أحد عوامل إضعافها، عبر "شخصنة" السلطة والثروة والسلاح... ومن هنا يمكن معرفة أبرز التغييرات في الداخل الليبي:

- الصعود السياسي للتيارات الإسلامية: شاركت هذه التيارات في الثورة على "القذافي"، كما دخلت بعض فصائلها الجهادية في العمل العسكري، جنبا إلى جنب مع قوات الناتو، ثم أنها اليوم تسعى لأن تحتل مكانة في العمل السياسي، ضمن حالة المد الإسلامي العام في المنطقة، على غرار إخوان تونس ومصر الذين اعتلوا المشهد السياسي، شكل إخوان ليبيا حزب "العدالة والبناء"، وبرغم تباين خبرة الإسلاميين في مصر وتونس في العمل السياسي، مقارنة بليبيا، فإن بروز التيار

الإسلامي في المعادلة الليبية قد يسهم في إحداث تحولات في هوية المجتمع، بما قد يعيد التفكير في التواصل في الدائرة العربية على أسس دينية⁽¹⁾.

- انتشار الأسلحة الخفيفة والمتوسطة: وذلك بسبب التدخل الدولي في ليبيا للقضاء على حكم القذافي، فضلاً عن الطبيعة غير المركزية للجهات المسلحة التي شاركت إلى جانب الناتو في الحرب، وكذا انشطار المؤسسة العسكرية الليبية إبان الثورة.

لعل أحد تجليات انتشار السلاح هو "عسكرة القبيلة"، حيث تتنافس القبائل على التسلح والتمركز في مناطقها، دفاعاً عن مصالحها، أو عدم تهميشها في مرحلة تقسيم السلطة والثروة بعد القذافي، وخاصة في منطقة الجنوب⁽²⁾.

- الميليشيات والتشطي الأمني: فعدم قدرة المجلس الوطني الانتقالي على دمج الميليشيات المسلحة في المؤسسات الأمنية الداخلية والخارجية، وأجد حالة من التشطي الأمني، فالثوار الذين لعبوا دوراً ملموساً في إسقاط القذافي يرفضون إلقاء السلاح، ويرون أن لهم الشرعية الثورية تفوق شرعية المجلس الوطني الانتقالي الذي بدا ضعيفاً وغير حازم إزاء انتشار ظاهرة الميليشيات المسلحة.

أضف إلى ذلك تنامي خطر القاعدة في ليبيا، فنتيجة لحضور الجماعات المسلحة وبشدة في الواقع الليبي، وانتشار السلاح وغياب المؤسسات الأمنية، كل هذه العوامل تشكل أرضية خصبة لتنامي قوة تنظيم القاعدة الذي يوجد حينما تصبح الدولة فاشلة، وهذا السيناريو من المحتمل حدوثه، خاصة أن عدداً من الجماعات المتشددة في ليبيا يحمل فكراً جهادياً تكفيرياً، لذلك فإن احتمال التعاون مع تنظيم القاعدة يظل قائماً⁽³⁾.

- الخلاف على شكل الدولة بعد الثورة: أسهم القذافي في طمس معالم الدولة، وأضعف الجيش، وأحال السلوك الداخلي والخارجي لنظامه لخدمة طموحاته الشخصية في الزعامة، لذا باتت

(1) علي، خالد حنفي، "الجوار القلق: تأثيرات الثورة في علاقات ليبيا الإقليمية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 188، المجلد 47، أبريل 2012، ص 117.

(2) بسيكري، السنوسي، ليبيا، مسار انتقالي مضطرب سياسياً وأمنياً، الدوحة: قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2014/2/17م.

(3) حسن، إسلام أحمد، الأزمة الليبية: سيناريوهات الصراع والحل، 2014/11/19، على الرابط:

<http://fekr-online.com/ReadArticle.php?id=104>

الدولة الليبية بعده في حالة تشكك إزاء وجودها أصلاً، وما يزيد الأمر تعقيداً أن منطقة برقة أعلنت اتحاداً فيدرالياً يتمتع بحكم ذاتي بعد عقود من إهمال "القذافي" تنموياً وسياسياً⁽¹⁾.

- **العامل الدولي:** بالرغم من أن مهمة الناتو بعد اختفاء "القذافي" قد تكون انتهت نظرياً، فإنه لجهة الواقع فإن العامل الدولي سيظل مؤثراً في المشهد الداخلي الليبي، ليس فقط للمصالح النفطية، أو إعادة الإعمار، أو لتشكيل حائط صد أمام الهجرة غير الشرعية، أو المشاركة في إعادة تأهيل المؤسسات الأمنية، وإنما لإنشاء شبكة تحالفات عميقة، بهدف تمكين الناتو والولايات المتحدة من مواجهة الأخطار المتدفقة من الموقع الجي واستراتيجي لليبيا باتجاه أوروبا، أو للحفاظ على خطوط المصالح في عمق منطقة الساحل والصحراء، خاصة ما يتعلق بخطوط النفط والغاز، أو احتواء التنظيمات الإرهابية في منطقة الساحل والصحراء⁽²⁾.

المبحث الثاني

دوافع وأسباب اهتمام دول الجوار بأحداث ليبيا

مع دخول الأزمة الليبية منعطفاً خطيراً مفتوحاً على كل الاحتمالات والسيناريوهات المختلفة، فمن الممكن أن تشهد الأراضي الليبية حرباً أهلية على سبيل المثال، وأن تكون مرتعاً للجماعات الجهادية والتكفيرية المتشددة، فقد يجد فيها تنظيم داعش بيئة خصبة تسمح بخلق فرع جديد له يكون نقطة الانطلاق في شمال إفريقيا، وبالتالي يمكن القول إن هناك العديد من الدوافع والأسباب التي تكمن وراء دول الجوار بتطورات الأحداث في ليبيا، يمكن تفنيدها على النحو التالي⁽³⁾:

(1) الداودي، محمد السنوسي، "فجوة الأمن، تداعيات انفجار الأوضاع في ليبيا"، مجلة السياسة الدولية، العدد 197، يوليو 2014م، ص130.

(2) علي، خالد حنفي، "الجوار القلق..."، مرجع سبق ذكره، ص 118.

(3) المنشاوي، إبراهيم، الجوار القلق: ليبيا ومعضلة الاستقرار، القاهرة، مصر، المركز العربي للبحوث والدراسات، 16 يوليو 2014م.

- **دوافع سياسية:** تتضح في رغبة دول الجوار في سد حالة الفراغ السياسي في ليبيا، وذلك بالعمل على التقريب بين وجهات النظر للأطراف المختلفة، وتعزيز مسار التحول الديمقراطي والاتفاق على شكل العملية السياسية والدولة، لأنه من الجلي بعد سقوط القذافي، أن هناك تصارعاً عميقاً حول السلطة وشكل الدولة، هذا التصارع أخذ شكل المواجهات العسكرية المباشرة⁽¹⁾.

أضف إلى ذلك الخلاف بين التيارات الأيديولوجية المختلفة حول رؤية الدولة الليبية، وقد ظهرت تجليات ذلك واضحة في المطالب بإقامة حكم فيدرالي من جانب بعض الجماعات وبالأخص في إقليم برقة، كما ظهرت دعوات تطالب بالانفصال وانشطار ليبيا إلى دويلات صغيرة، وذلك نتيجة لتواصل القتال دون وجود مخرج للأزمة، هذه الأمور جعلت ليبيا تعاني كثيراً وتقترب من نموذج دولة كالنموذج الصومالي، ومن هنا وجب على دول الجوار اتخاذ مثل هذه الخطوة لعلها تكون قادرة على تصحيح المسار، وترتيب الأوضاع وجمع شمل الليبيين والتوسط بينهم⁽²⁾.

- **دوافع اقتصادية:** تتمثل تلك الدوافع في الأزمة التي خلقتها الصراعات في ليبيا من تردي أوضاع العمالة الموجودة هناك والقادمة من دول الجوار، حيث باتت أوضاعهم صعبة للغاية وذلك نتيجة لحالات الخطف والاحتجاز التي تحدث لهم على أيدي الجماعات المسلحة، بل وتمتد أحياناً إلى القتل، فعلى سبيل المثال؛ تسلمت السلطات المصرية أخيراً جثامين مصريين كانوا يعملون في مدينة طبرق، وقد وصل الأمر نتيجة لغياب الدولة في ليبيا إلى تفاوض الحكومة المصرية مع قادة الميلشيات المسلحة من أجل الإفراج عن 74 سائق شاحنة مصريين، تم احتجازهم بمنطقة أجدابيا بليبيا، ولا يقتصر الأمر على العمالة المصرية فقط؛ بل امتد ليشمل العمالة القادمة من تونس والجزائر، والذين ساءت أوضاعهم خاصة بعد عملية الكرامة، ووقوعهم تحت رحمة الجماعات المسلحة من الابتزاز والاعتداء، فهناك 120 ألف عامل تونسي في ليبيا على سبيل المثال.

على الخط الموازي، فقد تعاضمت مشكلات دول الجوار الليبي من خلال عودة العمالة مما زاد من أزماتها الداخلية خاصة مع ما تمر به من وضع اقتصادي حرج نتيجة لثورات الربيع

(1) هل تكون ليبيا قاعدة لتمدد داعش في شمال إفريقيا، ليبيا المستقبل، 2015/6/1، على الرابط:

<http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/71453>

(2) المرجع السابق نفسه.

الديمقراطي ، بالإضافة إلى كونها دول ذات اقتصاد نامٍ، كما أن هناك بعداً اقتصادياً آخر لما يحدث في ليبيا، في كون حالة عدم الاستقرار التي تسيطر على الدولة الليبية تضر المنطقة بأسرها، وذلك من خلال جعلها دولاً طاردة للاستثمار بسبب حالة الانفلات الأمني الموجودة فيها، ولا شك أن الأوضاع في ليبيا قد عمقت من تلك الحالة كثيراً من خلال عمليات تهريب الأسلحة عبر الحدود.

- **دوافع أمنية:** ويعد ذلك الهاجس الأقوى الذي يؤرق دول الجوار، فنتيجة للأوضاع الأمنية الحرجة في ليبيا ونشاط الجماعات الجهادية، فقد أدى ذلك إلى التأثير على الأمن القومي لدول الجوار من خلال عمليات تهريب السلاح وانتقال الجهاديين، وعلى إثر ذلك فقد نكر المركز الدولي للدراسات الإستراتيجية والأمنية والعسكرية في تونس أن 45 مليون قطعة سلاح تم تهريبها من ليبيا إلى عدد من دول الجوار، وفي هذا الإطار فقد ألفت السلطات المصرية القبض أكثر من مرة على أسلحة مهربة عبر الحدود مع ليبيا، وكذلك ينطبق على الحدود مع الجزائر والنيجر، بل قد امتد السلاح الليبي إلى داخل القارة الإفريقية في مناطق النزاع المختلفة كما في مالي ونيجيريا.

كما نمت الجريمة المنظمة بشكل كبير، فبجانب تجارة الأسلحة هناك تجارة المخدرات والاتجار في البشر وغيرها، مما شكل معه مصدراً مهما لتمويل الجماعات الإرهابية وتقوية شوكتها، كل هذه العوامل شكلت أرضية خصبة لتنامي قوة تنظيم القاعدة الذي يوجد حينما تصبح الدولة فاشلة، وبالتالي فالوضع بات مخيفاً لدول الجوار وذلك بدعوى انتقال العدوى، خاصة في ظل التداخل الفكري والارتباط بين الجماعات المتشددة داخل أقاليم دول الجوار.

- **دوافع اجتماعية وثقافية:** وتتمثل تلك الدوافع في وجود امتدادات قبلية بين ليبيا ودول الجوار وبالأخص مصر والنيجر وتشاد والجزائر، مما ييسر من عملية تدفق السلاح والتعاقد بين المجموعات الإثنية والعرقية الممتدة في المواقف والآراء والتوجهات، مما يخلق معه مشكلات واضحة لدول الجوار نتيجة لهذه الحالة التي قد تؤدي إلى وجود مخاطر حقيقية من هذا الامتداد.

كما أن هناك مشكلة أخرى تظل شوكة في الجسد الجوارى، وهي المتعلقة بتدفق اللاجئين الليبيين من العمليات المسلحة إلى دول الجوار في مصر وتونس والجزائر، فعلى سبيل المثال تشير التقارير إلى أن هناك 25 ألف لاجئٍ ليبي في مصر والعدد متزايد على ذلك في تونس⁽¹⁾.

المبحث الثالث

آليات تنسيق دول الجوار لدعم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا

هناك عدد من الآليات التي من الممكن أن تعتمد عليها هذه الدول في التنسيق بينهما لمواجهة خطر الإرهاب المتصاعد في ليبيا ودعم عملية التحول الديمقراطي، وذلك بتسخير الأدوات التي تمتلكها كل منها:

- تنسيق أمني وعسكري بين الدولتين: وقد كان هذا البعد شديد الوضوح في زيارة الرئيس المصري إلى الجزائر، لدعم التنسيق الأمني مع الجانب الجزائري فيما يتعلق بتأمين الحدود وتبادل المعلومات حول الأوضاع المتفجرة في الأراضي الليبية، وقد انعكس ذلك أيضًا في تصريحات المسؤولين الجزائريين، حيث وسعت قيادة الجيش الجزائري تنسيقها الأمني والعسكري مع دول الجوار لمكافحة الإرهاب وضبط الحدود، لتشمل خمس دول جديدة وهي؛ مصر وتونس وتشاد ونيجيريا وبوركينا فاسو، بعدما كان هذا التنسيق يشمل ثلاث دول فقط، وهي ما تسمى بدول الميدان وتضم موريتانيا ومالي والنيجر التي ترتبط معها باتفاقية أمنية تم توقيعها بمدينة تمنراست أقصى جنوب الجزائر في يوليو عام 2010(2).

بالتالي فإن هذا التنسيق سوف يفيد كثيرًا في التعرف على بؤر الإرهاب ورصدها بدقة، وتحديد مدى قوتها، لوضع الإستراتيجية المناسبة للتعامل معها، فقد يشمل التنسيق بين الجانبين؛ غرفة عمليات عسكرية مشتركة، والتعاون العسكري العام في مجال التدريب والتموين والإمداد، ونقل المعلومات، خاصة بعد تردد المعلومات عن سعي داعش لتكوين فرع جديد في المغرب الإفريقي "

(1) الفقيه، أحمد إبراهيم، رعاة الإرهاب في ليبيا، جريدة العرب، العدد 9963، 2015/6/29م.

(2) المنشاوي، إبراهيم، إستراتيجية موحدة: التنسيق المصري، الجزائري لمواجهة الإرهاب في ليبيا، القاهرة: مصر، المركز العربي للبحوث والدراسات، 16 يوليو 2014م.

المغرب العربي " باسم دامس، أي الدولة الإسلامية في المغرب الإسلامي، معتمدين على تدفق الجهاديين إلى دول تلك المنطقة واستغلال الوضع في ليبيا، من أجل التوغل في الجزائر ودول المغرب الإفريقي "المغرب العربي".

- **التحرك من خلال قوة عربية لمواجهة الإرهاب:** وهو ما يقتضي مزيداً من التكاتف والتلاحم العربي والتأكيد على وحدة المصير المشترك، وهذا الهدف الإستراتيجي يتطلب تعاوناً مثمرًا من كل الدول العربية، وجهوداً مضمينة من جامعة الدول العربية، فمثل هذا التوجه يتبناه أيضًا الأمين العام للجامعة الدكتور "نبيل العربي"، حيث أكد على ضرورة تبني إستراتيجية شاملة لمواجهة الإرهاب، ضمن منظومة دفاعية وفق اتفاقية الدفاع العربي المشترك⁽¹⁾، وقد أعدت الجامعة دراسة للنظر في إمكانية تشكيل قوة تدخل عربية مشتركة لدرء الإرهاب وذلك وفقًا لميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع العربي المشترك، التي تتضمن إيجاد نظام دفاع عربي مشترك مرن ومتكامل للدفاع الجماعي وحفظ السلم والأمن في المنطقة وإنشاء قيادة عامة موحدة لقوات التدخل العسكرية وفقًا لمقتضيات المعاهدة أو أي صيغة أخرى يتم التوافق عليها.

- **العمل على ضرورة النظر في أهداف التحالف الدولي القائم لمواجهة الإرهاب، من أجل توسيعها لتشمل كل التنظيمات الجهادية والإرهابية في المنطقة العربية، من خلال التنسيق الدبلوماسي، والاعتماد على البنود التي أعلنتها الدولة المصرية إبان تشكيل التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب، حيث اشترطت مصر آنذاك ضرورة توسيع الحرب على الإرهاب بالمنطقة، لتضم التنظيمات المسلحة في ليبيا، وتوضيح أهداف هذه الحرب وتحديد جدول زمني لها، وضرورة تنسيق المواقف بين جميع الدول المشاركة في الحرب، ليشمل جميع البؤر الإرهابية سواء في منطقة الشرق الأوسط أو في إفريقيا، في إطار إستراتيجية شاملة⁽²⁾.**

- **آلية العمل الجماعي من خلال عقد الاجتماعات واللقاءات المتتالية للتباحث حول الملف الليبي لتشكيل حكومة وحدة وطنية في ليبيا تكون قادرة على الإعداد لانتقال ديمقراطي حقيقي بسن**

(1) سكية، عبد السلام، قدور جربوعة، فوزي حوامدي، "الورقة الجزائرية لحل الأزمة الليبية في مواجهة أزمة الشرعية والاندفاع المصري"، صحيفة الشروق الجزائرية، 21 فبراير 2015م.

(2) نفس المرجع السابق.

دستور وإجراء انتخابات تضمن وحدة ومصالح وأمل الشعب الليبي، وهو ما ترجم في الاجتماع في الجزائر في مايو 2013 على هامش الاجتماعات الوزارية لحركة عدم الانحياز، ثم جاء الاجتماع الثاني في غينيا في نهاية شهر يونيو 2013 على هامش أعمال القمة الأفريقية، وكذلك اجتماعات تونس يومي 13 و 14 يوليو 2014، ومصر يوم 25 أغسطس 2014، والسودان يوم 4 ديسمبر 2014، وغيرها⁽¹⁾.

المبحث الرابع

التداعيات على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا

إن تحركات دول الجوار تجاه الأوضاع الداخلية في ليبيا، ألقت وستلقى بالفعل آثارًا وتداعيات على عملية التحول الديمقراطي، وخاصة إن الدولة الليبية كانت نشطة إقليميًا، واشتبكت -سلبًا وإيجابًا في مرحلة القذافي- مع الجوار العربي والإقليمي، ومن أبرز التداعيات:

- اتجاه دول الجوار بشكل تدريجي نحو القيام بدور الوسيط بين أطراف العملية السياسية في ليبيا، من أجل إيجاد مخرج للأزمة هناك، وذلك من خلال التحرك بشكل جماعي سواء في إطار منظمة الإتحاد الإفريقي أو جامعة الدول العربية لاتخاذ عدد من التدابير المهمة، والتي من شأنها إعادة الأوضاع في ليبيا إلى مسارها الطبيعي، مثل عقد اجتماعات مع الأطراف الليبية المختلفة ومحاولة التقريب بين وجهات النظر، مع ضرورة مراعاة الأوضاع الاجتماعية للقبائل الليبية، وعدم الإقدام على اتخاذ أي قرار سياسي دون فهم التكوينات الاجتماعية لتلك القبائل، وهو الأمر الذي يحتم أن تقوم اجتماعات دبلوماسية القمة على مستوى الرؤساء دورًا حيويًا في معالجة الأزمة الليبية⁽²⁾.

(1) بدء أعمال المؤتمر الوزاري الخامس لدول الجوار الليبي، ليبيا لمستقبل، 2014/12/4، على الرابط:

<http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/59387>

(2) عوض، شحاتة، الدور المصري في ليبيا: الخيارات والمخاطر، الدوحة: قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2015/3/8م.

- من الممكن أن تسارع دول الجوار إلى إرسال قوة تحت مظلة الإتحاد الإفريقي إلى ليبيا من أجل ضبط الأمن هناك، وكذلك المشاركة من قبل هذه الدول وعلى الأخص مصر والجزائر في العمل على بناء جيش قوي في ليبيا يستطيع أن يحافظ على وحدة البلاد، وأن تقوم تلك الدول بتدريب عناصر القوات المسلحة الليبية على أراضيها، وذلك لأن الجيوش الحديثة لديها خطط وإستراتيجيات للتعامل مع المتشددين من خلال مقاومة الفكر بالفكر أو استخدام العنف مع تلك الجماعات حتى تصفيتها، ومن الممكن في هذا الإطار استخدام عائدات النفط الليبي في عمليات بناء الجيش وتسليحه وتدريبه.

بناءً على ما سبق فإن دول جوار ليبيا تسعى لإخراج هذا البلد الغارق في الفوضى منذ الإطاحة بنظام معمر القذافي في 2011، من أزمته السياسية والأمنية من خلال إطلاق حوار وطني والمبادرة المشتركة لجمع الفرقاء على طاولة واحدة بهدف مساعدة الليبيين على تجاوز التحديات التي تواجه عملية التحول الديمقراطي وبناء دولة حديثة ذات مؤسسات قوية قائمة على احترام حقوق الإنسان وسيادة القانون، وخاصة أن دول جوار ليبيا لم تخل من التوترات السياسية على مدار الأعوام الماضية، ولهذا كانت الأزمة الليبية ملفاً سياسياً ودبلوماسياً، ثم مع مرور الوقت وحدثت تطورات سياسية داخل ليبيا وفي دول الجوار، تحولت الأزمة الليبية إلى ملف أمني ضمن ملفات أخرى كثيرة.

تحرص دول الجوار على التحرك الجمعي والاتفاق على وجود مصلحة مشتركة لهذه الدول في التعامل مع الأزمة في ليبيا، فبالرغم من تنوع التهديدات القادمة من ليبيا لدول الجوار، باتت هناك مصلحة مشتركة في مواجهة التهديد الأمني الذي تعدى العلاقة الحدودية والمصالح الأحادية، وحدث ذلك مع تحول مواجهة التهديد الأمني القادم من ليبيا إلى مصلحة إقليمية مشتركة تحتاج إلى التنسيق بين دول الجوار والفاعلين المختلفين في القضية الليبية⁽¹⁾.

(1) الباروني، الياس أبوبكر، أهم التحديات التي ستواجه البرلمان الليبي، عبر برنامج أحاديث مغربية، قناة الغد العربي الفضائية، من لندن، وذلك بتاريخ 3 -7- 2014، أنظر الرابط التالي:

<https://www.facebook.com/elyas.albarouni.1>

لكن على الرغم من ذلك فإن الجهود الرسمية والشعبية لحل الأزمة الليبية لم تثمر شيئاً إلى الآن، ربما تكون بسبب وجود العدد من التحديات المعرقة لهذه الجهود، وعلى رأسها المشاكل الداخلية التي تعاني منها هذه الدول، كتردي الأوضاع الاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية، وهو الأمر الذي يفرض ضرورة طرح رؤية شاملة لتقديم حلول جذرية في ظل الواقع الأليم الذي تشهده ليبيا في ظل تقادم الأوضاع سياسياً وأمنياً، وتزايد حدة الصراع بين الفصائل المتناحرة من ناحية والميليشيات الإرهابية من ناحية أخرى، مما يجعلها تمثل تهديداً وجودياً للسلم والأمن الدوليين.

نتائج الدراسة:

من خلال ما تقدم يمكن استخلاص أهم النتائج المتمثلة في:

- 1-أكدت الدراسة أن ليبيا شهدت تغييرات داخلية عميقة بعد الثورة على القذافي، فتحت ملفات لا ترتبط بتغيير النظام، وإنما لجهة صياغة عقد اجتماعي جديد يشكل الدولة.
- 2-وضحت الدراسة أن هناك العديد من الدوافع والأسباب التي تكمن وراء دول الجوار بتطورات الأحداث في ليبيا، المتمثلة في دوافع سياسية واقتصادية وأمنية وكذلك دوافع اجتماعية وثقافية.
- 3-برزت الدراسة إن هناك عدد من الآليات التي من الممكن أن تعتمد عليها هذه الدول في التنسيق بينهما لمواجهة خطر الإرهاب المتصاعد في ليبيا ودعم عملية التحول الديمقراطي، وذلك بتسخير الأدوات التي تمتلكها وذلك عن طريق تنسيق أمني وعسكري بين دولتين أو أكثر والتحرك من خلال قوة عربية لمواجهة الإرهاب، والعمل على ضرورة النظر في أهداف التحالف الدولي القائم لمواجهة الإرهاب، وكذلك آلية العمل الجماعي من خلال عقد الاجتماعات واللقاءات المتتالية
- 4-كشفت الدراسة إن اتجاه دول الجوار بشكل تدريجي نحو القيام بدور الوسيط بين أطراف العملية السياسية في ليبيا، من أجل إيجاد مخرج للأزمة.

توصيات الدراسة:

يوصي الباحث بالآتي:

1. العمل على أن تكون تسوية الأزمة بين الليبيين، والتمسك بسيادة الدولة من خلال إبعاد تدخل بعض دول الجوار التي تهدد الأمن القومي الليبي وذلك من خلال مقاومته سلمياً أو عسكرياً.
2. العمل على خلق تحالفات جديدة مع كيانات أو دول تساعد وتسارع في حل الأزمة الليبية تحقيقاً للمصلحة الثنائية.
3. يوصي الباحث العمل على ضمان وحدة المؤسسات في ظل دولة مدنية مبنية على أسس دستورية متينة.

المصادر والمراجع:

- 1- أعمال المؤتمر الوزاري الخامس لدول الجوار الليبي، ليبيا لمستقبل، 2014/12/4، على الرابط: <http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/59387> .
- 2- الباروني، الياس أبوبكر، أهم التحديات التي ستواجه البرلمان الليبي، عبر برنامج أحاديث مغربية، قناة الغد العربي الفضائية، من لندن، وذلك بتاريخ 3-7-2014، أنظر الرابط التالي: <https://www.facebook.com/elyas.albarouni.1>⁽¹⁾
- 3- بسيكري، السنوسي، ليبيا، مسار انتقالي مضطرب سياسياً وأمنياً، الدوحة: قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2014/2/17م.
- 4- حسن، إسلام أحمد، الأزمة الليبية: سيناريوهات الصراع والحل، 2014/11/19، على الرابط: <http://fekr-online.com/ReadArticle.php?id=104>
- 5- الداودي، محمد السنوسي، "فجوة الأمن، تداعيات انفجار الأوضاع في ليبيا"، مجلة السياسة الدولية، العدد 197، يوليو 2014م.
- 6- سكينه، عبد السلام، قدور جربوعه، فوزي حوامدي، "الورقة الجزائرية لحل الأزمة الليبية في مواجهة أزمة الشرعية والاندفاع المصري"، صحيفة الشروق الجزائرية، 21 فبراير 2015م.

- 7- الشلوي، هشام، قراءة في مواقف دول جوار ليبيا، 2014/8/27، على الرابط:
<http://www.noonpost.net/content/3546>
- 8- علي، خالد حنفي، "الجوار القلق: تأثيرات الثورة في علاقات ليبيا الإقليمية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 188، المجلد 47، أبريل 2012.
- 9- عوض، شحاتة، الدور المصري في ليبيا: الخيارات والمخاطر، الدوحة: قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2015/3/8م.
- 10- الفقيه، أحمد إبراهيم، رعاة الإرهاب في ليبيا، جريدة العرب، العدد 9963، 2015/6/29م.
- 11- المنشاوي، إبراهيم، إستراتيجية موحدة: التنسيق المصري، الجزائري لمواجهة الإرهاب في ليبيا، القاهرة: مصر، المركز العربي للبحوث والدراسات، 16 يوليو 2014م.
- 12- المنشاوي، إبراهيم، الجوار القلق: ليبيا ومعضلة الاستقرار، القاهرة، مصر، المركز العربي للبحوث والدراسات، 16 يوليو 2014م.
- 13- هل تكون ليبيا قاعدة لتمدد داعش في شمال إفريقيا، ليبيا المستقبل، 2015/6/1، على الرابط:
<http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/71453>

تداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا: دراسة في المفاهيم والإشكال

أ. علي جبران أحمد عطية

قسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة نالوت

hemocrazy544@gmail.com

رقم الهاتف: 0945159979

الملخص:

يكتسي مفهوم التدخل الدولي الاعتبار إنسانية أهمية بالغة في العلاقات الدولية بشكل عام والقانون الدولي بشكل خاص، كونه يتعلق باستخدام القوة لحماية المدنيين من انتهاكات حقوق الإنسان، مما تقدم تتركز مشكلة البحث في التساؤل التالي: ماهي إشكال وتداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا، حيث تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا، وتوضيح تداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا، وأتبع الباحث في دراسته على المنهج الوصفي لدراسة مفاهيم وإشكال وتداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا، وكذلك المنهج التحليلي النقدي لتفسير والاستنباط والنقد لبحث موضوع الدراسة، التي تنقسم إلى مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني، وتداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا، ووصولاً إلى أهم النتائج المتمثلة في أن التدخل الدولي تجاوز الأهداف ومبررات التدخل التي جاء من أجلها وخاصة أننا رأينا الحلف الأطلسي والدول المشاركة في هذا التدخل قد تجاوزت حماية المدنيين إلي إنهاء نظام الحكم ومحاولة الوصول إلي أهدافها والتي كانت تخفيها وراء مظلة التدخل الإنساني لحماية المدنيين.

كلمات مفتاحية: المفاهيم، الإشكال، التداعيات، التدخل الدولي الإنساني، ليبيا.

Abstract :

The concept of the international entrance covered the human consideration a significant important in the international relationship in general and international law in specific. This concerned by the usage of the power to protect citizens from the human rights. Based on the previous the statement of the problem of this research stated in the following question: -What are the types of international Entrance in Libya? Although, this study aims to know the concept and types of international entrance in Libya and clarify the international entrance. The international entrance to protect the citizen in Libya. The researcher follows the descriptive, and analytical as well as the critical methods in this study to grasp the results of the research.

المقدمة:

أثار التدخل الدولي في ليبيا الكثير من الجدل حول قدرة المجتمع الدولي على تحقيق الاستقرار السياسي التي تطمح لها الشعوب التي ثارت من أجل التداول السلمي على السلطة من جهة وتحقيق الرفاه من خلال سياسات داعمة لذلك، وهنا تأتي أهمية سلوك الأمم المتحدة تجاه ما حصل عند وبعد اندلاع ثورة السابع عشر من فبراير عام 2011، وفق ما دعت إليه لحماية المدنيين في ليبيا، وهذا ما سنتناوله في هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة:

شهدت ليبيا منعطفًا هامًا في تغيير النظام السياسي نتيجة اندلاع الثورة في السابع عشر من فبراير عام 2011 التي غيرت في المشهد السياسي والأمني وكيفية التعاطي معها على كافة الأصعدة محليًا وإقليميًا ودوليًا، ومدى تأثير التدخل الدولي الإنساني في مجريات التحول الديمقراطي في ليبيا، مما تقدم تتركز مشكلة البحث في التساؤل التالي: ماهي إشكال وتداعيات التدخل الدولي

الإنساني في ليبيا؟

تساؤلات الدراسة:

تتركز الدراسة على تساؤلات فرعية متمثلة في:

- 1- ما مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا؟
- 2- ماهي تداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- 1- تعمل الدراسة على تناول إحدى القضايا الهامة والراهنة في تداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا ومدى تأثيرها إقليميًا ودوليًا.
- 2- تحاول الدراسة أن تقدم نتائج علمية وتوصيات الوصول إلى حالة الاستقرار سياسيًا وأمنياً من خلال دراسة العوامل والصور للإحداث المتسارعة والمتلاحقة في ليبيا وما نتج عن هذا التدخل.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- 1- التعرف على مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.

2- توضيح تداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا.

حدود الدراسة:

تحديد حدود الدراسة على النحو التالي:

أولاً- في المجال المكاني: تسعى الدراسة في التعرف على مفهوم وإشكال تداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.

ثانياً- في المجال الزمني: تتناول الدراسة بداية من 2011 الذي شهدت فيه ليبيا ثورة شعبية عارمة اسقطت نظام القذافي، وتنتهي في 24 ديسمبر 2021 الذي يمثل تاريخ تنفيذ الانتخابات البرلمانية والرئاسية الليبية.

ثالثاً- في المجال الموضوعي: تتناول الدراسة موضوع تداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا: دراسة في المفاهيم والإشكال.

منهج الدراسة:

أتبع الباحث في دراسته على المنهجين التاليين:

1- المنهج الوصفي: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لدراسة مفاهيم وإشكال وتداعيات التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.

2- المنهج التحليلي النقدي: اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي لتفسير والاستنباط والنقد لبحث موضوع الدراسة.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى:

المبحث الأول: مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.

المبحث الثاني: تداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا.

المبحث الأول: مفهوم وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا

لم يعد التدخل الإنساني مبدأ التدخل الإنساني مبدأ متفقاً عليه من طرف فقهاء القانون الدولي بسبب الانتقادات الموجودة ضده نتيجة تعارضه مع مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول من جهة، واستعماله كذريعة لاستغلال واستعمار الدول من جهة أخرى، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث من مفاهيم وأساليب وإشكال التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.

أولاً- مفهوم التدخل:

إن وضع تعريف دقيق لمعني تدخل دولي إنساني ليس بالأمر السهل ويعود ذلك إلى حقيقة أن هذا الموضوع من أكثر الموضوعات إثارة للجدل القانوني , فضلا عن كونه من أهم الموضوعات التي تتضارب في شأنها المصالح والأهواء فالجزء الأساسي من الالتباس المحيط بالمفهوم يأتي من اختزال مضمونه في شكل واحد من إشكال التدخل وهي الأعمال العسكرية المتخذة من جانب دولة او مجموعة م الدول والرامية إلي الضغط علي سلطة معينة من اجل التوقف عن سياسة ما او تعديلها وذلك بالشأن الداخلي والحالة التي نحن يصدها هي التدخل الدولي الإنساني وباستعمال القوة في تنفيذ حماية المدنيين تحت مظلة قرارات الامم المتحدة , وبالتالي فتعريف التدخل الدولي كما اسلفت كان ومازال محل خلاف فقهي وهذا الخلاف تأثر الي حد معين بعد الإحداث والتطورات الدولية وخاصة ما حدث بعد نهاية الحرب الباردة عام 1990 حيث تشهد في هذه الفترة جدلا كبيرا حول تحديد مفهوم التدخل سواء فيما يتعلق بالتدخل الدولي او المنظمات. حيث عرف الكثير من الفقهاء ان التدخل الدولي يقصد به تعرض دولة لشؤون دولة أخرى وإملاء إرادتها عليها بقصد تغيير الحالة الراهنة فيها وذلك بالقيام بعمل او الامتناع عن عمل او إتباع خطط ترسمها دول أخرى وذهب آخرون وعرفوا التدخل بصفة عامة غير مشروع الا في حالات استثنائية والتي من ضمنها التدخل الدولي في ليبيا وهي حالة التدخل لاعتبارات إنسانية.

1- ابراهيم علي وليد (التدخل الدولي في ضوء احكام القانون الدولي العام - دراسة تطبيقية للتدخل الدولي في ليبيا) رسالة ماجستير

غير منشورة، الاكاديمية الليبية -2015ص99

ثانيا- أساليب وإشكال التدخل الإنساني:

بما ان التدخل الإنساني كان فيما سبق يتم عن طريق القوة المسلحة ، أي بوسائل الاكراه او وسائل القسر والقهر الا ان المصطلح توسع حيث ضم في طياته وسائل وإشكال أخرى للتدخل مثل الضغوط السياسية او الاقتصادية او العسكرية وبناء علي ذلك فإننا نقصد بالتدخل، هو نوع الضغط الذي تمارسه الجهة المتدخلة لتحقيق الهدف من تدخلها فقد أصبحت التدخلات الإنسانية تنفذ بصفة أساسية من خلال اللجوء الي التدابير والإجراءات العسكرية وأخري قد تصل إلي تدابير وإجراءات عسكرية ونفس ذلك يحدث سواء بوسائل أخرى سواء أكانت هذه الأساليب تتخذ أسلوبا سياسيا أو أسلوبا آخر اقتصادي .

أ- الأسلوب السياسي "التدخل السياسي" :

حيث يتم هذا التدخل من قبل أي جهة دولية بالأخذ بوسائل سياسية ودبلوماسية من اجل التأثير في إرادة الدولة المسؤولة عن انتهاكات وخرقات حقوق الإنسان ، والتي يجب ان تكون هي السبب الوحيد للتدخل الإنساني ، والضغط عليها لإجباره علي وقف ممارسة هذه الانتهاكات ومنعها من الاستمرار فيها وقد يتخذ ذلك بقيام الجهة المتدخلة بتقديم طلبات قد تكون تحريرية مثلا او مذكرات رسمية الي الدولة التي يتم فيها انتهاك حقوق الإنسان ، وكذلك قد يتخذ ذلك اساليباً أخرى كالدبلوماسية و الاحتجاج وبالتالي يتضح لنا ان الأسلوب السياسي للتدخل الإنساني لا يتضمن استخداما للقوة العسكرية ومن ثم فانه لا يمثل خطرا حقيقا علي الدولة المتدخل في شؤونها.

2-الأسلوب الاقتصادي:

نظرا لازدياد الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة ازدادت أهمية الاقتصاد في عصرنا الراهن ، فالدول ذات الاقتصاد القوي تستخدم سلاحها الاقتصادي بوسائل متعددة لإرغام الدول الضعيفة اقتصاديا منها علي تعديل مساراتها وتغيير أوجه حياتها السياسية والاقتصادية وربما الاجتماعية أيضا بما يتلاءم مع مصالحها وأهدافها . حيث يعد هذا التدخل احد اهم واخطر إشكال التدخل ، وفيه تستخدم الأطراف الأجنبية سياسات اقتصادية معينة وذلك لضرب القطاعات الاقتصادية الحساسة للدولة محل التدخل حيث يتمثل في المقاطعة الاقتصادية نوعا من الضغوط المباشرة لحمل الدولة المتدخل فيها لمنعها او لحملها علي

القيام بعمل معين . (2) وقد يضم هذا الأسلوب الكثير من الأمور كالحصار الاقتصادي مثلا وقد يضم كذلك المقاطعة الاقتصادية بالكامل والعديد من الضغوطات الاقتصادية الأخرى لتركيع الدولة المتدخل فيها وحملها على اتخاذ مسار وطريق معين وفق ما يراه هذا التدخل.

(2) - سامح، عبد القوي، السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وانعكاساتها علي الساحة الدولية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية: مصر، 2012.

3- الأسلوب العسكري التدخل العسكري"

وهذا الأسلوب من التدخل ، والذي يتم عن طريق لجوء الجهة المتدخلة إلى التهديد باستخدام القوة العسكرية واستخدامها فعليا ، وذلك من اجل محاولة تغيير الوضع الراهن ، او الإبقاء علي هذا الوضع ويعتبر هذا من اشد واطغر أنواع صور التدخل علي الاستقلال وسيادة الدول ، وعلي الأمن والسلم الدوليين في ذات الوقت (3) كما إن هذا الأسلوب يعد من أكثر الأساليب استعمالا علي مستوي العلاقات الدولية وذلك لما يتمتع به هذا الأسلوب في الغالب علي قدرة كبيرة علي الحسم وكذلك التأثير لتحقيق الأهداف المنشودة من التدخل ، فضلا عن الفترة الزمنية الوجيزة التي يتم فيها اتخاذ قرار التدخل باستخدام هذا الأسلوب مقارنة بالأساليب الأخرى ، إلي جانب سرعته لتحقيق النتائج بواسطته . وبالتالي وفي سياق متصل يمكن التمييز بين نوعين أساسيين من التدخل العسكري ، أولهما التدخل العسكري المباشر ، وقد يتم ذلك بتدخل القوات المسلحة للجهة المتدخلة او عن طريق القوات الموجودة بحلف ما ، حيث يتميز هذا النوع بالانتقائية ، فلا توجد قواعد واضحة تحكمه ، وأما النوع الأخر فهو التدخل العسكري غير المباشر ، ويشمل هذا النوع من التدخل العسكري المساعدات العسكرية والتي تحمل الكثير في طياتها كإرسال خبراء عسكريون او أسلحة او دخائر الخ.

(3) عمر حنفي حسين. التدخل في شؤون الدول بذريعة حماية حقوق الإنسان القاهرة 2004-2005 ص382

المبحث الثاني: تداعيات التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا

كان للتدخل الدولي الأثر البالغ علي ليبيا سواء في الداخل الليبي حيث لم تكن هناك مؤسسات بالمعني الحقيقي للدولة مما اثر سلبا علي علاقتها بالمجتمع الدولي الذي تسيطر عليه لغة المصالح داخل ليبيا.

أولاً- تداعيات التدخل الدولي على الداخل الليبي:

إن السنوات العشر بعد 17-فبراير 2011 وهي سنوات ما بعد القذافي افرزت الكثير من القضايا . فما كان يطمح إليه الليبيون لم يصبح متاحا حيث تبين الكثير من الدراسات والنتائج أن طموحات ومطالب الليبيين لم تحقق بل ان الأوضاع زادت سوءا وانحدرت نحو المزيد من الفشل والإرباك الذي أصبح يهدد كل شي طيلة العشر سنوات الماضية بما في ذلك كيانهما الإقليمي ووحدة التراب الليبي حتى وصل الحال إلي درجة الكارثة، فبدلا من أن تصبح ليبيا نموذج التحول السياسي والديمقراطي فإنها أضحت خليطا يجمع ضعفا هيكليا موروثا وتحديات ما بعد الصراع وتبدو كأنها علي حافة الانهيار ولا سيما مع استمرار الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان وخرق القانون الدولي وانتشار ظاهرة الإفلات من العقاب ، في جميع أنحاء ليبيا وسيطرة المجموعات المسلحة والاعتقالات التعسفية والإخفاء ألقسري خارج إطار القانون وانتشار السجون والتعذيب وانعدام تطبيق القانون وتقديم المساجين للمحاكمات طوال هذه السنوات، ولا ننسي أن لهذه المجموعات المختلفة مشارب واتجاهات لن تقدم علي التنازل عما حققته من مكاسب او تتخلي عن السلاح وبصرف النظر عن مغزى ما جري فإنه لابد من تجاوز المظاهر الجوهرية للحالة الليبية ، فليبيا اليوم تدفع ثمن التدخل، فلا بد لنا أن نتساءل عن دوافع هذا التدخل وتداعياته .

ثانيا- تداعيات التدخل على السيادة الوطنية:

إن أثر التدخل قد ظهر جليا فنراه قد مس وبشكل مباشر السيادة الوطنية واذي إلى تقوية الهويات الجهوية والقبلية حدث ذلك علي حساب الهوية الوطنية ، وهو ما ظهر جليا في ليبيا التي يجب عليها العمل علي تجاوز تأثيرات التدخل بإعادة بناء الدولة

الحاضنة لجميع الأطياف الليبية وبناء دولة القانون والدستور . حيث مثلت هذه السنوات العشرة غياب السيادة الوطنية وانتهاءها ظاهريا علي ليبيا وبالتالي أصبحت ليبيا مفتوحة للاعبين داخليين وخارجيين يسعى كل منهم للحصول علي مصالحه الخاصة . بغض النظر عن المصالح التي تتحقق في ليبيا ، والمهم فيها هي مصالح هذه الدول سواء كانت معها او تتعارض مع القانون الدولي وهو بالتالي ما يعرف بسياسة المصالح، فليست الأخلاق والعواطف ما يحكم علاقات الدول بل هي المصالح أن لغة المصالح والاعتبارات السياسية والتي تغطي من هذه الدول المتداخلة في المشهد الليبي علي الاعتبارات الإنسانية قد عد وسيلة من قبل هذه الدول والتي تدخلت وراء غطاء التدخل الدولي للأمم المتحدة وحماية المدنيين الليبيين قد عدت وسيلة من قبلها للضغط علي النظم السياسية غير المرغوب فيها والتي لم تعد تحقق مصالح هذه الدول المتداخلة لذلك وإمام التحديات فان كل هذه الحكومات الانتقالية الليبية المتعاقبة (4) وعلي

(4) عماد، عدنان ،. خريطة القبائل في ليبيا ودورها الأساسي في الصراع . /<https://raseef22.com/article64944/>

رأسها سعي هذه الدول لتحقيق أهدافها ومصالحها بكل الوسائل الممكنة يضل الشعب الليبي هو الضحية والمعرض لنكبات ومآس إنسانية . إن أثر هذا التدخل لهذه الدول وتنفيذا لقرارات مجلس الأمن بحجة حماية المدنيين، يزداد خطورة عندما يكون مدخلا للتورط في الصراع القائم ، وهو ما يفرغ هذا السلوك من محتواه الأخلاقي ليكتسي إبعادا وخلفيات سياسية ولا ننسي هنا أن نورد العديد من الحثيات والتداعيات علي المجتمع الليبي والتي نورد ها بإيجاز وهي:

1-ضعف المؤسسات السياسية والإدارية لمرحلة ما بعد القذافي حيث أن ليبيا تفتقر إلي القدرات السياسية والإدارية والفنية، حيث كانت المؤسسات حسب النظام السابق ذات طابع خاص يمتاز بإرادة سياسية فريدة ليست معهودة علي مستوى العالم، وجود هذه المؤسسات تمتاز بالحدثة وعدم الاستقرار بعد ثورة 17 فبراير . ولا ننسي دور الانتماءات والولاءات القبلية، حيث يعتبر هذا من ابرز العوامل التي أثرت علي تشكيل الحياة السياسية، حيث أن القبيلة تعتبر من المعضلات الأساسية في تكوين المشهد الليبي(5).

(5)، نوال حميدوش. (إشكالية التدخل الإنساني في ظل الإستراتيجية الجديدة للحلف الأطلسي 2011-2020، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق - جامعه مولود معموري، 2000.

2- لعبت القبيلة دورا أساسيا في الأزمة المسلحة لإطاحة القذافي حيث كان لها الفضل في الفصل في الكثير من المعارك وخاصة في بنغازي والمنطقة الشرقية والجنوبية بصفه خاصة ولا ننسي هنا الولاء المتجذر للقبيلة في كل القبائل الليبية وكل هذا وغيره يجعل من ليبيا ساحة للحرب الأهلية خاصة في ظل تعدد حكومات غير مسيطرة كليا علي زمام الأمور داخل كل الدول الليبية، وزد علي ذلك انها لا تمتلك ولاءات شعبية تسهل عليها مهامها مقارنة بالولاءات الجهوية والقبيلية (6).

ثالثا- استمرار المرحلة الانتقالية:

إن الصراعات الحادثة الآن علي السلطة من ناحية وصراعات علي الدولة من ناحية أخرى حيث تسعى كل القوي إلي إثبات وجودها وحجز حصتها في أي نظام جديد ليس من خلال آليات التحول القائمة علي المنافسة السياسية وإنما الاستمرار في أعمال العنف والتي قد تؤدي إلي إجهاض الثورة نفسها ولا يبدو أن أعمال الديمقراطية التوافقية والتي تركز علي حماية الأقليات والتمثيل الكامل لكافة فئات الشعب، تحظى باحترام كاف، او يبدو أن ذلك سيحدث بيسر وسهولة، مما يعرقل عملية التحول الديمقراطي ويطيل من أمد المرحلة الانتقالية وهذا مالم يحدث طيلة السنوات الماضية جاء نتيجة لعدة أمور ومواضيع مهمة نسردها في الآتي:

(6) السيد عبد القوي سامح، التدخل الدولي بين المنظور الإنساني والمشروعية وانعكاسها علي الساحة الدولية ،دار الجامعه الجديدة -الاسكندرية 2012 ص2

1-الثقافة السياسية السائدة: فمن المفترض ان تزيد وتكبر احتمالات التحول الديمقراطي، إلا أن التنشئة السياسية الضحلة والبسيطة مند عقود في ليبيا ، تشكل عائقا رئيسيا تجاه عملية التحول الديمقراطي فيها حيث أنتجت هذه الثقافة طوال الخمسون سنة الماضية وعيا متخلفا ، وميولا اقصائيا تخوينيا. غياب المؤسساتية طوال عدة سنوات حيث ان الليبيين لم يصلوا بعد إلي التعريف الإجرائي للدولة والمتمثل في العقد السياسي " الدستور " إلي الآن، والبنية المؤسساتية من جيش وشرطة وبرلمان الخ، وبالتالي أدى ذلك إلي ظهور النزاعات القبلية والصراعات والحروب والكثير من الأمور الأخرى

2-سوء أداء المؤسسات التشريعية التنفيذية حيث يرتهن النجاح الديمقراطي بأداء مؤسسات الدولة وخاصة التشريعية الانتقالية وعدم وجود كفاءات عالية تلتزم بالديمقراطية خيارا استراتيجيا والتزاما وطنيا يساعد علي عملية التحول الديمقراطي ولكننا نري الآن التثبيت لكل الحكومات الانتقالية بالسلطة مما انعكس سلبا علي ثقة المواطنين في مؤسسات المرحلة الانتقالية وقيادتها السياسية وكذلك التشكيك في شرعية مؤسسات المرحلة الانتقالية بالكامل. (7)

(7)- علي محمد النخلي (الأزمه الليبية وتداعياتها علي دول الجوار 2011-2017) رسالة ماجستير ، قسم العلوم السياسية ص

70

- 4-عجز الدولة عن السيطرة علي الأمن وانتشار السلاح، فالأوضاع الأمنية ليست مستقرة بما يكفي، فتزعزع الأمن باستمرار حال دون التوجه الديمقراطي .
- 5-الأوضاع الاقتصادية المتردية، حيث تشكل التنمية الاقتصادية في ليبيا دافعا حاسما لتحريك النخب المتنافسة صوب صياغة تسويات ديمقراطية فالأزمات الاقتصادية المستمرة وتضخم الاقتصاد شكل ويشكل تقويضا للعملية الديمقراطية ككل. (8)
- 6- هشاشة المجتمع المدني ، فمن الأدبيات المهمة بالعملية الديمقراطية هو وجود مجتمع مدني لبي قوي وهو من العوامل الداعمة للنظام الديمقراطي حيث يمثل انضمام المواطنين لشبكات ومنظمات المجتمع المدني والمشاركة فيها أهم المؤشرات الدالة علي قوة المجتمع المدني، ومنها هيمنة الدولة والتبعية التمويلية لذلك فالطريق مازال طويلا حتي يتم بناء المجتمع المدني قوي وداعم للديمقراطية.

(8)- نصر عارف (النفق الانتقالي : المسارات المضطربة للثورات في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية العدد 188 ابريل

2012، ص.56

رابعاً- تداعيات التدخل الدولي في ليبيا على دول الجوار العربي والإفريقي والأوروبي:

إن مستجدات الأحداث في ليبيا أصبحت تشكل خطراً على دول الجوار بشكل واضح وتؤثر سلباً وبشكل كبير على الأمن القومي لكل الدول الأوروبية والأفريقية المجاورة لليبيا وخاصة عمليات الجماعات المتشددة والمجموعات المسلحة التي تسبب في التأثير على الأمن القومي لدول الجوار وانتشار الأسلحة بشكل غير مسبوق ، ويبدو لي أن التدخل الدولي الذي رفع رأيه حقوق الإنسان قد اضربها من ناحية الممارسة العملية اشد الضرر فالإضرار الناتجة عن التدخل الإنساني باستخدام القوة ، قد تفوق بكثير حجم المنفعة التي من الممكن ان يحققها مثل هذا التدخل فالصبغة الإنسانية ، سواء داخليا او علي مستوي دول الجوار فتهدد السلاح، والذي بات تجاره رائجة في ليبيا تطال كل دول الجوار العربي والإفريقي والأوروبي ونتيجة الإقبال المستمر طوال حوالي العشر سنوات والحروب التي حدثت أنتجت الكثير من السلبيات علي كل دول الجوار فانتشار وتهريب السلاح إلي خارج ليبيا وتدفعه من الخارج أدي إلي حالة عدم استقرار علي كل من دول الجوار العربي والإقليمي والدولي .

ولا ننسي أيضا ارتفاع ظاهرة الهجرة غير القانونية من الدول الإفريقية وبالملايين طوال العشر سنوات السابقة ، وقد استغل الوافدين الجدد حالة الانفلات الأمني وغياب السلطة ، لجعل ليبيا دولة معبر نحو الدول الأوروبية كما أصبحت الحدود الليبية عامة والحدود الجنوبية خاصة منها مفتوحة بالكامل وانتشرت وانتعشت حركة المتاجرة بالبشر ولتصبح

(9) البيلاوي، حازم، النظام الاقتصادي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية الي الحرب الباردة، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون عدد257، مايو 2000 .

الشواطئ الليبية نقطة انطلاق لقوارب الهجرة غير الشرعية لأوروبا ودول الجوار وبتجاه أوروبا خاصة ، مما اثر سلبا علي الأمن القومي الأوروبي وافرز الكثير من الإشكاليات والعوائق بين العلاقات الليبية وهذه الدول خاصة الاتحاد الأوروبي.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1-أكدت الدراسة أن التدخل الدولي لحماية المدنيين في ليبيا كان لزاما عليه أن يمر عبر بناء دولة موحدة قادرة علي البناء والاستقرار المجتمعي في ليبيا ككل .
- 2-وضحت الدراسة أن التدخل الدولي تجاوز الأهداف ومبررات التدخل التي جاء من أجلها وخاصة أننا رأينا الحلف الأطلسي والدول المشاركة في هذا التدخل قد تجاوزت حماية المدنيين إلي إنهاء نظام الحكم ومحاولة الوصول إلي أهدافها والتي كانت تخفيها وراء مظلة التدخل الإنساني لحماية المدنيين .
- 2-كشفت الدراسة ضرورة وقف التدخلات الدولية والإقليمية ووقف العبث بشؤون ليبيا الداخلية والخارجية والحفاظ علي ليبيا دولة ذات سيادة.

توصيات الدراسة:

يوصي الباحث على الآتي:

- 1- يوصي الباحث بضرورة تأسيس حملة من القنوات للتواصل بإيجابية في ميدان حقوق الإنسان ورفض فكرة بحجة الأمن والخصوصية الثقافية لا يمكن ان يجنب الدول الاستغلال السيئ لمبدأ التدخل ضدها في المستقبل كما حدث ويحدث في ليبيا الآن.
- 2- لا بد من أن يكون التدخل الدولي سياسيا ودبلوماسيا قبل التفكير في استخدام التدخل العسكري لأنه من الممكن ان يضع حلا ناجعا ومرضيا لجميع الأطراف قبل التفكير في التدخل العسكري.
- 3- دعوة المؤسسات الدولية المنفذة لعمليات التدخل بعدم المس بوحدة أراضي ليبيا واستقلالها، وخروج المتدخلين في الشأن الليبي سواء كانوا دولاً او منظمات وترك فعاليات المجتمع الليبي تصل لحوار شامل يضع النقاط علي الحروف بإشراف الأمم المتحدة مباشرة دون أن يكون هناك مصالح وأهداف لأي دولة أخرى.

المصادر والمراجع:

- 1- البيلاوي، حازم، النظام الاقتصادي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية الي الحرب الباردة، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون عدد257، مايو 2000
- 2- حسين، حنفي عمر، التدخل في شؤون الدول بدريعة حماية حقوق الإنسان، القاهرة: مصر، 2004-2005.
- 3- حميدوش، نوال، إشكالية التدخل الإنساني في ظل الإستراتيجية الجديدة للحلف الاطلسي 2011- 2020، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية ، كلية حقوق، جامعة مولود، 2000.
- 4- سامح، عبد القوي، السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وانعكاساتها علي الساحة الدولية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية: مصر، 2012.
- 5- عارف، نصر، النفق الانتقالي: المسارات المضطربة للثورات في المنطقة العربية، مجلة السياسية الدولية، العدد 188 ابريل 2012.
- 6- عدنان، عماد، خريطة القبائل في ليبيا ودورها الأساسي في الصراع، أنظر الرابط التالي:

<https://raseef22.com/article64944/>

- 7- النخلي، علي محمد، ألامه الليبية وتداعياتها على دول الجوار 2011-2017، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية 2019.
- 8- وليد، علي ابراهيم، التدخل الدولي في ضوء أحكام القانون الدولي العام - دراسة تطبيقية للتدخل الدولي في ليبيا، رسالة ماجستير، الأكاديمية الليبية، 2015.

دراسة تحليلية لمياه الإمطار المجمعّة من بعض الصهاريج الأرضية بمنطقة كاباو

سليمان رمضان ناجعة¹، المنتصر بالله مختار القريقي²، حاتم إبراهيم الحجاج³

¹جامعة الزنتان - كلية العلوم الزراعية والبيطرية - قسم العلوم البيئية.

²جامعة الزنتان - كلية العلوم الزراعية والبيطرية - قسم الهندسة الزراعية.

³جامعة نالوت - كلية التربية - القسم العام.

snajah620@Gmail.com

المستخلص

أجريت هذه الدراسة بمنطقة كاباو والواقعة ضمن سلسلة جبال نفوسة بليبيا وذلك لتقييم جودة مياه الإمطار المجمعّة في بعض الصهاريج الأرضية الخرسانية، ومدى مطابقتها للمواصفات القياسية الليبية لمياه الشرب رقم 82 لسنة 1992 ومواصفات منظمة الصحة العالمية (WHO). وذلك بدراسة بعض الخواص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لمياه الإمطار المجمعّة في الصهاريج الأرضية، حيث شملت الدراسة عدد ثمانية صهاريج أرضية موزعة عشوائياً داخل المدينة وبثلاثة مكررات لكل صهريج بحيث بلغ عدد العينات الكلية أربعة وعشرون عينة. بينت نتائج التحاليل الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية للعينات المدروسة إن مياه الإمطار المجمعّة بالصهاريج تتمتع بخصائص ضمن حدود المواصفات القياسية الليبية ومنظمة الصحة العالمية (WHO)، وهي تعتبر مياه صالحه للشرب الآدمي وللحيوانات، وأيضاً جيدة للاستخدامات المختلفة المنزلية والزراعية. الكلمات الدالة: الصهاريج الأرضية - تقييم جودة - مياه الإمطار .

Abstract

This study was conducted in Kabaw region, which is located within the Nafusa mountain range in Libya, to assess the quality of rain water collected in some concrete tanks, and the extent of its conformity with the Libyan Standard Specifications for Drinking Water No. 82 of 1992 and the specifications of the World Health Organization (WHO). By studying some of the physical, chemical and biological properties of rainwater collected in ground tanks, where the study included a number of eight ground tanks distributed randomly within the city and with three replicates for each tank, so that the total number of samples reached twenty-four samples. The results of the chemical, physical and biological analyzes of the studied samples showed that; the rainwater collected in tanks has characteristics within the limits of the Libyan standards and the World Health Organization (WHO), and it is considered suitable for drinking for humans and animals, and also good for various domestic and agricultural uses.

Key words: Ground tanks - quality assessment - rain water - pollution.

المقدمة

إن أهمية المياه بالنسبة للحياة البشرية والحيوانية والنباتية ليست بحاجة إلى من يؤكدّها فكلنا يعلم إن الماء هو إكسير الحياة وله الفضل في وجود مقوماتها والحفاظ على نموها واستمرارها. إن ما يعانیه العالم اليوم من نقص في المياه العذبة النقية في كل من الأقاليم الجافة والرطوبة على حد سواء (جنيد، 2006)، يجعله مضطراً إلى التفكير في كيفية الحصول عليه، وكيفية التصرف في الماء المتاح، والوصول إلى ما هو موجود في مواقع صعبة المنال، وإيجاد طرق لمعالجة ما هو موجود في حالة غير ملائمة للاستهلاك البشري والحيواني وفي الزراعة. سعى الإنسان منذ القدم في توظيف جميع الأساليب المتاحة والفعالة المستخدمة في تجميع مياه الإمطار وذلك بإنشاء ما يسمي محلياً الفسقيات و الخزانات (الصهاريج) الأرضية في مختلف المناطق الرعوية والتجمعات المأهولة بالسكان للحفاظ على وجوده، وذلك بتجميع أكبر كمية من مياه الإمطار للاستفادة منها في الأغراض المختلفة، خاصة في الشرب الآدمي والحيواني وفي ري المزروعات وفي الاستعمالات المنزلية والصناعية (عزوز، 2003)، (مبارك 2017). غير أنه لا يهتم كثيراً بنوعية المياه المجمعّة وجودتها لصعوبة الحصول عليها في هذه المناطق الوعرة. ولأن الماء في هذه المناطق يعتبر ذهباً مهما كانت نوعيته، وأيضاً للاعتقاد السائد بين الأهالي بأن مياه الإمطار المجمعّة بأي طريقة تعتبر جيدة وصالحة للشرب وفي الاستخدامات المختلفة (المنهراوي 1997). لهذا أجرى العديد من البحوث دراسات حول تقييم جودة المياه المجمعّة في الخزانات الأرضية الخرسانية أو ما يعرف بالصهاريج، حيث أجرى (Tome, et al, 2017) دراسة في مدينة اربيل، وذلك بتجميع عينات من مياه الإمطار من عدة مناطق وتقدير بعض الخصائص الكيميائية والفيزيائية، وتوضيح مدى جودة مياه الإمطار للأغراض المختلفة (الشرب والري والاستخدامات المنزلية) عن طريق استخدام دلالة جودة مياه الشرب (WQI) ودلالة جودة مياه الري (IWQI). وقد بينت نتائج التحاليل بأن اعلي قيمة دلالية لجودة مياه الشرب لعينات مياه الإمطار سنة 2014 كانت 49.852، بينما اقل قيمة كانت 57.362 في منطقتي Qaratapa و Zhian على التوالي، كما جدوا إن دلالة جودة مياه الإمطار متغيرة من ممتازة إلي جيدة بين عامي 2014 و 2015 علي التوالي. وفي دراسة قام بها (Meng ,et at, 2015) عن مدى إمكانية استهلاك مياه الإمطار المجمعّة وشروط جودتها. حيث تم في هذه الدراسة تحليل الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لمياه الإمطار المجمعّة، ومدى

قابلية استخدام مياه الإمطار المجمعة في الاستهلاك البشري والمنزلي والأنشطة التجارية المختلفة. بينت نتائج الدراسة إن جودة مياه الإمطار كانت مرضية حسب ما أوصت بها منظمة الصحة العالمية (WHO) ومواصفات دولة ماليزيا. حيث وجدوا إن إل pH، NUT، والقلوية الكلية، TDS، NO₃، Salinity، SO₄، ZN، الكاديوم كانت اقل من الحدود المسموح بها، بينما الخصائص البيولوجية وعنصر الكروم (CR) قد تجاوزت الحدود القصوى المسموح بها للمواصفات الماليزية والعالمية. في حين أجرى (شقلوف، 1992) دراسة تحليلية لنوعية المياه المجمع بتقنيات حصاد مياه الإمطار المختلفة بمنطقة الجبل الغربي ومدى إمكانية للاستهلاك البشري، وذلك بدراسة الخصائص الكيميائية والبيولوجية لمياه الإمطار المجمعة، وبينت نتائج التحاليل الكيميائية للعينات المدروسة بان المياه المجمعة من الهطول المباشر، ومن المساحات المفتوحة ومن أسطح وأسقف المباني كانت جميعها تتميز بخصائص مطابقة للمواصفات القياسية الليبية والعالمية لمياه الشرب. بينما مياه الإمطار المجمعة في الصهاريج القريبة من الطرق المعبدة ومن الخزانات المقامة على الأودية وجد بها تلوث بالعناصر الثقيلة كالرصاص والكاديوم. كذلك أوضحت الدراسة بوجود تلوث بيولوجي بواسطة بكتريا Escheriar coli من مجموعة الكوليفورم في مياه الإمطار المجمعة من المساحات المفتوحة والبعيدة عن التجمعات السكانية والصهاريج القريبة من الطرق المعبدة والخزانات المقامة على الأودية. وفي دراسة قام بها (العياط، 2006) عن تقييم جودة مياه الإمطار المجمعة في الصهاريج القريبة من طرق المواصلات بمنطقة العريان، حيث شملت دراسة الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه الإمطار المجمعة، حيث بينت نتائج التحاليل بشكل عام إن مياه الإمطار المجمعة بالصهاريج الأرضية تعتبر ذات نوعية جيدة في بعض الخصائص الكيميائية والخصائص الفيزيائية المدروسة، وكذلك إشارة الدراسة إلي وجود تركيزات عالية من عنصر الكاديوم الناتجة من عوادم وإطارات السيارات، حيث تجاوزت الحدود المسموح بها حسب مواصفات القياسية الليبية والعالمية لمياه الشرب ومن هذا الجانب أوصت الدراسة في حالة إنشاء الصهاريج الأرضية يجب إبعادها عن طرق المواصلات. وفي دراسة قام بها (Nibal, et at, 2019) لتقييم مياه الإمطار المجمعة في المناطق الريفية الفقيرة في مدينة Yatte بفلسطين، والتي تعتمد على مياه الإمطار المجمعة في الشرب وللأغراض المنزلية المختلفة وفي الري. حيث بلغ عدد الكلي للعينات الدراسية 100 عينة جمعت من الصهاريج إسمنتية المنتشرة بالمناطق المجاورة للمدينة، وكان متوسط القدرة الاستيعابية

للصهريج حوالي 69 متر مكعب. بينت نتائج التحاليل إن الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه الإمطار المجمعّة بصفة عامة جيدة وهي ضمن الحدود المسموح بها حسب منظمة الصحة العالمية (WHO) ووكالة حماية البيئة (EPA) لمياه الشرب ويمكن استخدامها في الأغراض المنزلية المختلفة. بينما نتائج التحليل الميكروبي أظهرت بوجود تلوث بكتيري من النوع Faecal and Total Coliform، لذا إشارة هذه الدراسة إلى عدم استهلاك المياه مباشرة من الصهريج قبل إجراء المعالجات اللازمة لهذه المياه الملوث بالبكتيريا. تهدف الدراسة إلى تقييم جودة المياه المجمعّة في بعض الصحاريّ الأرضية بمنطقة كاباو كما يتضمن التقييم مقارنة النتائج بالموصفات القياسية الليبية ومواصفات منظمة الصحة العالمية (WHO).

مواد وطرق البحث

أجريت هذه الدراسة في منطقة كاباو أحد مناطق ليبيا الجبلية التي تقع ضمن امتداد جبلي تعرف بسلسلة جبال نفوسة الواقعة ضمن النطاق الانتقالي بين إقليم الساحل في الشمال والإقليم الصحراوي في الجنوب، حيث تبعد عن العاصمة طرابلس مسافة 300 كم إلى الجنوب الغربي وتبعد عن الساحل الغربي من مدينة زواره حوالي 150 كم، ويبلغ عدد سكان منطقة الدراسة حوالي 10.000 نسمة وهي تقع بين دائرتي عرض 31-32.5 وخطي طول 10 - 12، وترتفع عن فوق مستوى سطح البحر في حدود 700 متر. من جانب الموقع تقع في النطاق الشمالي الغربي من ليبيا المجاور لإقليم مناخ البحر المتوسط، وإمطارها شتوية، متوسط سقوطها حوالي 150 ملم/سنويا، ويسود منطقة الدراسة مناخ شبه صحراوي، والمعدل العام لدرجات الحرارة فيها بين الصغرى 13- والعظمى 36.6 درجة مئوية. تم تحديد أماكن الصهريج الأرضية المستهدفة للدراسة داخل المدينة بطريقة عشوائية بحيث تمثل جميع أنحاء المدينة، حيث بلغ عدد الصهريج موضع الدراسة ثمانية صهريج. أخذت عينات من مياه الصهريج بواقع ثلاثة مكررات لكل خزان ارضي إسمنتي (الصهريج) بحيث أصبح العدد الكلي للعينات المدروسة أربعة وعشرون عينة. عبئت المياه من مصادرها في قوارير بلاستيكية مقلّعة بحكام سعة 2 لتر. وقد روعيت جميع الأمور الفنية عند اخذ العينات ومناهمها:

- تعقيم كل من أداة رفع الماء من الصهريج والتقنية وتعقيم الغطاء بالماء المقطر.

- اخذ عينات متجانسة من الصهريج المائية الأرضية.

- سجلت جميع البيانات المطلوبة على القنينة من التاريخ، المكان، ودرجة حرارة

الماء...الخ.

- وضعت العينات في حافظات، تم نقلت بسرعة إلى المختبر لإجراء التحاليل الكيميائية

والبيولوجية المتاحة حسب الطرق الموصي بها.

الصفات المدروسة

لقد تم دراسة بعض الخواص الطبيعية والكيميائية والبيولوجية للمياه المطرية المجمعّة في الصهاريج

أو الخزانات الأرضية المتمثلة في الخصائص التالية

أولاً -الاختبارات الفيزيائية

1. الطعم والرائحة

إن المياه الطبيعية النقية لا طعم لها ولا رائحة، في العادة يتم فحص طعم ورائحة الماء من خلال

الحواس الطبيعية للإنسان، ففي هذه الدراسة تم الاعتماد على الخوص الحسية للإنسان، حيث تم

قياس طعم بواسطة التذوق والرائحة عن طريق حاسة الشم في مكان أخذ العينات، وذلك لتجنب

تطاير الروائح عند نقلها إلى المختبر، وفي هذا القياس فقد تم الاستعانة بعدة أشخاص مع الباحثين

لإجراء الاختبارات.

2. قياس العكارة (Turbidity)

تم قياس العكارة باستخدام طريقة استعمال جهاز قياس العكارة (Turbidity Meter).

ثانياً -التحاليل الكيميائية التي أجريت على عينات الدراسة

تم تقدير درجة التفاعل باستخدام جهاز PH- Meter وقياس التوصيل الكهربائي للمياه باستخدام

جهاز (Electrical Conductivity) mmhos/cm، ومجموع الأملاح الذائبة الكلية (TDS)

بواسطة المعادلة التالية (EC * 460)، واستنادا إلي ما ورد في كتاب (APHA, 1975) و

كتاب (Richards, 1954) تم تقدير كل من بطريقة التسحيح الكالسيوم و الماغنسيوم باستخدام

المعايرة الحجمية مع محلول الفرسينت EDAT القياسي، وتقدير الكلوريدات الذائبة بواسطة محلول

نترات الفضة (AgNO3) وباستخدام كرومات البوتاسيوم كدليل معايرة، وتقدير الكربونات

والبكربونات باستخدام حامض الكبريتيك H2SO4، إضافة إلي تقدير الصوديوم والبوتاسيوم

باستخدام جهاز مطياف اللهب (Flame Photometer)، وقياس العسر الكلي (CaCO3)

TH بالمعايرة بملح الايثلين ثنائي رباعي خلات الصوديوم واستخدام الكواشف، وقياس القلوية الكلية (TALK) (Total Alkalinity as Caco3)، وقياس تركيز النترات Nitrate والكبريتات بواسطة جهاز Ultraviolet Spectrophotometric Screening

ثالثاً - التحاليل الميكروبيولوجية

تم إجراء التحاليل الجرثومية لعينات مياه الإمطار المجمعّة من الصحاري الأرضية في معامل تحليل مياه الشرب، تتركز في الكشف عن مجموع من بكتريا القولون التي تسمى مجموعة الكوليفورم (Coliform Group) وقد تم إتباع الطريقة القياسية (MPN) Most Probable Number طريقة العدد الأكثر.

النتائج والمناقشة

قورنت نتائج تحاليل المياه المجمعّة من الصحاري الأرضية باستخدام المواصفات القياسية الليبية لمياه الشرب رقم 82 لسنة (1992) وموصفات منظمة الصحة العالمية لمياه الشرب (WHO) والجدول رقم (1) يوضح بعض المعايير القياسية الليبية ومنظمة الصحة العالمية لمياه الشرب ونتائج عينات موضع الدراسة. (12)(13).

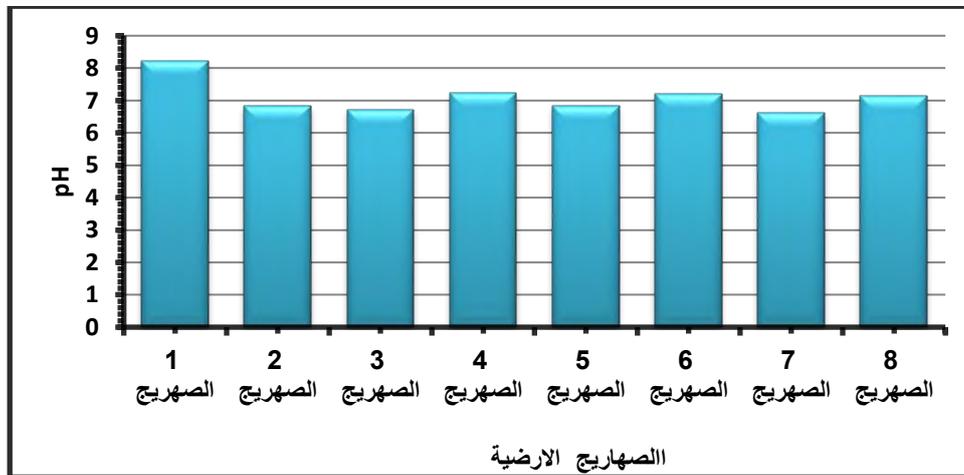
جدول (1) المعايير القياسية لمياه الشرب الليبية ومنظمة الصحة العالمية ونتائج عينات الدراسة

الخاصية	المعايير القياسية الليبية		منظمة الصحة العالمية		الصحاري الأرضية
	الحد الأعلى المسموح	الحد الأدنى المسموح	الحد الأعلى المسموح	الحد الأدنى المسموح	
الرقم الهيدروجيني pH	6.50	8.50	-6.50	8.50	8.21
التوصيل الكهربائي EC ms/cm	500	1500	500	1500	0.25
مجموع الأملاح الذائبة TDS mg/l	1000		1000		160
الكلوريد CL mg/l	250		250		35.45
النترات NO3mg/l	45		45		11.57
الكبريتات SO4 mg/l	200	400	200		90.80
الصوديوم Na mg/l	200		200		50.00

19.20	1.00		20		40	البوتاسيوم K mg/ l
0.00	0.00					الكربونات CO3mg/ l
131.70	47.30		20		200	البكربونات HCO3 mg/ l
104.00	24.00		-		-	القاعدة الكلية TALK
35.20	9.60		200		200	الكالسيوم Camg/ l
15.55	4.99	150	50	150	50	الماغسيوم Mg mg/ l
100.00	32.00	500	100	500	100	العسرة الكلية CaCO3mg/l
معكر	شفاف					اللون
17.00	1.30					درجة التعكر) (TUR
	مقبول					الطعم والرائحة

قيم الرقم الهيدروجيني (pH):

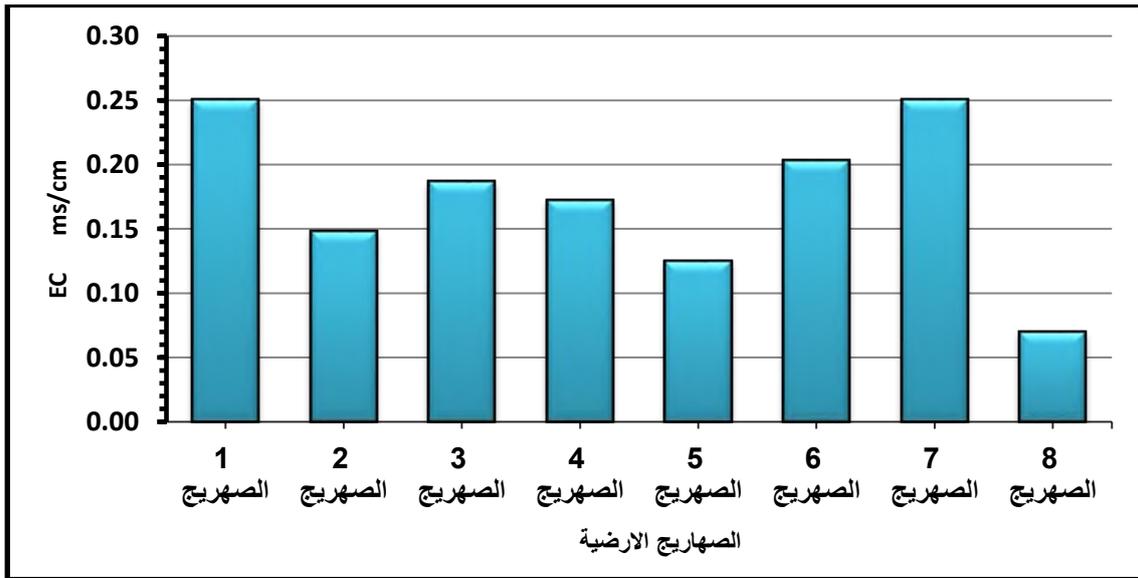
يعد الرقم الهيدروجيني معيار مهم لتقدير مدى صلاحية الماء للشرب والاستخدامات المختلفة سواء كانت زراعية أم صناعية. حيث تشير النتائج الموضحة في جدول (1) والشكل (1) إن قيمة الرقم الهيدروجيني قد تغيرت من أقل قيمة له 6.6 إلى 8.21 وبمتوسط قيم لجميع مواقع منطقة الدراسة (7.09) لم تتجاوز المعدل المسموح به وفق المعايير القياسية الليبية ومنظمة الصحة العالمية (WHO) والذي يتراوح قيمته ما بين (6.5-8.5). وبهذا تكون هذه المياه صالحة للشرب والاستخدامات الأخرى، كما تتفق هذه النتائج مع ما توصل اليه (Meng ,et at, 2015)



الشكل (1) يوضح متوسط قيم pH في عينات الدراسة

قيم التوصيل الكهربائي EC

يعبر التوصيل الكهربائي عن كمية الأملاح الذائبة في الماء، حيث تسبب زيادة الأملاح طعم غير مستساغ لمياه الشرب عند تجاوزه الحدود العليا المسموح بها ضمن المواصفات المعتمدة لدى الدول. حيث يشير الجدول (1) والشكل (2) إلى متوسط قياسات التوصيل الكهربائي (EC) للعينات المدروسة، ومن خلال النتائج المتحصل عليها يتضح إن جميع قيم الـEC في عينات الدراسة ضمن الحدود المسموح بها لمياه الشرب. حيث تراوحت القياسات ما بين $(0.07-0.25)$ ms/cm وهذه القيم هي اقل من الحدود المسموح بها في كل من المواصفات القياسية الليبية ومواصفات منظمة الصحة العالمية (WHO). ويرجح انخفاض الـEC في مياه الصحاري الأرضية إلى قلة الأملاح الذائبة في مياه الإمطار، وهذا يتفق مع ما توصل إليه (Meng, et al, 2015).

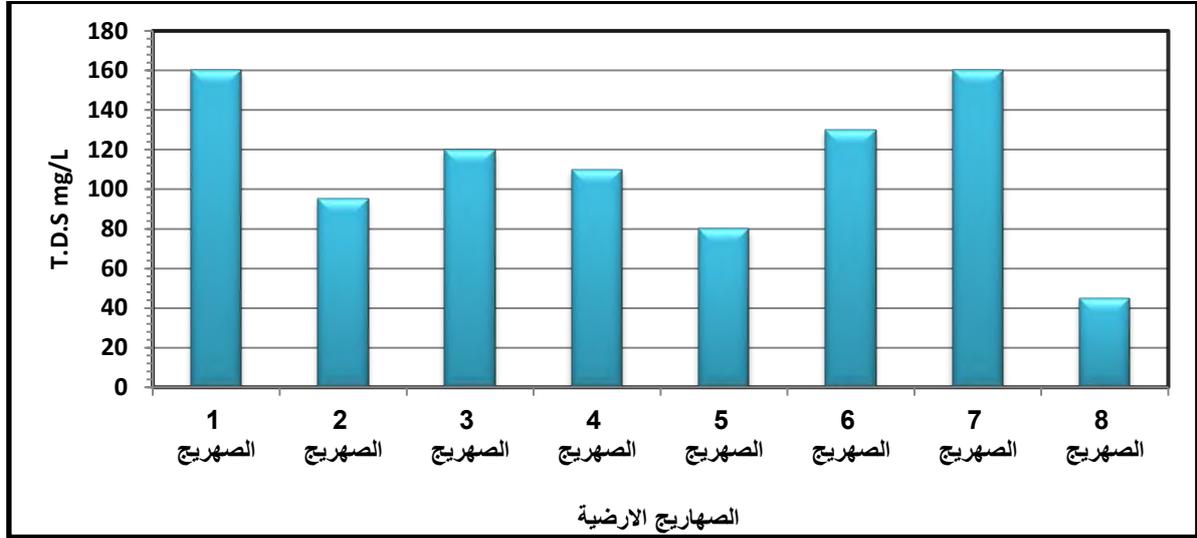


الشكل (2) يوضح متوسط قيم EC في عينات الدراسة

- مجموع الأملاح الذائبة الكلية T.D.S

من الشكل (3) نلاحظ إن قيم مجموع الأملاح الذائبة تراوحت ما بين $(45-160)$ mg/L ، وهي اقل من الحد المسموح بها لتركيز الأملاح الذائبة الكلية في المياه المستعملة للشرب الآدمي حسب المواصفات الليبية ومواصفات منظمة الصحة العالمية، والتي أوصت بان لا يزيد تركيز الأملاح

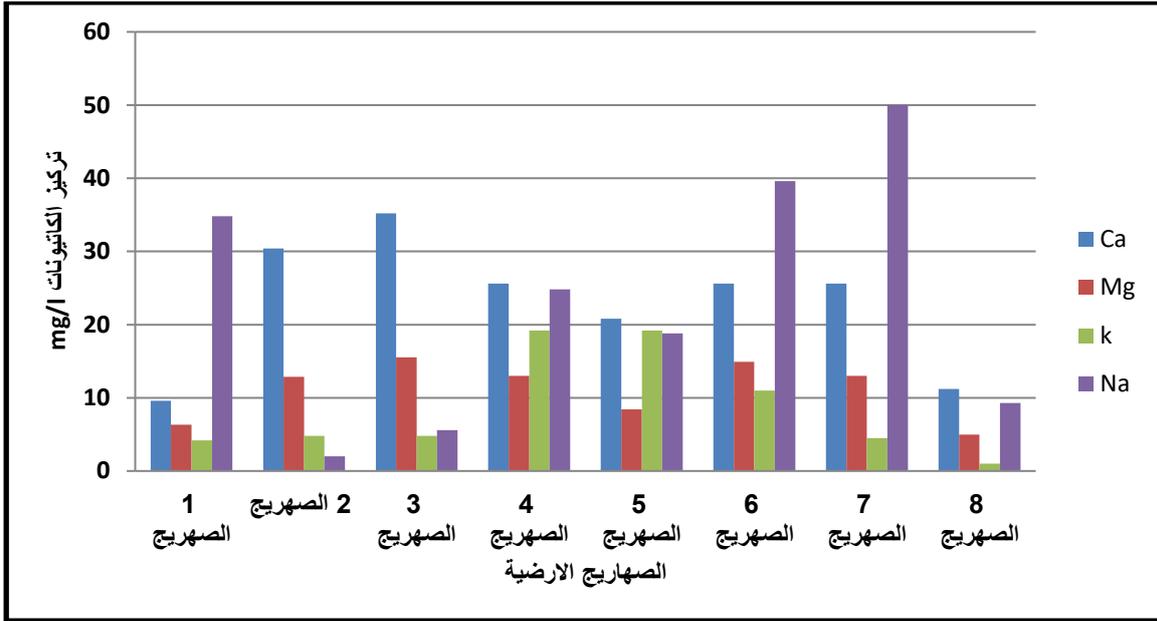
الذائبة الكلية في مياه الشرب عن 1000mg/L. وهذا يتفق مع ما توصل إليه (Meng, et at, 2015).



الشكل (3) يوضح متوسط قيم مجموع الأملاح الذائبة

- الأيونات الموجبة:

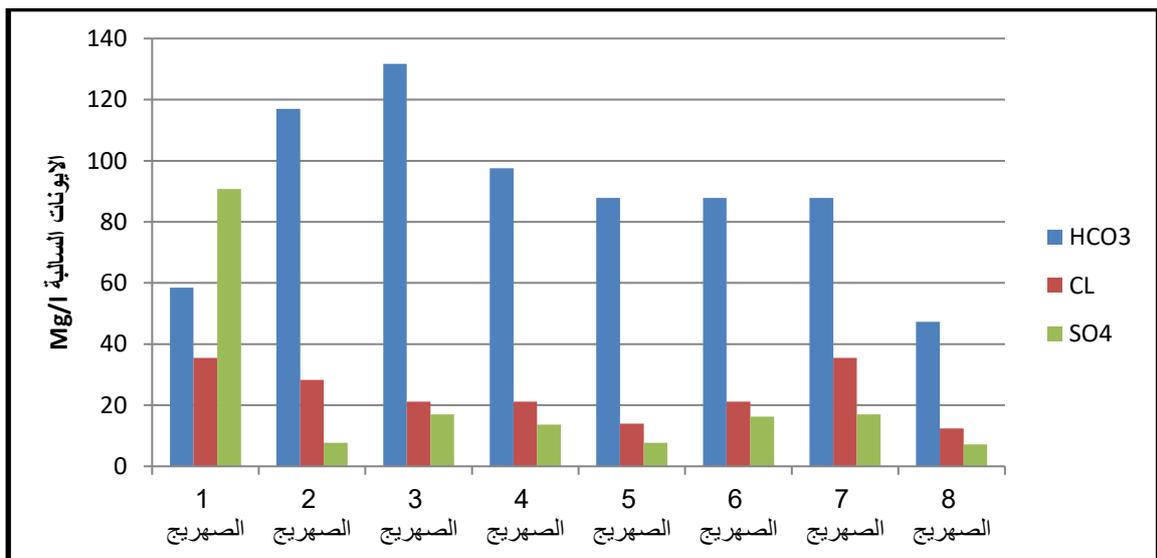
بينت النتائج في الشكل (4) متوسط تركيز الكاتيونات الموجبة (Ca, Mg, k, Na) في جميع الصهاريج حيث تراوح تركيز الكالسيوم ما بين (9.60 - 35.2) وفي حين وجد الماغنسيوم والبوتاسيوم يتراوح ما بين (4.99 - 15.55) و (1.0 - 19.20) mg/L على التوالي وأما الصوديوم فقد تراوحت قيمته ما بين (2 - 50) mg/L. ومن خلال مقارنة نتائج التحاليل الكيميائية لعينات الدراسة مع الحدود العليا المسموح بها لمياه الشرب حسب المواصفات الليبية ومواصفات منظمة الصحة العالمية، فإننا نجدها أقل بكثير من الحد المطلوب لمياه الشرب، وهذه النتائج تتفق مع ما توصل إليه (العياط، 2006).



الشكل (4) يوضح متوسط تركيز الكالسيوم، الماغنسيوم، البوتاسيوم، الصوديوم في عينات الدراسة

- الأيونات السالبة:

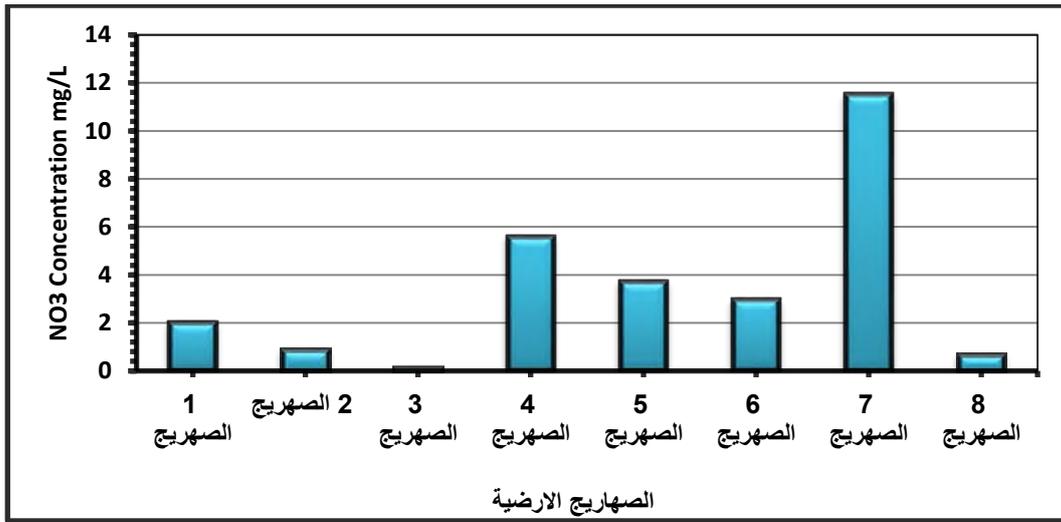
يوضح الشكل (5) نتائج متوسط تركيز الأيونات السالبة (SO_4, Cl, HCO_3) وكما يلاحظ إن الكربونات لم تتواجد في عينات الدراسة جدول (1)، في حين أظهرت نتائج تركيزات (SO_4, Cl, HCO_3) بالترتيب بمدي يتراوح بين (47.3- 131.7)، (12.4- 35.45)، (7.2 - 90.8) mg/L، وان جميع النتائج تقع ضمن الحدود المسموح بها حسب مواصفات منظمة الصحة العالمية والليبية لمياه الشرب وهذا يتفق مع ما توصل إليه (Meng, et at, 2015).



الشكل (5) يوضح متوسط تركيز الأيونات السالبة (HCO_3, CL, SO_4)

ايون النترات NO₃ :

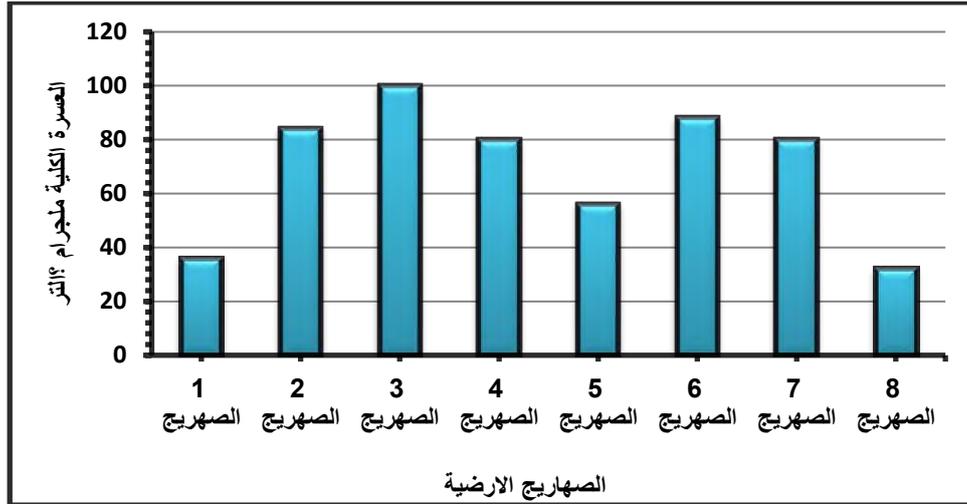
تشير نتائج التحاليل التي أجريت على عينات المياه المأخوذة من الصهاريج الأرضية إلى عدم وجود تركيزات غير مسموح بها من أنيون النترات في عينات المياه كما هو موضح بالشكل (6). وهي تقع ضمن حدود المواصفات القياسية الليبية ومنظمة الصحة العالمية (WHO) لمياه الشرب، والتي تكون في حدود 45 mg/L وفي حين تراوحت متوسط القيم في مياه الصهاريج ما بين 0.106 - 11.573 mg/L وهذه النتائج تتفق مع ما توصل إليه (شقلوف ، 1992).



الشكل (6) يوضح تركيزات أنيون النترات في عينات الدراسة

- العسرة الكلية بدلالة Caco₃ :

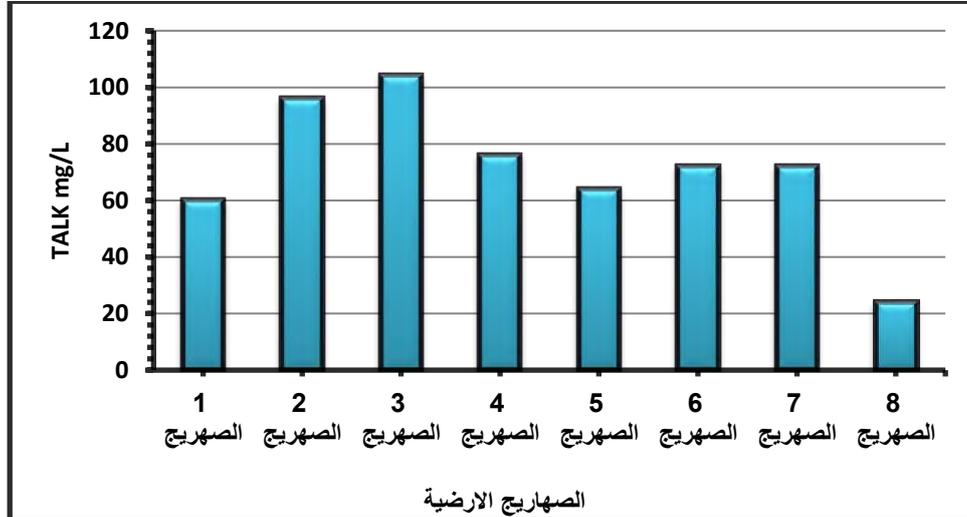
أظهرت نتائج تحاليل العسرة الكلية لعينات مياه الإمطار المجمعّة في الصهاريج الأرضية والموضحة بالشكل (7) ذات مستويات منخفضة حيث تراوحت ما بين 100-32 mg/L وهي قيم تقع ضمن الحدود المسموح بها ولم تتجاوز قيم 500 mg/L حسب التوصيات العالمية و المحلية لمياه الشرب.



الشكل (7) يوضح تراكيز العسرة الكلوية في عينات الدراسة

-القاعدة الكلوية TALK :

تشير القاعدة الكلوية في المياه الطبيعية إلي وجود الأملاح للحوامض الضعيفة والأملاح للقواعد القوية والضعيفة، ويلاحظ من الجدول (1) والشكل (8) إن القاعدة الكلوية تراوحت بمدي بين 24 - 104 mg/L لعينات الدراسة.

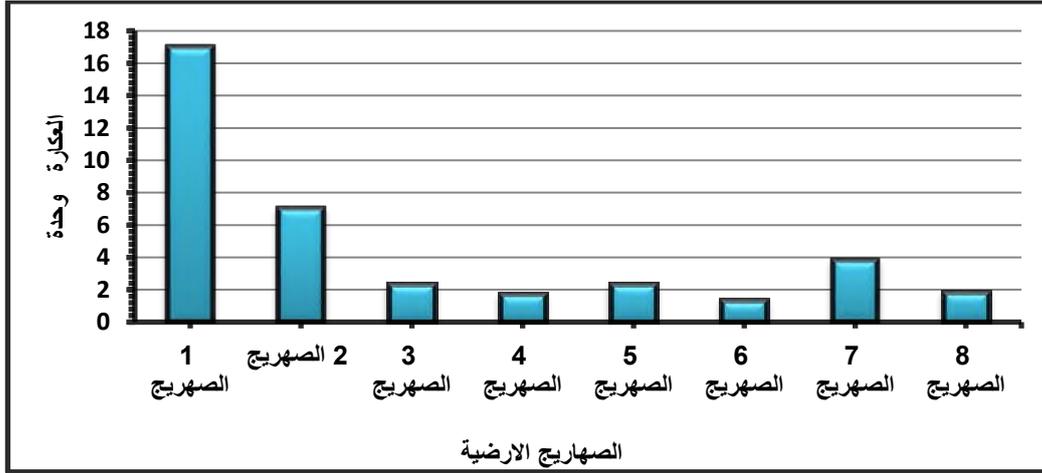


الشكل (8) يوضح تراكيز القاعدة الكلوية في مياه عينات الدراسة

ثانيا الخصائص الطبيعية (الفيزيائية):

1-اللون ودرجة العكارة:

يوضح الشكل (9) نتائج قياس اللون ودرجة عكارة مياه الدراسة، والتي تظهر وجود درجات عالية من العكارة في الصهريج (1) حيث وصلت إلى 17 وحدة ومن جانب اللون كانت العينة معكرة جداً، والصهريج (2) وصلت إلى 7 وحدات وكانت من ناحية اللون معكر، بينما نتائج بقية عينات الدراسة تقع ضمن الحدود المسموح بها الـ 5 وحدات، وقد تراوحت النتائج بين مدي 3.8-1.3 وحدات وهذا يتفق مع ما توصل إليه (Meng ,et at, 2015).



الشكل (14) يوضح العكارة في مياه عينات الدراسة

2-الطعم والرائحة:

يعتبر الطعم والرائحة من الخصائص الطبيعية للمياه. يتم التعرف عليها بواسطة حواس الإنسان وذلك بواسطة التذوق للتعرف على طعم المياه ومدى استساغها للشرب وكذلك عن طريق حاسة الشم للتعرف عن وجود رائحة من عدمه، ولأن المياه النقية لا طعم له ولا رائحة، ومن خلال الجدول (1) نلاحظ إن جميع عينات الدراسة لها طعم مقبول ولا توجد بها أي نوع من الروائح الغير مقبولة تؤثر على جودة المياه.

ثالثا - التحاليل الميكروبيولوجية:

أظهرت التحاليل الجرثومية لعينات مياه الدراسة خلو جميع الصهاريج الأرضية المجمعّة لمياه الإمطار من أي تلوث بكتيري، وتعد هذه المياه صالحة لشرب الآدمي والحيواني.

الخلاصة و التوصيات:

من خلال النتائج المتحصل عليها في الدراسة التي اهتمت بتحليل مياه الإمطار المجمعة في بعض الصحاري ومدى صلاحيته للشرب أن هذه المياه صالحة للاستخدام لمطابقتها للمواصفات القياسية الليبية ومواصفات منظمة الصحة العالمية ولهذا فأذن نوصي بالآتي.

1- يجب على الدولة نشر الوعي البيئي والصحي على المواطنين بالمنطقة حول المخاطر البيئية المختلفة التي تهدد الصحاري الأرضية المجمعة لمياه الإمطار، وكيفية حمايتها من مصادر التلوث.

2- يجب إجراء التحاليل الدورية لمراقبة التغير بجودة مياه الصحاري وذلك المعرفة أي تغيير حاصل في خصائصها المختلفة.

3- مساهمة الدولة في دعم للمواطنين على إنشاء الصهريج الخراسانية لارتفاع تكلفة الإنشاء في المناطق التي لا تتوفر بها صحاري، وذلك لحصاد أكبر كمية من مياه الإمطار واستعمالها في الأغراض المختلفة مثل ري المزروعات، شرب الحيوانات، ولأغراض المنزلية... الخ.

المراجع

- المركز الوطني للمواصفات والمعايير القياسية، "دليل الموصفات الليبية"، : الموصفات القياسية رقم 82 - 1992 لمياه الشرب"، طرابلس، ليبيا.
- العياط، عبد الباسط. 2006. "دراسة تحليلية لبعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه الإمطار المجمعة في الصحاري القريبة من طرق المواصلات بمنطقة العريان"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا.
- المنهراوي، سمير. عزة حافظ. 1997. المياه العذبة مصادرها وجودتها، مدينة نصر، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع.
- جنيدى، سعيد. 2006. أصول البحث والتطبيق في الماء والإصلاح الأراضي. مدينة نصر، القاهرة. الدار العربية للنشر والتوزيع.
- شكوف، عبدالحكيم. 2008 "دراسة تحليلية لنوعية المياه المجمعة بتقنيات حصاد مياه الإمطار المختلفة لمنطقة الجبل الغربي ومدى ملائمتها للاستهلاك البشري"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا.
- عزوز، جاد الله. 2003. حتى لا نموت عطشا، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

- مبارك،سعد.جوان الجاف.2017. ، "تقنية حصاد مياه الإمطار في مدينة اربيل". مجلة كلية التربية الأساسية.23 (7)646-635
- منظمة الصحة العالمية, " دلائل جودة مياه الشرب"، مكتبة المنظمة للفهرسة، جنيف, 2004.
- APHA, A. W. (1975). "Standard Method for Examination of Water and Wastewater". American Health Association 14th Ed., Washington, DC, USA.
- Meng Kuj Jun, Carolyn Payus, "Consumption of Rainwater Harvesting in Terms of Water Quality", International Journal of GEOMATE, Vol.9,No. 29(SI.no180). pp 1515-1522, December,2015.
- Nibal Al-Batsh, Issam Al-Khatib, Subha Ghannam, Fathi Anayah, Sheheh Jodeh, Ghadir Hanbali, Bayan Khalaf, Michael Valk, "Assessment of rainwater Harvesting Systems in Poor Rural Communities: A case study from Yatta area, Palestine", Journal of water, Vol. 11, No. 3, March, 2019.
- Richards, L.A. . Diagnosis and Improvement of Saline and Alkaline Soils. USDA Agric. Hand book No. 60.Washington , D.C.(1954).
- Tanuja Ariyananda," Recommendation for improving rain water quality", 12th International conference on rainwater and catchment system, 2005.
- Toma Janan, Sardar Kareem, Dilshad Ganjo, "Physical and Chemical Properties of rainwater and its suitability irrigating in Erbil city", Zanco Journal of pure and Applied Sciences, Vol. 29. No. 5, pp 39-50, Dec, 2017.
- WHO: World Health Organization(1996). *The directive for drinking water quality, 2nd, part, healthy criterion and other information, geneve, Switzerland.*

إدارة الموارد البشرية وموقعها في الهيكل التنظيمي للمنظمة الحديثة

١. يوسف خليفة ناعم كلية التربية كاباو - جامعة نالوت

د. موسى رمضان شريحة كلية الاقتصاد بالرجبان - جامعة الزنتان

المقدمة:

تعتبر الموارد البشرية هي الأساس في العملية الإدارية والإنتاجية والخدمية وهي من أهم أصول المنظمات. ونتيجة للتوسع الكبير في أعمال المنظمات وزيادة حدة المنافسة وانتشار المعرفة التي هي في الأصل موجودة لدى الموارد البشرية التي أسماها الكاتب الشهير بيتر دراكر، عمال المعرفة اكتسبت هذه الموارد البشرية المزيد من الاهتمام لأنها الأساس في التنمية الإنسانية المستدامة. وأصبحت المنظمات في سعي دؤوب لاستقطاب العقول الشابة والدماء الجديدة حتى تستطيع أن تضخ إنتاجهم وإبداعاتهم وأفكارهم في مفاصل المنظمة. تأتي الموارد البشرية التي تم تعيينها حديثاً في العمل وهي مليئة بطاقات مرتفعة وآمال كبيرة ورغبات متنوعة وتوقعات عالية، كما تأتي بعد مشوار طويل من الجهد والتعب والانتظار، بدءاً من الدراسة ومروراً باختيار التخصصات التي تتلاءم مع سوق العمل قدر الإمكان، ثم مع مشوار البحث عن الوظيفة ومتابعة الإعلانات ثم تقديم الطلبات في أكثر من جهة إلى أن ينتهي المطاف بها للقبول ومن ثم استكمال باقي الإجراءات من كشف طبي وخلافه. وبعد ذلك تباشر هذه الموارد البشرية العمل.

إن نهاية هذه الرحلة الطويلة تعتبر في واقع الأمر البداية للحياة العملية. كما أن الموارد البشرية، وهي تضع أولى خطواتها، بحاجة ماسة لمن يأخذ بيدها إلى بر الأمان، ويزيل عنها القلق والتوتر والضغط النفسي والعزلة التي تؤثر كثيراً على النفسيات. وقد تؤدي في حال عدم الاهتمام إلى آثار سلبية على المنظمة والموظف معاً إن هذه الموارد البشرية بحاجة إلى برنامج متكامل يعمل على إكسابها العديد من الأمور السائدة في المنظمة التي يعملون بها مثل: القيم والأعراف والثقافة السائدة إلى غير ذلك. وبما يؤدي إلى التكيف مع بيئة العمل الجديدة، وتخفيف هذه الضغوط وامتصاصها وإزالة المشاعر السلبية فعلياً، من هذا المنطلق لا بد من وجود إدارة تهتم بالعنصر البشري داخل المنظمة، وهذه الإدارة عادة ما تسمى بإدارة الأفراد أو إدارة الموارد البشرية أو إدارة القوي العاملة. إذا فما هو المقصود بإدارة الموارد البشرية؟ وكيف تطورت إدارة الموارد

البشرية؟ وما هي أهميتها ووظائفها؟ وما هو نظم معلومات الموارد البشرية؟ هذا ما سوف نناقشه في هذه الورقة البحثية:

مشكلة الدراسة:

تلعب إدارة الموارد البشرية دور مهم في المنظمات سواء كانت هذه المنظمات خدمية أو إنتاجية أو صناعية وغيرها، وذلك نتيجة لضخامة المسؤولية على عاتقها وخطورة النتائج التي تترتب على أعمالها. وتكمن مهام إدارة الموارد البشرية في تدبير الاحتياجات اللازمة للإدارات الأخرى بالمنظمة من عناصر بشرية قادرة على وحسب المواصفات المحددة ووضع سياسات للاختيار والتعيين وبرنامج لتخطيط الموارد البشرية وتدريبها. ومن هنا نجد أن إدارة الموارد البشرية لها تأثير كبير على فاعلية المنظمات بشكل عام، وتعاني المنظمات بالدول النامية بصفة خاصة من ضعف الاهتمام بإدارة الموارد البشرية، وهذا بدوره أدى إلى التأثير السلبي على فاعلية هذه المنظمات. وتتمثل مشكلة الدراسة في غياب تطبيق الأساليب العلمية في إدارة الموارد البشرية، الأمر الذي أدى إلى إبراز مظاهر المشكلة مثل سوء تخطيط القوة العاملة، واستخدام الطرق التقليدية في مجال الاختيار والتعيين وكذلك في تطبيق البرامج التدريبية للقوي العاملة.

ويمكن توضيح طبيعة المشكلة بصورة أفضل عن طريق التساؤلات التالية:

- 1- ما هي أنواع النشاطات التي تختص بها إدارة الموارد البشرية؟
- 2- هل هناك حاجة ماسة إلى تطوير الأساليب المستخدمة بالإدارة لمواجهة احتياجات المنظمة؟
- 3- ما هو دور استخدام التكنولوجيا في انجاز أعمال الإدارة بكفاءة وفاعلية؟
- 4- ما هي متطلبات تطوير إدارة الموارد البشرية بالمنظمة؟
- 5- ما هو دور ومسئوليات الإدارة العليا بالمنظمة في تحسين مستوى الأداء بإدارة الموارد البشرية؟

أهمية الدراسة:

في ضوء الأهمية البالغة لإدارة الموارد البشرية، كان لا بد من وجود دراسات تتناول هذا الموضوع وتعنى بوضع تأصيل نظري له، وقد توفرت بعض الدراسات التي طرقت هذا الموضوع بشكل عام، إلا أن هذه الدراسات قامت على أساس التحليل الجزئي باعتبار أن وحدة التحليل فيها كانت على نطاق ضيق ومحدود. وتتضح أهمية هذه الدراسة من كونه من الدراسات القليلة التي تتناول موضوع إدارة الموارد البشرية من وجهة نظر علم الإدارة، إذ لا بد من وجود دراسات متكاملة من منظور هذا العلم نظراً لخصوصية وارتباطه الوثيق بالأجهزة الإدارية لأية دولة.

ومما يضيفي أهمية أكبر على هذه الدراسة أهمية الأهداف ذاتها التي سيتم تحقيقها من خلاله، وسيتم توضيح هذه الأهداف.

أهداف الدراسة:

الهدف العام لهذه الدراسة هو تصميم إطار مفاهيمي لإدارة الموارد البشرية، ويتفرع عن هذا الهدف أهداف فرعية هي:

- 1- الخروج بمفهوم إدارة الموارد البشرية وتمييزها عن الإدارات الأخرى بالمنظمة.
- 2- الخروج بمفهوم نظام معلومات لإدارة الموارد البشرية.
- 3- تصميم إطار نظري مفاهيمي لإدارة الموارد البشرية من منظور العلوم الإدارية.
- 4- توضيح متطلبات تطوير نظم معلومات إدارة الموارد البشرية.
- 5- تصميم إطار نظري مفاهيمي لنظم معلومات إدارة الموارد البشرية وزيادة نطاق تطبيقه بما يساعد الوحدات الاقتصادية في القيام بمسئولياتها وتحقيق أهدافها الاجتماعية والبيئية بجانب مسئولياتها وأهدافها الاقتصادية.

منهجية الدراسة:

أسلوب التحليل النظري ضمن إطار بيئي هو الأسلوب الذي سيتم إتباعه في هذه الدراسة، وبالتالي سيتم تحليل ما ورد من نظريات وآراء في مجال إدارة الموارد البشرية المعلومات الإدارية للخروج بصيغة نظرية قابلة للتطبيق على الأرض، ولتحقيق هذا الغرض سيتم الاعتماد على

المراجع والدراسات السابقة كمصادر ثانوية للمعلومات، وإجراء مسح لها لربط الأفكار والخروج بفهم أوسع لموضوع نظم معلومات الموارد البشرية. ويجدر التنويه بأن وحدة التحليل في هذه الدراسة ستكون المنظمة، بحكم أن تطبيق نظم معلومات إدارة الموارد البشرية يمتد ليشمل المنظمات التي توجد بدولة معينة لذا يتوجب بأن يكون التحليل على المستوى الكلي.

ولتحقيق الأهداف ستقسم هذه الدراسة إلى الأقسام التالية:

أولاً: مفهوم وطبيعة إدارة الموارد البشرية.

ثانياً: النظرة التقليدية والحديثة لإدارة الموارد البشرية.

ثالثاً: وظائف إدارة الموارد البشرية.

رابعاً: مرتكزات ومكونات نظام معلومات الموارد البشرية.

خامساً: مجالات استخدام وخطوات تطوير نظام معلومات الموارد البشرية.

سادساً: متطلبات نجاح نظم معلومات الموارد البشرية.

أولاً: مفهوم إدارة الموارد البشرية: لقد اختلفت وجهات نظر المديرين في الحياة العملية في تحديد مفهوم موحد ومتفق عليه لإدارة الموارد البشرية ويمكن التمييز بين وجهتي نظر أساسيتين هما:
أ- النظرة التقليدية لإدارة الموارد البشرية: يرى بعض المديرين أن إدارة الموارد البشرية ما هي إلا مجرد وظيفة قليلة الأهمية في المنظمة وتقتصر على القيام بأعمال روتينية تنفيذية من أمثلتها حفظ المعلومات على العاملين في ملفات وسجلات معينة ومتابعة النواحي المتعلقة بالعاملين مثل ضبط أوقات الحضور والانصراف والايجازات والانجازات والترقيات ويبدو أن إدارة الموارد البشرية لم تخصص بالاهتمام هؤلاء المديرين، حيث يرون أن تأثيرها ضئيل على كفاءة ونجاح المنظمة وقد انعكس ذلك على الدور الذي به مدير إدارة الموارد البشرية، وكذلك على الوضع التنظيمي لهذه الإدارة.

ب- النظرة الحديثة لإدارة الموارد البشرية: يرى البعض الآخر من المديرين أن إدارة الموارد البشرية تعتبر من أهم الوظائف الإدارية في المنظمة وهي لا تقل أهمية عن باقي الوظائف الأخرى:

كالتسويق والإنتاج والمالية وكذلك لأهمية العنصر البشري وتأثيره على الكفاءة الإنتاجية للمنظمات، وكذلك اتسع مفهوم إدارة الموارد البشرية ليشمل أنشطة رئيسية من أهمها تحليل وتوصيف الوظائف، تخطيط الموارد البشرية، جذب واستقطاب الموارد البشرية، تحفيز الموارد البشرية، تنمية وتدريب الموارد البشرية، بالإضافة إلى النشاط التقليدي المتعلق بشؤون الموارد البشرية في المنشأة. (عبد الباقي، 1999: 15)

ج- أهم التعريفات لإدارة الموارد البشرية: إدارة الأفراد تعرف بأنها ذلك النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات المشروع من القوي العاملة والعمل على توفير تلك الموارد البشرية بالأعداد والكفايات التي تتناسب مع احتياجات المشروع والعمل على استخدام تلك الموارد استخداماً فعالاً في تحقيق أهداف الكفاءة الإنتاجية. (السلمي، 1970: 33). هي الإدارة التي تؤمن بان الأفراد العاملين في مختلف المستويات أو نشاطات المنظمة هم أهم الموارد ومن واجبها أن تعمل على تزويدهم بكافة الوسائل التي تمكنهم من القيام بأعمالهم لما فيه مصلحتها ومصلحتهم وأن تراقبهم وتسهر عليهم باستمرار لضمان نجاحهم ونجاح الأهداف العامة. (بلوط، 2002: 18). إدارة الموارد البشرية هي سلسلة القرارات الخاصة بالعلاقات الوظيفية المؤثرة في فعالية المنظمة والعاملين فيها. (ماهر، 2004: 26). يعرف فرانراش إدارة الموارد البشرية بأنها عملية اختيار واستخدام وتنمية وتعويض الموارد البشرية العاملة في المنظمة. يعرف فيليبو إدارة الموارد البشرية بأنها تخطيط وتنظيم وتوجيه ومراقبة النواحي المتعلقة بالحصول على الأفراد وتنميتهم وتعويضهم والمحافظة عليهم بغرض تحقيق أهداف المنظمات.

ثانياً: تطور إدارة الموارد البشرية:

أ- أسباب ظهورها: يوجد العديد من الأسباب التي أدت إلى ظهور إدارة الموارد البشرية أهمها:
1- التوسع والتطور الصناعي الذي تم في العصر الحديث ساعد على ظهور التنظيمات العالمية، وبدأت تظهر المشاكل والصعوبات والصراعات بين الإدارة والموارد البشرية وحاولت الإدارة استخدام بعض الأساليب لمواجهة هذه المشاكل ولكن ذلك لم يقلل من الحاجة إلى وجود إدارة متخصصة تراعي الموارد البشرية وتعالج مشاكلها.

2- التوسع الكبير في التعليم وفرض الثقافة العامة أمام الموارد البشرية أدى إلى زيادة وعي القوى العاملة نتيجة ارتفاع مستواهم التعليمي والثقافي وتطلب الأمر وجود متخصصين في إدارة الموارد البشرية ووسائل حديثة أكثر للتعامل مع هذه النوعيات الحديثة من الموارد البشرية.

3- زيادة التدخل الحكومي في علاقات العمل بين العمال وأصحاب الأعمال عن طريق إصدار القوانين حتى لا تقع المنظمات في مشاكل مع الحكومة نتيجة لعدم التزامها بهذه القوانين.

4- ظهور النقابات والتنظيمات العالمية التي تدافع لا عن الموارد البشرية وتطلب الأمر ضرورة الاهتمام بعلاقات الإدارة والمنظمات العالمية من ثم كانت أهمية وجود إدارة متخصصة لخلق جو من التعاون الفعال بين الإدارة والمنظمات العالمية وإعادة سياسات جديدة للعلاقات الصناعية.

5- تشريع العمل الذي ظهر هو الآخر والتزامات المنظمة في ميادين الإعلام والمشاركة وإدارة التشاور بمعنى آخر الديمقراطية للإدارة.

ب- تطور إدارة الموارد البشرية: عادة ما يتم تجميع نشاطات إدارة الأفراد في وحدة تنظيمية واحدة يطلق عليها أحيانا الإدارة الإدارية، في البداية يمكن القول أنها وظيفة تضمن أو تؤمن مجموع النشاطات التي تضع تحت تصرف المنظمة العناصر البشرية الضرورية عددياً ونوعياً أي كما وكيفاً لتكون في خدمتها، وعلى مر العقود الزمنية الأخيرة نجد أن الوظيفة قد تميزت بمرحلتين تاريخيتين وهما:

• المرحلة التاريخية الأولى: كان فيما يتعلق بإصلاح المستعمل في المنظمات من أجل الإشارة والتدليل على مسئول وظيفة إدارة الموظفين أو الأفراد وهذا المصطلح إلى حد ما، وحسب التسلسل الزمني أخذ الأشكال التالية:

رئيس الموظفين، مدير الأفراد، مدير الشؤون الاجتماعية. ، مدير الموارد البشرية. كتوصيف للدور الذي غالبا ما كانت تعهد به إدارة الموارد البشرية، فالمدير من المستوى العالي يمكن له أن يبحث في أوج حاجات المنظمة وكذلك طموحات الأفراد غير أن هذا التصنيف مختصر وذلك لأن هناك رؤساء مستخدمين يمكن أن يتورطوا في المسائل الإنسانية والسبب هو بيروقراطية البعض منهم.

• المرحلة التاريخية الثانية: لقد حصل في محتوى أو تنظيم وظيفة إدارة الأفراد نفسها خاصة أهدافها وغاياتها وسياساتها تطور واسع بفضل بعض الدراسات. ولكن تجاهل بعض المفكرين وعلماء

الإدارة ما ظهر منها بعد الثورة الصناعية وتخصيص نظام المصنع وبروز دور المنظمين لذلك كله برزت الحاجة إلى علم وممارسات مستقلة للموارد البشرية عندما بدأت علاقات العمل والعاملين في التعقيد وظهر ذلك جليا بعد الثورة الصناعية وظهور الآلات والمجتمعات. وهذه لمحة سريعة عن محتوى إدارة الأفراد أو إدارة الموارد البشرية.

- الثورة الصناعية.
- ظهور الحركات العالمية والاتحادات والنقابات.
- ظهور إدارة الأفكار العلمية.
- ظهور حركة العلاقات الإنسانية.
- بداية ظهور بعض ممارسات الأفراد.
- بداية ظهور بعض المتخصصين في إدارة الموارد البشرية.

ثالثاً: أهمية وأهداف إدارة الموارد البشرية:

- أ- أهمية إدارة الموارد البشرية: تكمن أهمية إدارة الموارد البشرية فيما يلي:
 - تهتم بالموارد الرئيسية في المنظمة و هم الأفراد.
 - لا توجد منظمة دون إدارة موارد بشرية.
 - تقوم بتطوير مهارات الأفراد العاملين بالمنظمة.
 - تصنع الخطط المناسبة للتدريب.
 - تقوم بدراسة مشاكل الأفراد ومعالجتها.
 - تختار الأفراد المناسبين لشغل الوظائف.

ب- أهداف إدارة الموارد البشرية: هناك نوعين من الأهداف هما المشاركة والفعالية.

1- المشاركة: وتتمثل فيما يلي:

- استقطاب واختيار الموارد البشرية القادرة على تحقيق أهداف المنظمة.
- التعريف بالمنظمة بشكل سليم بحيث يرغب طالبي العمل في الانضمام إلى المنظمة.
- الاحتفاظ بالأفراد الناجحين في عمليات الاختيار.
- استقرار القوي العاملة في المنظمة (عدون، 2007: 236).

2- الفعالية: وهي جعل القوى العاملة تنجز ما يطلب منها بنجاح ومثابرة وهي مرتبطة بعدة عوامل منها:

- تحفيز الأفراد.
- تطوير قدراتهم ومهاراتهم.
- مدهم بمهارات جديدة والمواد الكفيلة لتحقيق ذلك.
- مساعدتهم على التواصل إلى الأداء المرغوب فيه.

رابعاً: وظائف إدارة الموارد البشرية: يمكن تصنيف وظائف إدارة الموارد البشرية كالتالي:

أ- وظائف تهدف إلى زيادة المقدرة على العمل.

1- تخطيط القوى العاملة: تعني تحديد احتياجات المنظمة من أنواع وأعداد العاملين ويتطلب هذا تحديد طلب المنظمة من العاملين وتحديد ما هو معروف ومتاح منها والمقارنة بينها لتحديد صافي العجز والزيادة في القوى العاملة للمنظمة، وتستطيع الإدارة أن ترفع مستوى كفاءة الإنتاج عن طريق إتباع أسلوب تخطيط القوة العاملة على أساس علمي سليم، وخطة القوى العاملة، وتتطوي على الخطوات التالية:

- * تحديد أنواع الأعمال والوظائف المطلوبة لتحقيق أهداف المنظمة.
- * توصيف الأعمال والوظائف المختلفة.
- * تحديد المهارات والكفاءات البشرية اللازمة لأداء تلك الأعمال والوظائف.
- * دراسة قوة العمل الحالية ومقارنتها بقوة العمل المطلوبة توفرها والعمل على تغطية النقص أو التخلص من الزيادة.

2- الاختيار والتعيين: ناحية أخرى من نواحي مساهمة إدارة الموارد البشرية في زيادة الكفاءة الإنتاجية: هي في اختيار انسب الأفراد للقيام بالأعمال والوظائف المحددة للمنظمة. إن وجود خطة مثالية للقوة العاملة لا يضمن بالضرورة توفر الأفراد المناسبين، إلا إذا أحسنت الإدارة القيام بوظيفة الاختيار من بين المتقدمين لشغل الوظائف المختلفة.

وتهتم هذه الوظيفة بالبحث عن العاملين في سوق العمل وتصفياتهم من خلال طلبات التوظيف والاختيار والمقابلات الشخصية وذلك لوضع الفرد المناسب في المكان المناسب.

3- التدريب: تمارس المنظمة أنشطة التدريب بغرض رفع كفاءة الأفراد ومعارفهم ومهاراتهم وتوجيه واتجاهاتهم نحو أنشطة معينة على المنظمة أن تحدد احتياجات المرؤوسين للتدريب وان تستخدم الأساليب والطرق المناسبة وأن تقيم فعالية هذا التدريب.

ماهية التدريب: تحفل أدبيات الإدارة بالكثير من التعريفات للتدريب سأورد أحدها وأحيل القارئ العزيز إلى كتب السلوك التنظيمي والموارد البشرية وكذا كتب التدريب المتخصصة للمزيد من التعريفات، وهي رغم اختلافها ليست بعيدة عن بعضها البعض.

عرفه الطعاني 2007 بأنه: "الجهود المنظمة والمخطط لها لتزويد المتدربين بمهارات ومعارف وخبرات متجددة تستهدف إحداث تغييرات إيجابية مستمرة في خبراتهم واتجاهاتهم وسلوكهم من أجل تطوير كفاية أدائهم".

دور التدريب في عملية التأقلم التنظيمي: يلعب التدريب دوراً محورياً في هذا المجال، حيث يتعين أن يعهد إلى إدارة التدريب بالقيام بهذه المهمة بعد التنسيق مع الإدارات الأخرى مثل: الإدارة التي سيعمل لديها الموظف، الإدارة المالية، إدارة الموارد البشرية، إدارة التسويق..... الخ. حيث يتم تصميم برنامج تدريبي متكامل يعمل على عملية تهيئة هذه الموارد البشرية عبر شرح أمور مثل: أخلاقيات العمل، السلوكيات المرغوبة، التعريف بالبرامج التدريبية، المزايا التي تقدمها المنظمة مثل: العلاج الطبي، الإجازات، البدلات، سياسات المنظمة وأهدافها رسالتها، الهيكل التنظيمي للمنظمة، أنظمة وإجراءات العمل، العطل الرسمية، ساعات العمل، تقويم الأداء، فهم طبيعة المنظمة وأهدافها وتاريخها وإنجازاتها، معايير الأداء المطلوبة الى غير ذلك.

كما أن إدارة التدريب عليها واجب إقامة برنامج تدريبي للمشرفين والمديرين لتعريفهم بألية تنفيذ هذا البرنامج والدور المحور الذي يقومون به لإنجاح هذا البرنامج ومن ذلك: أخذ هذه الموارد البشرية في جولة للتعرف على زملائهم ومكان العمل وشرح مبسط لمهام الوظيفة وموقعها في الهيكل التنظيمي للإدارة وللمنظمة مع إعطائهم أعمال حقيقية يؤدونها بصورة تدريجية، الابتعاد عن إجلاسهم مع بعض الموظفين المحبطين حتى لا تسري العدوى لهم! عدم الإفراط في تقديم معلومات كثيرة في وقت قصير إلى غير ذلك.

4- الإشراف والقيادة: إن الإدارة في مفهومها الحقيقي هي قيادة الأفراد وتوجيههم ناحية هدف معين. إن هدف القيادة الحقيقي هو خلق الدافع لدي العامل لتحسين أدائه ورفع مستوي كفاءته عن اقتناع وإدراك وظيفة إدارة القوي العاملة في هذه الناحية هي نشر الأفكار العلمية السليمة عن أساليب القيادة الفعالة وإعداد برنامج تدريب المشرفين على العلاقات الإنسانية.

5- تهيئة ظروف العمل المناسبة: دور إدارة القوي العاملة هنا يتبلور أساسا في القيام بالبحوث والدراسات التي تكشف عن المواصفات المفروض توفرها في جو العمل ودراسة علاقته بكفاءة الإنتاج واقتراح سبل التحسين أو التطوير أو التغيير. هذه الظروف المناسبة للعمل تؤدي إلى انخفاض معدلات الغياب والحوادث والإصابات، الأمر الذي يساهم في رفع الكفاءة الإنتاجية.

ب - وظائف تهدف إلى زيادة الرغبة في العمل:

1- تصميم هيكل الأجور والمرتبات: الهدف الأساسي من عملية تحديد الأجور والمرتبات هو تعويض الأفراد عن الأعمال التي يقدمونها للمنظمة وحفزهم على العمل والإنتاج. أي بمعنى آخر تهتم هذه الوظيفة بتحديد القيمة والأهمية النسبية لكل وظيفة وتحديد أجورها أو مرتباتها وتحديد الدرجات الأجرية أو المعاشية للوظائف كما تهتم الوظيفة بإدارة سليمة لنظام الأجور أو المرتبات حتى يتم ضمان مقابل للقيم والهيئات المختلفة للوظائف المختلفة.

2- تصميم أنظمة الحوافز: وتعني منح مقابل عادل للأداء المتميز ويمكن تحفيز العاملين على أدائهم الجماعي فتظهر الحوافز الفردية والحوافز الجماعية وأيضا هناك حوافز على أداء المنظمة ككل. وتمثل الحوافز تلك الوسائل التي توفرها الإدارة لإشباع حاجات الأفراد العاملين. لذلك يمكن القول بان وظيفة إدارة القوي العاملة هي: دراسة حاجات العاملين وتصميم نظم الحوافز الكفيلة بإشباع تلك الحاجات ضمانا لرفع مستوي الكفاءة الإنتاجية.

2- تصميم أنظمة مزايا وخدمات العاملين: تهتم المنظمة بمنح عاملها كمزايا معينة مثل المعاشات والتأمينات الخاصة بالمرض والبطالة كما تهتم المنظمات بتقسيم خدمات للعاملين في شكل خدمات مالية واجتماعية رياضية وقانونية وقد تمتد إلى الإسكان والمواصلات وغيرها.

3- الاتصالات: تهدف الاتصالات إلى تحقيق التفاهم المشترك بين القوي العاملة بالمنظمة وإدارته، وبذلك تساعد على خلق جو من التعاون الاجتماعي الذي يساعد على تحقيق أهداف المنظمة.

وتلعب إدارة القوة العاملة دوراً أساسياً في تنمية وسائل الاتصالات بين الإدارة والعاملين من ناحية، وبين العاملين بعضهم ببعض من ناحية أخرى.

ج - وظائف مشتركة:

1- تحليل العمل: وتعني هذه الوظيفة تكوين قوة عمل قادرة على العمل وراغبة فيه. وكذلك التعرف على الأنشطة والمهام المكونة للوظيفة وتحديد المسؤوليات الملقاة على عاتقها وتصمم الوظيفة بشكل مناسب وتحديد مواصفات من يشغلها.

2- تقييم الأداء: تهتم كل منظمة تقريباً بتقييم أداء موظفيها ويتم ذلك من خلال أساليب معينة وغالباً ما تقوم بتقسيم الرؤساء المباشرين بهدف التعرف على الكفاءة العامة للعاملين وبغرض التعرف على أوجه التطور في الأداء.

3- تخطيط المسار الوظيفي: تهتم هذه الوظيفة بالتخطيط للحركات الوظيفية المختلفة للعاملين في المنظمة وعلى الأخص فيما يخص النقل والترقية والتدريب ويحتاج هذا إلى التعرف على نقاط القوى لدى الفرد ونقاط الضعف لديه.

4- البحوث: إن رسم سياسات القوة العاملة واتخاذ القرارات فيها لا يمكن الحصول عليها إلا بالدراسة والبحث، فوظيفة إدارة القوة العاملة في هذا المجال وظيفة أساسية حتى يمكن إرساء سياسات وقرارات الأفراد على أساس علمي سليم.

5- سياسات الأفراد: إن تحديد العمليات التي تقوم بها إدارة القوة العاملة ليس كافياً لتمكين تلك الإدارة من الوفاء بالتزاماتها. بل يجب أيضاً تحديد الظروف التي تتم فيها تنفيذ تلك العمليات أي تحديد الشروط الواجب توافرها حتى تستطيع إدارة القوة العاملة تحقيق أهدافها. وسياسات الأفراد هي تعبير عن تلك الشروط الواجب توافرها في أي عملية من عمليات إدارة القوة العاملة. والسياسة هي تعبير عن رغبة الإدارة في توجيه نشاط المنظمة في ناحية دون أخرى. وسياسات الأفراد هي تعبير عن رغبة الإدارة فيما يتعلق بتوفير احتياجات المنظمة من الأفراد، اختيارهم وتعيينهم، استخدامهم، صيانتهم، وتعويضهم عن جهودهم لتحقيق أهداف الكفاءة الإنتاجية.

د - الوظائف المساعدة لإدارة الموارد البشرية:

1- العلاقة مع النقابات: وهي وظيفة تهتم بتنظيم العلاقات مع التنظيمات العمالية، النقابات، والتطرق إلى الموضوعات مثل الشكاوي والنزاعات العالمية والفصل من الخدمة.

2- أمن وسلامة العاملين: وهي تهتم بإجراءات الحفاظ على سلامة العاملين والأمن والصحة الاتجاهات النفسية السليمة لهم.

3- ساعات وجداول العمل: وتهتم هذه الوظيفة بتحديد ساعات العمل والراحة والإيجارات وفقا لنظام يناسب طبيعة المنظمة ووضع نظام بتكفل بكفاءة العامل.

4- التأقلم التنظيمي: ويطلق البعض عليه التطبيع الاجتماعي. عرفه اوليفر 1977 بأنه: "العملية التي تتم بموجبها سلسلة خطوات تتضمن استيعاب الموظف الجديد وتقبله القيم وأنماط السلوك والمعرفة الاجتماعية الأساسية لممارسة دوره في المنظمة وللمشاركة كعضو فيها". وعرفه الهيبي وياقو 1990 بأنه: "العملية التي من خلالها يتمكن الفرد من تعلم الأنظمة والقيم والعادات وأنماط السلوك المقبولة حال دخوله منظمة ما أو جماعة ما. ويهدف إلى محاولة تقريب صورة الفرد للمنظمة وصورة المنظمة للفرد".

أما المرسي 2003 فعرفه على أنه "عملية تحقيق التكيف التي تحدث لدى الأفراد عند محاولتهم تعلم قيم وأعراف العمل في المنظمات التي يعملون بها للمرة الأولى".

وعملية التأقلم التنظيمي لا تحدث فقط عند بداية التعيين في المنظمة ولكن في كل مرة ينتقل فيها الموظف من إدارة إلى أخرى أو من قسم لآخر، أي أنها عملية مستمرة.

ويهدف التأقلم التنظيمي إلى: المحافظة على الموارد البشرية من التسرب خارج المنظمة بسبب الإحباط والمشاعر السلبية التي يعيشونها، التعرف على سياسات المنظمة وأهدافها والمزايا التي تقدمها وفرص الترقى وثقافتها السائدة، تخفيف القلق والتوتر والضغط النفسي والعزلة، ضمان الولاء والانتماء للمنظمة، تحقيق التواصل بين المنظمة والموارد البشرية إلى غير ذلك.

خامساً: موقع إدارة الموارد البشرية في الهيكل التنظيمي للمنظمة: إن الهيكل التنظيمي يعني الصرح الرسمي المقرر من قبل إدارة المنظمة بحيث تبين جميع النشاطات والعمليات التنسيقية والمهام المختلفة التي يوكل بها أعضاء المنظمة. ومن هنا فإن كل زيادة في حجم الأعمال والنشاطات التي تتطلبها المشاريع عادة ما يتبعها تعديل في الهيكل التنظيمي، وأحيانا تغيير في تصميمها، فالمالك الوحيد لا يحتاج لهيكل إدارية لأنه باستطاعته أن يقوم لوحده بكافة الأعمال

الإدارية التي تتطلبها نشاطات مشاريعه الصغيرة، سواء إنتاجية أو تسويقية أو مالية، لكن مع زيادة حجم المشاريع وكميات الإنتاج، ويتعذر على صاحب العمل أن يؤدي لوحده الوظائف الإدارية ومنها وظيفة إدارة الأفراد، ومن هنا بدأ التفكير جدياً في تحدي وظهور إدارة جديدة تسمى إدارة الأفراد وتحديد موقعها من الهيكل التنظيمي للمنظمة، كنتيجة لتطور إدارة المنظمات وتعدد أنواع المنظمات وازدياد أحجامها وتعدد مالكيها وانتشارهم في كل مكان، وثم رافق هذا التطور لإدارة الموارد البشرية تطوراً في صلاحياتها وكان من بين غاياتها دعم الإدارات عن طريق تزويدها بالموارد البشرية الفاعلة والقادرة على تحقيق الأهداف المرجوة. بالرغم من تعدد الهياكل في المنظمة فإننا، نجد أن المنظمات المتوسطة والكبيرة الحجم تعتمد إلى تجميع وتقسيم الوظائف ضمن وحدة أو وحدات متخصصة في شؤون الموارد البشرية سواء عن طريق خلق جهاز مركزي لإدارة الأفراد له حق الإشراف الوظيفي على إدارة الفروع أو عن طريق اعتماد لا مركزي له حق التنسيق مع الفروع مع ترك الاستقلالية التامة لنشاطاتها الداخلية. من أكثر التقسيمات الهيكلية المعتمدة وخاصة لدى المنظمات الصناعية والإنتاجية، هو التنظيم الوظيفي على أساس العمليات أو النشاطات ذات الاختصاص الواحد أو الاختصاصات المتشابهة. بحيث أن كل قسم وحده وظائفياً القيام بالنشاطات المسندة إليه.

سادساً: مفهوم نظم معلومات الموارد البشرية: هو أحد النظم الذي يهتم بتوفير كافة المعلومات التاريخية والحالية والمستقبلية، الخاصة بالموارد البشرية، وتقديمها إلى الجهات التي يهملها أمر تلك الموارد سواء كانت هذه الجهات داخلية أو خارجية لمعرفة قيمة الموارد البشرية والتي تعتبر الأصول الأكثر قيمة في المنظمات.

فنظام معلومات الموارد البشرية يساعد في قياس قيمة الموارد البشرية والمساهمة في تخطيط الموارد على مستوى المنظمات من خلال المساهمة في رسم سياسات التوظيف والعمالة وما يرتبط بها من سياسات التعيين والترقيات والحوافز والتدريب أو حتى الاستغناء وبشكل علمي، وباختصار فإن نظام معلومات الأفراد يتعلق بالمعلومات عن العاملين بالمنظمة والاحتياجات المستقبلية (تخطيط القوة العاملة) من العمالة وتوفير البيانات اللازمة للحصول على العمالة، وللإحلال، وللتدريب والمرتبات والأجور للقوى العاملة.

أهمية نظام معلومات الموارد البشرية: تجميع البيانات اللازمة وحفظها وتقديمها للمستخدمين وإمداد المسؤولين بكافة المعلومات المتعلقة بالأفراد، متابعة التغيرات التي تتم في البيئة الداخلية بالمنظمة وتحقيق العدالة بين الأفراد والإسهام في بناء خطة القوى العاملة على مستوى المنظمة، مواكبة التغيرات التي تحدث في البيئة الخارجية والعمل على تحليل هذه التغيرات بما يفيد تشغيل خدمة الموارد البشرية ممن خلال تكامل عناصر النظام المعلومات والاستجابة لمطالب الجهات الخارجية بتوفير المعلومات التي تحتاج إليها بمراعاة عنصر السرية وإتاحة المعلومات للنشر.

معلومات الموارد البشرية هي: التدريب والتنمية والاختيار والتعيين وتخطيط الموارد البشرية وتحليل وتوصيف الوظائف وتخطيط المسار الوظيفي وتقويم الأداء الوظيفي وتخطيط الأمن والسلامة والحوافز والمكافآت.

مرتكزات نظام معلومات الموارد البشرية: وهي:

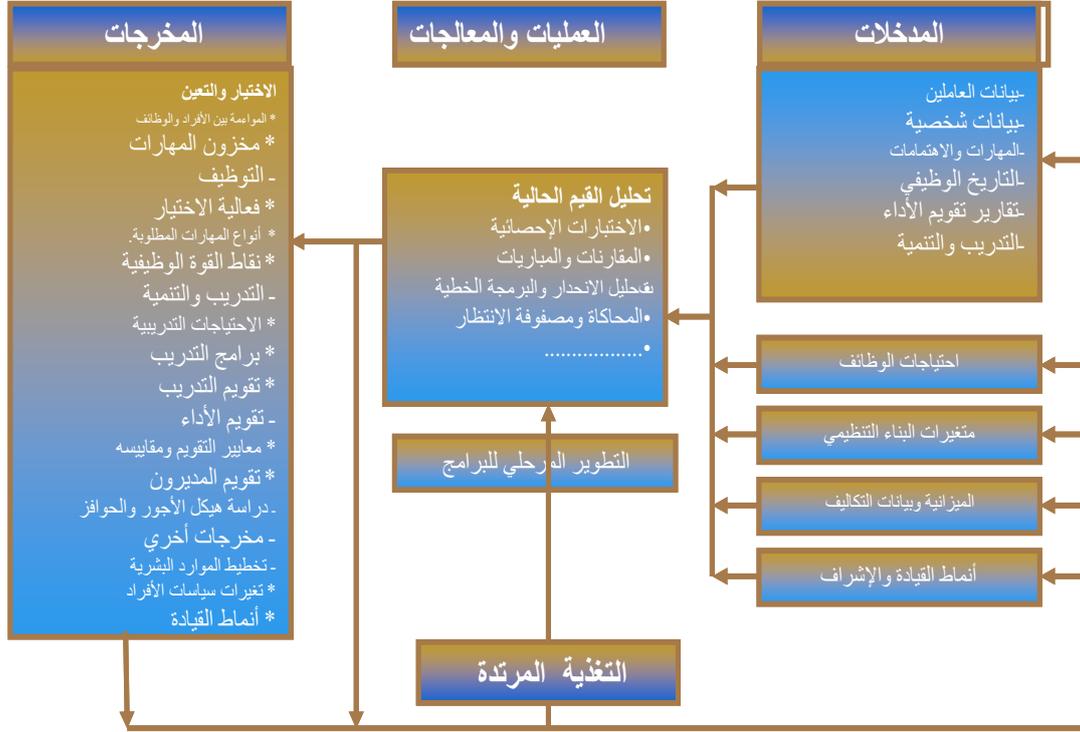
جودة المعلومات، الاسترجاع، إدخال البيانات، قاعدة البيانات، مركز معلومات الموارد البشرية، والشكل التالي يوضح ذلك:



شكل رقم (1) يبين قاعدة البيانات

مكونات نظام المعلومات الموارد البشرية: أما مفهوم النظام من منظور نظم المعلومات فهو مجموعة من المكونات المرتبطة والتي تعمل معا نحو تحقيق هدف واحد عن طريق قبول مدخلات من البيئة وإجراء عمليات تحويلية عليها لتحويلها إلى مخرجات ويعتبر النظام ديناميكيا في حالة قيامه بالوظائف الثلاثة التالية وهي موضحة في الشكل رقم (2):

مكونات نظام معلومات الموارد البشرية (Burack & Smith)



شكل رقم (2) يبين مكونات نظام المعلومات الموارد البشرية

1- المدخلات: ينطوي على تجميع العناصر اللازمة لتشغيل النظام فمثلا لا بد من تجميع رأس المال، المواد الخام، الآلات والمعدات، والأفراد والبيانات قبل أن يتم التشغيل، فمن بين البيانات التي يتم إدخالها في نظام الموارد البشرية هي:

* بيانات عن المنظمة: (البيئة الداخلية للمنظمة - البيئة الخارجية)

* بيانات عن الموظفين: (المؤهلات - تاريخ التعيين - المهارات الدورات التدريبية - الأداء - الصحة الحالة الاجتماعية - الخبرات ... الخ).

* بيانات عن الوظائف: (الإجراءات - المهام - الأهداف).

2- العمليات والمعالجات: ينطوي على عملية تحويل المدخلات إلى مخرجات مثل إجراء عملية حسابية على البيانات المتعلقة بمرتبات العاملين بالمنظمة. أو إجراء عملية التدريب للعاملين

وغيرها. ومن العمليات التي تتم في نظام الموارد البشرية هي: تحليل البيانات وتصنيفها وأنتاج التقارير.

3- المخرجات: تنطوي على نقل المخرجات الناتجة من عملية التحويل إلى مقرها النهائي، مثل توزيع التقارير على المستخدمين، توزيع وتعيين العاملين بالوظائف المناسبة لهم وغيرها، ومن بين المخرجات لنظام معلومات الموارد البشرية هي:

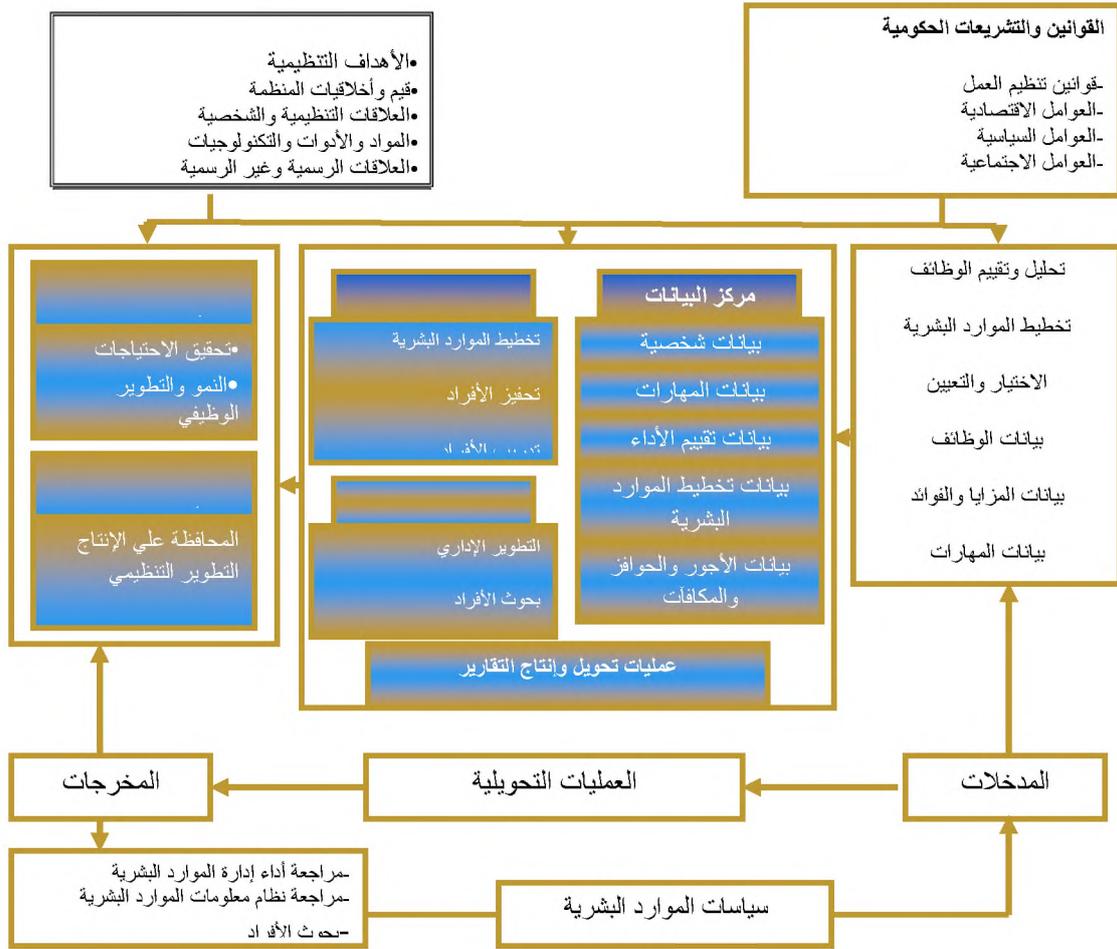
* بيانات شخصية لرفع الإنتاجية وبالتالي تحقيق احتياجات النمو والتطوير الوظيفي.

* بيانات تنظيمية للمحافظة على الإنتاج وبالتالي تحقيق المحافظة على الإنتاج والتطوير التنظيمي.

ويعتبر نظام معلومات الموارد البشرية قادر على تنظيم نفسه إذا تمت إضافة العنصرين التاليين:

* عمليات المراجعة (التغذية العكسية أو المرتدة): وهي تمثل معلومات حول أداء النظام مثل: صدور معلومات حول أداء البرامج التدريبية، الاختيار أو التعيين ليس حسب الشروط المحددة مسبقاً. إعادة مراجعة بيانات المدخلات أو المخرجات على ضوء سياسات الموارد البشرية في المنظمة.

* الرقابة: تنطوي على متابعة وتقييم المعلومات العكسية لتحديد أي انحرافات للنظام عن أهدافه، وكذلك اتخاذ الإجراء اللازم لتعديل مدخلات وعمليات النظام لضمان الوصول إلى مخرجات ملائمة، كأن يقوم مدير المبيعات بإعادة توزيع رجال البيع على المناطق البيعية بعد تقييمه للمعلومة المرتدة. والشكل التالي يوضح ذلك.



شكل رقم (3) يبين مكونات نظام المعلومات الموارد البشرية

تطور أنواع نظم معلومات الموارد البشرية:

1- نظم يدوية:

أ - نظام الملفات: ويمثل مجموعة الأوعية الخاصة بحفظ بيانات الأفراد العاملين بالمنظمة تلك التي تشتمل علي الأوراق الرسمية والمستندات الخاصة بنشاط العاملين.

ب - نظام السجلات: يمثل نماذج معينة بها ملخص لمحتويات الأوراق والمستندات الرسمية الأصلية مما يسهل تصنيفها وتداولها واسترجاعها بالسرعة وبالذقة اللازمة ويعتبر هذا النظام تطوراً مرحلياً لنظام الملفات.

2 - نظم يدوية مع استخدام الآلات: هي مرحلة متطورة بالنسبة لسابقتها، حيث يمكن أن يقوم الأفراد بالاعتماد على بعض الآلات التي تيسر تسجيل البيانات وإجراء عمليات التحليل عليها، بجانب العمليات اليدوية، وتفيد الآلات في إجراء العمليات والأحداث المالية، والكشوف والتقارير المتعلقة بمجموعة سجلات ومستندات الموارد البشرية كالأجور والحوافز مما يسهم في زيادة سرعة تنفيذ الأعمال.

3 - نظم آلية:

أ - نظام المصغرات الفيلمية: تعرف المصغرات الفيلمية بأنها مجموعة الوسائل والأجهزة التي تهدف إلى تحويل الوثائق الورقية إلى صور مصغرة لا يمكن قراءتها في حجمها المصغر بالعين المجردة، ولكن بالإمكان تكبيرها ونسخ صور ورقية منها.

ب- نظام الحاسب الآلي (الكمبيوتر): يقوم الحاسب الآلي بعدة عمليات متكاملة متعاقبة بطريقة آلية طبقاً لنظام معين ووفقاً لبرنامج التشغيل والتعليمات والأوامر المخزنة بذاكرة الحاسب الآلي تلك التي تحدد طريقة المعالجة.

خطوات تطوير نظام معلومات الموارد البشرية:

1- مرحلة التحليل: هذه المرحلة تتعلق بتحديد العدد اللازم من الأفراد للمنظمة كلة، وهذا يمكن تجزئته إلى قسمين:

أ- تحليل عبء العمل: وعملية تحليل عبء العمل تختص بمشاكل تقدير المبيعات، جدولة العمل وتخطيطه، وتحديد احتياجات كل وحدة من السلعة من خدمات العمل. ونتيجة هذا التحليل نقود إلى تحديد العدد اللازم من القوي العاملة لإنتاج كمية عمل محددة.

ب- تحليل قوة العمل: المشكلة لا تنتهي عند بتحليل عبء العمل بل غالباً ما تكون قوة العمل الفعلية المتوفرة لدي المنظمة غير متناسبة مع ذلك الرقم المطلوب وعلى هذا فما زلنا في حاجة إلى نوع من التحليل لقوة العمل الحالية لناخذ في الاعتبار بعض العوامل مثل الغياب، الاستقالات، الإحالة إلى المعاش، وما إلى ذلك من مؤثرات. وبعد هذا فقط يمكننا أن نحدد ما إذا كانت قوة العمل الحالية كافية أو غير كافية أم تزيد عن الحاجة في الفترة القادمة.

باختصار، تتكون مرحلة تحليل نظم الموارد البشرية من الأنشطة الفرعية التالية:

تحليل نظم القوي العاملة، تحليل احتياجات المستفيدين، تحديد نواقص وعيوب النظام الحالي، استكمال مستلزمات تصميم النظام، تعيين القيود التقنية والمادية والتنظيمية، وضع مواصفات عامة للمخرجات والمدخلات، تنظيم وجدولة ونمذجة المخرجات والمدخلات، وضع مواصفات لعمليات القوي العاملة، وضع مواصفات منطقية لقواعد البيانات للقوي العاملة، وصف بنية قواعد البيانات، وصف الإجراءات (الأنشطة الدورية، قواعد العمل، التكرار وغيرها)، رفع تقرير عن مرحلة تحليل نظم معلومات الموارد البشرية وتوثيق المرحلة.

2- مرحلة التصميم: تنقسم عملية التصميم إلى قسمين رئيسيين من الأنشطة:

الأولي التصميم المنطقي: ونقصد بالتصميم المنطقي وضع التصورات والمفاهيم المنطقية لنظام معلومات الموارد البشرية قبل تشكيله وتنفيذه عملياً. أي تجريد النظام منطقياً ورسم صورة نظرية ومنطقية عنه وعن نظمه ومكوناته ووظائف كل نظام فرعي قيل تصميمه وبناءه مادياً، وتتكون مرحلة التصميم المنطقي من الأنشطة التالية: تصميم المخرجات والمدخلات والعمليات وقاعدة البيانات والبرمجيات وأجهزة النظام وتوصيف وتصميم الإجراءات.

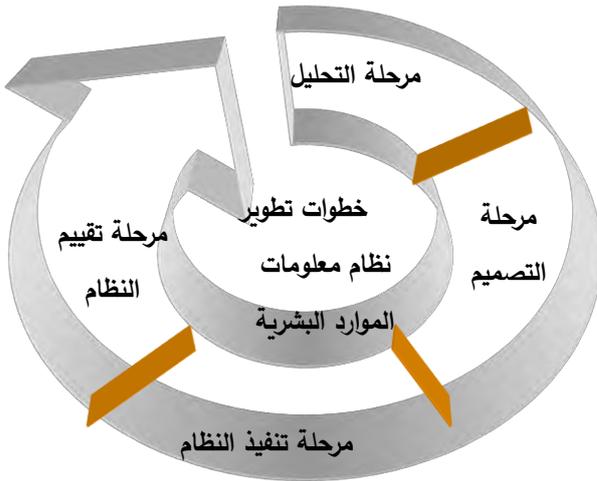
والثانية تخص بالتصميم الطبيعي (المادي): في هذه المرحلة يتم نقل نظام معلومات الموارد البشرية من صورته المنطقية المجزأة إلى شكله المادي من خلال مواصفات تفصيلية لأجهزة الحاسب الآلي، والبرمجيات، منطق المعالجة، طرق ووسائل الإدخال والإخراج والإجراءات اليومية وأنشطة المراقبة. وتعتبر مرحلة التصميم الطبيعي استمرار لعمليات التحليل السابقة وبالأخص مرحلة التصميم المنطقي.

3- مرحلة تنفيذ النظام (التطبيق): تضم مرحلة التطبيق مجموعة من الأنشطة الفرعية المتكاملة التي تبدأ بنشاط وضع خطة التطبيق وتدريب المستفيدين وكادر النظام وكتابة البرمجة، ونصب الأجهزة والمعدات (الحاسب الآلي)، وتحميل البرامج وتشغيل نظام معلومات الموارد البشرية.

فضلا عن ذلك، تتضمن مرحلة التطبيق الأنشطة الخاصة بإعداد الإجراءات التفصيلية وتصميم دليل شامل لها واستكمال إجراءات التغيير الضرورية لعمل نظام المعلومات الجديد.

4- مرحلة تقييم النظام (الاختبار): تصل مرحلة الاختبار بسلسلة متكاملة من الأنشطة الخاصة بفحص وقياس نوعية الأداء العام لنظام معلومات الموارد البشرية الذي يوضع موضع التنفيذ أو التشغيل التجريبي لمعرفة درجة ونوعية استجابة النظام لحاجات ومتطلبات المستفيدين.

ومن الممكن في هذه المرحلة أيضا معرفة قرب أو بعد نظام معلومات الموارد البشرية عن تلبية الاهداف والغايات الجوهرية للمنظمة. وفي حالة عدم وفاء النظام بهذه الغايات والاهداف الحيوية للمنظمة. يتم النظر ثانية بمكونات ومراحل تطوير النظام واعادة دورة الاختبار من جديد للتأكد من تطابق الناتج مع الاحتياجات الأساسية للإدارة والتي انطلق منها فريق تطوير نظم معلومات الموارد البشرية. وتتضمن عملية الاختبار فحص واختبار نظام معلومات الموارد البشرية الجديد في أربعة مستلزمات هي: اختبار المكونات، اختبار الوظيفة، اختبار النظام الفرعي، وأخيراً اختبار النظام ككل.



شكل رقم (4) Data Show يبين خطوات تطوير نظام معلومات الموارد البشرية

مجالات استخدام نظام معلومات الموارد البشرية: إن الوظيفة الأساسية لنظام معلومات الموارد البشرية هو تلبية احتياجات إدارة الموارد البشرية من المعلومات التي تحتاجها حول جميع الأفراد العاملين ولأغراض تخطيط وتنظيم الموارد البشرية في المنظمة. فظلا عن ذلك، يتولي نظام معلومات الموارد البشرية تزويد إدارة النظام بمعلومات شاملة ودقيقة عن وظيفة إدارة وتوجيه الموارد البشرية وتقديم المؤشرات الكمية وغير الكمية وتحليل العلاقات الضرورية لتقييم كفاءة هذه

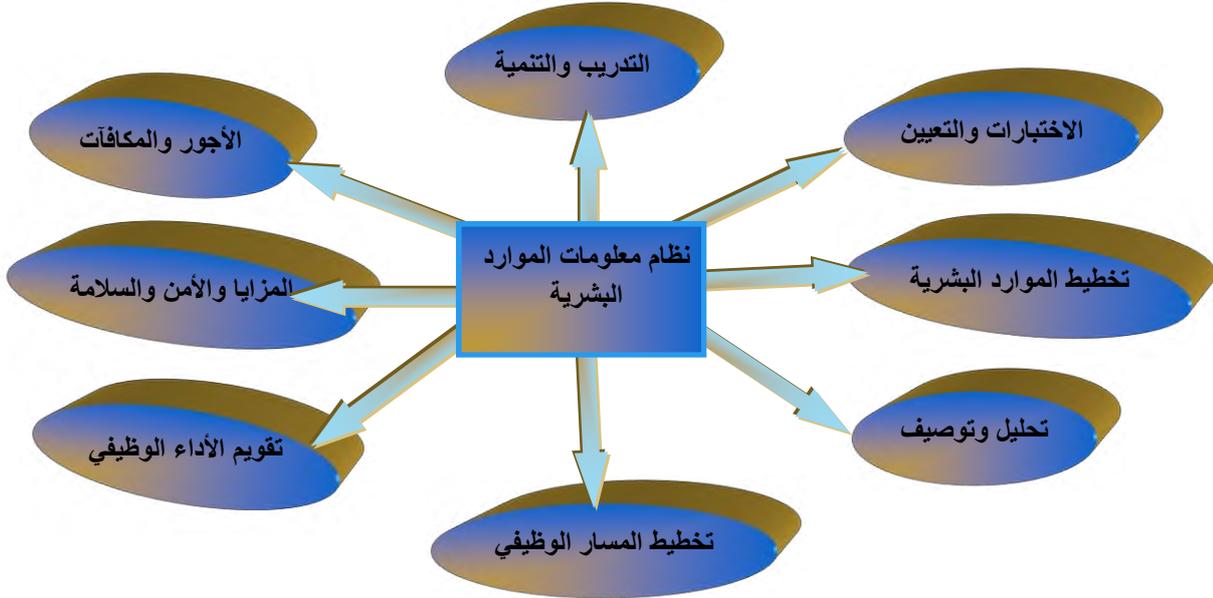
الإدارة. ويتكون نظام معلومات الموارد البشرية من مجموعة من الأنظمة الفرعية مثل النظام الفرعي لمعالجة البيانات، النظام الفرعي لتخطيط القوي العاملة، النظام الفرعي للتدريب، النظام الفرعي للأجور والحوافز، النظام الفرعي لاختيار وتعيين الأفراد العاملين والنظام الفرعي للبحوث والتطوير.

ويقوم نظام معلومات الموارد البشرية ومن خلال نظمه الفرعية الوظيفية بتجهيز المستفيدين بالمعلومات التخطيطية والتاريخية حول الموارد البشرية واحتياجات المنظمة منها حاضراً ومستقبلاً. ومن أهم مخرجات نظام معلومات الموارد البشرية هي كالتالي:

- 1- معلومات حول تخطيط القوي العاملة.
- 2- معلومات حول اختيار واستقطاب العاملين.
- 3- معلومات خاصة بتصميم وتحليل وتوصيف وتقييم الوظائف.
- 4- معلومات عن البرامج التدريبية ومؤشرات النجاح والفشل.
- 5- معلومات تقييمه لأداء العاملين.
- 6- خلاصة البحوث الميدانية المعدة لتطوير الموارد البشرية.
- 7- معلومات حول نظم الأجور، المكافآت، والحوافز.

لذلك من الممكن القول إن المعلومات التي يقدمها نظام معلومات الموارد البشرية وما تتضمنه من تقارير، وثائق، ملخصات، أو معلومات مباشرة على الخط المفتوح تعتبر على درجة بالغة من الأهمية لنظام المعلومات وللإدارات وذلك لصلتها المباشرة بواقع ومتطلبات تحسين وتطوير كفاءة وفعالية الأفراد والوصول إلى أعلى مستوى من الاستثمار الأمثل للموارد البشرية في المنظمة.

مجالات استخدام نظم معلومات الموارد البشرية



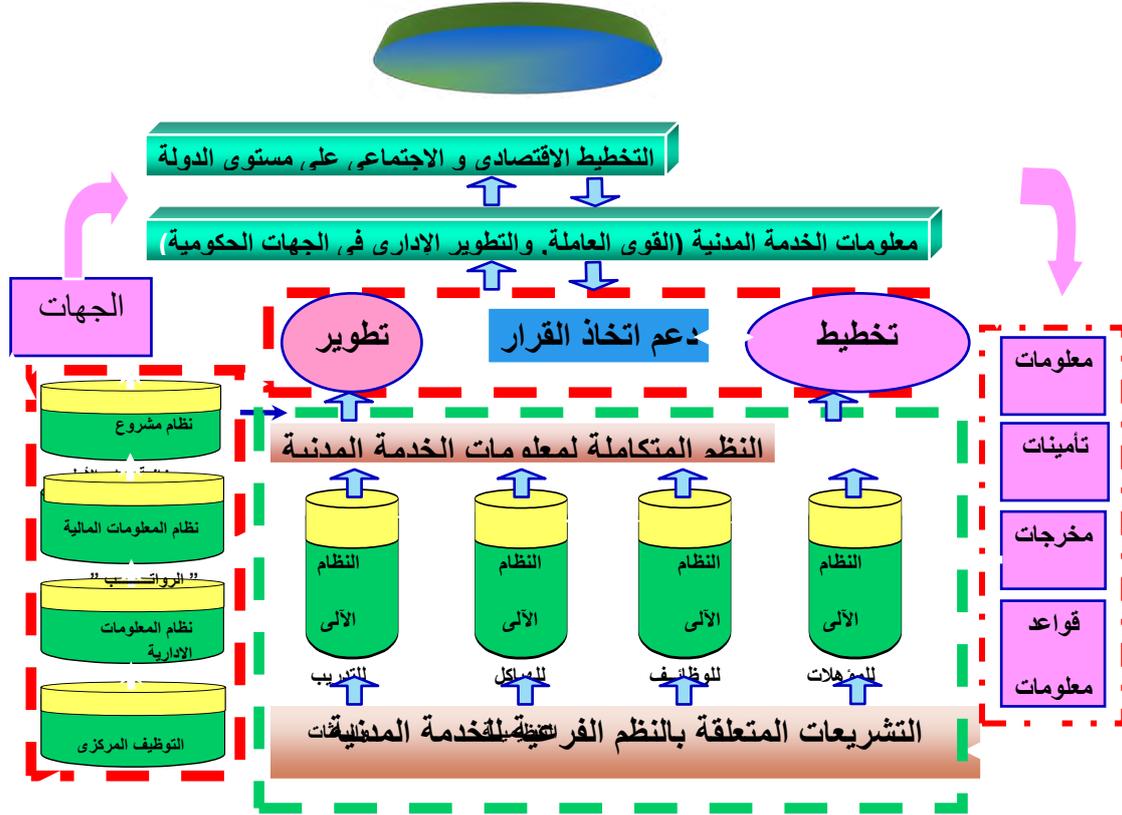
شكل رقم (5) Data Show يبين مجالات استخدام نظام معلومات الموارد البشرية

التخطيط الاقتصادي والاجتماعي على مستوى الدولة: يمكن القول بصفة عامة بان الوظيفة الأساسية لإدارة المنظمة هو اتخاذ العديد من القرارات فيما يواجهها من مشاكل والنتيجة المباشرة للتنظيم الاقتصادي العام علي العمل الإداري، وإدارة الموارد البشرية هي جزء منه، هو تحديد المجالات التي يمارس فيها المدير سلطاته في اتخاذ القرارات إذ أصبح العمل في الوحدات الإنتاجية والصناعية الأخرى من خلال الخطة الشاملة للاقتصاد القومي.

يمثل التنظيم الاجتماعي في نمط العلاقات الاجتماعية القائمة وأساليب التفكير والعادات والتقاليد المختلفة. وتؤثر تلك النواحي الاجتماعية على إدارة الموارد البشرية من حيث أنها تشكل طرق تفكير الناس ووجهات نظرهم التي ينبغي عليها أن تأخذها في الاعتبار عند اتخاذ أي قرار.

ويمثل كذلك التنظيم السياسي للمجتمع احد العوامل التي تؤثر على اتجاهات العمل في إدارة الموارد البشرية. إذ ترتبط الإدارة بأهداف المجتمع السياسية وتلتزم بالمشاركة في العمل السياسي.

والخلاصة: يوجد هناك مجموعة من العوامل الخارجية التي تحد من قدرة إدارة الموارد البشرية في رفع كفاءة الإنتاج أهمها التشريعات والقوانين، والتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. ومثال عام عن التخطيط العام للقوي العاملة بدولة معينة نوضحه في الشكل رقم (6).



شكل رقم (6) Data Show يبين التخطيط الاقتصادي والاجتماعي على مستوى الدولة

متطلبات نجاح نظم معلومات الموارد البشرية:

- 1- تحديد أهداف وغايات الإدارة بشكل واضح التي يسعى النظام إلى تحقيقها.
- 2- رفع درجة الوعي بأهمية نظم المعلومات في عملية اتخاذ القرارات والتخطيط والرقابة وغيرها.
- 3- سرعة تعميم النظام الآلي لمعلومات الموارد البشرية بدلاً من النظام اليدوي لمعالجة البيانات.
- 4- العمل على التنسيق بين الإدارات الأخرى وإدارة الموارد البشرية لتزويدها بالمعلومات و البيانات الدقيقة.

- 5- تأسيس نظم معلومات موارد بشرية وإدارية خاصة بكل منظمة.
- 6- تحسين أوضاع المختصين في مجال المعلومات عن طريق وضع نظم خاصة بالأجر و الحافز ارتباطاً بطبيعة التخصص وأهمية ومجال عملهم.
- 7- تطوير النماذج والتقارير المتعلقة بمشكلات الموارد البشرية لتصبح صالحة للاستخدام الآلي عند تعميم استخدام النظام الآلي لمعلومات الموارد البشرية.
- النتائج:** يمكن استخلاص عدد من النتائج التي تستطيع المنظمة تحقيقها من تطبيق الإدارة والتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية ومنها:
- 1- استخدام الخطط الاستراتيجية كمرشد ودليل للمنظمة لتحديد التغيرات الهامة والتكيف معها بفعالية، وخلق منظمة قادرة على التحكم والتكيف مع المتطلبات الحالية والمستقبلية.
 - 2- زيادة قدرة المنظمة لتحديد أهدافها المتعددة والاعتراف بنقاط الضعف والقوة والفرص والتهديدات في المنظمة وتحديد البرامج التنفيذية للتعامل معها.
 - 3- التنبؤ باحتياجات المنظمة من الموارد البشرية كماً ونوعاً وتنميتها بصورة تتفق مع تحقيق أهدافها الاستراتيجية.
 - 4- زيادة الانساق والتوافق بين خطط الموارد البشرية والعمليات التنفيذية.
 - 5- خلق وسيلة للربط بين السياسات وأنظمة الموارد البشرية متضمنة سياسات التدريب وتنمية الأفراد باستراتيجية العمل ككل.
 - 6- زيادة فعالية استخدام الموارد البشرية وتحسين إنتاجيتها وخفض معدل الحوادث، ومعدل دوران ومعدلات الغياب.

التوصيات: وفي ضوء معطيات هذه الدراسة يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

- 1- ضرورة وجود دراسات أخرى متخصصة في موضوع إدارة الموارد البشرية ونظم معلومات الموارد البشرية.
- 2- يوصى بان يتم تأسيس مراكز للخبراء في مجال نظم معلومات الموارد البشرية في المجتمعات النامية تتشكل من مجموعة من الفرق بتخصصات مختلفة وتمنح استقلالاً من

النواحي المالية والإدارية وما التركيز على عمل الفرق إلا لأنها خير من يعالج الآثار الضارة لسوء فهم وتطبيق نظم معلومات الموارد البشرية.

3- إجراء هيكلية كاملة للهيكل الإداري لمختلف المنظمات والدوائر والمؤسسات وتطوير هيكلها واستراتيجياتها بما يتلاءم مع التطورات الحديثة في نظم معلومات البشرية وتقنية المعلومات.

4- تشجيع القطاع الخاص ليشترك مع القطاع العام في استخدام وتطبيق منظومات نظم معلومات الموارد البشرية.

5- تسهيل تدفق المعلومات بين مختلف الأجهزة الإدارية واستخدام تكنولوجيا الاتصال بمختلف أشكالها.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم تبين بان إدارة الموارد البشرية تعتبر بمثابة القلب النابض للإدارة الحديثة وذلك لأنها تضطلع بوظائف ومهام تعزز مكانتها في الهيكل التنظيمي للمنظمة وتجعلها وسيلة من وسائل البقاء والديمومة والاستمرار في النشاط والنجاح.

قائمة المراجع

- 1- السلمي، علي. (1985)، *إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية*، ط3، مصر ، مكتبة غريب .
- 2- السلمي، علي. (1970)، *إدارة الأفراد لرفع الكفاءة الإنتاجية*، مصر ، دار المعارف .
- 3- الشاوش، مصطفى نجيب(2003)، *إدارة الموارد البشرية*، عمان - الأردن.
- 4- بلوط، حسن إبراهيم. (2002)، *إدارة الموارد البشرية من منظور إستراتيجي*، بيروت - لبنان، منشورات دار النهضة العربية، ،
- 5- حسن، عادل. (1984)، *إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية*، بيروت - لبنان، الدار الجامعية للطباعة والنشر.
- 6- عبد الباقي، صلاح الدين. (1999)، *إدارة الموارد البشرية*، الإسكندرية - مصر، الدار الجامعية.
- 7- عدون، ناصر. (2007)، *اقتصاد المؤسسة*، الطبعة الثانية، الجزائر العاصمة، دار المحمدية.

- 8- كامل، مصطفى. (2000)، إدارة الموارد البشرية، مصر، مطبعة مركز التعليم المفتوح .
- 9- ماهر، أحمد. (2004)، إدارة الموارد البشرية، الإسكندرية، مصر، الدار الجامعية.
- 10- ياسين، سعد غالب. (2000)، تحليل وتصميم نظم المعلومات، الأردن: دار المناهل للنشر والتوزيع.

طبيعة العلاقة بين المعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة

دوران النقود في ليبيا خلال الفترة 2000-2020

د. آمال احمد ابو عبودة*

قسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة طرابلس، طرابلس.

المستخلص:

تهدف الدراسة الى توضيح العلاقة بين المعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود في الاقتصاد الليبي واثرتها على النمو الاقتصادي في ليبيا خلال الفترة 2000-2020 من خلال تحليل المعروض النقدي ومكوناته والتعرف على الدور الهام الذي يلعبه المعروض النقدي من خلال تحليل بعض المؤشرات الاقتصادية، وقد تم الاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي من خلال عرض الاطار النظري لسرعة المعروض النقدي والتركيز على دوران النقود والتطرق الى مفهومها وطرق قياسها والنظريات الاقتصادية المفسرة لها، كما اعتمدت الدراسة أيضا على الاسلوب القياسي باستخدام طريقة المربعات الصغرى العادية وذلك من خلال البرنامج الاحصائي (Eviews9)، وتقدير معادلة الاتجاه العام بين عنصر الزمن (T) كمتغير مستقل، وكلاً من المتغيرات التابعة وهي المعروض النقدي والقاعدة النقدية، وسرعة دوران النقود، وخلصت الدراسة الى أهم النتائج التي اظهرت وجود علاقة طويلة الاجل بين عامل الزمن كتغير تابع لكل الدوال المستخدمة للمتغيرات المعتمدة في الدراسة.

الكلمات الرئيسية: الاقتصاد الليبي - النمو الاقتصادي - المعروض النقدي - القاعدة النقدية - سرعة دوران النقود.

Abstract:

The study aims to clarify the relationship between the money supply, the monetary base, and the speed of money circulation in the Libyan economy and their impact on economic growth in Libya during the period 2000-2020 by analyzing the money supply and its components and identifying the important role that the money supply plays through analyzing some economic indicators. The descriptive analytical approach was relied upon by presenting The theoretical framework for the velocity of the money supply, focusing on the circulation of money, and addressing its concept, methods of measuring it, and the economic theories that explain it. The study also relied on the standard method using the ordinary least squares method through the statistical program (Eviews9 The study aims to clarify the importance of the money supply in influencing economic growth in Libya during the period 2000-2020 by analyzing the money supply and its components and identifying the important role that the money supply plays by analyzing some economic indicators. The descriptive analytical approach was relied upon by presenting The theoretical framework for the velocity of the money supply, focusing on the circulation of money, and addressing its concept, methods of measuring

it, and the economic theories that explain it. The study also relied on the standard method using the ordinary least squares method through the statistical program (Eviews9), estimating the general trend equation between the time element (T) as an independent variable, and each of the dependent variables, which are the money supply, the monetary base, and the speed of money circulation. The study concluded with the most important results that showed the existence of a long-term relationship between the time factor as a dependent variable for all the functions used for the variables adopted in the study.

مقدمة:

يلعب المعروض النقدي دوراً هاماً ورئيساً في تحقيق الاستقرار النقدي نتيجة العلاقة القوية التي تربطه بكافة المتغيرات الاقتصادية، لذا يتم تسليط الضوء في هذه الدراسة على تحليل تطور المعروض النقدي في ليبيا والتعرف على أهم خصائصه وذلك في إطار دراسة وتحليل كل من القاعد النقدية والمضاعف النقدي وسرعة دوران النقود وكذلك على أهم المتغيرات الاقتصادية لما لها من أثر فعال على زيادة الاستقرار الاقتصادي انعكاساته الإيجابية، وعليه فإن الدراسة تناولت بالشرح والتحلي عرض مفاهيمي للمعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود والتطور الحاصل في الاقتصاد الليبي وكذلك تقدير دالة الاتجاه العام للمعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود.

مشكلة الدراسة:

لقد استخدمت ليبيا خلال الفترة 2000-2020 مختلف أدوات السياسات الاقتصادية بما فيه السياسة النقدية والتي استهدفت في مجملها تحقيق زيادة معدل النمو الاقتصادي، ومن هنا تنطلق مشكلة الدراسة من خلال التساؤل الرئيسي: هل هناك تأثير للمعروض النقدي على تحقيق الاستقرار الاقتصادي في ليبيا؟، ويشتق عن التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية من المفترض أن يتم الإجابة عليها خلال هذه الدراسة، ومن هذه التساؤلات:

- هل أن المعروض النقدي بجميع مكوناته له الأثر الكبير على النمو الاقتصادي ؟
- هل التغيرات الحاصلة في القاعدة النقدية والمضاعف النقدي وسرعة تداول النقود في الاقتصاد الليبي تتم وفق معايير وضوابط معينة أم تتم بشكل عشوائي؟.
- ما هي العلاقة بين عامل الزمن والمعروض النقدي والقاعد النقدية وسرعة دوران النقود؟.

فرضية الدراسة:

للوصول إلى النتائج المرجوة تسعى الدراسة إلى التحقق من صحة الفرضية الآتية: تراجع المعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود في ليبيا بسبب عدة عوامل ومن أهمها ضعف الوعي المصرفي لدى الأفراد.

أهمية الدراسة:

وتكمن الأهمية الدراسة توضيح بعض المفاهيم العامة والمهمة في اقتصاديات النقود والمصارف والتي غير واضحة بل لا زال يبحث فيها الكثير من الاقتصاديين، مثل المعروض النقدي والقاعدة النقدية والمضاعف النقدي وسرعة دوران النقود. كما تسعى هذه الدراسة توضيح أثر زيادة المعروض النقدي ومكوناته على الاستقرار الاقتصادي في ليبيا.

اهداف الدراسة:

- التعرف على الإطار النظري من خلال أدبيات المتعلقة المعروض النقدي والقاعدة النقدية ومعدل دوران النقود من جهة وبقية المتغيرات الاقتصادية ذات العلاقة.
- تحليل بعض المؤشرات النقدية من خلال دراسة المعروض النقدي والمضاعف النقدي في ليبيا.
- دراسة العلاقة بين المعروض النقدي ومكوناته وبعض المؤشرات الاقتصادية الأخرى ذات العلاقة وخاصة متغير عامل الزمن في ليبيا.
- الخروج بتوصيات قد تسهم في علاج الاختلالات الهيكلية في بنية الاقتصاد الليبي.
- إثراء المكتبة العربية بصفة عامة والمكتبة الليبية بصفة خاصة بدراسة حول مدى فعالية المعروض النقدي في الاستقرار الاقتصادي في ليبيا.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي باعتباره مناسباً لاستعراض ودراسة المعروض النقدي والاتجاهات النقدية في ليبيا، بالإضافة إلى أهم التقارير الدولية والمحلية لتقييم دور وآلية السياسة النقدية في الاقتصاد الليبي. كما تم استخدام الأساليب الإحصائية والقياسية المناسبة لدراسة العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية الكلية من خلال نموذج قياسي.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات عديدة لموضوع السياسة النقدية والمعروض النقدي من عدة زوايا، فقد تناول البعض منها دراسة متغير من متغيرات كظاهرة مستقلة، في حين تناولت دراسات أخرى بالبحث في العلاقة بين متغيرين من متغيرات الدراسة، كما تناول البعض الآخر العلاقة بين المتغيرات مجتمعة، وفيما يلي إيجاز لما توصلت إليه هذه الدراسات:

1- دراسة صابر، (1982)، تناولت هذه الدراسة العوامل المحددة للتغير في المضاعف النقدي: دراسة خاصة عن ليبيا للفترة 1962-1982، وقد خلصت الدراسة الى:

- أن ثلث التغير في المعروض النقدي ناتج من التغير في المضاعف النقدي والتلثين الآخرين ناتج عن التغير في القاعدة النقدية.

- أن أثر الافراد على المضاعف النقدي أكبر من أثر المصارف التجارية.
- ليس هناك أثر فعال للإجراءات المتخذة من قبل السلطات النقدية على سلوك المصارف التجارية والافراد.
- التنسيق بين السياسة المالية والنقدية مع ضرورة استقلالية المصرف المركزي كسلطة نقدية بعيداً عن سيطرة الخزانة.
- 2- دراسة شنيش، (2008)، تناولت هذه الدراسة أثر السياسة النقدية على النشاط الاقتصادي في ليبيا، وخلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:
 - إن السياسة النقدية المطبقة في خلال الفترة 1984-1993 كانت سياسة نقدية توسعية أدت إلى زيادة معدل التضخم.
 - لجو ليبيا إلى الاقتراض المحلي، وعدم تأثر النمو الاقتصادي بسعر الفائدة.
 - عزوف الافراد على طلب القروض من المصارف وما يترتب عليه من فوائد مصرفية رغم محدودية أثر الفائدة والسبب في ذلك النواحي الدينية والاجتماعية.
- 3- دراسة وليد، (2014)، تناولت هذه الدراسة أثر السياسة النقدية على النمو الاقتصادي وهي دراسة تطبيقية علي دولة الجزائر باستخدام المنهج الكمي باستخدام الأساليب القياسية الحديثة والسلاسل الزمنية، وخلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:
 - من خلال استخدام اختبار التكامل المشترك توجد علاقة توازنه طويلة الأجل بين مؤشرات السياسة النقدية والناج المحلي الإجمالي.
 - هناك علاقة سببية بين M_1 و M_2 والناج المحلي الإجمالي.
 - تطور المعروض النقدي بشكل مطرد مما يشير الى زيادة معدلات التضخم.
- 4- دراسة نعيم، واخرون، (2014)، تناولت هذه الدراسة تحليل العلاقة بين التضخم والمعروض النقدي في الاقتصاد السوري خلال الفترة 1996-2010. ومن خلال الدراسة القياسية تبين عدم وجود علاقة سببية متجهه من المعروض النقدي إلى الرقم القياسي لأسعار المستهلكين، وقد استخدمت الدراسة النموذج القياسي باستخدام اختبار التكامل المشترك، وخلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:
 - زيادة كمية النقود بنسب أكبر من الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي مما نتج عنه فائض الطلب الذي يؤدي لزيادة الأسعار.
 - وجود علاقة بين المعروض النقدي وبين الرقم القياسي لأسعار المستهلكين في الاقتصاد السوري.

• عدم وجود علاقة بين المتغيرين موضوع الدراسة مما يثبت عدم وجود توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات.

تبين أن معظم الدراسات السابقة المشار إليها أثبتت صحة فرضياتها التي استندت عليها وذلك عن طريق التحليل الوصفي والقياسي قد توصلت إلي العديد من النتائج ومن أهمها الدور الايجابي الذي يلعبه المعروض النقدي في تحقيق أهداف السياسات الاقتصادية.

المحور الاول: عرض مفاهيمي للمعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود:

1.1 المعروض النقدي:

1.1.1 مفهوم المعروض النقدي ومكوناته:

يلعب المعروض النقدي بجميع مكوناته دوراً هاماً ورئيساً في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، حيث يعتبر المعروض النقدي من المواضيع الاقتصادية البالغة الأهمية التي حظيت باهتمام الكثيرين من الاقتصاديين، فقد ظهرت النقود في بادئ الامر ليس كما هو بالشكل الحالي، وإنما مرت بمراحل عديدة ومختلفة أدت إلى وجود أشكال وأنواع مختلفة بدأت من النقود السلعية والمعدنية تم النقود الورقية والائتمانية وانتهت بالنقود الإلكترونية، فضلا عن أشباه النقود. ويعرف العرض النقدي على أنه تلك العملات النقدية والمتداولة في الدولة خلال فترة معينة، أو هي الكمية النقدية المتمثلة في جميع وسائل الدفع المتاحة (إلمان، 2003، ص 45)، يتكون المعروض النقدي من الأنواع الآتية:

1.1.1.1 المعروض النقدي بمفهومه الضيق (M1):

يعرف على أنه مجموع وسائل الدفع المتداولة في اقتصادي لدولة ما خلال فترة زمنية معينة، في شكل أرصدة نقدية والتي ينظر إليها على أساس وظيفة النقود الأساسية في كونها أداة للمبادلة مقابل السلع والخدمات، يتكون المعروض النقدي بمفهومه الضيق من النقود المتداولة (السيولة المتداولة) بين الأفراد بالإضافة إلى الودائع تحت الطلب، ويتميز هذا النوع من المعروض النقدي بالسيولة الكبيرة ولكن بعائد مساوٍ للصفر. وبذلك يكون المعروض النقدي بالمفهوم الضيق يساوي صافي العملة بالتداول (النقود + الودائع)، (حداد، هذلول، 2005، ص 89) أي أن:

$$M1 = C + D$$

حيث أن M1 تمثل المعروض النقدي بالمفهوم الضيق، C تمثل صافي العملة المتداولة، D تمثل الودائع الجارية (نقود الودائع).

2.1.1.1 المعروض النقدي بمفهومه الواسع (M2):

يتكون المعروض النقدي بمفهومه الواسع من المعروض النقدي بالمفهوم الضيق مضافاً إليه الودائع الزمنية والادخارية، (البياتي، سمارة، 2013، ص 68) أي أن:

$$M2 = C + D + Td + Sd$$

حيث أن M2 تمثل المعروض النقدي بالمفهوم الواسع، Td تمثل الودائع الزمنية، Sd تمثل ودائع التوفير، أي أن:

$$M2 = M1 + Td + Sd$$

3.1.1.1 المعروض النقدي بمفهومه الأوسع (M3):

يتكون المعروض النقدي بمفهومه الأوسع والمعروض النقدي بمفهومه الواسع مضافاً إليه الودائع الأخرى شبه النقدية، (إلمان، 2003، ص 45) أي أن:

$$M3 = C + D + Sd + S$$

أو:

$$M3 = M2 + S$$

حيث أن S تمثل ودائع شبه نقدية أو بدائل النقود.

2.1 القاعدة النقدية:

القاعدة النقدية وهي النقود ذات القوة العالية من النقود المتداولة، بالإضافة إلى الاحتياطي الإجمالي لدى المصارف التجارية، لذلك يمكن التعبير عن القاعدة النقدية في الأدبيات الاقتصادية بالمعادلة الآتية: (الحميدي، 2018، ص 84)

$$MB = C + R + Q$$

حيث أن MB تمثل القاعد النقدية، C تمثل العملات المتداولة، R تمثل الاحتياطي لدى المصارف التجارية، Q تمثل ودائع المؤسسات العامة.

3.1 المضاعف النقدي

يمثل المضاعف النقدي أو مضاعف النقود احد العوامل المحددة لمستوى المعروض النقدي، وهو العامل الذي تتحول بموجبه القاعدة النقدية إلى نقود، ويتأثر المضاعف النقدي بسلوك الأفراد والمصارف في حيازة النقود، وتمثل نسبة النقود المتداولة إلى الودائع سلوك الأفراد في حيازة النقود، بينما تمثل نسبة احتياطيات المصارف إلى ودائعها سلوك المصارف، ويؤدي أي ارتفاع في هذه النسب إلى خفض قيمة المضاعف النقدي، وذلك بخفض عملية إيجاد الائتمان المتعدد لدى

المصارف، في حين يؤدي أي انخفاض فيها إلى زيادة المضاعف النقدي بسبب عملية إيجاد الائتمان المتعدد التي تعد عاملاً مهماً ومؤثراً على المعروض النقدي. والمضاعف النقدي هو العامل الذي تتحول بموجبه القاعدة النقدية إلى نقود، وفي حالة إيجاد قيم المضاعف بمعلومة المعروض النقدي بمفهوم الضيق أو الواسع أو الأوسع (الحميدي، 2018، ص 88) وتصاغ المعادلة الآتية:

$$M = m \times MB$$

حيث أن M تمثل المعروض النقدي، m تمثل المضاعف النقدي:
أي أن m هي:

$$m = M / MB$$

4.1 سرعة دوران النقود:

1.4.1 مفهوم سرعة دوران النقود:

تعتبر سرعة دوران النقود عن عدد المرات التي تنتقل بها وحدة النقود من يد إلى يد أخرى مقابل تسوية معاملات نقدية خلال فترة زمنية معينة، كما أنها تعبر عن العلاقة بين الناتج المحلي الإجمالي أو الناتج القومي الإجمالي مع المكون النقدي، وتعد سرعة دوران النقود نظيراً للطلب على الارصدة النقدية الحقيقية التي تؤثر على المستوى العام للأسعار والناتج المحلي الإجمالي من خلال الطلب الكلي، ويتضح من ذلك ان هناك علاقة وطيدة بين سرعة دوران النقود والطلب النقدي. (الجنابي، ارسلان، 2009، ص 77) كما تعرف ايضاً بأنها متوسط عدد المرات التي تنفق فيها الوحدة النقدية الواحدة لإنجاز المدفوعات النقدية خلال فترة زمنية معينة. (الدليمي، اسماعيل، 1989، ص 85)، ويحسب معدل دوران النقود عن طريق قسمة الناتج المحلي الإجمالي على المعروض النقدي الموجودة سواء بمفهومها الضيق ($M1$) أو الواسع ($M2$) أو الأوسع ($M3$) أو $M1$ والفرق في استخدام من هذه المفاهيم هو قسمة الناتج المحلي الإجمالي على واحد منهما والاختلاف هو إذا قسم الناتج المحلي الإجمالي على $M1$ نحصل على معدل دوران أكبر مما لو قسم الناتج على $M3$ ، وفي جميع الاحوال فإن سرعة دوران النقود هي حاصل قسمة الناتج المحلي الإجمالي على المعروض النقدي، ويمكن التعبير عليها في المعادلة الآتية::

$$M / V = GDP$$

حيث أن V تمثل سرعة دوران النقود، GDP تمثل الناتج المحلي الإجمالي.

2.4.1 طرق قياس سرعة دوران النقود:

يمكن قياس سرعة دوران بعبارة طرق إلا أن هناك طريقتين أكثر استخداماً وهما سرعة دوران المعاملات وتشير لسرعة دوران النقود لأغراض المعاملات إلى عدد المرات التي تتداول بها الوحدة النقدية مقابل السلع والموجودات المالية، وتقاس على أساس حاصل قسمة المبالغ المدينة على متوسط الأرصدة في حسابات الودائع تحت الطلب. أما الثانية فهي سرعة دوران الدخل والتي تشير إلى عدد المرات التي تتداول بها الوحدة النقدية الواحدة بوصفها دخلاً لغرض تحويل الناتج النهائي خلال فترة زمنية محددة، وتقاس بحاصل قسمة القيمة الجارية للناتج المحلي الإجمالي من السلع والخدمات على كمية النقود. (المعجل، 2004، ص 18) إن سرعة دوران المعاملات هي أكبر من سرعة دوران الدخل وغالباً ما تشتمل على قدر كبير من الازدواجية، لأنها تتضمن السلع الوسيطة والإنتاجية النهائية والموجودات المالية، (الجنابي وارسلان، 2009، ص 84) لذلك يمكن اعتباره مؤشراً تقريباً في الاقتصاد للمعاملات النقدية الكلية كما يمكن اعتباره مقياساً ملائماً لمدى كفاءة استخدام النقود في تسوية الالتزامات المالية.

وعلى الرغم من سهولة هذا المقياس إلا أن هناك جدل كبير بين الباحثين حول المفاهيم المختلفة للدخل (الناتج القومي الإجمالي أو الناتج المحلي الإجمالي) وكذلك حول المفهوم الملائم للنقود فهناك من يرى أن المعروض النقدي بمفهومه الضيق هو الأفضل ومنهم من يرى أن المعروض النقدي بمفهومه الأوسع هو الأحسن، ولهذا فإن سرعة دوران النقود تعبر عن الكلي على السلع والخدمات، لأن حجم الانفاق يتغير إما بتغير المعروض النقدي أو سرعة الدوران النقود. (المعجل، 2004، ص 19)

3.4.1 النظريات المفسرة لسرعة دوران النقود:**1.3.4.1 النظرية الكلاسيكية:**

هناك العديد من النظرية تفسر سرعة دوران النقود ولكل نظرية لها وجهة نظر في طريقة حساباتها، حيث قدم كل من جون باتست ساي، وديفيد ريكاردو تحليلاً مبسطاً لدور وتأثير النقود في الاقتصاد، وهو ما يعتبر قاعدة انطلاق الفكر الكلاسيكي لصياغة دالة الطلب النقدي ومعادلة الكمية. فقد أشار ساي أن النقود ما هي إلا وسيط للتبادل تعبر عن قيمة المنتج ولا تؤثر أو تغير

في شيء، أما ريكاردو فكان فقد توصل إلي نتيجة هامة مؤداها أن كل زيادة في المعروض النقدي المتداول تؤدي إلي زيادة في المستوى العام للأسعار .

لقد أختبر فيشر العلاقة بين المعروض النقدي (الكمية الإجمالية للنقود)، والقيمة الكلية للإنفاق على السلع والخدمات المنتجة في الاقتصاد، (التلبناني، 2022، ص 28-70) وصاغ المعادلة الآتية:

$$V = (P \cdot T) / M$$

حيث أن T تمثل كمية السلع والخدمات، P تمثل المستوى العام للأسعار، $(P \cdot T)$ ، تمثل تعادل الإنفاق الكلي المحلي أو الدخل المحلي أو الناتج المحلي الإجمالي. وتوصل فيشر إلى العلاقة التي تربط بين المعروض النقدي (M) والناتج المحلي الإجمالي أو الإنفاق الكلي $(P \cdot T)$ وأطلق عليها سرعة دوران النقود، ويمكن التعبير عليها رياضياً بالمعادلة الآتية:

$$(M \cdot V) = (P \cdot T)$$

يمثل الجانب الأيسر من المعادلة المعروض النقدي $(M \cdot V)$ ويمثل الجانب الأيمن قيمة ثابتة $(P \cdot T)$ ، ومن ثم فإن أي تغيير في M يجب أن يتزامن مع تغيير في عكس الاتجاه في V ، وبالتالي فإن العلاقة بين سرعة دوران النقود وكمية النقود علاقة عكسية. واستثناء فيشر الفترات الانتقالية لأن سرعة دوران النقود مستقلة عن كمية النقود، وأن زيادة كمية النقود لا تؤثر على الإنفاق الكلي بل أن القوة المؤثرة على الناتج هي زيادة عناصر الإنتاج أو التقدم الفني والتقني وليس على كمية النقود.

لقد اختلفت نظرية الأرصد النقدية مع نظرية فيشر في تفسير حالة التوازن الاقتصادي إذ ركزت نظرية فيشر في تحليلها على المعروض النقدي، في حين ركزت نظرية الأرصد النقدية في تحليلها على الطلب النقدي، إذ أشارت بوضوح إلى قيمة النقود التي تتحدد بالمعروض النقدي والطلب النقدي ويتم تحديد المستوى العام للأسعار عن طريق تساوي المعروض النقدي مع الطلب النقدي وهو الكمية التي يرغب الأفراد الاحتفاظ بها في أي وقت، وأي تغيير يحصل في المستوى العام للأسعار، وبالتالي فإن قيمة النقود تعود مرة أخرى إلى التغيير في المعروض النقدي أو الطلب النقدي أو كليهما. (التلبناني، 2022، ص 28-70) وفيما يلي معادلة الطلب النقدي:

$$M_d = K \cdot P \cdot GDP$$

حيث أن M_d تمثل الطلب النقدي، K تمثل نسبة ما يحتفظ به الافراد من السيولة النقدية، P تمثل المستوى العام للأسعار، GDP تمثل الناتج المحلي الاجمالي وعندما يتساوى المعروض النقدي (M) الذي تحدده السلطات النقدية مع الطلب النقدي في حالة توازن سوق النقد، أي أن:

$$M = M_d$$

ويعبر الطلب النقدي (M_d) عن نسبة ما يحتفظ به الأفراد (K) مضروبة في قيمة الناتج المحلي الاجمالي، ويمكن حساب قيمة K في المعادلة السابقة وفق المعادلة الآتية:

$$GDP \cdot K = M_d / P$$

ومن معادلة الكمية، فإن سرعة دوران النقود (V) هي:

$$V = P \cdot GDP / M_d$$

وبما أن M_d تمثل M ، أي الطلب النقدي يساوي المعروض النقدي فإن معادلة سرعة دوران النقود هي:

$$V = P \cdot GDP / M$$

2.3.4.1 نظرية كينز:

يري كينز أن تجميع الطلبات الثلاثة علي النقود (دافع المعاملات، والاحتياط، والمضاربة) يمكن تمثيلهم في دالة تفضيل السيولة أو ما يسمى الطلب على الأرصد النقدية الحقيقية، وهي دالة تفضيل السيولة، ويمكن صياغة دالة تفضيل السيولة كما يلي: (التلبناني، 2022، ص 28-70)

$$M_d/P = f(r, GDP)$$

حيث أن M_d/P تمثل تفضيل السيولة، r تمثل سعر الفائدة، لأن M_d تمثل الطلب النقدي وهي دالة في الدخل الحقيقي GDP .

في المعادلة السابقة تكون العلاقة بين دالة تفضيل السيولة (الطلب على الأرصد النقدية الحقيقية) وسعر الفائدة علاقة عكسية، في حين العلاقة بين دالة تفضيل السيولة وبين الدخل

الحقيقي علاقة طردية ويتم اشتقاق سرعة دوران النقود من دالة تفضيل السيولة. عالية فإن مقلوب دالة تفضيل السيولة هو:

$$P/Md = 1 / f(r, GDP)$$

وبما أن:

$$M = Md$$

ويمكن استبدال M في Md: أي مقلوب دالة تفضيل السيولة نحصل على:

$$P/M = 1 / (r, GDP)$$

إن المقدار (r, GDP) هو عبارة عن دالة الطلب النقدي، ويمكن أن يتم التعويض بدلا عنها الطلب النقدي (Md):

$$P/M = 1 / Md$$

وبضرب طرفي المعادلة في GDP:

$$PGDP/M = GDP/Md$$

إن المقدار PGDP/M هو عبارة عن V:

$$V = PGDP/M$$

فإن سرعة دوران النقود هي:

$$V = GDP/Md$$

وبما أن:

$$Md = M$$

فإن:

$$V = GDP / M$$

3.3.4.1 نظرية كامبردج لفريدمان:

جاءت معادلة كامبردج بخلاف ما أشارت إليه معادلة التبادل، وعلى ذلك تصبح دالة

فريدمان للطلب على الأرصدة النقدية الحقيقية هي: (سليمان، 2003، ص 32)

$$Md / P = f\{PGDP - Rb - Rm, Re, (Rm, Enfe, Rm)\}$$

حيث أن Md/P تمثل الطلب على الأرصدة النقدية الحقيقية، PGDP تمثل الدخل الدائم وهو مقياس للثروة، Rb تمثل العائد المتوقع من السندات، Rm تمثل العائد المتوقع من النقود، Re

العائد المتوقع من الأسهم، Enfe تمثل معدل التضخم المتوقع وهو بمثابة ضريبة على الاحتفاظ بالنقود.

وتدل الإشارات في الدالة السابقة أن هناك علاقة طردية بين الطلب على الأرصدة الحقيقية والدخل الدائم، في حين أن هناك علاقة عكسية بين الطلب على الأرصدة الحقيقية ومعدل العائد المتوقع على الأصول الأخرى.

5.1 أهم العوامل المحددة لسرعة دوران النقود:

تتفق جميع النظريات التي تفسر العوامل التي تحدد سرعة دوران النقود هي وأحد وفيما يلي أهم هذه العوامل: (سليمان، 2003، ص 32-36).

1.5.1 الناتج المحلي الإجمالي:

هنا علاقة طردية بين سرعة دوران النقود والدخل الحقيقي ونتيجة لذلك تم استخدام مقياساً بديلاً عن الدخل الدائم أو الثروة بمتوسط دخل الفرد، وهذا ناتج بأن الناتج المحلي الإجمالي يعبر عن الدخل للفترة الحالية وأن سلوك المستهلك يتأثر بالدخل الدائم وليس في الدخل الحالي، وبالتالي فإن أثر النمو السكاني على النمو الاقتصادي بين أن هناك نمو إيجابي حقيقي وليس مجرد نمو ظاهري لو ازداد معدل نمو السكان على معدل نمو الناتج في الاقتصاد المحلي. (مسلم، 2007، ص 29)

2.5.1 المعروض النقدي :

يمكن للمعروض النقدي التأثير على معدل سعر الفائدة مما يؤدي ذلك إلى زيادة حجم المخاطر من جراء الاحتفاظ بالسندات التي ينعكس أثرها على زيادة الطلب النقدي ومن ثم تراجع سرعة دوران النقود.

3.5.1 سعر الفائدة:

إن ارتفاع معدلات الفائدة على الموجودات البديلة للنقود كالودائع الزمنية والسندات الحكومية ستدفع بالأفراد نحو الاقتصاد في ارصدهم النقدية بسبب تكلفة الفرصة المرتفعة للاحتفاظ بالنقود التي لا تدر عائداً مقارنة بعوائد الموجودات غير النقدية التي تؤدي إلى ميل الأفراد إلى تخفيض ارصدهم النقدية بدلاً من تفضيل السيولة ومن ثم سيؤدي ذلك بدوره إلى ارتفاع في سرعة دوران النقود. (المعيجل، 2004، ص 59-67)

4.5.1 سعر الصرف:

تعتبر العلاقة بين تقلبات سعر صرف العملة في الدولة وتكون سرعة دوران النقود علاقة عكسية وخصوصاً في الظروف التي تكون فيها درجة الاحلال بين العملات المختلفة كبيرة، فإن ارتفاع سعر الصرف الحقيقي للعملة يجعل الاحتفاظ بهذه العملة من قبل الأفراد والمؤسسات مرغوباً فيه وهذا سوف يؤدي إلى زيادة الطلب النقدي وانخفاض سرعة دورانها أما إذا أنخفض سعر صرفها فإن هذا سوف يدفع الأفراد والمؤسسات إلى عدم الاحتفاظ بهذه العملة ومحاولة التخلص منها والذي بدوره سيزيد من سرعة دورانها. (العنيزي، 2015، ص 27)

5.5.1 المستوى العام للأسعار ومعدل التضخم :

إن أي تغير في كمية النقود لن تؤدي إلى أي تأثير في المتغيرات الحقيقية، وإنما يؤدي إلى تغيرات نسبية في مستوى الأسعار، وبذلك يؤكد التجاريون على التأثير الممكن للنقود على النشاط الاقتصادي. ثم جاءت المدرسة الكلاسيكية التي أكدت على أن النقود تستخدم كوسيط للتبادل وافترض أنصار هذه المدرسة أن سرعة دوران النقود هي ثابتة على الأقل في المدى القصير، لأنها تتحدد بعوامل بطيئة التغير ومستقلة عن كمية النقود، وهذه العوامل هي درجة كثافة السكان والتقدم التقني وتطور الجهاز المصرفي والأسواق المالية والنقدية، وهذه العوامل كلها لا تتغير في المدى القصير. (القدير، 2002 ص 5).

6.5.1 التوسع في الائتمان المصرفي:

عندما المصرف المركزي يشتري بعض الاصول المالية من السوق النقدية، يحاول أن يخفض من سعر الفائدة الثابت وفي الوقت نفسه يزيد من المعروض النقدي القانونية في سوق النقد والائتمان من شأنه ان يقلل من ثمن اقتراضها، أي أن سعر الفائدة وهو ما يشجع على طلب الائتمان المصرفي وأتساعه. وعلى العكس من ذلك فعندما يقوم المصرف المركزي ببيع بعض هذه الاصول المالية في السوق النقدية، يزيد من عرضها ويقلل بالتالي من ثمن البيع والشراء ويرفع من سعر الفائدة الثابت عليها وفي الوقت نفسه يمتص كميات النقود القانونية الموجودة في سوق الائتمان والنقد أي يقلل من عرضها ويجعل ثمن اقتراضها مرتفعاً. ((شبحه، 1981، ص 250)

المحور الثاني: تطور المعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود في ليبيا:

1.2 تطور المعروض النقدي ومكوناته في ليبيا:**1.1.2 تطور المعروض النقدي بمفهومه الضيق (M1) وبمفهومه الواسع (M2):**

من خلال الجدول رقم (1) والشكل رقم (1) والشكل رقم (2) يلاحظ أن هناك زيادة ملحوظة خلال فترة الدراسة، حيث زاد M1 من 7433.0 مليون دينار سنة 2000 إلى 122950 مليون دينار سنة 2020، وهذا راجع لنمو نقود الودائع تحت الطلب التي تراوحت ما بين 4733.8 مليون دينار سنة 2000 كحد أعلى إلى 8321.0 مليون دينار سنة 2020 كحد أدنى وكذلك العملة المتداولة، التي تراوحت ما بين 2699.2 مليون دينار سنة 2000 كحد أعلى إلى 39732.0 مليون دينار سنة 2020 كحد أدنى، في حين زاد M2 من 9659.0 مليون دينار سنة 2000 إلى 125543.0 مليون دينار سنة 2020، ويرجع لنمو الودائع الزمنية والادخارية التي تراوحت ما بين 5991.9 مليون دينار سنة 2009 كحد أعلى إلى

جدول (1) تطور مكونات المعروض النقدي في ليبيا خلال الفترة 2000-2020

(بالمليون دينار)

الفترة	1 النقود المتداولة	2 الودائع تحت الطلب	3 M1 2+1	4 الودائع الزمنية والادخارية	5 M2 4+3	6 الودائع الأخرى شبه النقدية	M3 6+5
2000	2699.2	4733.8	7433.0	2226	9659.00	939.0	10598.00
2001	2559.6	5144.2	7703.8	2016.7	9720.50	740.8	10461.30
2002	2613.3	6160.5	8773.8	1745.5	10519.30	667.3	11186.60
2003	2763.3	6265.7	9029.2	1927.6	10956.60	791.5	11748.10
2004	2612.7	7923.9	10536.6	2061.1	12597.70	856.5	13454.20
2005	3308.7	10719.4	14028.1	2146.2	16174.30	1176.4	17350.70
2006	3932.9	12410.1	16343.0	2574.4	18917.40	1403.5	20320.90
2007	4581.2	18256.3	22837.0	3492.8	26330.30	2926.9	29257.20
2008	5608.3	28806.3	34414.6	3965.8	38380.40	6612.3	44992.70
2009	6962.9	31206.5	38169.4	5991.9	44161.30	-	44161.30
2010	7609.0	33712.2	41321.2	4992.5	46350.70	-	46350.70
2011	14841.1	38597.0	53437.1	3868.8	57941.90	-	57941.90
2012	13391.1	45822.6	59213.7	4517.8	98731.50	-	98731.50
2013	13419.9	50879.5	64299.4	4706.5	69005.90	-	69005.90
2014	17174.9	49557.5	66732.7	2672.0	69404.7	-	69404.7
2015	23007.3	53775.7	76783.0	1823.3	78606.3	-	78606.3
2016	27103.2	67505.8	94609.0	1711.9	96320.9	-	96320.9
2017	30865.2	78223.9	109089.1	2249.6	111338.7	-	111338.7

110720.5	-	110720.5	1808.8	108911.7	74179.1	34732.6	2018
108741.4	-	108741.4	3172.7	105568.7	68876.9	36691.8	2019
125543	-	125543	2592.7	122950.3	83218.3	39732.0	2020

المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على بيانات مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعدد مختلفة.

2226.0 مليون دينار سنة 2000 كحد أدنى، حيث أن الودائع شبه النقدية من الودائع طويلة الأجل التي تتكون من ودائع المقيمين غير الليبيين بالعملة الأجنبية، وكذلك الودائع لدى المؤسسات الائتمانية غير المصرفية ويتميز هذا النوع من المعروض النقدي بسيولة أقل من M1 و M2 ولكن بعائد أكبر.

ومن الجدول رقم (2) يلاحظ أن معدلات النمو المعروض النقدي M1 يتراوح ما بين 50.70% سنة 2008 كحد أعلى و-3.07% سنة 2019 كحد أدنى، حيث سجل متوسط معدل النمو نحو 15.79% خلال فترة الدراسة، في حين يتراوح معدل نمو M2 ما بين 70.40% سنة 2012 كحد أعلى و-1.79% سنة 2019 كحد أدنى، حيث سجل متوسط معدل النمو نحو 15.44% خلال فترة الدراسة، أما معدل نمو M3 يتراوح ما بين 70.4% سنة 2012 كحد أعلى إلى -30.1% سنة 2013 كحد أدنى، حيث بلغ متوسط معدل نمو نحو 15.13% خلال فترة الدراسة.

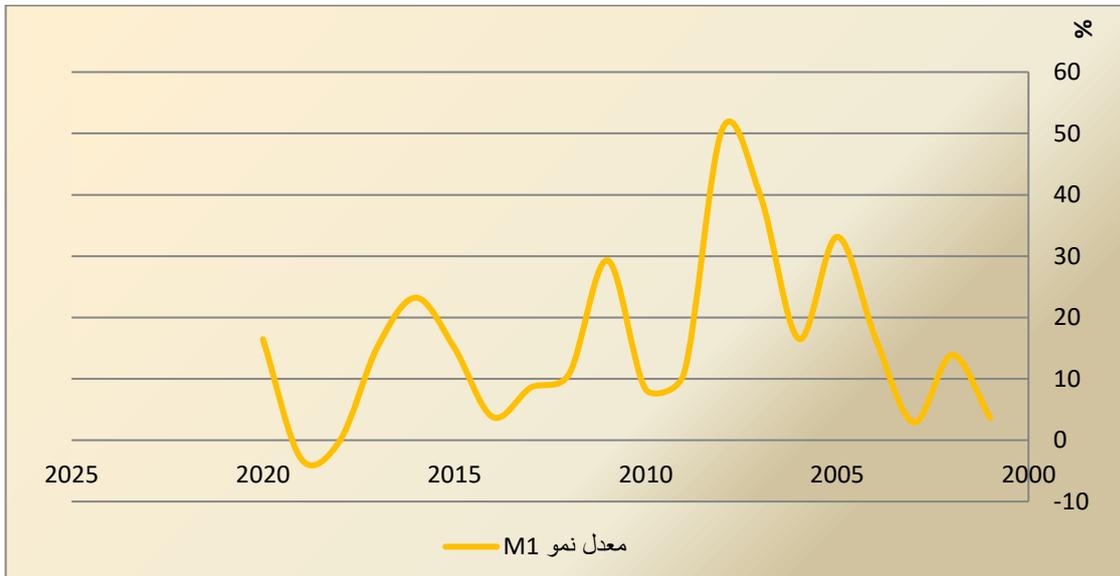
جدول (2) تطور معدلات نمو مكونات المعروض النقدي في ليبيا خلال الفترة 2000-2020

الفترة	معدل نمو M1	معدل نمو M2	معدل نمو M3
2000	-	-	-
2001	3.64	0.64	-1.3
2002	13.89	8.22	6.9
2003	2.91	4.16	5.0
2004	16.69	14.98	14.5
2005	33.14	28.39	29.0
2006	16.50	16.96	17.1
2007	39.74	39.19	44.0
2008	50.70	45.77	53.8
2009	10.91	15.06	-1.8
2010	8.26	4.96	5.0
2011	29.32	25.01	25.0
2012	10.81	70.40	70.4
2013	8.59	-30.11	-30.1
2014	3.78	0.58	0.6
2015	15.06	13.26	13.3

22.5	22.54	23.22	2016
15.6	15.59	15.31	2017
-0.6	-0.56	-0.16	2018
-1.8	-1.79	-3.07	2019
15.5	15.45	16.46	2020
15.13	15.44	15.79	متوسط معدل النمو

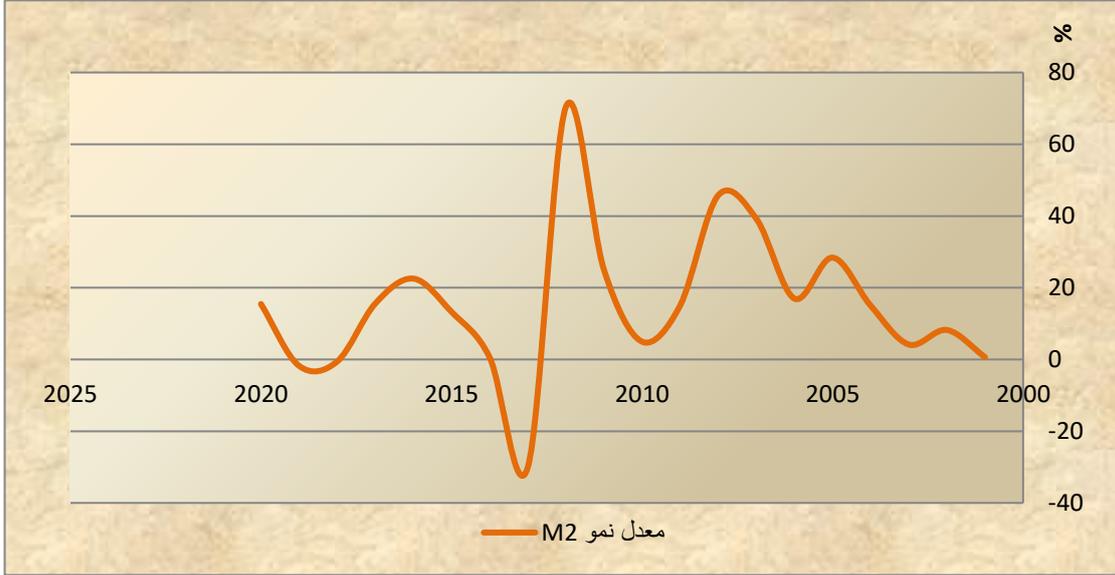
المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على بيانات مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعدد مختلفة.

الشكل (1) تطور معدل نمو المعروض النقدي بمفهومه الضيق (M1) في ليبيا خلال الفترة 2000-2020



المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على الجدول رقم (2).

الشكل (2) تطور معدل نمو المعروض النقدي بمفهومه الواسع (M2) في ليبيا خلال الفترة 2000-2020



المصدر: احتسب من قبل الباحثة اعتماداً على الجدول رقم (2).

2.2 تطور القاعدة النقدية والمضاعف النقدي في ليبيا:

1.2.2 تطور القاعدة النقدية:

من خلال الجدول رقم (3) يلاحظ أن القاعدة النقدية تتراوح ما بين 66531.8 مليون دينار سنة 2020 كحد أعلى خلال فترة الدراسة و5404.8 مليون دينار سنة 2000 وكحد أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة، وجاء هذا النمو نتيجة الارتفاع الكبير في الاحتياطيات النقدية في المصارف التجارية لدى مصرف ليبيا المركزي وودائع المصارف التجارية، حيث زادت من 2429.9 مليون دينار سنة 2000 إلى 21788.0 مليون دينار سنة 2013 وتراجعت بعد ذلك إلى 16928.8 مليون دينار سنة 2015 ثم زادت إلى 25374.6 مليون دينار سنة 2020. ويلاحظ مما سبق أن القاعدة النقدية شهدت تذبذباً يعود في معظمه إلى التغيرات في حجم الاحتياطيات لذا المصارف التجارية وهذا يعني الاستقرار النسبي للنقود المتداولة مقارنة بالتغيرات الحاصلة في الاحتياطيات بسبب التغيرات التي تحدث في نسبة الاحتياطي القانوني الصادرة من المصرف المركزي، فإن هذا التغير هو ناتج من التغير في الاحتياطيات الإضافية التي يحتفظ بها الجهاز المصرفي.

تتكون متطلبات مصرف ليبيا المركزي على شكل النقود المتداولة واحتياطيات المصارف النقد في الصندوق لدى المصارف وودائع المصارف التجارية لدى مصرف ليبيا المركزي بشكل مستمر انسجاماً مع نمو الاقتصاد، وفي نفس الوقت تعرض تكوينها لتغير كبير حيث أنخفض بشكل ملحوظ بسبب مكوناتها الرئيسي وهو النقود المتداولة عبر الزمن نتيجة لتوسع التسهيلات المصرفية الذي أدى إلى خفض الطلب النقدي نسبياً لأغراض المعاملات النقدية.

3.2 تطور المضاعف النقدي في ليبيا:

من خلال الجدول رقم (3) ورقم (4) يلاحظ أن المضاعف النقدي انخفض من 2.0 سنة 2000 ليصل إلى 2.7 سنة 2007 تم انخفاض إلى 1.8 سنة 2019 تم إلى 1.9 سنة 2020 بسبب ارتفاع نسبة الاحتياطيات المصرفية إلى إجمالي الودائع المصرفية من 30.76% سنة 2000 إلى 68.88% سنة 2005 تم انخفاض إلى 21.62% سنة 2007 وهي أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة تم استمر صعوداً ونزولاً إلى أن وصل إلى 29.57% سنة 2020. وتتحكم في هذه النسبة المصارف التجارية مجموعة من الأفراد، فكلما انخفضت النسبة زاد المضاعف النقدي وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة المعروض النقدي، وبالتالي يمكن تحييد تراجع أثرها في خلق النقود بصفة جزئية بانخفاض نسبة النقود المتداولة على إجمالي الودائع الذي له تأثير متزايد في خلق النقود، فقد أنخفض من 34.17% سنة 2000 ليصل إلى 14.24% سنة 2008 تم إلى 46.30% سنة 2020 وبسبب ارتفاع نسبة المعاملات أو النقود المتداولة إلى إجمالي الودائع المصرفية، فإن مجموعة من الأفراد تتحكم في هذه النسبة، فكلما انخفضت هذه النسبة ازداد المضاعف النقدي وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة المعروض النقدي.

وتعكس هذه التغيرات ما شهده الاقتصاد الليبي من التطورات في الإيرادات النفطية كون أن الاقتصاد الليبي اقتصاد ريعي يعتمد على الإيرادات النفطية، ونتيجة لتقلبات أسعار النفط الدولية يلاحظ أن نسبة النقود المتداولة إلى إجمالي الودائع قد شهدت انخفاض مستمر خلال الفترة 2000-2010 مما يعكس اتجاه الأفراد إلى الاحتفاظ بحصة متزايدة من أرصدهم النقدية في صورة ودائع الأمر الذي يؤدي إلى تنامي الوعي المصرفي في الاقتصاد الليبي وهذا ما يعزز الارتباط الكبير بين التغير في المعروض النقدي بمفهومه الأوسع والتغير في إجمالي الودائع.

جدول (3) تطور القاعدة النقدية والمضاعف النقدي وفق المعروض النقدي بمفهومه الأوسع في ليبيا خلال الفترة 2000-2020 بالمليون دينار

المضاعف النقدي M= M3/MB	القاعدة النقدية MB = C+R+Q	المعروض النقدي M3	متطلبات مصرف ليبيا المركزي			الفترة
			ودائع المؤسسات العامة والمالية (Q)	احتياجات المصارف التجارية (R)	النقود المتداولة (C)	
2.0	5404.8	10598.00	275.7	2429.9	2699.2	2000
1.8	5941.9	10461.30	454.2	2928.1	2559.6	2001
1.8	6100.4	11186.60	459.6	3027.5	2613.3	2002
1.7	6782.1	11748.10	350.9	3667.9	2763.3	2003
1.4	9920.7	13454.20	739.7	6568.3	2612.7	2004
1.2	14387.9	17350.70	1407.1	9672.1	3308.7	2005
2.3	8730.8	20320.90	1109.4	3688.5	3932.9	2006
2.7	10987.1	29257.20	1071.4	5334.5	4581.2	2007
2.4	18881.6	44992.70	659.0	12614.3	5608.3	2008
2.2	20462.8	44161.30	317.9	13182.0	6962.9	2009
2.1	22604.2	46350.70	919.7	14075.5	7609.0	2010
1.8	32405.5	57941.90	1809.0	15755.4	14841.1	2011
2.9	34300.9	98731.50	1486.0	19423.8	13391.1	2012
1.9	36886.5	69005.90	1678.6	21788.0	13419.9	2013
1.8	38130.3	69404.7	1832.9	19122.5	17174.9	2014
1.9	41926.2	78606.3	1990.1	16928.8	23007.3	2015
1.8	54597.6	96320.9	2120.2	25374.2	27103.2	2016
1.8	63199.9	111338.7	1529.1	30805.6	30865.2	2017
1.8	61400.3	110720.5	1638.5	25029.2	34732.6	2018
1.8	60073.1	108741.4	1571.5	21809.8	36691.8	2019
1.9	66531.8	125543	1425.2	25374.6	39732.0	2020

المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على بيانات مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعدد مختلفة.

جدول (4) نسبة النقود المتداولة والاحتياطيات إلى إجمالي الودائع ونسبة الاحتياطي القانوني في ليبيا خلال الفترة 2000-2020

نسبة النقود المتداولة إلى إجمالي الودائع %	نسبة احتياطيات المصارف إلى إجمالي الودائع %	نسبة النقود المتداولة إلى إجمالي الودائع %	احتياطيات المصارف التجارية	النقود المتداولة	إجمالي الودائع	الفترة
34.17	30.76	34.17	2429.9	2699.2	7898.8	2000
32.39	37.06	32.39	2928.1	2559.6	7901.7	2001
30.48	35.31	30.48	3027.5	2613.3	8573.3	2002
30.76	40.82	30.76	3667.9	2763.3	8984.8	2003
24.10	60.58	24.10	6568.3	2612.7	10841.5	2004
23.56	68.88	23.56	9672.1	3308.7	14042	2005
24.00	22.51	24.00	3688.5	3932.9	16388	2006
18.57	21.62	18.57	5334.5	4581.2	24676	2007
14.24	32.03	14.24	12614.3	5608.3	39384.4	2008
18.72	35.44	18.72	13182.0	6962.9	37198.4	2009
19.66	36.37	19.66	14075.5	7609.0	38704.7	2010
34.95	37.10	34.95	15755.4	14841.1	42465.8	2011
26.60	38.58	26.60	19423.8	13391.1	50340.4	2012
24.14	39.20	24.14	21788.0	13419.9	55586	2013
32.88	36.61	32.88	19122.5	17174.9	52229.5	2014
41.38	30.45	41.38	16928.8	23007.3	55599	2015
39.16	36.66	39.16	25374.2	27103.2	69217.7	2016
38.35	38.28	38.35	30805.6	30865.2	80473.5	2017
45.71	32.94	45.71	25029.2	34732.6	75987.9	2018
50.93	30.27	50.93	21809.8	36691.8	72049.6	2019
46.30	29.57	46.30	25374.6	39732.0	85811	2020

المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على بيانات مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعدد مختلفة.

4.2 تطور سرعة دوران النقود في ليبيا:

ومن خلال الجدول رقم (5) والشكل رقم (4) يلاحظ أن معدل سرعة دوران النقود في ليبيا وفق المعروض النقدي M1 بلغ 2.5 سنة 2000 تم زاد إلى 4.9 سنة 2006 وهو أكبر معدل له خلال فترة الدراسة تم بعد ذلك أنخفض بشكل تدريجي إلى أن وصل الى 0.1 سنة 2020 وهو أقل مستوى له خلال فترة الدراسة، في حين بلغ معدل دوران النقود وفق المعروض النقدي بمفهومه

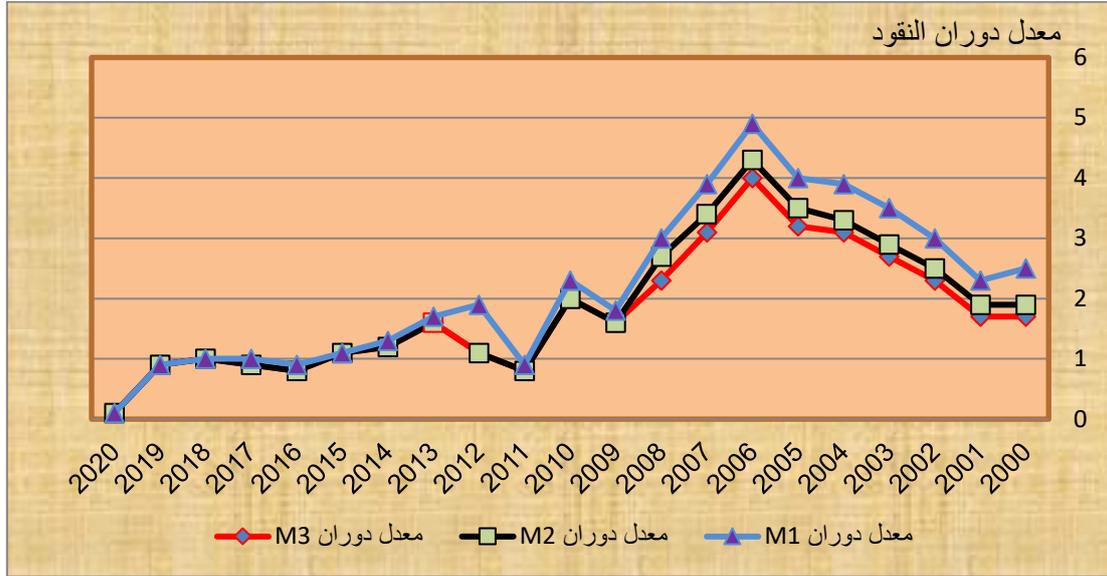
الواسع M2 نحو 1.9 سنة 2000 تم زاد إلى 4.3 سنة 2006 وهو أعلى مستوى له خلال فترة الدراسة تم أنخفض إلى نحو 0.1 سنة 2020 وهو أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة.

جدول (5) تطور معدل دوران النقود في ليبيا خلال الفترة 2000-2020

الفترة	GDP بالمليون دينار	M1 بالمليون دينار	M2 بالمليون دينار	M3 بالمليون دينار	معدل دوران M1	معدل دوران M2	معدل دوران M3
2000	18456.9	7433.0	9659.00	10598.00	2.5	1.9	1.7
2001	18079.1	7703.8	9720.50	10461.30	2.3	1.9	1.7
2002	25914.1	8773.8	10519.30	11186.60	3.0	2.5	2.3
2003	31731.8	9029.2	10956.60	11748.10	3.5	2.9	2.7
2004	41577.0	10536.6	12597.70	13454.20	3.9	3.3	3.1
2005	56213.0	14028.1	16174.30	17350.70	4.0	3.5	3.2
2006	80729.9	16343.0	18917.40	20320.90	4.9	4.3	4.0
2007	89260.3	22837.0	26330.30	29257.20	3.9	3.4	3.1
2008	102242.9	34414.6	38380.40	44992.70	3.0	2.7	2.3
2009	70493.3	38169.4	44161.30	44161.30	1.8	1.6	1.6
2010	92978.2	41321.2	46350.70	46350.70	2.3	2.0	2.0
2011	47549.5	53437.1	57941.90	57941.90	0.9	0.8	0.8
2012	112591.0	59213.7	98731.50	98731.50	1.9	1.1	1.1
2013	111438.7	64299.4	69005.90	69005.90	1.7	1.6	1.6
2014	86649.2	66732.7	69404.7	69404.7	1.3	1.2	1.2
2015	83147.5	76783.0	78606.3	78606.3	1.1	1.1	1.1
2016	80892.6	94609.0	96320.9	96320.9	0.9	0.8	0.8
2017	103937.9	109089.1	111338.7	111338.7	1.0	0.9	0.9
2018	112442.8	108911.7	110720.5	110720.5	1.0	1.0	1.0
2019	99113.0	105568.7	108741.4	108741.4	0.9	0.9	0.9
2020	10123.0	122950.3	125543	125543	0.1	0.1	0.1

المصدر: احتسبت من قبل الباحثة اعتماداً على بيانات مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، أعدد مختلفة.

الشكل (4) تطور معدل دوران النقود في ليبيا خلال الفترة 2000-2020



المصدر: احتسب من قبل الباحثة اعتماداً على الجدول رقم (5).

أما معدل سرعة دوران النقود وفق المعروض النقدي بمفهومه الأوسع (M3) قد زاد معدل سرعة دوران النقود في ليبيا من 1.7 سنة 2000 إلى 4.0 سنة 2006 وهو أعلى مستوى له خلال فترة الدراسة تم أنخفاض إلى 0.1 سنة 2020 وهو أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة. لذا فإن معدل سرعة دوران النقود في ليبيا شهد استقراراً نسبياً خلال الفترة 2000-2020 ثم بعد ذلك أخذ بالانخفاض بسبب زيادة المعروض النقدي. ويعتبر معدل سرعة دوران النقود بمثابة دالة لمتوسط المعروض النقدي المتداولة في فترة زمنية محددة مقابل المستوى العام للنشاط الاقتصادي ممثلة في قيمة الناتج المحلي الإجمالي والأسعار الجارية خلال تلك الفترة.

لسرعة دوران النقود بالتحديد للنمو الكبير في المعروض النقدي مقابل النمو في الناتج المحلي الإجمالي، وهذا الاتجاه التنازلي حدث بسبب ضخ سيولة كبيرة في الاقتصاد من خلال التوسع في الإنفاق العام بهدف مواكبة التطورات الاقتصادية المحلية والعالمية، وأيضاً بسبب السياسة النقدية التوسعية التي انتهجتها مصرف ليبيا المركزي سنة 2008، وذلك للتعامل مع الأزمة المالية العالمية، وكذلك لتعزيز وضع السيولة المحلية. كما يوضح أن معدل سرعة دوران النقود بمكوناته الثلاثة أخذ بالانخفاض. وهذا الاتجاه التنازلي حدث بسبب ضخ سيولة كبيرة نسبياً في الاقتصاد من خلال التوسع في الإنفاق العام بهدف مواكبة التطورات الاقتصادية المحلية والعالمية، وأيضاً

بسبب السياسات النقدية التوسعية التي انتهجتها المؤسسة سنة 2008 للتعامل مع الأزمة العالمية وتعزيز وضع السيولة في الاقتصاد.

المحور الثالث: دالة الاتجاه العام للمعروض النقدي والقاعدة النقدية وسرعة دوران النقود:

1.3 تقدير دالة الاتجاه العام للمعروض النقدي بمفهومه الأوسع في ليبيا:

يوضح الجدول رقم (1) تطور نمو المعروض النقدي بمفهومه الأوسع (M3) في ليبيا خلال الفترة 2000-2020، والمكون من اللودائع الأخرى شبه النقدية، ولتقدير معادلة الانحدار لدالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية لتطور المعروض النقدي بمفهومه الأوسع في ليبيا بتأثير عامل الزمن كما توضحها دالة الاتجاه العام التالية:

$$M3 = 11622.0 + 6192.0 T + U$$

$$(15.92) (2.38t) = ($$

$$)388.9) (489.3S.D) = ($$

$$R^2 = 0.930 \quad R^2 = 0.920 \quad F = 15.92$$

حيث أن M3 تمثل المعروض النقدي بمفهومه الأوسع كمتغير تابع، T تمثل عامل الزمن (كمتغير مستقل)، مع الملاحظة أن المتغيرات المستقلة التي لم تؤخذ في الاعتبار عند صياغة النموذج. وتشير المعادلة المقدرة إلى وجود علاقة طردية بين المعروض النقدي بمفهومه الأوسع (M3) وعامل الزمن (T) خلال الفترة 2000-2020، حيث إن زيادة عامل الزمن بمقدار سنة واحدة يؤدي إلى زيادة المعروض النقدي بنحو 6192.0 مليون دينار، حيث أن قيمة t تساوي 15.92 كما أن قيمة t لمعلمة الحد الثابت تساوي 2.38 كما أن الخطأ المعياري S.D يشير إلى صغر الأخطاء العشوائية وبالتالي إلى جودة معادلة الانحدار، كما أن R^2 بلغ نحو 0.930 وهذا تشير إلى أن عامل الزمن مسئول عن 93% من المتغيرات في المعروض النقدي بمفهومه الأوسع، وأن الباقي 7% يعود إلى متغيرات العشوائية المؤثرة على المعروض النقدي U، وأن قيمة F بلغت نحو 15.92 وهو ما يؤكد جودة توفيق النموذج ككل وإمكانية استخدامه في عمليات التنبؤ المستقبلية لقيمة المعروض النقدي. وفيما يلي تطبيق معادلة الانحدار المقدرة للمعروض النقدي على عامل الزمن (21) سنة كالاتي:

$$M3 = 11622.0 + 6192.0 T$$

$$M3 = 11622.0 + 6192.0 (21)$$

$$M3 = 11622.0 + 130032.0 = 141654.0$$

تقدير دالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية للمعروض النقدي (M3) قد بلغت نحو 1416540 مليون دينار خلال فترة الدراسة.

2.3 تقدير دالة الاتجاه العام للقاعدة النقدية في ليبيا:

يوضح الجدول رقم (3) تطور القاعدة النقدية في ليبيا خلال الفترة 2000-2020، ولتقدير معادلة الانحدار لدالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية لتطور القاعدة النقدية بتأثير عامل الزمن كما توضحها دالة الاتجاه العام التالية:

$$MB = 7344.0 + 3350.0 T + U$$

$$t = (2.91) (16.69)$$

$$S.D = (2520.0) (200.7)$$

$$R^2 = 0.937 \quad R^2 = 0.934 \quad F = 278.69$$

حيث أن MB تمثل القاعدة النقدية كمتغير.

وتُشير المعادلة المقدرّة إلى وجود علاقة طردية مؤكدة إحصائياً عند مستويات المعنوية المألوفة بين القاعدة النقدية (MB) مقدرّة بالمليون دينار وعامل الزمن (T) خلال الفترة 2000-2020 حيث إن زيادة عامل الزمن بمقدار سنة واحدة يؤدي إلى زيادة القاعدة النقدية لمقدار 14.73 مليون دينار، حيث إن قيمة t يساوي 2.91 وأن قيمة t للحد الثابت تساوي 16.69 وأن قيمة الخطأ المعياري لكل معلمة يشير إلى صغر الأخطاء العشوائية وبالتالي جودة معادلة الانحدار، وهو ما يفسر أن عامل الزمن (T) له تأثير معنوي على اتجاه القاعدة النقدية (MB) إيجابياً. أما R^2 يساوي 0.937 وهو ما يعني أن عامل الزمن يفسر قرابة 93.7% من التقلبات في القاعدة النقدية وأن الباقي ونسبته 6.3% يعود إلى عوامل أخرى خارجية لم تؤخذ في الحسبان عند صياغة نموذج الانحدار. ويشير اختبار F إلى قيمة 41.88 وهو ما يشير إلى معنوية وجودة توفيق النموذج ككل، وأنه يمكن استخدام دالة الانحدار المقدرّة في عمليات التنبؤ المستقبلية بقيمة القاعدة النقدية. وفيما يلي تطبيق معادلة الانحدار المقدرّة للقاعدة النقدية على عامل الزمن (21) سنة كالاتي:

$$MB = 7344.0 + 3350.0 T$$

$$MB = 7344.0 + 3350.0 (21)$$

$$MB = 7344.0 + 70350.0 = 77694.0$$

تقدير دالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية للقاعدة النقدية (MB) قد بلغت نحو 77694.0 مليون دينار خلال فترة الدراسة.

3.3 تقدير دالة الاتجاه العام لسرعة دوران النقود في ليبيا:

يوضح الجدول رقم (5) تطور سرعة دوران النقود (V) في ليبيا خلال الفترة 2000-2020، ولتقدير معادلة الانحدار لدالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية لتطور سرعة دوران النقود بتأثير عامل الزمن كما توضحها دالة الاتجاه العام التالية:

$$V = 3.05 - 0.116 T + U$$

$$t = (9.42) (-4.50)$$

$$S.D = (0.323) (0.025)$$

$$R^2 = 0.516 \quad R^2 = 0.491 \quad F = 20.28$$

حيث أن V تمثل سرعة دوران النقود كمتغير تابع.

وتشير مكونات معادلة الانحدار المقدرة إلى وجود علاقة سلبية مؤكدة إحصائياً عند مستويات المعنوية المألوفة بين سرعة دوران النقود (V) وعامل الزمن (T) خلال فترة 2000-2020 حيث إن زيادة السلسلة الزمنية بسنة واحدة يؤدي إلى تناقص سرعة دوران النقود بما مقداره 0.07، حيث إن قيمة t تساوي -13.05، كما أن قيمة t للمقدار الثابت تساوي 40.39 وأن قيمة الخطأ المعياري لمعاملات الانحدار صغيرة مما يشير إلى جودة معادلة الانحدار. أما قيمة R^2 تبلغ نحو 0.516 وهو ما يعني أن عامل الزمن مسئول عن 51.6% من تراجع سرعة دوران النقود خلال فترة الدراسة، وأن الباقي ونسبته 48.4% يعود إلى عوامل خارجية أخرى لم تؤخذ في الحسبان. ويشير اختبار وقيمة F نحو 20.28 وهو ما يوضح جودة النموذج ككل، ويمكن استخدامه في عمليات التنبؤات المستقبلية باتجاه سرعة دوران النقود في ليبيا، وفيما يلي معادلة الانحدار المقدرة لسرعة دوران النقود على عامل الزمن (21) سنة كالاتي:

$$V = 3.05 - 0.116 T$$

$$V = 3.05 - 0.116 (21)$$

$$= 0.6142.436V = 3.05 -$$

تقدير دالة الاتجاه العام للسلسلة الزمنية لسرعة دوران النقود (V) قد بلغت نحو 0.614 مرة خلال فترة الدراسة 2000-2020.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. زاد المعروض النقدي M1 من 7433.0 مليون دينار سنة 2000 إلى 122950 مليون دينار سنة 2020، وهذا راجع لنمو نقود الودائع تحت الطلب والعملية المتداولة، في حين زاد المعروض النقدي M2 زاد من 9659.0 مليون دينار سنة 2000 إلى 125543.0 مليون دينار سنة 2020، ويرجع ذلك لنمو الودائع الزمنية والادخارية.
2. إن زيادة النقود المتداولة بشكل عشوائي تؤدي إلى ظهور أرتباك في أداء السياسة النقدية وعدم الاستقرار الاقتصادي نتيجة عدم وضع ضوابط على أسس سليمة وعلمية، وفي نفس الوقت التحكم في زيادة المعروض النقدي بشكل متزن لتجنب المزيد من الضغوط التضخمية.
3. تتراوح القاعدة النقدية ما بين 66531.8 مليون دينار سنة 2020 كحد أعلى خلال فترة الدراسة و 5404.8 مليون دينار سنة 2000 كحد أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة، وجاء هذا النمو نتيجة الارتفاع الكبير في الاحتياطيات النقدية في المصارف التجارية لدى مصرف ليبيا المركزي وودائع المصارف التجارية.
4. أنخفض المضاعف النقدي من 2.0 سنة 2000 ليصل إلى 2.7 سنة 2007 تم انخفاض إلى 1.8 سنة 2019 تم إلى 1.9 سنة 2020 بسبب ارتفاع نسبة الاحتياطيات المصرفية إلى إجمالي الودائع المصرفية، فكلما انخفضت النسبة زاد المضاعف النقدي وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة المعروض النقدي.
5. معدل سرعة دوران النقود وفق المعروض النقدي بمفهومه الأوسع (M3) زاد من 1.7 سنة 2000 إلى 4.0 سنة 2006 وهو أعلى مستوى له خلال فترة الدراسة تم أنخفض الى 0.1 سنة 2020 وهو أدنى مستوى له خلال فترة الدراسة. لذا فإن معدل سرعة دوران النقود في ليبيا شهد استقراراً نسبياً خلال الفترة 2000-2020 ثم بعد ذلك أخذ بالانخفاض بسبب زيادة المعروض النقدي.
6. وجود علاقة طردية موجبة بين عامل الزمن كمتغير مستقل، وكل من المعروض النقدي (M3) والقاعد النقدية كمتغيرات تابعة خلال فترة الدراسة، أي أن المعروض النقدي والقاعدة النقدية تزداد بزيادة عدد سنوات الفترة الزمنية موضع الدراسة.

7. وجود علاقة عكسية سالبة بين عامل الزمن كمتغير مستقل، وسرعة دوران النقود كمتغير تابع خلال فترة الدراسة، أي أن سرعة دوران النقود تتخفف بزيادة عدد سنوات الفترة الزمنية موضع الدراسة.

ثانياً: التوصيات:

1. الاهتمام بالضوابط التي تصدر من لجنة السياسة النقدية بالمصرف المركزي بشكل اساسي بدلا من التركيز على زيادة المعروض النقدي، وذلك لعدم الوقوع في الآثار السلبية، والعمل على تجنبها؛ فإذا زاد المعروض النقدي عن حده معين يؤدي إلى ارتفاع مستوى التضخم.
2. العمل على تشجيع زيادة حجم القاعدة النقدية لما لها من آثار إيجابية تؤدي إلى زيادة السيولة النقدية محلياً ومن ثم تحقيق الاستقرار الاقتصادي.
3. في حالة زيادة المعروض النقدي مع انخفاض سرعة دوران النقود وهي ظاهرة غير مرغوب فيها، ويمكن معالجتها بالعمل على زيادة الناتج المحلي الإجمالي بكل الإمكانيات المتاحة.
4. وضع ضوابط محكمة لزيادة المعروض النقدي لكي تساهم في زيادة سرعة دوران النقود وفي نفس الوقت زيادة النمو الاقتصادي.
5. قيام الباحثين والمسؤولين عن السياسة النقدية بدراسات أخرى من قبل باحثين آخرين لهذه المتغيرات والمواضيع المهمة، وذلك لترسيخ هذه المفاهيم الاقتصادية لدى الأفراد والباحثين وذلك زيادة الوعي المصرفي.

المراجع:

الكتب:

1. أكرم حداد، مشهور هذلول، النقود والمصارف: مدخل تحليلي ونظري، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005.
2. طاهر فاضل البياتي، ميرال روجي سمارة، النقود والمصارف، دار وائل لمنشر، ط1، عمان، 2013.

3. عبد الرحمن عبد الله الحميدي، النقود والمصارف والأسواق المالية، مؤسسة النقد العربي، 2018.
4. عوض فاضل اسماعيل الدليمي، النقود والبنوك، جامعة بغداد، بغداد، 1989.
5. محمد الشريف إلمان، محاضرات في النظرية الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزء الثالث، بغداد، 2003.
6. مصطفى رشيد شيحة، الاقتصاد النقدي والمصرفي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
7. هميل عجمي الجنابي، رمزي ياسين أرسلان، نقود والمصارف والنظرية النقدية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
8. هند محمد سليمان، العوامل المحددة لسرعة دوران النقود دراسة تطبيقية على السودان، منشورات جامعة ام درمان، الخرطوم، 2003.

التقارير والمجلات العلمية:

1. أحمد محي الدين التلباني، العلاقة بين سرعة دوران النقود وكل من التضخم والنمو الاقتصادي المصري، دراسة قياسية لرسم السياسة النقدية باستخدام نموذج (ARDL)، مجلة السياسة والاقتصاد، المجلد 16، العدد 15، القاهرة، 2022.
2. الامم المتحدة، الاسكو، دراسة تمهيدية عن الاقتصاد في ليبيا: الواقع والتحديات والآفاق، منشورات التعاون الالمانى، 2020.
3. خالد بن حمد عبد الله القدير، العلاقة بين كمية النقود والنتاج المحلي الإجمالي في دولة قطر دراسة تطبيقية باستخدام التكامل المشترك والعلاقة السببية، مجلة دراسات اقتصادية: السلسلة العلمية لجمعية الاقتصاد السعودية، المجلد الرابع، العدد 8، كلية العلوم الادارية، جامعة الملك سعود، الرياض، 2002.
4. وسام حسين علي العنيزي، محددات سرعة دوران النقود في العراق: دراسة تطبيقية للمدة 1980-2013، مجلة جامعة الأنبار الاقتصادية والادارية، المجلد 7، العدد 13، بغداد، 2015.

الرسائل العلمية:

1. محمد بن صالح بن سليمان المعيجل، محددات سرعة دوران النقود في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية العلوم الادارية، الرياض، 2004.
2. عائشة مسلم، اتجاهات النمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1990- 2004، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر، 2007.

توجيه الهجرة غير النظامية، واستغلال المهاجرين سياسياً على ضفتي المتوسط... هل وراء: "إغراق" البلدان المغاربية بالمهاجرين أطرافٌ معينة...؟ وهل يثير هذا العملُ المسؤولةَ الجنائية الدولية...؟ وهل هو غزوٌ أم استيطان...

د : أبو المعالي محمد عيسى أبو المعالي

كلية القانون . زلطن / جامعة صبراتة

2024-2023

مقدمة:

ارتبطت الهجرة عبر التاريخ، بترسيخ التقارب بين بني البشر المختلفين اختلافاً طبيعياً، واكتساب الثقافات... وفي العصر الحديث باتت الهجرة هي الحل الأبرز للشرائح القادرة على العمل، المتطلعة لتحقيق حلم الثروة والرفاه في مختلف المجتمعات التي تعاني من البطالة والفقر أو من عدم الاستقرار... وكانت بلدان شمال أفريقيا دول منشأً للمهاجرين من أبنائها إلى أوروبا منذ عقود، ودول عبور للمهاجرين من أبناء أفريقيا السمرء إلى: القارة الأوروبية، وجهة "المقصد"..

وفي منتصف عام 2023 المنصرم شهدت موريتانيا و المغرب و تونس وليبيا و الجزائر زيادة لافتة في نسبة المهاجرين الوافدين من دول أفريقيا "جنوب الصحراء"، وقد واكبت هذه الظاهرة حملاتٌ إعلامية لعناصر من هؤلاء المهاجرين متمثلة في مقاطع فيديو تستنكر سوء معاملة السلطات المغاربية لهم، وتحرض على العنف و الكراهية بين الافارقة السود و إخوتهم غير السود في هذه الدول... بل بلغ الأمر بمنتجي هذه الحملات تشبيه وجود البيض في شمال أفريقيا بالتواجد الصهيوني في فلسطين... وعلى الأرجح - وليس من باب التعلق بنظرية المؤامرة - فإن هذا الفكر لم يولد صدفةً...! بل له خلفيات وأبعاد مدروسة، إن لم يكن له رعايةٌ يُعُون ما يقولون وما يفعلون... حتى اختيارُ المكان والزمان ليس عفويًا...!

إشكالية البحث :

تحاول هذه المقاربة تسليط الضوء على الحدث المنوه عنه أعلاه، وتقييم آثاره على المهاجرين أنفسهم من منظور قواعد القانون الدولي العام، والقانون الدولي لحقوق الإنسان، وقواعد القانون الدولي الجنائي.. وعلى الدول المتضررة - دول العبور، ودول المقصد - وذلك لاستجلاء الإجابات المفترضة على التساؤلات التي يطرحها الحدث، و السلبيات والمآخذ التي اكتفتت التعاطي معها

...

خطة البحث :

تم دراسة الموضوع من خلال مبحثين، نعقد الأول منها للمركز القانوني للمهاجر ومغالطات السياسة والإعلام ذات العلاقة، بينما نعقد الثاني للسياسات الهشة - للأطراف المعنية- في مواجهة الظاهرة...

المبحث الأول:

المركز القانوني للمهاجر و مغالطات السياسة و الإعلام:

تقديم و تقسيم :

ستتم دراسة محتوى هذا المبحث من خلال المطالبين التاليين: يتم بحث المركز القانوني للمهاجر في (مطلب أول)، ثم استعراض بعض المغالطات الشائعة حول الهجرة و المهاجرين في (مطلب ثان)، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: المركز القانوني للمهاجر:

منذ منتصف القرن العشرين بدأ النظام القانوني للمهاجرين يتجه نحو ضمان عدة مستويات من الحماية، ترجع الى اختلاف المقصود بهذا الوصف... ذلك أن المهاجر شخص غير الشخص الوطني، وغير الأجنبي، وغير اللاجئ، وغير العامل المتعاقد للعمل في بلد غير بلده... وقد عرّفت منظمة UNESCO المهاجر بأنه: "هو كل شخص يعيش بصفة مؤقتة في بلد لم يولد فيه، واكتسب فيه مركز اجتماعياً" ... بينما ميزت إدارة الأمم المتحدة للشؤون الاقتصادية و الاجتماعية بين المهاجر "لمدة طويلة"، وهو : "الشخص الذي ينتقل الى البلد غير بلد الإقامة المعتادة لمدة تتجاوز 12 شهر"، وبين المهاجر "لمدة قصيرة"، وهو: "الشخص الذي ينتقل الى بلد غير بلد الإقامة المعتادة لمدة تتجاوز 3 أشهر، ولا تتجاوز 12 شهراً"¹.

وكمقاربة معيارية قدمت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة توصيات باعتبار الفئات الثلاث التالية من قبيل المهاجرين وهم:

¹ **Alexandre Papa Faye**: migration et developpement: de l immigration subie a l immigration choisie, CADTM, Belgique, 2019, p:11. Et voir aussi : **Christian Brunelle**: "la primaute du droit: la situation des immigrants et des refugies en droit europeen au regard des Chartes et des textes internationaux", Université Laval, 2007 , p: 115 et sui...

- الأشخاص الذين هم خارج إقليم الدولة التي هم من رعاياها ولا يخضعون لحمايتها لوجودهم في دولة أخرى .

- الأشخاص الذين لا يتمتعون باعتراف القانون الدولي العام - الذي هو اعتراف ملازم لما تمنحه الدولة المضيفة - كالاعتراف بمركز قانوني لغير المواطنين مثل: اللاجئ، أو المقيم الدائم، أو الشخص المُجنس...الخ..

- الأشخاص الذين لا يتمتعون بالحماية القانونية لحقوقهم الأساسية بسبب الاتفاقيات الدبلوماسية أو التأشيرات كالمستقلين، و المطلوبين...¹

وقد ميز المجلس الكندي للاجئين، بين المهاجر و اللاجئ، كما يلي: " المهاجر هو الشخص المستقر في دولة غير دولته لكنه انتقل إليها اختياراً... بينما اللاجئ هو من انتقل إليها مُكرهاً "هَرَباً" من الاضطهاد، أو من الحرب"... و إن لم يشمل هذا التمييز مفهوم المهاجر العابر...² ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى الدور الذي تقوم به مؤسسات دولية متخصصة مثل: اللجنة الدولية للاجئين، والمنظمة الدولية للهجرة، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، من عمل متخصص في خدمة المهاجرين عموماً، لضمان حماية أرواحهم و تخفيف معاناتهم وصون كرامتهم، حيث تحت هذه الآليات الدول بطرق ودية على تفعيل مبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان، وقواعد القانون الدولي الجنائي، و القانون الدولي الإنساني، و احترام القواعد و المعايير المتعلقة بالمعاملة النموذجية، لرفع الاستضعاف و الاضطهاد الذي يعانيه هؤلاء عبر العالم...

وقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها 1990/45، بتاريخ 18 ديسمبر 1990 الاتفاقية الدولية لحماية حقوق العمال المهاجرين، التي نصت في ديباجتها على أن: الدول الاطراف إذ تأخذ في اعتبارها المبادئ المنصوص عليها في الحلول الأساسية للأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية السياسية ، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، و إذ تأخذ في الاعتبار المعايير الواردة في إطار منظمة العمل الدولية،

¹ Rapport d information de l Ambassadeur: Tomas B, representent special du Secetaire General pour les migrations et les refugies, Grece, 18 mai 2019, p:7.

² Gerard Carnu: vocabulaire juridique (1er edition), Paris, PUF,1987,p:305.

كالاتفاقية الدولية للهجرة من أجل العمل، واتفاقية الهجرة في ظروف تعسفية ومعاملة المهاجرين، والتوصية الدولية بشأن العمال المهاجرين، والاتفاقية الدولية لإلغاء و منع السخرة والعمل القسري، ومدونة قواعد سلوك الموظفين المكلفين بإنقاذ القوانين... فإنها تؤكد أنه لا بد للشركاء الدوليين من وضع منظومة قانونية تهدف إلى ترسيخ الحماية الدولية لحقوق المهاجرين، ولأفراد أسرهم....

مؤكدّة بذلك أن المساس بحقوق المهاجرين، والمُستخدَمين في بلدان غير بلدانهم يعرقل تقدم التنمية العالمية، وينتهك حقوق الإنسان، خاصة أن حجم ظاهرة الهجرة بات يشمل ملايين الناس، ويمس عددا كبيرا من الدول....

ولعل أحد أسباب هذا الفهم هو التسليم بأن الهجرة باتت تسبب مشاكل قانونية كثيرة، خاصة: الهجرة غير النظامية، لما تعنيه هذه الأخيرة من تنقلات سرية عبر الحدود لأشخاص لا يحوزون وثائق ثبوتية- عادة ما يُستخدَمون بشروط أقل تكلفة من شروط عمل العمال العاديين- الأمر الذي يرغبه بعض أرباب العمل... ناهيك من أن هذه الهجرة غير النظامية وراءها دائما عَرَابون وسماسرة يجنون من ورائها أرباحا طائلة، وقد يمارسون في ظلها أنشطة أخرى مُجرَمةً دولياً كتجارة المخدرات، وتجارة العملات وتزييفها، وتزوير الوثائق والهويات، وتجارة الرقيق الأبيض، وتبييض الأموال... وتأتي الأهمية المتزايدة للاتفاقيات الثنائية ومتعددة الأطراف في مجال تنظيم الهجرة إدراكاً للأثر المباشر لتدفق موجات المهاجرين على البلدان الغنية وذلك لضرورة التوفيق بين مواقف الدول المعنية بالظاهرة سواء المصدرة للمهاجرين أو المستقبلة لهم، لإرساء قواعد معيارية مقبولة كأساس لمعاملة هؤلاء... خاصة أنه يمكن الاستفادة منهم: طاقةً إنتاجيةً...

ومن هنا فإن للمهاجرين صفة معبرة في ضوء الوثائق الدولية المذكورة في ديباجة القرار آنف الذكر تُقرُّ لهم جملةً من الحقوق، وتضع على الدول التي وجدو على أراضيها جملةً من الالتزامات المرعية في التعامل الدولي لا يجوز انتهاكها لأهميتها ضمن القيم الإنسانية السائدة...

المطلب الثاني: مغالطات حول المهاجرين:

يتداول الرأي العام السلبي الشائع في البلدان المستقبلة على نطاق واسع مغالطات كثيرة بشأن الهجرة والمهاجرين مثل: العدد الفعلي للمهاجرين الذين يصلون إلى دولة محددة، فضلا عن تصورات خاطئة كالتالي تتردد حول سرقة المهاجرين للوظائف من السكان المحليين، ودفعهم معدلات الجريمة للارتفاع، وإثقالهم كاهل الخدمات العامة... وقد توصلت دراسة أجرتها الشبكة الإعلامية الإسبانية

IRIN إلى دلائل تدحض العديد من هذه المغالطات حول الهجرة والمهاجرين¹، وهي معلومات غير دقيقة عن المهاجرين عبر العالم، منها:

1- أن أغلبية المهاجرين يأتون من دول الجنوب الفقيرة إلى دول الشمال الغنية...، الحقيقة: أن أقل من نصف مجموع المهاجرين: 40 بالمائة، في جميع أنحاء العالم ينتقلون من الدول النامية في الجنوب إلى دول الشمال المتقدمة. ونحو ثلث المهاجرين على الأقل ينتقلون من دولة نامية إلى أخرى - الجنوب إلى الجنوب - ويهاجر نحو 22 بالمائة من الدول المتقدمة إلى أخرى - من الشمال إلى الشمال - وهناك عدد صغير ولكنه متزايد من المهاجرين - يصل إلى 5 بالمائة - ينتقل من الشمال إلى الجنوب...

2- أن معدلات الهجرة في ازدياد.... والحقيقة: أنه ازداد عدد المهاجرين الدوليين إلى 232 مليون في عام 2013 من 175 مليون في عام 2000 و154 مليون في عام 1990، ولكن هذا يرجع في الأساس إلى النمو السكاني،² وظلت نسبة المهاجرين كحصة من سكان العالم ثابتة إلى حد ما، بين 2.5 و3 بالمائة، وبالتالي فإن سكان الدول المستقبلية للمهاجرين يبالبغون باستمرار في تقدير عدد المهاجرين الوافدين، مما يسهم في تضخيم الخطر القادم بأن هناك "الكثير" من المهاجرين.

3- أن معالجة الفقر وتدني مستوى التنمية في الدول المصدرة للمهاجرين سوف تحد من الهجرة إلى الدول الأكثر ثراء.... و الحقيقة: أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدول الفقيرة تقود إلى المزيد من الهجرة، وليس إلى تقليصها، على الأقل في المدى القصير إلى المتوسط، وفي حين أنه كثيراً ما يتم تصوير المهاجرين على أنهم فقراء ويائسون، فإن تحمل كلفة الهجرة عبر مسافات طويلة تتطلب امتلاك موارد كبيرة، كما تتطلب أيضاً وعياً بالفرص المتاحة في الأماكن الأخرى، وهو أمر لا يتأتى إلا في ظل مستوى معين من التعليم والوصول إلى وسائل الإعلام الحديثة... ومن ثم فإن زيادة التنمية تقود إلى وجود فئة أكبر من السكان التي تمتلك الطموح والموارد اللازمة للهجرة بمختلف أنواعها...³

¹ تقرير المكتب الإقليمي لأوروبا بمنظمة الصحة العالمية عن المهاجرين غير الشرعيين 2019 ، ص: 12.

² تقرير المنظمة الدولية للهجرة لعام 2013، ص: 31 .

³ op , cit : 50. Et voir aussi : Alexandre Papa Faye: migration et developpement.

4- أن تشديد الرقابة على الحدود يقلص نسبة الهجرة غير النظامية...، و الحقيقة: أن من المرجح أن يلجأ المهاجرون وطالبو اللجوء إلى دخول دولة ما بطريقة غير نظامية عندما لا تكون هناك بدائل قانونية، وهذا ما يعني غالباً الاعتماد على المهربين واستخدام طرق تعرضهم للعديد من المخاطر وحتى الموت... ومن المفارقات أن الدراسات التي أجريت في هذا الشأن قد أظهرت أن تشديد الضوابط الحدودية يمنع الهجرة القصيرة الأجل والهجرة الدائرية التي يعود فيها المهاجرون إلى أوطانهم بشكل منتظم، فمع تشديد الرقابة على الحدود يضطر المهاجرون إلى البقاء في دول المقصد لفترات أطول نظراً لصعوبة إعادة الدخول والنفقات المصاحبة لذلك...¹

5- أن المهاجرين يحصلون على وظائف كانت - لولا وجودهم - ستذهب للسكان الأصليين.. والحقيقة: أن آثار الهجرة على أسواق العمل معقدة ومتنوعة، تبعاً للزمان والمكان... ففي الدول المتقدمة، لاسيما خلال فترات النمو الاقتصادي، غالباً ما يشغل العمال المهاجرون وظائف منخفضة المهارة ومدنية الأجر، لا يرغب المواطنون فيها... كما أنه يوجد ارتباط قوي بين معدلات النمو الاقتصادي ومعدلات الهجرة، فعندما يتباطئ النمو وتقل فرص العمل، تكون الهجرة كذلك أيضاً.

6- أن المهاجرين يستنزفون الخدمات الاجتماعية والموارد العامة...، والحقيقة: في العديد من الدول، لا يحصل المهاجرون أصلاً - لاسيما المهاجرون غير الشرعيين - على الخدمات الاجتماعية مثل الرعاية الصحية العامة، والإسكان، وفي الحالات التي يكون بإمكانهم الحصول على الرعاية الاجتماعية، فإنه من غير المحتمل أن يحصلوا عليها بنفس المستوى الذي يحصل عليه السكان المحليون...²

ويعود هذا جزئياً إلى أن نسبة كبيرة منهم هم من البالغين الشباب الذين تقل نسبة احتياجاتهم الصحية... وقد ثبت أن مساهمة المهاجرين في الضرائب لفائدة البلد المضيف فاقت الفوائد الاجتماعية التي حصلوا عليها...

Christian Brunelle: "la primauté du droit: la situation des immigrants et des refugies en droit europeen au regard des Chartes et des textes internationaux", op cit , p: 57 et sui...

Ibidem , p:41.¹

Med Moulay: trafic illicite de migrants et droits humains, vers une coherence,thes de ² doct,UM5,2018,p: 71.

7- أن الأفراد الذين يدخلون إلى دولة ما بطريقة غير نظامية هم مهاجرون غير شرعيين...، والحقيقة: أنه في حين يعد عبور الحدود دون حيازة وثائق خرقاً لقوانين الهجرة، إلا أنها لا تجعل الشخص "غير شرعي"، لاسيما إذا كان هذا الشخص من طالبي اللجوء، ذلك أن اتفاقية الأمم المتحدة للاجئين تعترف بحق الأشخاص الفارين من الاضطهاد في الدخول إلى دولة أخرى لأغراض طلب اللجوء، بغض النظر عما إذا كان لديهم وثائق صالحة للسفر أم لا... والنسبة أقل بكثير في أوروبا، حيث تشير التقارير إلى أن نسبة المهاجرين الذين لا يحملون وثائق من إجمالي "السكان الأجانب" في عام 2008 تراوحت ما بين 7 إلى 12 بالمائة، وغالباً ما يُضطر الأشخاص الفارون من الاضطهاد والصراع في دول مثل الصومال وأفغانستان وسوريا وغيرها... إلى عبور الحدود دون وثائق...¹

المبحث الثاني

مهاجرو دول إفريقيا جنوب الصحراء، غموض السياسات.. وخيارات: الترحيل والتوطين:

تقديم وتقسيم:

ستتم دراسة محتوى هذا المبحث من خلال المطالبين التاليين: ضعف المقاربات المغاربية لحل الإشكاليات المتعلقة بالمهاجرين من دول إفريقيا جنوب الصحراء (مطلباً أول)، ثم عدم جدية الشركاء الأوروبيين في وضع حلول جذرية للظاهرة (مطلباً ثانياً)، وذلك على النحو التالي: المطلب الأول: ضعف المقاربات المغاربية:

لا شك أن هناك شبكات ذات نشاط دولي تستغل حاجة المهاجرين الشباب في البلدان الفقيرة، وغير المستقرة في إفريقيا من دول إفريقيا جنوب الصحراء.. وتبيع الوهم لهم... حيث يجدون أنفسهم في نهاية المطاف رهن الاعتقال إن لم تكن نهايتهم الضياع في الصحراء أو الموت غرقاً في البحر.....

ووفقاً لاستطلاع أجره مركز Gallup ونشرته المنظمة الدولية للهجرة في تقرير بعنوان الهجرة في العالم لعام 2018 فإن أغلب المهاجرين العابرين من العمق الإفريقي باتجاه أوروبا لا يحملون توجهات سياسية أو أيديولوجية، كما أنه قلما وُجد من بينهم أصحاب سوابق مطلوبون للعدالة في

¹ Conseil Canadien pour les refugies: a props des refugies et des immigrants : un glossaire terminologique. Montreal, 2012, p:02.

أنظر أيضاً: عابسة حمزة: الحماية القانونية للمهاجرين في القانون الدولي، 2017، ص: 32.

بلدانهم، أو على المستوى الدولي... بل كانوا دائماً مهاجرين اقتصاديين: باحثين بشتى السبل عن طرق تقودهم لتحسين مستوى معيشتهم...¹

وقد أورد الناطق الرسمي باسم منظمة الصحة العالمية في تقرير المنظمة السنوي عن الأوضاع الصحية للاجئين في 14 يوليو 2017، أن المهاجرين واللاجئين أكثر عرضة لخطر الإصابة بالأمراض من السكان المضيفين في مختلف البلدان، وأنهم يواجهون دائماً خطر الإصابة بالأمراض في مرحلة التنقل أو أثناء البقاء في البلدان المستقبلية بسبب سوء الأحوال المعيشية والتغيرات الطارئة على نمط حياتهم...²

وفي الوقت الذي ترتبط فيه الأمراض المعدية عادة بالنزوح والهجرة، إلا أن التقرير يشير إلى أن هناك وعياً متنامياً بأن هذه الفئة أكثر عرضة لخطر الإصابة بالأمراض المعدية بسبب عدم الحصول على الرعاية الصحية، أو لحصولهم على رعاية متقطعة، أو للظروف المعيشية السيئة أثناء عملية الهجرة، لذلك فمن الضروري ضمان أن العاملين في مجال الرعاية الصحية الموجهة للمهاجرين يفهمون هذه المخاطر...

كما أشار التقرير أيضاً إلى أن القصر غير المصحوبين بذويهم معرضون للاستغلال ويعانون من معدلات انحراف أكبر، ومن أعراض الاضطرابات الناجمة عن الضغوطات اليومية، ويعانون من إصابات مرتبطة بالعمل أكثر بكثير من العمال غير المهاجرين.....

ويتخذ العديد من المهاجرين الأفارقة القادمين من بلدان جنوب الصحراء دول الاتحاد المغربي: موريتانيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، دول عبور في طريق الهجرة إلى أوروبا، ويتدفقون على هذه البلدان بنسب متفاوتة، وخلال مواسم مختلفة... بحسب الثغرات التي يتصيداها مهروبو البشر في النظام الوطني لمكافحة الهجرة غير الشرعية بكل دولة، فتصبح تلك الدولة قبلة موسمية واعدة، حتى إذا سيرت السلطات دوريات متخصصة، وأحكمت قبضتها على مسارات التهريب، تراجعت نسب الوافدين ريثما يضع المهربون استراتيجيات جديدة...

¹ تقرير المكتب الإقليمي لأوروبا بمنظمة الصحة العالمية ، 2019 ، مصدر سابق، ص: 43. و أنظر كذلك:

Med Moulay: traffic illicite de migrants et droits humains,op .cit, p: 81.

² تقرير منظمة الصحة العالمية السنوي عن الأوضاع الصحية للاجئين في 14 يوليو 2017. ص: 30 ، و أنظر كذلك : عباسية حمزة: ، مصدر سابق، ص: 66. و أنظر أيضاً:

Rapport d information de l'Ambassadeur: Tomas B, op.cit, p: 16.

وفي 2023/7/3 وبعد مواجهات بين هؤلاء وبين بعض الشباب التونسي قُتل على أيدي مهاجرين أفارقة في مدينة صفاقس أحد المواطنين التونسيين مما تسبب في أزمة للمهاجرين غير النظاميين المتواجدين في مختلف المدن التونسية ...

ووفقاً لتقارير مراقبين، فإن السلطات التونسية قررت ترحيل المئات من المهاجرين إلى بلدانهم لحل الأزمة وإنهاء التوترات بين المواطنين والمهاجرين، كما أشارت بعض وسائل الإعلام إلى أنه تم ترحيل بعض المهاجرين أيضاً باتجاه الحدود البرية الليبية ...

وفي 2023/7/7 طالبت منظمة Human Rights Watch السلطات التونسية وقفت عمليات الطرد الجماعي لطالبي اللجوء الأفارقة، الذين باتوا في ظروف غير إنسانية، يعانون درجات حرارة مرتفعة في الصحراء ...

ورغم تقاوم المعاناة الإنسانية لهؤلاء، فلم تقم المنظمات الدولية بدور يذكر، بل ساد التعتيم حول مصيرهم... وقد أثارت فيديوهات المهاجرين الأفارقة المتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي انقساماً في الرأي العام الوطني والدولي بين منتقد ومتعاطف بسبب قسوة المواقف في التعاطي مع الملف، وجدير بالذكر أن المهاجرين نظموا اعتصامات أمام مقرات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في تونس والجزائر والمغرب وليبيا... في فترات متفاوتة ...

وكان الرئيس التونسي قيس سعيد قد دعا - خلال اجتماع وطني رفيع المستوى - إلى إيجاد حل دولي للظاهرة يقوم على معالجة الأسباب الحقيقية وراء تقاوم الهجرة غير النظامية... مشيراً إلى أن هناك أطرافاً تدفع المهاجرين عنوة إلى التراب التونسي بشكل غير قانوني لتقويض الأمن والاستقرار في تونس... وقد واجه المهاجرون في هذه الفترة أياماً العصيبة بسبب الحملة القوية ضدهم، فيما اعتبر بعض قادة الطيف السياسي المغربي ما يحدث في شمال أفريقيا حملة ممنهجة ضد العرب والمسلمين في شمال أفريقيا، أسموها: "الاستيطان الإجماعي"، نسبة إلى (إفريقيا جنوب الصحرى) ...¹

المطلب الثاني: مراوغة الشريك الأوروبي في وضع الحلول:

¹ صرح الناطق باسم المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية: رمضان بن عمر في 2023 /7/11 ، بأنه تم نقل المهاجرين العالقين على الحدود إلى مبيطات تابعة للمنظمة الدولية للهجرة في ولاية تطاوين ، كما تم نقل مجموعات أخرى إلى مقر وزارة التربية بولاية مدين تحت إشراف الجيش التونسي.

على مر العقود الماضية لم تتقدم دول الاتحاد الأوروبي - مجتمعة أو فرادى - بأي مشروع أو مقترح جاد لوضع حلول بناءة لظاهرة الهجرة من القارة الإفريقية إلى البلدان الأوروبية، رغم حاجة الشريك الأوروبي إلى أبناء القارة كيد عاملة...

ولا يخلو هذا الموقف من دواعٍ وجيهةٍ للسخرية... فأوروبا هي من استعمر شعوب هذه القارة، وعملت على استنزاف ثروتها منذ بدايات القرن التاسع عشر، وتنافست على تعليم لغاتها لأبناء هذه البلدان الفقيرة بحجة أنها تنقل إليها الحضارة، والديموقراطية، والتقدم... ثم تبين لاحقاً أن ذلك كله كان مجرد خدعة عندما وضعت أوروبا أمام التزاماتها ووعودها...!!

ورغم أن فرنسا مثلاً أنشأت سنة 1998 جهازاً استشارياً تابعاً للوزير الأول ينحصر اختصاصه في دراسة أنجع المقترحات لتوحيد الفئات والشرائح الاجتماعية الوافدة ودمجها هو: المجلس الأعلى للاندماج الفرنسي، فإن المفاهيم الواردة في قرارات هذا المجلس اعتمدت معيار تحديد الصفة بالرجوع إلى الفئة: (الأصل)... حيث عرّف المجلس المهاجر بأنه: (شخصٌ ولد أجنبياً في بلد أجنبي ويقيم في فرنسا بشكل دائم)، فالمهاجر في منظور خبراء المجلس هو: المقيمُ إذا...! ويضيف: (إن صفة المهاجر دائمة... فالفرد يبقى منتمياً لفئة المهاجرين حتى ولو اكتسب الجنسية الفرنسية، لأن بلد وجنسية الفرد عند ولادته هي التي تحدد ما إذا كان مهاجراً أم لا)..¹

والمتمأل في الوثائق الأوروبية يلاحظ أن: مجلس أوروبا منذ 1949، و الاتحاد الأوروبي ماستريخت 1991، سعيًا إلى إرساء نظام قانوني متكامل للهجرة، انطلاقاً من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان 1950، الاتفاقية الأوروبية الخاصة بالنظام القانوني للعمال المهاجرين 1977، والاتفاقية الأوروبية لمشاركة الأجانب في الحياة العامة 1992، والاتفاقية الأوروبية الاطارية لحماية الأقليات القومية 1995، والميثاق الأوروبي الاجتماعي 1996... إلى غير ذلك من الصكوك و الوثائق التي تتقرر أحكاماً و تنشئ التزامات دولية مرموقة قبلَ دول منظمة الاتحاد الأوروبي لؤلئك الأشخاص الذين دخلوا الأراضي الأوروبية تحت وطأة ظروف قاهرة، طلباً للعيش الكريم ...

¹ صايش عبد المالك: التعاون الأورو - مغاربي في مجال مكافحة الهجرة غير القانونية، 2007. ص: 56.

حتى أن لجنة الوزراء التي هي إحدى هيئات "مجلس أوروبا"، أصدرت خلال العقد الماضي عدة توصيات بمقتضى المادة 15 من النظام الداخلي للمجلس لتوجيهه وتذكير دول المجلس بالالتزامات المقررة في الاتفاقيات، ومن أهم هذه التوصيات:

- التوصية 4 لسنة 2002 المتعلقة بحق المهاجرين في لم الشمل الأسري، والتوصية 10 لسنة 2008 المتعلقة بتحسين طرق ولوج لسوق العمل، والتوصية 5 لسنة 2011 المتعلقة بالمعاملة اللائقة للمهاجرين كبار السن، والتوصية 13 لسنة 2011 المتعلقة بحق المهاجرين في العلاج. بل إن الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا - التي تتمتع بسلطة إصدار قرارات ملزمة لكل دولة عضو، ولها أن تسلط عقوبات على الطرف الذي لا يخضع لهذه القرارات - أصدرت العديد من القرارات لتعزيز حماية حقوق المهاجرين الموجودين على أراضي دول المجلس، ومن أهم هذه القرارات:

- القرار 6 لسنة 2006 المتعلق بضوابط التوقيف الإداري للمهاجرين، والقرار 1478 لسنة 2006 حول إدماج النساء المهاجرات، والقرار 2006 لسنة 2014 المتعلق بدمج المهاجرين في أوروبا، والقرار 2128 لسنة 2016 حول العنف الموجه ضد المهاجرين.

غير أن هذه الأطر القانونية النموذجية لم تجد طريقها نحو التنفيذ بالقدر المرغوب... بل سُجلت حالات تم فيها انتهاك كل المواثيق والالتزامات والقيم المقررة بمقتضى الاتفاقيات والتوصيات والقرارات المذكورة أعلاه...!

ذلك أن السياسة غير المعلنة للاتحاد الأوروبي اليوم هي حماية حدوده الخارجية، من خلال توزيع معدات ونظم المراقبة الحديثة على دول العبور على الضفة الأخرى من المتوسط، متخذاً من هذه الدول منطقة عازلة بناء على اتفاقات مبدئية، تتضمن وعوداً وهمية بالتمويل والقروض طويلة المدى، أو بالدعم من خلال البنك الدولي...

وقد سجلت منظمة Human Rights Watch مسؤولية قطاعات من درك الحدود البحرية الأوروبية عن تسيير دوريات في المياه الإقليمية لدول الاتحاد وفي أعالي البحار لاعتراض قوارب المهاجرين عبر البحر، لا لتقديم النجدة وإنما لإرجاع المهاجرين أو تسليمهم لسلطات دولة العبور... وقد وُثقت عمليات صَدَّ بالقوة على الحدود البرية لبلغاريا في أغسطس وسبتمبر 2023، فضلاً عن حادثة فبراير 2014، حيث فتح حرس الحدود الإسباني الأعيرة المطاطية والغاز المسيل للدموع

في وجه 250 مهاجراً ولاجئاً كانوا يسبحون من المياه المغربية باتجاه سبتة الإسبانية، وقد فارق الحياة 24 منهم على الفور، وبقي أكثر من 30 منهم في عداد المفقودين...¹

وكانت المديرية الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية في أوروبا Sousane jacop، قد دعت في تقريرها السنوي عن ظروف المهاجرين غير الشرعيين في 5 ديسمبر 2019، إلى أن تسعى النظم السياسية والاجتماعية في العالم للارتقاء إلى مستوى التحدي العالمي للهجرة بهدف الاستجابة لظروف المهاجرين بطريقة إيجابية وإنسانية، في وقت تتوسع فيه الظاهرة عبر العالم... ويؤكد التقرير الذي تم إعداده بالشراكة مع المعهد الوطني الإيطالي للصحة والهجرة، أن المعطيات المتاحة بشأن صحة اللاجئين والمهاجرين، تؤكد أن أغلبهم كانوا لائقين بدنياً قبل ولوج البلدان الأوروبية، خاصة اللاجئين الأفارقة الذين كانوا بانتظار المساعدة والفحص الطبي بواسطة جمعية الصليب الأحمر بعد نزولهم من سفينة الإنقاذ الإيطالية في ميناء كاتانيا، في 19 سبتمبر 2019، كانوا جميعهم بصحة جيدة....

وبحسب سجلات الاستقبال المعتمدة لدى المنظمة الدولية للهجرة لعام 2019 فإن المهاجرين غير النظاميين الموثقين لدى سلطات الحدود للدول الأوروبية يشكلون أقل من 4% من إجمالي السكان في المنطقة الأوروبية...²

الخاتمة:

طرحت الهجرة غير الشرعية ولا تزال وتطرح العديد من المشاكل، ولعل النمط الأحدث من مشاكل الهجرة والمهاجرين هو ذلك المشار إليه في مستهل هذه المقاربة، والمتمثل في كثافة توافد المهاجرين من الدول الإفريقية على المغرب والجزائر وتونس خلال فصل الصيف 2023 الماضي، وما صاحب ذلك من مواقف سياسية داخلية ودولية، وردود فعل تراوحت بين الفرجة والتنديد...!

¹ عباسة حمزة: الحماية القانونية للمهاجرين في القانون الدولي، 2017، ص: 92.

² irreguliere sur les droits **Idil Atak**: les effets de Europeanisation de la lute contre la migration² humains des migrants, Universite de monterreal, 2020,p:49-50.

وبما أن "الهجرة" - من حيث هي سلوك فطري لدى جميع بني الإنسان منذ الأزل ليس من المستساغ اعتبارها عملاً مشيناً - فقد رفضت بعض المنظمات الدولية عبارة: "غير القانونية"، التي اعتاد التعامل السياسي الدولي إلحاقها بمصطلح "الهجرة" غير النظامية... إلا أنه يجب الاعتراف أن حركة المهاجرين عبر العالم تصبح عملاً ضاراً بسلامة المهاجرين أنفسهم قبل مساسها بالأمن القومي للدول، متى ما تمت بشكل مخالف للضوابط القانونية التي تحمي مصالح جميع الأطراف... لقد جاء التطور الجديد في أوضاع الهجرة نتيجة الخلل الجسيم الذي يطبع السياسات السائدة في التعامل مع الظاهرة... ذلك أن العنف المضاد المستخدم ضد المهاجرين بقمعهم، وإجبارهم على العودة القسرية بطرق تعرض حياتهم للخطر كالتترك في الصحراء، أو القنص في عرض البحر، أو اتخاذهم وسيلة لخلق القلاقل الأمنية و السياسية لبلد جار، أو استغلالهم ورقةً سياسيةً لتنفيذ خطة تعديل ديمغرافي لسكان بلد ما، أو لابتزازه، أو لإجباره على اتخاذ موقف سياسي معين، أو للقبول بتوافقات أو لتقديم تنازلات معينة... كل ذلك توظيفٌ سيءٌ لقضية إنسانية ينبغي ألا تدخل في حسابات أي صراع سياسي أصلاً...

إن عبور المهاجرين البحر الأبيض المتوسط باتجاه أوروبا أو العكس قضيةٌ طبيعيةٌ، تجد سندها في التاريخ، وفي علاقات السلم والحرب التي مرت على المنطقة منذ فجر التاريخ.. ولا يمكن منعها بالقوة.. وإنما يمكن خفض مساوئها بالتعاون، والعمل على تنمية البلدان الإفريقية... بالاستثمارات الهادفة إلى الاستفادة من الأيدي المعطلة في الخزان البشري الإفريقي الذي يتدفق منه هؤلاء من جهة، ورغبةً في تعويض حقبة الاستعمار من جهة أخرى...

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

أ- الوثائق الدولية

- الاتفاقية الأوروبية الخاصة بالنظام القانوني للعمال المهاجرين 1977 .
- الاتفاقية الدولية لحماية حقوق العمال المهاجرين 1990.
- الاتفاقية الأوروبية لمشاركة الأجانب في الحياة العامة 1992 .
- الاتفاقية الأوروبية الاطارية لحماية الأقليات 1995 .

ب- التقارير

تقرير المنظمة الدولية للهجرة لعام 2013 .

تقرير منظمة الصحة العالمية السنوي عن الأوضاع الصحية للاجئين في 14 يوليو 2017.

تقرير المكتب الإقليمي لأوروبا بمنظمة الصحة العالمية عن المهاجرين غير الشرعيين 2019 .

ج - الأبحاث:

1- صايش عبد المالك: التعاون الأورو مغاربي في مجال مكافحة الهجرة غير القانونية، 2007.

2- عابسة حمزة: الحماية القانونية للمهاجرين في القانون الدولي، 2017 .

باللغة الفرنسية:

- References:

- **Alexandre Papa Faye:** migration et developpement:de l immigration subie a l immigration choisie,CADTM,belgique,2019.

- **Christian Brunelle:** “la primaute du droit: la situation des immigrants et des refugies en droit europeen au regard des Chartes et des textes internationaux” ,Universite Laval,2007 ...

-**Gerard Carnu:** vocabulaire juridique (1er edition), Paris, PUF,1987.

- **Idil Atak:** les effets de Europeanisation de la lutte contre la migrationirreguliere sur les droits humains des migrants, Universite de montreal, 2020.

- **Med Moulay:** trafic illicite de migrants et droits humains, vers une coherence,thes de doct,UM5,2018.

- Documents :

- **Conseil Canadien pour les refugies:** a props des refugies et des immigrants : un glossaire terminologique. Montreal, 2012.

- **Pacte europeen** sur l immigration et l asile , conceil de l union europeenne,Bruyelle,2018.

- **Rapport d information** de l Ambassadeur: Tomas B, representent special du Secretaire General pour les migrations et les refugies, Grece, 18 mai 2019.

الإسرائيليات في تفسير البغوي (سورة البقرة من الآية 30 - 248)

د. جمعة مسعود زايد
كلية القانون والشريعة بنالوت

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فالقرآن الكريم كتاب الله المبين، هو المصدر الأول للعقيدة السليمة، والشريعة القويمية، والدستور الإلهي الخالد الذي وضعه الله لعباده، وحدد معالم الحق ورسم طريق الخير، وضرب المثل الأعلى في كل شيء، هو الفصل ليس بالهزل لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملأ الأتقياء، ولا يخلق مع كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.⁽¹⁾

ولهذا فإن العلماء في كل عصر يبذلون أقصى جهدهم في الكشف عن غوامض أسرار هذا التنزيل وبيان ما أشكل فيه من المعاني، فالقرآن هو البحر الزاخر بشتى أنواع العلوم والمعارف، فيجد فيه كل لبيب حاجته فمن مستنبت لأحكامه الفقهية، إلى باحث عن أسرار البلاغية ووجه إعجازه، وتوضيح معانيه وإعرابها، إلى شرح لغامضه وموضح لمشكله، ومن دارس لجوانب العقيدة فيه وكاشف عن بعض حكمه وأسراره وإشارات وأنواره وإعجازه، إلى مهتم بقصص الأولين وأخبار السابقين إلى غير ذلك من الوجوه والاتجاهات.

ومن بين هذه التفاسير تفسير معالم التنزيل للإمام البغوي رحمه الله ومن خلال الاطلاع على آراء العلماء وجدت أن الكثير منهم أو كلهم أثنوا على الإمام البغوي وعلى تفسيره، فهو لا شك كتاب عظيم القدر بالنسبة لبعض كتب التفسير، ويظهر ذلك في أقوال العلماء وثنائهم عليه وعلى تفسيره، ومما يدل على أهمية هذا التفسير أن العلماء والمختصين تلقوا هذا التفسير بالقبول والإعجاب، وكان نصيبه الرواج والانتشار، فاعتمدوا عليه واعتنوا به، وألغوا عليه التفاسير، فكان

(1) حديث أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن (172/5)، والإمام أحمد في مسنده (191/1).

أنأف الإمام الخازن تفسيره لباب التأويل منتخبا ومختصرا من معالم التنزيل البغوي، ومضيفا ومكملا عليه بعض ما رآه مناسبا.

ومن خلال دراستي التخصصية في التفسير والتي مكنتني من الاطلاع على عدة تفاسير ومن ضمنها تفسير البغوي وما له من أهمية، إلا أن تفسيره حوى الكثير من الروايات الإسرائيلية والمرويات الباطلة والأخبار الواهية، وورد ذلك عن بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم، وبعضها ورد مرفوعا إلى النبي (صل الله عليه وسلم) كذبا وزورا وهذا كله لا يمت إلى الإسلام بصلة، وإنما هو من مرويات وخرافات بني اسرائيل وأكاذيبهم وافتراءاتهم على الله وعلى رسله الكرام، رواها مسلمو أهل الكتاب، أو أخذها من كتبهم بعض الصحابة والتابعين أو دست عليهم.

ولما كنت ممن شرفهم الله تعالى في الإسهام في خدمة كتاب الله وتنمة الفائدة، أردت في هذا البحث التنبيه على هذه الروايات الإسرائيلية حتى لا يندفع بها القارئ البسيط.

ومن المعلوم أن هذه الروايات الإسرائيلية كانت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبرة ومواعظه، والبحث عن حكمه وأحكامه إلى توافه لا خير فيها، وصغائر لا وزن لها. فيا حبذا لو يتم تنقية هذه التفاسير من هذه المرويات.

لذلك ستكون خطتي في البحث كما يلي:

قسمت البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول:

أ- نبذة مختصرة عن الشيخ البغوي.

ب- المزايا العلمية لتفسير البغوي.

ج- منهجه في التفسير.

د- الاسرائيليات وموقف العلماء منها.

المطلب الثاني:

أولا: سرد هذه الروايات كما ذكرها الشيخ البغوي في تفسيره.

ثانيا: نقد هذه الروايات.

المطلب الأول: التعريف بالإمام البغوي

الشيخ البغوي هو: العلامة الشيخ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث، المفسر، يعرف بأبي الفراء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدولة، وكان تقياً، ورعاً، زاهداً متقشفاً، قانعاً، لا يلقى الدروس إلا على طهارة، وإذا أكل لا يأكل إلا الخبز وحده، ثم صار يأتدّم بالزيت، وله المؤلفات المفيدة، منها: "شرح السنة"، وكتاب "المصابيح" في الحديث، وتفسيره هذا، وغيرها، وكانت وفاته سنة عشر وخمسمائة، وقيل سنة ست عشرة وخمسمائة".

مزايا تفسير البغوي وقيمه العلمية:

ويمكن أن نجعل مزايا تفسير البغوي وقيمه العلمية فيما يلي:

- 1- يعد تفسير الإمام البغوي من التفاسير المبكرة المتقدمة لأن صاحبه عاش في القرن الخامس الهجري، ومن أوائل كتب التفسير المتوسطة التي أفادت السابقين وخاصة في المأثور من التفسير.
- 2- جاء تفسير البغوي جامعاً شاملاً لجوانب متعددة واتجاهات مختلفة مما يجعله مفيداً لأعداد كبيرة من القراء والمهتمين بفهم كتاب الله وتدبره، فقد وجدناه قد حرص على المأثور من كتاب الله وسنة الرسول (صل الله عليه وسلم) وأقوال الصحابة والتابعين، وعُني باللغة والنحو والقراءات، وذكر آراء أهل السنة والسلف في قضايا العقيدة والأحكام الفقهية.
- 3- اعتمد الإمام البغوي في تفسيره على أصليين مهمين، وهما الكتاب والسنة.
- 4- اختصر الإمام البغوي الأسانيد التي تروى بها أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - وآراء التابعين وتفسير من تبعهم من المفسرين، واكتفى بذكرها في مقدمة تفسيره، وهذا أمر حسن لأن هذا يسّر كثيراً على قارئ التفسير.
- 5- استخدامه لأسلوب السؤال في حل الإشكاليات، وهو أسلوب حسن لتحقيق الفهم وإيضاح المسائل.

منهجه في التفسير:

عرض الإمام البغوي لتفسير آيات كتاب الله، وشرح معانيه بأسلوب سهل واضح، لا لبس فيه ولا غموض، ولا صعوبة ولا توعر في لغته التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم، وهكذا لا نجد المتكلف في لغته وأسلوبه، كما جنب تفسيره الاصطلاحات العلمية والمناقشات والمجاجات المنطقية

العالية التي ترد في بعض كتب التفسير حين تثار قضايا العقيدة وبعض المسائل الشرعية خاصة لدى العلماء والمفسرين الذين تغلب على لغتهم الأساليب والاصطلاحات الفنية المختصة بعلومهم. ويلاحظ على تفسيره الابتعاد عن ذكر التفاصيل والاسترسال في المسائل الفرعية، وبعده عن الحشو والتكرار والتطويل.

وطريقة تفسيره التي اتبعها تأتي في ذكر اسم السورة وعدد آياتها وبيان مكيتها ومدنيها، وقد يفصل فيذكر الآيات المكية في السورة المدنية والعكس بذكر الآيات المدنية في السورة المكية إن كان فيها ذلك، ثم يسوق أسباب النزول إن كانت السورة قد نزلت في مناسبة معينة... وقد يعرض خلال التفسير لأسباب نزول الآيات الخاصة فيها.

ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة فصيحة واقفا على الألفاظ والكلمات الصعبة التي تحتاج إلى الكشف عن معناها اللغوي بالرجوع إلى أصلها ومصدرها ثم يبين معناها في هذا السياق بالاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويسوق كذلك آراء السلف الصالح في معنى تلك الكلمة، وما أثر من تفسير الصحابة والتابعين لها.

ويورد في تفسيره كذلك وجوه الإعراب لبعض الآيات، وما يترتب عليه من معنى وينكر القراءات الأخرى المأثورة لبعض الآيات.

وهو في آيات العقيدة والتوحيد يتناولها موضحاً رأي أهل السنة والجماعة ويدحض ويرفض آراء الفرق الأخرى، وينكر البدع والخرافات في هذا المجال. كما أنه في آيات الأحكام الفقهية يورد آراء الفقهاء المختلفة بإيجاز واختصار فيذكر رأي الإمام الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما.

وللبغوي منهج متميز في التفسير، يعتمد على عناصر أساسية وهي: اعتماده على المأثور من الكتاب والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين مع عنايته بالقراءات واللغة والنحو بإيجاز يحقق فهم الآيات، وذكره لمسائل العقيدة والأحكام الفقهية بطريقة مختصرة.

الإسرائيليات وموقف العلماء منها

أخبار بني إسرائيل، وأقاولهم على ثلاثة أقسام:

"القسم الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن الكريم والسنة، والقرآن هو:

الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب، قال تعالى: "وأنزّلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك".⁽¹⁾

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل: ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل: ما يتعلق بالنبوة بالنبوي (صل الله عليه وسلم) وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم ورد قوله (صل الله عليه وسلم): "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"⁽²⁾

قال الحافظ في الفتح: أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنه كان تقدم منه (صل الله عليه وسلم) الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المخدور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار.

"والقسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكره في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان،

(1) سورة المائدة، آية (48، 49).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

ومثل ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا اسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترباً ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، قال تعالى: "يحرّفون الكلم من بعد مواضعه".⁽¹⁾

وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي (صل الله عليه وسلم) للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج": المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن: أمّا ما علم كذبه فلا.⁽²⁾

ولعل هذا هو المراد من قول ابن عباس: "يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابتكم الذي أنزل على نبيه (صل الله عليه وسلم) أحدث⁽³⁾ تقرءونه لم يُشَبَّ⁽⁴⁾، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم"⁽⁵⁾

" القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا تؤمن به، ولا تكذبه، لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدق، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هرير، قال: "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صل الله عليه وسلم): "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمناً بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم"⁽⁶⁾ الآية، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وألاً نضيع الوقت في الاشتغال به.⁽⁷⁾

(1) سورة المائدة، آية (41).

(2) فتح الباري (388/6).

(3) أحدث: آخر الكتب السماوية نزولاً من عند الله.

(4) لم يخلط بغيره قط، لأنه محفوظ من التبديل والزيادة.

(5) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول النبي (صل الله عليه وسلم): "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء".

(6) صحيح البخاري، كتاب التفسير - سورة البقرة، باب: "قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا" الآية، و الآية التي أشار إليها في سورة العنكبوت: 46.

(7) انظر: أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات (ص 103-105).

موقف العلماء من الاسرائيليات:

اختلفت مواقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الاسرائيليات على ثلاثة أنحاء:
أ- فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري.

ب - ومنهم من أكثر منها وجردها من الأسانيد غالباً فكان حاطب ليل، مثل البغوي.

ج- ومنهم من ذكر كثيراً منها ويعقب البعض ممّا ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

د- ومنهم من بالغ في ردّها ولم يذكر منها شيئاً يجعله تفسيراً للقرآن كمحمد رشيد رضا.⁽¹⁾

المطلب الثاني : سرد الروايات الاسرائيلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ البغوي عند تفسيره⁽²⁾ لقوله تعالى: "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة... إلى قوله تعالى" وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه..."⁽³⁾

قال الشيخ⁽⁴⁾ رحمه الله: المراد بالخليفة⁽⁵⁾ هنا آدم عليه السلام، فهو خليفة الله تعالى في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه، وكانت القصة في ذلك فيما حكى الشيخ رحمه الله تعالى: أن الله تعالى خلق السماء والأرض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا الله تعالى دهرًا⁽⁶⁾ طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فأفسدوا واقتتلوا، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خُزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة وعلى رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً، فهبطوا إلى الأرض "وطردوا الجن إلى شعب الجبال وجزائر البحار، وسكنوا الأرض وأعطى الله إبليس ملك السماء وملك الأرض وخزائن الجنة

(1) شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ج 29).

(2) تفسير معالم التنزيل للبغوي (1/30-34).

(3) سورة البقرة، آية (30-34).

(4) انظر معالم التنزيل (1/31) وما بعدها.

(5) الخليفة: من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده. انظر لسان العرب (5/134).

(6) الدهر: الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، وأيضاً: يقع على بعض الدهر. انظر لسان العرب بتصرف (5/314).

وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة، فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، فقال الله تعالى له ولجنده: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"، يعني: بدلاً منكم ورافعكم إليّ، فلما قال ذلك، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك⁽¹⁾ الدماء بغير حق كما فعل بنو الجان، قال الله تعالى: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، يعني: من المصلحة فيه، قال ابن عباس⁽²⁾: وكان جسد آدم ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فمر عليه إبليس فقال: لأمر ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال إن خلق لا يتماسك لأنه أجوف⁽³⁾، ثم قال للملائكة الذين معه: رأيتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته (ماذا تصنعون) قالوا: نطيع أمر ربنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت على هذا لأهلكنه، ولئن سلط عليّ لأعصينه⁽⁴⁾. قال الله تعالى: "وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ"، يعني الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية، فلما نفخ الله تعالى الروح في آدم علمه أسماء كل شيء حتى القصعة⁽⁵⁾ والقصبة⁽⁶⁾ والمغرفة⁽⁷⁾ واسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة⁽⁸⁾، وذلك قوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"، وسمي آدم لأنه خلق من آدم الأرض، ثم إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم⁽⁹⁾ فقال الله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبْوَسَتْ كِبَرَهُ"، يعني: امتنع فلم يسجد وتكبر عن السجود لآدم وأظهر ما كان في (باطنه)، يعني قوله للملائكة إن سلط عليّ هذا لأهلكنه، قال أكثر المفسرين: كان في سابق علم الله تعالى أن إبليس من الكافرين الذين أوجبت لهم الشقاوة والعياذ بالله⁽¹⁰⁾. قال الله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"،

(1) السفك: صب الدم، وصبه، وهراقه. انظر لسان العرب (201/7) بتصرف.

(2) لم أعتز عليه في تفسيره (على ابن أبي طلحة)، ذكره الطبري في تفسيره (271/1)، وتفسير الثعلبي (101/1).

(3) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك برقم (31، 32) (164/16). يرحم الله ابن كثير فقد طعن في سند هذه الرواية وضعفها فقال: "هذا سياق غريب وفيها أشياء فيها نظر يطول مناقشتها، (112/1، 113).

(4) ذكره الطبري في تفسيره (270/269/1)، والدر المنثور للسيوطي (45/1).

(5) القصعة: الضخمة تشبع العشرة، والجمع قصاع وقصع. لسان العرب (122/12).

(6) القصبة: خصلة من الشعر تلتوي، والقصبة: البئر الحديثة الحفر. انظر لسان العرب (112/12).

(7) المغرفة: ما غرف به. انظر لسان العرب (37/11).

(8) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (279/1) وما بعدها، وزاد المسير (62/1)، تفسير الطبري (284/1).

(9) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (62/1)، والدر المنثور (49/1)، وتاريخ الطبري عن سعيد ابن جبير (91/1).

(10) تفسير الثعلبي (103/1).

فصار فيها وحشياً لم يجد من يجانسه ويؤانسسه، فنام نومة (فخلق) الله تعالى زوجته حواء عليها السلام من قصى ضلع شقه الأيسر من غير أن يحس بها ولا وجد لها ألماً، ولو وجد لها ألماً لما عطف رجل على امرأة، فلما هب يعني انتبه رأى حواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها من أنت؟ قالت زوجتك خلقتني الله لك تسكن إليّ وأسكن إليك⁽¹⁾، ثم قال الله تعالى: "وكلا منها"، يعني: من الجنة، "رغد" يعني واسعاً كثيراً، "حيث شئتما"، يعني: كيف شئتما، "ولا تقربا هذه الشجرة"، كلام لأكثر المفسرين: أن هذا النهي عن شجرة مخصوصة قيل هي السنبلية يعني البر، وقيل التين، وقيل العنب⁽²⁾، "فتكونا من الظالمين"، يعني العاصين الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه، فلما دخل آدم الجنة ورأى ما فيها من النعيم، قال في نفسه: لو أن أخلد، فاغتنم الشيطان ذلك، وكان سبب إتيان الشيطان له من قبل الخلد، قال الله تعالى: "فأزلهما الشيطان"، يعني: ناهما وأبعدهما وأخرجهما مما كانا فيه من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء، فمنعه الخزنة من ذلك؛ فأتى إلى الحية، وكانت (صديقة له) وهي من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة، فسألها إبليس أن تدخله في (فمها) فأدخلته في فيها، ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون، فأدخلته الجنة، فلما دخل وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فبكى وناح⁽³⁾ نياحة أحزنتهما وكان هو أول من ناح فقالا له: وما يبكيك؟ فقال لهما: أبكي عليكما ستموتان وتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمتا⁽⁴⁾ لذلك، فمضى إبليس عنهما وقد حصل في قلوبهما ما حصل ثم أتاهما بعد ذلك فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله يعني: حلف لهما إني ناصح فصدقاها، وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً فاغترا، وبادرت حواء إلى أكل الشجرة وناولت آدم حتى أكلها، فلما أكلتا فتت⁽⁵⁾ عنهما ثيابهما وبدت لهما سوءاتهما وأخرجتا من الجنة، فذلك قوله تعالى:

(1) انظر تاريخ الطبري (103/1، 104).

(2) ذكره الطبري في تفسيره (301/1، 302)، وتفسير ابن كثير (117/1، 118)، وزاد المسير لابن الجوزي (66/1)، وتاريخ الطبري (97/1). لا يتوقف على معرفة اسم الشجرة أية فائدة، =ولو أراد الله ذلك لأطلعنا عليه، فعلينا ألا نكلف أنفسنا ولا نشغلها في البحث عن تعيينها. قال الألوسي: "والأولى عدم القطع والتعيين، كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة". الألوسي، روح المعاني (215/1).

(3) النوح: النساء يجتمعن للحزن. انظر لسان العرب (378/14).

(4) الغمة: الكرب. لسان العرب لابن منظور (88/11).

(5) فتت: أي كسر وتقطع وسقط عنهما. انظر لسان العرب لابن منظور (119/11) بتصرف.

"وقلنا اهبطوا"، انزلوا إلى الأرض يعني: آدم وحواء، وإبليس والحية، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نوذ⁽¹⁾، وحواء بجدة⁽²⁾، وإبليس بالأبلة⁽³⁾، والحية بأصفهان⁽⁴⁾. قال ابن عباس: فبكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً⁽⁵⁾.

نقد هذه الروايات⁽⁶⁾:

هذه الرواية فيها كثير من الاسرائيليات من أن إبليس من الملائكة، وفي ذلك يقول الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل البشر بالإضافة إلى الحرب المزعومة على الأرض، وهذه الروايات تخالف صريح القرآن تماما.

كذلك روايته في كيفية دخول إبليس إلى الجنة عن طريق دخوله في فم الحية فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون، وكذلك شكل الحية أن لها أربع قوائم إلى آخر ما ذكره البغوي.

أغلب كتب الرأي ذكرت هذه القصة، وكل هذا من قصص بني اسرائيل الذي تزيدوا فيه وخطوا حقا بباطل... ووسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية، إذ الوسوسة

(1) نوذ: بالفتح ثم السكون وذال ومعجمة: جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام، وهو أخصب جبل في الأرض. انظر معجم البلدان (358/5).

(2) جدة: بالضم والتشديد: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال عن الزمخشري، وقال الحازمي: بينهما يوم وليلة. انظر معجم البلدان (133/2).

(3) أبلة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وقال أبو زيد: أبلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قرده، وخنزير. انظر: معجم البلدان (347/1).

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (68/1)، الدر المنثور (56/1). وأصفهان هي أصبهان. وهي مدينة عظيمة كبيرة صحيحة الهواء نفيسة الجو خالية من جميع الهوام، وأرضها حرة صلبة، وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجن وهو الآن يعرف بشهرستان، وبالمدينة. انظر معجم البلدان (244/1) وما بعدها. وقد علق ابن كثير على تلك الأماكن التي أهبطوا إليها فقال: "وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم". انظر ابن كثير في تفسيره (119/1).

(5) لم أقف عليه في تفسيره، وذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (106/1)، وتفسير البحر المحيط (319/1).
(6) ذكر أيضا هذه الروايات الطبري في تفسيره (223-270/1)، وابن كثير في تفسيره (112/1)، ومحمد بن اسحاق في تفسيره، (ص 18-21) وتفسير الدر المنثور للسيوطي (44،45/1).

لا تحتاج إلى قرب ومشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا ولم تكن لها قوائم ولا شيء من هذا.⁽¹⁾

وعند تفسيره لقوله تعالى: "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت"⁽²⁾

فقد ذكر البغوي قصة اليهود وعدوانهم في السبت وذلك أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة، حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خرطومهم من الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى يوم السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يرى شيء منها، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت خاصة فوقع ذلك في قلوبهم، فعمد رجال فحفروا حياضا حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحياتن إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، ففعلوا ذلك زمانا ولم ينزل الله عليهم عقوبة فتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وآثروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا قدر سبعين ألفا، ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفا، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم، قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، وأقام كل واحد على حاله مدة سنين، فلعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم، ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا بهم جميعا قرده لهم أذنان يتعاونون.⁽³⁾

نقد هذه الروايات:

هذه الآيات تناولت الحديث عن بني إسرائيل من جوانب متعددة، وقد ذكر فيها البغوي كثيرا من الإسرائيليات التي تتعلق بهؤلاء القوم، وربما تكررت هذه الإسرائيليات حيثما ورد ذكرهم في القرآن وهو كثير، وليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكر من إحصاء لعددهم ومكان معسكرهم، وشكل هجرهم وما إلى ذلك. ولذا قال العلامة ابن خلدون: وكثيرا ما وقع المؤرخين والمفسرين وأئمة

(1) انظر الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح الثالث لتزداد يقينا أنه من الإسرائيليات، وليس منه شيء عن المعصوم صل الله عليه وسلم، وانظر: الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبه (ص 175).

(2) سورة البقرة، آية (65).

(3) تفسير معالم التنزيل للبغوي، (1/47،48).

النقل من المغالطات في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو ثميّنا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيّار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فظلوا عن الحق وتاهوا في ببداء الوهم والغلط سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد.⁽¹⁾

وحكى الشيخ البغوي⁽²⁾ عند تفسيره لقوله تعالى " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا"⁽³⁾

وكانت القصة في ذلك: أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير ولا وارث له سواه، قال الشيخ رحمه الله تعالى: فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فألقاها بفنائها، ثم أصبح يطلب ثأره، فجاء بناس إلى موسى عليه السلام ليدعى عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، والقسامة اليمين، فسألوا موسى أن يدعوا الله أن يبين لهم بدعائه أمر القتل، فأمرهم بذبح بقرة، وذلك معنى قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا" أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتل وتأمّرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما في ذلك من حكمة. "قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" يعني: لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما قال ذلك علموا أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل فاستوصفوه، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكان تحت ذلك حكمة من الله عز وجل، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل له ابن طفل صغير وله عجلة أتت بها إلى غيضة، وقال: اللهم إني استودعتك هذه العجلة لإبني حتى يكبر، ثم مات الرجل وصارت العجلة في الغيضة أعواماً، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته غاية البر، وكان يقسم الليلة ثلاثة أثلاث، يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه الباقي ويعطي والدته ثلثه، فقالت له والدته يوماً: إن أباك قد ورتك عجلة استودعها الله في غيضة

(1) انظر مقدمة ابن خلدون (7،9)، وراجع الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (265، 266).

(2) تفسير البغوي (77/1-78-79)، وتفسير الطبري (414/1، 415)، وابن كثير في تفسيره (159/1، 160)، وتفسير

السدي (119-121)، وتفسير ابن عطية المحرر الوجيز، (164/1).

(3) سورة البقرة آية (67).

كذا، فانطلق وادع الله إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدتها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى إلى الغيضة فرأها ترعى فصاح عليها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت بإذن الله فقالت: أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال: إن أمي لم تأمرني بذلك، فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لانطلق لبرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فباع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت بثلاثة دنانير، ولا تتبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فأمر الله ملكاً ليرى الخلق قدرته، ويختبر الفتى كيف بره بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا أمي، فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم تأخذها إلا برضا أمي، فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع وبعها بستة دنانير على رضا مني، فانطلق بها إلى السوق، فأتى الملك فقال: استأمرت أمك؟ قال نعم، وأمرتني ألا أنقصها من الستة دنانير على أن استأمرها، فقال: أنا أعطيك أتي عشر ديناً على ألا تستأمرها، فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك، فقالت: إن الذي يأتيك ملك يستخبرك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل، فلا تبعوها إلا بملء مسكها دنانير ذهب، يعني ملء جلدتها، فأمسكوها هو وأمه حتى قدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة، فمزالوا يستوصفون حتى وصفت لهم تلك البقرة، فعل الله ذلك للفتى مكافأة له على بره بوالدته فضلاً من الله ورحمة.

نقد هذه الروايات:

فهذه القصة وما دار فيها من أحداث من عثورهم على البقرة عند الفتى البار بأمه، وقيل غير ذلك أنهم وجدوها عند عجوز لها يتامى، فلا علاقة لنا بالقتيل والزعم فهما بأس المطية ولا يقين يقوم عليهما وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم.

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى: "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان" وقوله تعالى: "وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"⁽¹⁾

حيث حكى أن الملائكة رأوا ما يصعد من أعمال بني آدم الخبيثة إلى السماء في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا: أهؤلاء الذين جعلتم في الأرض واخترتهم؟ فقال الله لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبت ما ارتكبوا، فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاخترنا ملكين من خياركم أهبطهم إلى الأرض، فاخترنا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فتابتا على ذلك وكان يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، وذات يوم اختصم إليهما الزهرة وكانت من أجمل النساء، فلما نظرا إليها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت، ولما عادت في اليوم الثاني قال لهما نفس الكلام فقالت لهما: إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها، ولما عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من الخمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت به الأمس، فقالا لهما: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا رأهما إنسان فقتلاه وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكبا. فلما هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وطلبا منه الشفاعة إلى الله تعالى، فشفع لهما ادريس إلى الله تعالى، فتخيرهما الله سبحانه وتعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان... وغيرها من الروايات.⁽²⁾

نقد هذه الروايات:

قال ابن كثير في تفسيره 1/199، أقرب ما في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار لا عن النبي صل الله عليه وسلم، وقال في البداية والنهاية (84/1) هذا من أخبار اسرائيل ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها، والله أعلم، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة

(1) سورة البقرة آية (102).

(2) معالم التنزيل للبغوي (1/63، 64، 65)، ونكرهما الطبري في تفسيره (1/526-527) وابن كثير في تفسيره (1/205)، (206) والدر المنثور للسيوطي (1/97)، والسدي في تفسيره (ص 126، 127)، وتفسير ابن اسحاق (ص 34).

(170) باطل مدفوعاً. والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التي لا تصدر إلا من عريبي وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقال القرطبي: "هذا كله ضعيف ولا يصح منه شيء فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله وسفراؤه إلى رسله.⁽¹⁾

قال الشيخ البغوي عند تفسيره⁽²⁾ لقوله تعالى: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت"⁽³⁾

قال الشيخ رحمه الله تعالى: قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قبيل واسط وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقى في القرية، وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل؛ فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح، فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعاً، فما أتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع. واختلفوا في مبلغ عددهم، فقال السدي: بضعة وثلاثون ألف⁽⁴⁾، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً⁽⁵⁾، وقال عطاء بن أبي رباح: سبعون ألفاً⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

نقد هذه الروايات:

- (1) انظر الإسرائيليات لأبي شهبه، (161/159)، والبداية والنهاية لابن كثير، (84/1)، وتفسير ابن كثير (135/1).
(2) تفسير معالم التنزيل للبغوي (166/1، 167)، وذكر ذلك الطبري في تفسيره (661/2)، وابن كثير في تفسيره (432/1، 433)، والسدي في تفسيره (ص 156)، وابن اسحاق في تفسيره (ص 38، 39).
(3) سورة البقرة، آية (243).
(4) تفسير السدي الكبير، ص 156.
(5) ذكره البغوي في تفسيره (166/1، 167)، والطبري في تفسيره (661/2)، والثعلبي في تفسيره (391/1).
(6) لم أقف عليه في تفسيره، وذكره الثعلبي في تفسيره (391/1).
(7) قال البغوي: وأولى الأقاويل قول من قال: كانوا زيادة على عشر آلاف، لأنه الله تعالى قال: "وهم ألوف"، والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، والألوف لا يقال ما دون عشرة آلاف. معالم التنزيل (167/1)، والطبري (664/2).

أما عن أقوال المفسرين في عدد الفارين من الطاعون فلنا في حاجة إلى معرفة هذا العدد، ولكن من الواجب علينا أن نؤمن بأن جماعة من الناس خرجوا من ديارهم حذر الموت.

قال الشيخ البغوي عند تفسيره ⁽¹⁾ لقوله تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل" قال الرواة: إن الله تعالى خلق البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت ربوة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحتها، فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض استوحش واشتكى إلى الله فأنزل الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول العرش، وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي، وأنزل الحجر وكان أبيض فأسود من لمس الخيض من الجاهلية، وتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقبض الله تعالى له ملكاً يدلّه على البيت، فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة، وقالوا: بر حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ⁽²⁾. قال ابن عباس: حج آدم من الهند إلى مكة أربعين حجة ماشياً على قدميه وكان على ذلك إلى أيام الطوفان يعني الكعبة، ثم دفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس ⁽³⁾ صيانة له من الغرق وكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه، فبعث الله تعالى السكينة لتدلّه على موضع البيت، والسكينة ها هنا ريح خجوج ⁽⁴⁾ لها رأسان تشبه الحية، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم عليه السلام حتى أتيا مكة، فتطوقت ⁽⁵⁾ السكينة على موضع البيت كتطوق الحجة ⁽⁶⁾، وهذا قول علي والحسن ⁽⁷⁾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت

(1) تفسير البغوي (76/1).

(2) انظر تفسير الثعلبي (191/1).

(3) جبل المشرف على مكة وجهه إلى قيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها وقيقعان غربيها، وهو أحد الأخشبيين. انظر معجم ما استعجم (1040/3)، ومعجم البلدان (103/1).

(4) خجوج: الريح الشديدة المرّ في غير استواء. انظر لسان العرب (23/5).

(5) كل شيء استدار فهو طوق. انظر: مختار الصحاح (424)، لسان العرب (161/9).

(6) ضرب من الترسة، وهي من الجلود وخاصة من الإبل مقورة. انظر: مختار الصحاح (140)، ولسان العرب (44/4) بتصحيح.

(7) انظر الكشف والبيان (192/1).

تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، فنودي منها إبراهيم عليه السلام أن ابني على ظلها لا تزيد ولا تنقص. وقيل: أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام ليدله على موضع البيت، وذلك قوله تعالى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ"، فبنى إبراهيم وإسماعيل، فكان إبراهيم بيني وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ"، يعني أسس القواعد، واحدها: قاعدة. قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل طور سيناء، وطور زيتا ولبنان وهي جبال بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة⁽¹⁾ وبينى قواعده من حيراء وهو جبل بمكة، فلما انتهى إلى موضع الحجر الأسود، قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس علما، فأتاه بحجر، فقال له: ايتني بأحسن من هذا، فمضى إسماعيل يطلبه، فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إنا لك عندي وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه⁽²⁾.

نقد هذه الروايات:

هذه الروايات حول متى وكيف تم بناء البيت، وما ذكر من السكينة و أوصافها هنا، ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك، ولا فيما صح عن النبي صل الله عليه وسلم، وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار وأمثالهما.⁽³⁾ وقد قال د/ محمد أبو شهبه في نقده لهذه الروايات: إنهم كحاطب ليل لا يميزون بين الغث والسمين، والمقبول والمردود في بناء البيت، ومن بناه قبل إبراهيم: أهم الملائكة أم آدم؟ والحجر الأسود: ومن أين جاء؟ وما ورد في فضله، وهذا معظمه من الإسرائيليات.⁽⁴⁾

(1) ذكره الطبري في تفسيره عن عطاء، وعبد الله بن عمر (633/1-634)، وابن كثير في تفسيره عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب (252/1)، وقال ابن كثير هذا غريب، وهو مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردا.

(2) هذا القول للكلي وأبو عبيدة، انظر تفسير الثعلبي (192/1).

(3) انظر تاريخ الطبري (251/1).

(4) انظر: الإسرائيليات والموضوعات لأبو شهبه (168).

حكى الشيخ البغوي⁽¹⁾ عند تفسيره لقوله تعالى: " ألم تر إلى بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً"⁽²⁾

قال الشيخ رحمه الله تعالى: المأ من القوم: وجوههم وأشرفهم، وكان سبب مسألتهم إياه ذلك فيما قاله، وهب، وابن إسحاق والكلبي، وغيرهم: أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع ثم لما مات يوشع خلف فيهم كالب ثم لما مات فيهم كالب خلف فيهم حزقيل حتى قبضه الله تعالى، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله تعالى إليهم إلياس فدعاهم إلى الله⁽³⁾، ثم خلف بعد إلياس إليسع ثم قبضه الله تعالى، وخلفت فيهم الخلوف وعظمت الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له البلشات، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم عمالقة قهروا بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثير من ذريتهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلام، وأضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم، ولقى بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى، فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، وجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً وسمته شمويل، فلما كبر الغلام أسلمته إلى معلم، فعلمه التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم، فلما بلغ الغلام أتاها جبريل عليه السلام وهو نائم إلى جنب الشيخ فدعاه بلحن الشيخ، يعني بصوت مثل صوته، فقام الغلام فزعاً وقال: يا أبتاه دعوتني، فقال: يا بني ارجع فم فرجع فنام، فدعاه جبريل الثانية فقال الغلام: دعوتني، فقال: ارجع فم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فلما كانت الليلة الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا له: استعجلت بالنبوة ولم تأتك، فإن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك، فقال: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً وذلك أن شمويل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتى بعضاً وقرن فيه دهن القدس وقال: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طولُه طول هذه العصا، وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن

(1) تفسير البغوي (1/169).

(2) سورة البقرة، آية (246).

(3) انظر هذه الأقوال الثلاثة في الكشف والبيان الثعلبي (1/396)، والقرطبي في تفسيره (2/670).

الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن به رأسه وملكه عليهم⁽¹⁾، قال السدي: وكان طالوت رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل، فضل حماره فخرج في طلبه⁽²⁾، وقال وهب: بل ظلت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها، فمر ببیت شمويل النبي، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا، فدخلنا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن في القرن، فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكان على طوله فقال لطالوت: قرب رأسك فقربه ودهنه بدهن القدس، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمر الله تعالى أن أملكك عليهم. قال طالوت: أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ فقال: بلى، فقال: فبأي آية؟ فقال: بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة، فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى؟ يعني: من أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه؟ يعني: أولى، وإنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط نوبة وسبط مملكة، فكان سبط النوبة لأوي بن يعقوب، ومنه كان موسى وهارون، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب⁽³⁾، ومنه كان داوود وسليمان، ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب، وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهراً فغضب الله عليهم، ونزع الملك والنبوة عنهم كانوا يسمون سبط الإثم، فلما قال لهم نبينهم ذلك، أنكروا لأنه لم يكن من سبط الملك، ومع ذلك قالوا: هو فقير ولم يؤت سعة من المال.

نقد هذه الروايات:

روايات وأخبار لا فائدة منها في تحديد اسم النبي الذي سأله الملائكة من بني إسرائيل أن يبعث لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله، وسبب هذا السؤال وبعده أسماء الأنبياء الذين خلفوا موسى عليه السلام، وذكر قصة غريبة حديث لشمويل بن بني إسرائيل في صغره وليس في ذلك دليل يثبت، ولا في ذلك خبر صحيح عن المصطفى (صل الله عليه وسلم) حتى نثق بما قيل، فنحن في غنية عن هذه التزييدات وكلها من أخبار بني إسرائيل التي لا تفيدنا بشيء⁽⁴⁾.

(1) انظر: جامع البيان (672/2، 673)، والجامع لأحكام القرآن (1051/2، 1055)، وتفسير القرآن العظيم (436/1)، والدر المنثور (315/1)، وروح المعاني (451/1، 454)، وتاريخ الطبري (242/1، 243).

(2) انظر تفسير السدي الكبير (157)، وذكره الطبري في التفسير (672/2)، وفي التاريخ للطبري (467/1)، والسيوطي في الدر المنثور (315/1).

(3) أخرجه الطبري في تفسيره (676/2)، وزاد المسير (293/1)، وتاريخ الطبري (467/1، 268).

(4) انظر تفسير البغوي (169/1 - 170 - 171).

وذكر الشيخ البغوي⁽¹⁾ عند تفسيره لقوله تعالى: "وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت"⁽²⁾

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وذلك أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، وكان عند آدم إلى أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده، ثم عند يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل موسى فكان موسى يضع فيه التوراة وممتعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، وكان فيه ما ذكر الله تعالى فيه سكينه من ريكم. واختلفوا في السكينه ما هي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان الخجوج الشديدة الهفافة البراق⁽³⁾، وعن مجاهد: شيء يشبه الهرة لها رأس كراس الهرة، وذنب كذنب الهرة، وله جناحان، وقيل: له عينان لهما شعاع، وجناحان من زمرد وزبرجد، وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم، وإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا⁽⁴⁾، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء⁽⁵⁾، وعن وهب بن منبه قال: هو روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون، وقال عطاء ابن أبي رباح: هو ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليه⁽⁶⁾، وقال قتادة والكلبي: السكينه فعيلة من السكون يعني طمأنينة من ريكم⁽⁷⁾، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا إليه "وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون"، يعني موسى وهارون نفسيهما، كان فيه لوح من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون⁽⁸⁾، وقفير من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وكان التابوت عند

(1) انظر تفسير البغوي: (171، 172/1) وذكرها الطبري في تفسيره (681/1 - 686) وابن كثير في تفسيره

(437، 438/1) وتاريخ الطبري (469/1 - 470).

(2) سورة البقرة، آية (248).

(3) ذكره الطبري في تفسيره (685/2، 686)، وابن كثير في تفسيره (437/1)، وزاد المسير (294/1).

(4) تفسير مجاهد (242)، وذكره الطبري في تفسيره (686/2)، وابن كثير في تفسيره (437/1).

(5) انظر هذه الأقوال في جامع البيان (687/2)، وابن كثير (437/1)، وتفسير الثعلبي (401/1).

(6) انظر تفسير القرطبي (1057/2)، وتفسير ابن كثير (437/1)، والطبري في تفسيره (687/2).

(7) هذه الأقوال انظر تفسير الطبري (687/2)، والدر للسيوطي (317/1) نقلاً عن عبد الرزاق، وابن كثير بسند عبد

الرزاق (437/1)، والمحزر الوجيز لابن عطية (333/1).

(8) كل هذا مذكور في تفسير القرطبي (1057/2)، وتفسير ابن كثير في تفسيره (437/1)، وتاريخ الطبري (242/2).

بني إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضر القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم⁽¹⁾، فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت. وكان السبب في ذلك أنه كان لعليّ العالم الذي ربي شمويل ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم، فأحدثا أبناءه في القربان شيئاً لم يكن فيه، وذلك أنه مشوط القربان الذي يشوطونه به كلابين فما أخرجوا كان للكاهن الذي يشوطه، فجعل إبناه كلابين. وكان النساء يصلين في القدس فيتشبتان بهن، فأوحى الله تعالى إلى شمويل انطلق إلى عيلى فقل له: منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك أن يحدثا في قرباني و قدسي وأن يعصيانني فلأنزعن منك الكهانة ومن ولدك ولأهلكنك وإياهما. فأخبر شمويل عيلى بذلك ففرع فرعاً شديداً، فسار إليهم عدو ممّن حولهم فأمر ابنيه أن يخرجوا بالناس فيقاتلان ذلك العدو، فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت، فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر وماذا صنعوا، فجاءه رجل وهو قاعد على كرسي، فقال: إنّ الناس قد انهزموا وإن ابنيك قد قُتلا، قال: فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو، فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات⁽²⁾، فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً يسألوه البيئته، فقال لهم نبينهم: إن آية ملكه أن يأتكم التابوت⁽³⁾.

نقد هذه الروايات:

الحق أن ما ذكره البغوي ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك ولا فيما صح عن النبي صل الله عليه وسلم وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأخبار وأمثالهما. والصحيح: أن المراد بالسكينة طمأنينة القلوب وثبات النفوس كما قال عطاء بن رباح، ويعجبني في هذا ما قاله الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية حيث قال: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى، والذي نقطع به ويجب الإيمان به: أنه كان في بني إسرائيل تابوت - أي صندوق - من غير بحث في حقيقته وهيئته، ومن أين جاء، إذ ليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم، وأنه عاد إلى بني إسرائيل تحمله

(1) هذه أقوال متقاربة، ولا يرد بعضها بعضاً، وهي محتملة، والله أعلم بالصواب منها، وهي من الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب، فلا نصدقها ولا نكذبها.

(2) ذكره الطبري في تفسيره (681/2، 682)، وتاريخه (469/1، 470).

(3) القصة فيها كثير من الأشياء التي نتوقف عندها، وهي لا تزيد في إيماننا شيئاً والله أعلم.

الملائكة من غير بحث في الطريقة التي حملته بها الملائكة، وبذلك كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكا عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار لم يقد عليها دليل.⁽¹⁾

الخاتمة

هذا البحث جزء من بحوث أخرى متتالية إن شاء الله والذي أرجو أن ينفذ الله بهم المسلمين وأن يبصرهم بحقيقة كتاب ربهم، ويوقفهم على الدخيل الذي دخل كتب التفسير وكان جناية على الإسلام والتفسير.

لقد بذلت جهدي في التنبيه على الإسرائيليات والمرويات الباطلة التي رواها الشيخ البغوي في تفسيره، وذلك بالاستعانة بالكتب التي تناولت هذه الإسرائيليات ومن بينها : كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبه، وتفسير ابن كثير وتفسير السيد قطب، ولكن أحب أن أؤكد أن هؤلاء المفسرين مهما كانت عليهم مؤاخذات، ففضلهم عظيم وخيرهم كثير ونفعهم عميم.

وما جعلنا نكتب في هذا الموضوع هو ذنب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من طعون بسبب هذه الإسرائيليات والموضوعات.

المصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم.
- (2) الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، 1391 هـ / 1971 م.
- (3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه، ط 2، القاهرة، مكتبة السنة، 1426 هـ / 2006 م.

(1)- انظر: الإسرائيليات لأبو شهبه ص (167).

- (4) تفسير ابن جريح، رسالة ماجستير، جمع ودراسة وتحقيق: علي حسن عبد الغني إسماعيل، كلية الآداب، اللغة العربية، جامعة القاهرة 1410 هـ / 1989 م.
- (5) تفسير ابن عباس المسمى " صحيفة علي بن أبي طلحة " عن ابن عباس، حققه: راشد عبد المنعم الرجال، مؤسسة الكتاب الثقافية.
- (6) تفسير البغوي، معالم التنزيل بالمأثور، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية 1424 هـ / 2004 م.
- (7) تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة، د. محمد عبد الرحيم محمد، القاهرة دار الحديث 1992 م.
- (8) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، صححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ط 1 بيروت، دار الكتب العلمية 1425 هـ / 2004 م.
- (9) تفسير الطبري، جامع البيان تأويل أي القرآن، لابن جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: هاني الحاج و عماد زكي البارودي، وخيري سعيد، طبعة المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة.
- (10) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ط 1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، طبع ومراجعة مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية بإشراف الشيخ: ابراهيم محمد رمضان، 1410 هـ / 1990 م.
- (11) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الريان للتراث، طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب، القاهرة.
- (12) تفسير سعيد بن جبير، رسالة ماجستير، جمع وتحقيق ودراسة: ابراهيم محمد عوض النجار، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1396 هـ / 1976 م.
- (13) تفسير قتادة، رسالة ماجستير، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الله أبو السعود بدر، كلية الآداب، 1397 هـ / 1977 م.
- (14) تفسير كعب الاحبار، رسالة دكتوراه، جمع ودراسة: محمد عنيان حبلى، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة، 2010 / 2011 م.

- (15) تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط 1، القاهرة، دار الفكر الاسلامي، 1410 هـ / 1989 م.
- (16) تفسير محمد بن اسحاق، جمع وترتيب: محمد عبد الله أبو صعليك، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة 1417 هـ / 1996 م.
- (17) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع بمطبعة الاعتماد، الكاظمية، العراق، والمطبعة الإسلامية بطهران.
- (18) تفسير زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، ط 1، دمشق.
- (19) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، ط 6.
- (20) الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، للإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية 1425 هـ / 2004 م.
- (21) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد بن أبو الفضل ابراهيم، ط 3، دار المعارف.
- (22) سيرة ابن اسحاق، كتاب المبتدأ والمغازي، محمد بن اسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
- (23) صحيح مسلم بشرح النووي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ / 1990 م.
- (24) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، جمع واعداد وترتيب خالد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، ط 1، 1410 هـ / 1989 م.
- (25) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوادة، تحقيق: الشيخ ابراهيم عطوة عوضي، القاهرة، دار الحديث.
- (26) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكر الأفرقي، بيروت: دار بيروت ودار صادر، 1388 هـ / 1968 م.
- (27) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر، 1986 م.

مميزات اللغة العربية وصفاتها الصوتية

د. مفتاح محمد محمد عمر البكوش

كلية التربية – جامعة نالوت

Email: drmoftahmohamed@gmail.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مميزات اللغة العربية وصفاتها الصوتية، ولتحقيق ذلك استخدام الباحث المنهج المقارن، والمنهج التاريخي لتحقيق أهداف الدراسة. وقد تناولت الدراسة مميزات اللغة العربية من الناحية الصوتية وكذلك إبراز مترادفات اللغة العربية من خلال الوقوف على المخارج الصوتية ودلالاتها اللغوية، وبينت الدراسة بالتحليل أسباب كثرة المفردات والمترادفات في اللغة العربية، وختمت الدراسة بنموذج من إسهامات بعض علماء العرب القدامى في دراسة مخارج الحروف، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: إن من صفات اللغة العربية دقة قواعدها، وغزارة مفرداتها، وقوتها في الأداء والبلاغة، ولم تعجز اللغة العربية في مواجهة التغيرات الجديدة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، مخارجها، أصواتها، مفرداتها، مترادفاتها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد:

ترجع عناصر أية لغة إلى أمرين : الصوت والدلالة ، وتتكون الدلالة من معاني وقواعد التنظيم (النحو) وقواعد البنية (الصرف)، وقواعد الأسلوب (البلاغة)، فقد جذبت الأصوات اللغوية العرب الأوائل عند انتشار الإسلام ودخول الشعوب غير العربية في الإسلام ، مما أدى إلى امتزاج العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى التي اعتنقت الدين الإسلامي ، فوقع التأثير والتأثر، وزاغت الألسن عما كانت عليه من فصاحة تامة وسليقة سليمة بتأثير هذا الاختلاط ، فشاب أصوات العربية شيء من لكينات أعجمية وبخاصة ممن ولدوا من أمهات غير عربيات ، حيث اختلف نطقهم لبعض الحروف العربية ، فخشى العلماء أن يعم ذلك الانحراف في نطق أصوات اللغة العربية لسان أبنائها عامة ، وبخاصة عند قراءة القرآن الكريم ، لما في ذلك من تحريف للأداء الصحيح للقراءات القرآنية ، فقام نحاة العربية بدراسة الأصوات العربية في وقت مبكر وخصصوا أبواباً مستقلة في كتبهم لهذه الدراسة ، ولم يدرسوها لذاتها ، وإنما وجدوا أن الدراسة لا تكتمل، والفهم لا يتم للعربية بنحوها وصرفها دون دراسة علم الأصوات اللغوية ، وتحدثوا حول الإبدال والإعلال والإدغام والإمالة ، كما أسهم علماء البلاغة والبيان بقسط من الدراسات الصوتية وذلك عند إشاراتهم إلى تنافر الأصوات واثتلافها ، من خلال تعرضهم لشروط الفصاحة ، وتحديثهم حول التنعيم وحسن البيان ، وتعرض أصحاب المعاجم اللغوية لبعض القضايا الصوتية في مقدمات معاجمهم أو في ثنايا المادة اللغوية ، يضاف إلى ذلك عناية بعضهم بترتيب الألفاظ ترتيباً صوتياً واتباعهم لنظام التقليبات الصوتية ، كم فعل ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره.

ودرس علماء العروض أوزان الشعر العربي وموسيقاه، فتعرضوا للمقاطع الصوتية عند تقطيعهم للأشعار كما ألمحوا للنبر في بعض المقاطع، أما علماء التجويد والقراءات القرآنية فكان لهم الحظ الوافر في تلك الدراسات الصوتية، حيث أصبح كل كتاب أو نظم لعلم التجويد بيده صاحبه بمخارج الحروف العربية وصفاتها كما فعل ابن الجزري في (المقدمة الجزرية)، و(كتاب النشر في القراءات العشر). ونبينا في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى مميزات اللغة العربية

وصفاتها الصوتية مع إظهار مترادفاتهما واختلاف الآراء فيها. نسأل الله أن يوفقنا إلى الخير والسداد.

مباحث الدراسة:

المبحث الأول : مميزات اللغة العربية وصفاتها الصوتية.

❖ المطلب الأول: مميزات اللغة العربية.

❖ المطلب الثاني: اللغة العربية مخارجها ومترادفاتهما وصفاتها الصوتية.

❖ المطلب الثالث: الأصوات والدلالة اللغوية.

❖ المطلب الرابع: مترادفات اللغة العربية واختلاف الآراء فيها.

❖ المطلب الخامس: أسباب كثرة المفردات والمترادفات.

المبحث الثاني: إسهامات بعض علماء العرب القدامى في دراسة مخارج الحروف.

❖ المطلب الأول: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

❖ المطلب الثاني: سيبويه.

مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث العلمي هي عبارة عن التساؤلات التي من شأنها أن تتشكل في ذهن الباحث العلمي، ولا سيما أن مشكلة الدراسة قد تنتج عن خلل في موضوع علمي معين ويحتاج إلى توضيح أسباب وعوامل حدوثه، وذلك بالبحث من أجل الوصول إلى حلول لتلك المشكلة.

تساؤلات البحث:

س1: ماهي مميزات اللغة العربية المعاصرة؟.

س2: ماهي إسهامات علماء العرب القدامى في دراسة الحروف؟.

الدراسات السابقة:

1- اللغة العربية ومعناها ومبناها، 1979، المؤلف الدكتور تمام حسان.

2- التفكير اللساني في الحضارة العربية، 1981، المؤلف الدكتور عبد السلام المسدي.

فالدرس اللساني العربي المقترح لا يمكن أن يكون صحيحاً من وجهة نظري ما لم يكن مسبقاً بكشف دقيق لإنجازات علماء اللغة العربية في كل مجال من مجالات درسها. وفي هذه الدراسة

سيتم الوقوف على بعض الجوانب المساهمة في إظهار ولو جزء بسيط من كنوز اللغة العربية وصفاتها الصوتية.

منهج الدراسة:

- تنتهج دراستنا المنهج المقارن الذي يختص بدراسة العلاقات التاريخية بين لغتين أو أكثر ضمن أسرة لغوية واحدة.
- المنهج التاريخي، ويختص هذا المنهج بدراسة التطور اللغوي عبر الزمن من خلال الوقوف على التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي وكل المعطيات المؤثرة في اللغة، كدراسة تطور الأصوات في اللغة المعينة عبر الزمن، فالمنهج التاريخي هو وسيلة لتأريخ اللغة وظواهرها ورصد حياتها من عصر إلى آخر.

أهمية الدراسة:

تركز أهمية الدراسة على الآتي:

- 1- إظهار ميزات اللغة العربية من الناحية الصوتية.
- 2- الوقوف على آراء علماء اللغة العربية القدامى.
- 3- إبراز مترادفات اللغة العربية.

أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على مفهوم اللغة العربية المعاصرة وصفاتها.
- 2- إظهار جهود علماء اللغة العربية القدامى في مجال علم الأصوات اللغوية.

توصيات الدراسة:

- 1- توصي الدراسة الباحثون على دراسة النظم الصوتية في اللغة العربية بشكل دقيق.
- 2- العمل على إظهار الأسس السليمة للغة العربية من خلال البحث عن أصول نشأتها وجذورها عبر التاريخ.
- 3- الدعوة إلى التدبر في معاني وألفاظ القرآن الكريم.
- 4- حث الباحثين على العمل والتدقيق في معاني الكلمات العربية من حيث مخارجها ونطقها الصحيح.

المبحث الأول: مميزات اللغة العربية وصفاتها الصوتية

❖ تمهيد:

يتوفر في اللغة العربية عاملان لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية، أحدها أنها نشأت في أقدم مواطن الساميين؛ والآخر أن الموقع الجغرافي في الموطن قد ساعد على بقائها حيناً من الدهر متمتعة باستقلالها وعزلتها. وكان من أثر هذين العاملين أن احتفظت بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ماتجردت منه أخواتها السامية.

❖ المطلب الأول - مميزات اللغة العربية:

1- أنها أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية. فقد اشتملت على جميع الأصوات التي اشتملت عليها أخواتها السامية⁽¹⁾، وزدات عليها بأصوات كثيرة لاوجود لها في واحدة منها : الغين والذال والضاد.

2- أنها أوسع أخواتها جميعاً وأدقها في قواعد النحو والصرف، فجميع القواعد التي تشتمل عليها اللغات السامية الأخرى توجد لها نظائر في العربية، بينما تشتمل العربية على قواعد كثيرة لا نظير لها في واحدة منها أو توجد في بعضها في صورة بدائية ناقصة⁽²⁾.

3- أنها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها، هذا إلى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ما لم يتجمع مثله للغة سامية أخرى⁽³⁾.

❖ المطلب الثاني - اللغة العربية مخارجها ومترادفاتها وصفاتها الصوتية:

للأصوات العربية نحو خمسة عشر مخرجاً ، وهي:

- المخارج الجوفية والحلقية ، وعددها أربعة مخارج: الجوف مع الحلق لأحرف المد الثلاثة ،فهي تخرج من الصدر والحلق، وتنتهي إلى خارج الفم ؛ وأقصى الحلق للهمزة والهاء ، والهمزة أدخل في ذلك من الهاء ؛ ووسط الحلق للعين والحاء ، والعين أدخل في ذلك من الحاء، وأدنى الحلق

(1) عبدالواحد وافي ، ص:220.

(2) السابق، ص:21.

(3) السابق، ص:22.

- للغين والحاء، والغين أدخل في ذلك من الخاء. فالصدر مع الحلق يتكون منهما مخرج لثلاثة أصوات، والحلق وحده يشتمل على ثلاثة مخارج لكل مخرج منهما صوتان.
- المخارج اللسانية، وهي تسعة مخارج: أقصى اللسان مع مافوقه من الحنك للقاف والكاف، غير أن الكاف أسفل من القاف وأقرب إلى الفم؛ ووسطه مع مايقابله من أعلى الحنك للجيم والشين والياء التي ليست حرف مد، غير أن الجيم أبعدا عن الفم والياء أقربها إليه، وجانبه مع الأضراس الطواحن الثلاث للضاد، وجانب طرفه الواقع بعد مخرج الضاد لي منتهاه مع مايقابل هذا الجانب من الحنك للام؛ وظهر طرفه من لثة التثنيين العليين للراء؛ وظهر طرفه مع لثة التثنيين العليين مع الخيشوم للنون، فالمخرج اللساني للراء والنون واحد، غير أن الراء أدخل في ظهر اللسان من النون ولا تعتمد على الخيشوم كما تعتمد عليه النون؛ وفوق مع أصول التثنيين العليين للتاء والذال والطاء؛ وفوق طرفه مع طرف التثنيين العليين للتاء والذال والطاء؛ وفوق طرفه مع التثنيين السفليين للضاد والسين والزاي. فاللسان ثمانية عشر صوتاً موزعة على تسعة مخارج.
 - المخارج الشفوية، وعددها مخرجان: باطن الشفة السفلي مع طرف التثنيين العليين للفاء، وما بين الشفتين للباء والميم والواو التي ليست حرف مد، غير أن الواو تخرج من بين الشفتين مع انفتاحهما؛ والميم والباء تخرجان مع انطباقهما، وتختلف الميم عن الباء في أن الأولى تعتمد على الخيشوم في حين أن الثانية لا تعتمد عليه. والوسيلة السريعة لمعرفة مخرج أي صوت هي أن تأتي بهمة قبله ثم تنطق به ساكناً أو مشدداً؛ فحيث ينقطع الصوت يكون مخرج الحرف (4)
 - **المطلب الثالث - الأصوات والدلالة اللغوية:**
- لا تقتصر الجهود القديمة في الأصوات على بيان المخارج الصوتية والصفات التي تتميز بين الحروف، وما يتصل بذلك من جوانب معجمية أو صرفية أو بلاغية، إنما يتعدى ذلك على سعته وعمقه إلى تطبيق للمعارف الصوتية على دلالة الألفاظ من خلال التقابل بين الأصوات التي تؤلف الكلمات، والمعاني التي تشير إليها هذه الكلمات.

(4) محب الدين الخطيب، ص:45.

وأشهر من عُرف بهذا النحو من التطبيق هو ابن جني الذي درس في كتابه (الخصائص) أهم مايتصل بفقته اللغة دراسة دقيقة فيها الكثير من الإبداع والسبق. وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني حيث تحدث عن أصل اللغة ألهام هي أم اصطلاح؟، ذكر أن هناك رأياً يذهب إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعة ، ويقال في هذا الصدد : وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلاً إنما هو الأصوات المسموعات كدوي الريح ، وحين الرعد ، وخير الماء ، وشحج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الطيبي ، ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد متقبل⁽⁵⁾.

ويبدو أن ابن جني لم يكن يعرض على السياق الذي ذكرناه مجرد رأي من الآراء بل كان فضلاً عن قبوله له يعني بتتبع أمثله ، وبتوسع في مجالات تطبيقه ، وهذا ما فعله في مواضع كثيرة مبثوثة في كتابه ، وأهمها بابان هما (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و(إمساس الألفاظ أشباه المعاني).

ولابد من الإشارة قبل أن نعرض أمثلة ابن جني إلى أن هذا الضرب من الألفاظ العربية التي تحاكي الطبيعة له مايمثله في جميع اللغات ، ويرجع السبب في ذلك إلى النشأة الأولى للغة ، فالرأي الراجح لدى بعض المحدثين أن اللغة الإنسانية قد نشأت من محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات والأشياء ، ولأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها⁽⁶⁾. وقد عرفت هذه النظرة بنظرية المحاكاة الصوتية ، وهي إحدى النظريات المعروفة في بحث نشأة اللغات.

يبدأ ابن جني حديثه في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)⁽⁷⁾، بالإشارة إلى أن الخليل وسيبويه قد أشارا إلى هذا الموضوع ، وأن الجماعة قد تلقته بالقبول له والاعتراف بصحته ، وليس ذلك على الخليل وسيبويه بمستكر ، فالباحث فيما أثر عنهما خاطفة ، لأنهما يفتحان الطريق وحسبهما أن يصفيا المعالم ويحددا المبادي. حتى جاء اللغويون التالون وفيهم العبقري كابن جني انتزعوا الإشارات العابرة من كلام الإمامين ومن حدا حذوهما من المتقدمين ، وبنوا عليها فصولاً شارحة وأبواباً مطولة ، وهذا ما فعله ابن جني في كثير مما عرض له في جهوده اللغوية الواسعة.

(5) ابن جني، الخصائص، ص: 47.

(6) عبدالواحد وافي ، ص: 177.

(7) ابن جني ،مصدر سابق، ص: 168.

فالفكرة التي أوردها ابن جنى حول التقابل بين الألفاظ وماتدل عليه من الأحداث هي فكرة الخليل ابن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه ، فالخليل ذكر أنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداءً ، فقالوا : صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطعياً فقالوا صرصر ، على حين سيبويه لاحظ أن المصادر التي تأتي على وزن (الفعالن) تدل على الاضطراب والحركة ، نحو الغليان والنقران فقابلوا بتوالي حركات المثل "البناء" توالي حركات الأفعال (8). ومن الجدير بالذكر أن بعض الدارسين تلقوا رأي ابن جنى في نشأة اللغة العربية من الأصوات بالقبول ، وراحوا يطبقون ذلك على الأصول المعجمية التي بُنيت في أول أمرها على أصل ثنائي محاكاة لأصوات الطبيعة (9)، وأبرز هؤلاء هو ماري الكرمللي الذي أولع بهذا الرأي منذ "1881" حتى عرف به ، ونقل عنه. ويذهب الكرمللي إلى أن الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد ، (متحول وساكن) محاكاة لأصوات الطبيعة ، ثم فئمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف). فتصرف المتكلمون بها تصرفاً ، يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات (10) ، ثم راح يحاول إثبات رايه بما قرأه من كلام اللغويين القدامى في تضاعيف المعاجم كالتهذيب واللسان والقاموس والتاج ، فمن أمثلة الأزهرى أنهم يقولون : صهصه بهم ، إذا زجرهم وهو من صه وهي كلمة زجر للسكوت ، ومن أمثلة اللسان أنهم يقولون : صرّ العصفور ، إذا صاح ، وصرّ الجندب ، وصرّ الباب وكلّ صوت شبه ذلك فهو صرصر إذا امتدّ . أما إذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف ، كقولهم : صرصر . ومن أمثلة القاموس والتاج : مأمأت الشاة والطبية ، إذا واصلت صوتها فقالت مئ مئ (11).

ولما كان أمر نشأة اللغة العربية راجعاً إلى محاكاة أصوات الطبيعة لم يجد الكرمللي بأساً في أن يتفق اصطلاح العرب واصطلاح الغرب ، إذا اتفق الخاطران في توهم صوت الطبيعة ، ولا يكون هذا الأمر إلا إذا كان هناك هجاء واحد أو هجاءان اثنان لأكثر . من ذلك قول العرب "رد" وأصله الثنائي "رد" وهو في اللاتينية "Reddere" وقد وظف الكرمللي بحثه لإثبات الأصل العربي للغات جميعاً . ولم ينس الكرمللي وهو يسعى لإثبات نظريته أن يقف على بعض الأمثلة

(8) سيبويه ،ص: 14.

(9) مصطفى الشهابي ، ص: 11-12.

(10) انستاس ماري الكرمللي ، ص: 1.

(11) الكرمللي : مصدر سابق ، ص: 10-11.

السامية ففي السريانية والعبرية أفعال مخففة ساكنة الأواخر جرياً على الحكاية الأصلية ، لأن الذي سمع قرع جسم بأخر مثلاً سمع شيئاً يحاك "تق" بالإسكان ، فحكاه بصورته مخففاً⁽¹²⁾. وهكذا نرى أن القول بنشأة اللغة محاكاة للأصوات الطبيعية جعل الباحث يغوص في نشأة الأصول المعجمية ، فيتمسك بالثنائية ، ويعتقد بوحدة الوضع اللغوي وانبثاقه من العربية ، ومن الصعب أن يسلم الدارس بما جاء لدى الكرمللي من الأصل الثنائي ووحدة الوضع جميعاً ، لأن ما ذهب إليه يفتر إلى الكثير من الأدلة العلمية ، فليس كافياً أن يعرض عدداً من الأمثلة التي تحكي أصواتاً طبيعية كم ينتهي إلى القول القاطع بنشأة اللغات جميعها من المحاكاة الصوتية ، وأمر الثنائية من بعد ليس جديداً فقد عرفه القدماء على أنحاء مختلفة ، ولم يفوا متلبين لقلّة جدواه العلمية⁽¹³⁾.

❖ المطلب الرابع - مترادفات اللغة العربية واختلاف الآراء فيها:

تجتمع في اللغة العربية المترادفات في الأسماء والصفات والافعال مالم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، فقد جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللتعبان مائتا اسم ، وكتب الفيروز ابادي صاحب القاموس المحيط كتاباً في أسماء العسل فنكر له أكثر من ثمانين اسماً ، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعها . ويرى الفيروز ابادي أنه يوجد للسيف في العربية ألف اسم على الأقل ، ويقرر آخرون أنه يوجد أكثر من أربعمائة اسم للداهية ، ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والماء والبئر أسماء تبلغ العشرين اسماً وتصل إلى ثلاثمائة في بعضها الآخر. وفي ذلك تختلف العربية الفصحى اختلافاً كبيراً عن اللهجات العامة الحديثة المنشعبة عنها. فمتون هذه اللهجات العامية الحديثة ضيقة كل الضيق لاتكاد تشتمل على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي وتكاد تكون مجردة من المترادفات⁽¹⁴⁾. وقد كان من أحد الأسباب التي حملت بعض الباحثين على أن يقف حيال مفردات اللغة العربية موقف الشك الذي وقفه آخرون حيال قواعدها⁽¹⁵⁾، فزعم أنه لايبعد أن يكون جامعوا المعجمات قد خلقوا كثيراً من هذه المفردات خلقاً لحاجات في نفوسهم .وفساد هذا الرأي لايجتاج إلى بيان.

(12) السابق : ص:12.

(13) سعيد الأفغاني : ص:134.

(14) مصدر سابق، ص: 148.

(15) السابق ، ص: 210.

فلهجات المحادثة في جميع الأمم تقتصر في العادة على الضروري وتتفر من الكمالي، وتتأى عن مظاهر الترف في المترادفات وما إلى ذلك، ولذلك تتسع دائماً هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى في هذه الناحية. فليست العربية فذة في هذا الباب، بل تشترك معها فيه جميع لغات الآداب أو اللغات الفصحى. وإليك مثلاً الفرنسية الفصحى أو لغة الكتابة، واللغة الفرنسية في التخاطب العادي تختلف عن بعضها، مثلما الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة منها.

أما جامعو المعجمات فيدلنا التاريخ وتدلنا آثارهم على شدة حرصهم على تحرى الحق. فقد استخلصوا معظم ما اشتملت عليه معجاتهم من كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ومن الآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم. وكانوا شديدي الحيطه في هذه الناحية إلى حد الإفراط. فكانوا يتحاشون الأخذ عن تشوب عربيته أية شائبة. ولذلك كانوا لا يكادون يأخذون إلا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم وبُعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم، فكانوا يترقبون مجيء أعراب البادية إلى المدن في التجارة أو غيرها. فيستمعون إلى حديثهم ويناقشونهم في مختلف شؤون اللغة، ويدونون من فورهم كل ما يهديهم إليه هذا الحديث وترشدهم إليه هذه المناقشة بصدد مفردات اللغة ودلالاتها ووجوه استخدامها⁽¹⁶⁾.

ويقول الفارابي⁽¹⁷⁾، في كتابه الألفاظ والحروف، والذين نقلت اللغة العربية بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا من لحم وحذام لمجاورتهم أهل مصر والقط، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرية ولا من تغلب لمجاورتهم الروم ولا من بكر لمجاورتهم الروم ولا من بكر لمجاورتهم للنبط⁽¹⁸⁾ والفرس ولا عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف

(16) عبدالواحد وافي، مصدر سابق، ص:43.

(17) أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، صاحب معجم الصحاح.

(18) في الأصل (القط) وصوابه (النبط) كما لا يخفى.

لمخالطتهم تجار اليمن من المعنيين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن السنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بأمم كثيرة (19).

ويقول ابن خلدون " وكانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتها ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنو كنانة وغطفان وبنو أسد وبنو تميم فأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين للأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية (20). وما اتخذوه من وسائل الحيلة حيال القبائل والأمنكة اتخذوه حيال الأزمنة والعصور . فلم يأخذوا إلا من العصور التي كان فيها اللسان العربي سليماً لم يصبه بعد تبلبل أعجمي ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى ، ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية والإسلام إلى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى فصحاء الحضرة وإلى أواسط القرن الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية ، وسموا هذه العصور " عصور الاحتجاج " وأهملوا ما عداها مبالغة في الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين .

❖ المطلب الخامس - أسباب كثرة المفردات والمترادفات :

- إن طول احتكاك لغة قريش باللغات العربية الأخرى قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات اللغات ولم تقف لغة قريش في اقتباسها هذا عند الأمور التي كانت تعوزها ، بل انتقل إليها كذلك من اللغات كثير من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي، فعززت من جراء ذلك مفرداتها وكثرت المترادفات في الأسماء والأوصاف والصيغ ، وأصبحت الحالة التي انتهت إليها أشبه شيء ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة (21).
- إن جامعي المعجمات لم يأخذوا عن قريش وحدها بل أخذوا كذلك عن قبائل أخرى كثيرة ، وكان من جراء ذلك أن اشتملت المعجمات على مفردات لم تكن مستخدمة في لغة قريش ويوجد لمعظمها مترادفات في متن هذه اللغة الأصلي (22) وفيما انتقل إليها من غيرها ، فزاد هذا من نطاق المفردات والمترادفات في المعجمات سعة على سعة أكثر .

(19) السيوطي ، ص: 104.

(20) ابن خلدون ص: 1389. الجزء الرابع.

(21) عبدالواحد وافي، مصدر سابق، ص: 115.

(22) مصدر السابق، ص: 170.

- إن جامعي المعجمات، لشدة حرصهم على تسجيل كل شيء دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال ومستبدلاً بها مفردات أخرى. فكثرت من جراء ذلك في المعجمات مفردات اللغة ومترادفاتها.
- إن كثيراً من الكلمات التي تذكرها المعجمات على أنها مرادفة في معانيها لكلمات أخرى غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني، بل مستخدمة فيها استخداماً مجازياً⁽²³⁾.
- إن من الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ليست جميعها في الواقع أسماء، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء، فكثير من الأسماء المترادفة كانت في الأصل نعوتاً لأحوال المسمى الواحد، ثم تجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينها من فوارق وغلبت عليها الاسمية، فالخطار والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها في الأصل على خاص مغاير لما يدل عليه الآخر. وكذلك ما يعد من أسماء السيف: كالمصم والهندي والحسام والغضب والقاطع وهلم جرا....
- إن كثيراً من الألفاظ التي تبدو مترادفة هي في الواقع غير مترادفة، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي تدل عليها غيره، وإليك مثلاً: رمق ولحظ وحج وشفن ورنا ... وما إلى ذلك من الألفاظ التي تدل على النظر، فإن كلا منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التي تدل عليها الألفاظ الأخرى، فرمق يدل على النظر بمجامع العين، ولحظ عن النظر من جانب الأذن، وحججه معناه رماه ببصره مع حدة، وشفن يدل على نظر المتعجب الكاره، ورنا يفيد أدامة النظر في سكون⁽²⁴⁾.
- إنه قد انتقل إلى اللغة العربية من أخواتها السامية وغيرها مفردات كثيرة، كان لها نظائر في متنها الأصلي⁽²⁵⁾. هذا ، ومع ماكان يتخذه جامعو المعجمات من وسائل الحيطة والحرص على تحرى الصواب ، فقد اندس في معجماتهم كثير من المفردات المولدة وبعض الكلمات المشكوك في عربيتها ، وحُرُفت فيها كلمات كثيرة عن أوضاعها الصحيحة ، ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة أهمها سببان:

(23) ابن خلدون، مصدر سابق، ص1381 من الجزء الرابع.

(24) الثعالبي، ص: 123.

(25) السيوطي، ص: 127.

❖ (أحدهما) أن بعض الأشعار التي أخذوا عنها قد ثبت فيما بعد أنها موضوعة. فلا يبعد أن يكون بعض مفرداتها من اختراع الواضعين.

❖ (وثانيهما) أنهم كانوا أحياناً يأخذون عن الكتب والصحف. فحدث من جراء ذلك تحريف في كثير من الكلمات التي نقلوها؛ لأن الرسم في عصورهم كان مجرداً من الاعجام والشكل. فكان من الممكن أحياناً قراءة الكلمة الواحدة على عدة وجوه.

المبحث الثاني: إسهامات بعض علماء العرب القدامى في دراسة مخارج الحروف

❖ **تمهيد:**

وردت مصطلحات صوتية كثيرة عند علماء العرب القدامى منها الإشمام والإشباع ، والروم والإمالة ، والإظهار ، والإخفاء ، والاختلاس ، والمد بأنواعه والوقف والابتداء ، وترقيق الأصوات وتفخيمها بالإضافة إلى وضعهم طريقة النطق للأصوات العربية ومخارجها منتبحين في ذلك ما حدده الخليل بن أحمد وسيبويه ، ومن بعدهما ابن جنبي ، ولم يزد علماء القراءات على ذلك شيئاً ، والسبب هو انشغالهم بذكر سند القراءات واعتمادهم على تلقينها وضبطها عن طريقة المشافهة . وفيما يلي عرض لبعض الجهود التي بذلها علماء اللغة العربية القدامى في مجال علم الأصوات اللغوية ، ونقصها على جهود اثنين من علماء العرب ، تعد دراساتهم من أهم الدراسات الصوتية القديمة وهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه .

❖ **المطلب الأول - الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفي سنة 175هـ).**

قام هذا العالم المبدع بترتيب معجمه "العين" ترتيباً صوتياً ، وعمل له مقدمة حلل فيها أصوات اللغة العربية تحليلاً علمياً ، وحدد فيها مخارج الحروف وصفاتها ، وتعد المقدمة أقدم مادة صوتية تصل إلينا من ذلك العصر .

وطريقة ذوقه للأصوات اللغوية هو أنه : كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف بنحو (أب أت أخ أع أغ) ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم (26). فيظهر من هذا النص أنه استعمل طريقة جديدة لمعرفة مخرج الصوت بصورة دقيقة وذلك بإضافة همزة مفتوحة كي يخرج الصوت ساكناً حتي لا يختلط بغيره من الأصوات الأخرى .

(26) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ص: 47.

كما يظهر النص مقدرة الخليل وعلمه بتركيب الجهاز الصوتي ، وما يتألف من أحياز ومدارج ، فاستطاع بما يمتلك من قدرة على الإبداع وقابلية كبيرة على تدوق الأصوات وأدائها بشكلها الصحيح أن يحدد المخارج وسماها أحيازاً ومدارج ورتبها على النحو الآتي :

1- ع ، ح ، ه ، خ ، غ.

2- ق ، ك.

3- ج ، ش ، ض.

4- ص ، س ، ز.

5- ط ، د ، ت.

6- ظ ، ذ ، ث.

7- ر ، ل ، ن.

8- ف ، ب ، م.

9- و ، ا ، ي ، الهمزة .

ومن الملاحظ أن الخليل بدأ معجمه بحرف العين لا لأنه أبعد الحروف مخرجاً، بل لأنه أول الحروف نضاعة وتباتا كما يظهر من قوله الذي نقله السيوطي عن ابن كيسان حيث قال : " سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم يبدأ بالهمزة ، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهوسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني ، وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصع الحرفين ، فابتدأت به لتكون أحسن في التأليف وليس العلم بتقديم شيء على شيء ، لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته ، فبأي بدأت كان حسناً ، وأولها بالتقديم أكثرها تصرفاً (27). ويظهر من النص السابق أن الخليل لم يبدأ معجمه بالهمزة مع أنه يُعدها أول الحروف مخرجاً والسبب في ذلك يتضح من قوله : أما الهمزة فمخرجها في أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف(28).

(27) السيوطي، ص: 90.

(28) الخليل الفراهيدي، مصدر سابق، ص: 52.

ثم قال بعد ذلك: والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه (29) لذلك نزل - كما قال إلى الحيز الثاني - أي إلى الموضع الآخر الذي فيه العين والحاء ، فاختر العين لأنها أنصع الحرفين فابتدأ معجمه بها . وهذا الترتيب الذي توصل إليه الخليل يعد علمياً اتبع فيه منهجاً صوتياً ، حيث قام بترتيب ألفاظ معجمه على ضو نطق حروف كلّ لفظة فبدأ بأبعدها مخرجاً أي رتبها بحسب موضع مخارج حروفها عند النطق لا بحسب صورة حروفها في الرسم كما كان معمولاً به في الترتيب الأبجدي أو الهجائي الألفبائي الذي يعتمد على وضع الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض ، فبعد الألف وضع النساخ الرموز الثلاثة المتشابهة وهي (ب ت ث) ثم (ج ح خ) ثم الحروف المتشابهة برمزين (د ذ) ، (ر ز) ثم الرموز المنفردة. وهذا ما قام به النساخ معتمدين في ذلك على ماورثوه من الترتيب السامي القديم الذي كان يعرف بترتيب (أبجد ، هوز ..) الذي اشتهر عند الفينيقيين وغيرهم.

❖ **المطلب الثاني - سيبويه المتوفي (سنة 180هـ).**

جاء بعد الخليل بن أحمد تلميذه سيبويه ، حاول سيبويه أن يكمل ما بدأه أستاذه الخليل في المجال الصوتي فخصص أبواباً من كتابه للمباحث الصوتية ، كما تحدث عن كثير من القضايا الصوتية في ثنيا الأبواب الأخرى وقد تناول فيها كثيراً من المظاهر الصوتية ، فذكر عدد الحروف العربية الأصلية ، قال هي تسعة وعشرون حرفاً وبين مخارجها وصفاتها.

ثم ذكر الحروف الفرعية ، وقسمها على مجموعتين :

- **حروف مستحسنة :** وقال عنها هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين (30)، وأضاف قائلاً : إنها " تؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التفخيم (31).

- **حروف مستقبحة:** قال عنها، هي مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالکاف،

(29) السابق، ص: 58.

(30) سيبويه، ص: 432.

(31) السابق، ص: 432.

والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء⁽³²⁾.

ولم يضرب سيويه أمثلة لهذه الحروف الفرعية غير المستحسنة تُبين كيفية نطقها ، وقد يكون السبب في ذلك صعوبة وصف مخارجها بشكل دقيق كما يتضح من قوله :لايتبين إلا بالمشاهدة ، يضاف إلى ذلك عدم وجود رموز خاصة بها عند العرب تساعد على إيضاح كيفية نطقها. وقد يكون السبب في ذلك هو أن هذه الأصوات غير عربية أي أن مصدرها اللغات الأجنبية ، وأنها شاعت في البيئة العربية في القرن الثاني الهجري عند اختلاط العرب بالشعوب الأخرى ، وبخاصة على أسنة الموالي ، وانتقلت عدواها لبعض العرب ، فنطقوا الأصوات العربية بلكنة أعجمية ، لأن غير العرب لايتمكنون من نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، وذلك تأثراً بما اعتادوا عليه في لغتهم ، لهذا لم يضرب أمثلة توضحها خوفاً من شيوعها بين الناس، وهي التي قال عنها " لاتستحسن في قراءة القرآن ولا في الأشعار⁽³³⁾ .

نتائج البحث

- 1- إن من صفات اللغة العربية ، دقة قواعدها ، وغزارة مفرداتها ، وخصب مناهجها في الاشتقاق.
- 2- لم تعجز اللغة العربية في مواجهة التغيرات الجديدة بل اتسعت للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها ، فنهضت بالمواد اللغوية والشرعية.
- 3- قوة اللغة العربية في الأداء والبلاغة لاتأتيها من مفرداتها أسماء كانت أم أفعال، وإنما تاتيها من تركيب جملها ومخارجها الصوتية، وطريقة هذا التركيب.
- 4- اللغة العربية هي اللغة الخالدة لأنها لغة القرآن الكريم.

الخاتمة

وصلنا إلى نهاية هذا البحث المتعلق باللغة العربية مخارجها وصفاتها الصوتية ، حاولنا قدر المستطاع تحليل رموزها وحروفها ، وإظهار ميزات التي تعتبر بحر واسع لا تنتهي حدوده ، وكان هدفنا إبراز ولو جزء بسيط من أسرار اللغة العربية ، وراعي أن تكون فكرة البحث مدققة في

(32) السابق، ص:433.

(33) السابق، ص 423.

الأصوات العربية ، وقوفاً على آراء العلماء القدامى من جهاذة اللغة العربية ، وتناولت هذه الدراسة بشكل خاص النظم الصوتية ، وركزت على إبراز مترادفات اللغة العربية المعاصرة. وأرجوا أن أكون قد وفقت في العرض مع شيء من التقصير والكمال لله تعالى وحده ، مع اعتذاري في حالة وجود أخطاء . واتمنى أن يسير الباحثون في مجال اللغة العربية على النهج نفسه في إظهار معايير وأصول اللغة العربية. اسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

المراجع

- 1- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ، 1973 ، ط 7 ، دار النهضة مصر.
- 2- محب الدين الخطيب ، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، 2014، المطبعة السلفية ، القاهرة.
- 3- ابن جني، الخصائص، تحقيق النجار، 1976، القاهرة.
- 4- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1966، دار العلم القاهرة.
- 5- انستاس ماري الكرمل، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها، 1938.
- 6- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، 1987، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت.
- 7- أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الألفاظ المستعملة في النطق، 1982، دار المشرق، بيروت.
- 8- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد محمد قاسم، 1976، مطبعة السعادة، القاهرة.
- 9- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، 1974، الناشر، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- 10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، 1989، منشورات دار الهجرة، إيران.
- 11- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم لغوي (القاموس المحيط)، 1989، دار الحديث القاهرة، مصر.
- 12- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1979، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.

- 13- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، 2014 ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة ، مصر.
- 14- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية، 1995، مكتبة المتنبّي للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت. لبنان.

دور الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف وتأثيره السلبي على الجالية

المسلمة في الدول الأوروبية

د. هشام خليفة الكاسح

كلية الاقتصاد / الخمس - جامعة المرقب

البريد الإلكتروني : heshamalkasah@gmail.com

الملخص

شهدت الفترة الأخيرة صعوداً غير مسبوق لتيار اليمين المتطرف في المشهد السياسي الأوروبي، وذلك لنجاحه في الفوز بنسب عالية من المقاعد في المجالس التشريعية الأوروبية حصل ذلك بعد التدفق الكبير للهجرة السرية ذات الأغلبية المسلمة عقب تفجر الأزمات في المنطقة العربية، حيث استغل اليمين المتطرف الهجرة غير الشرعية في كسب التأييد الشعبي له في حملاته الانتخابية من خلال ربط كل المشكلات الأمنية والاقتصادية التي ضربت الدول الأوروبية خلال العقدين الآخرين بقضية الهجرة القادمة من العالم الإسلامي، والعمل على ترسيخ معاداة الإسلام في الفكر الجمعي الأوروبي، باعتباره يهدد الهوية الأوروبية، وتقديم نفسها كمخلص ومنقذ من خلال تبني سياسات تضييقية ضد الجاليات المسلمة وطالبي اللجوء، وهذا ما انعكس سلباً على مسلمي أوروبا من خلال تعرضهم للممارسات العنصرية العنيفة أو من خلال التضييق علي حرياتهم الثقافية، وهذا بطبيعة الحال يصعب من عملية اندماجهم في المجتمعات الأوروبية وينذر بتفكك السلم المجتمعي الأوروبي الذي طالما تميزت به الدول الأوروبية بفعل تبنيها للديمقراطية والانفتاح وقبول الآخر " الكلمات الدالة (الهجرة غير الشرعية، اليمين المتطرف، الجاليات المسلمة، الدول الأوروبية، الإسلام وفوبيا)

Summary

"The recent period has witnessed an unprecedented rise of the extreme right in the European political scene, due to its success in winning high percentages of seats in European legislative assemblies. Legitimacy in gaining popular support for him in his electoral campaigns by linking all the security and economic problems that struck European countries during the last two decades to the issue of immigration coming from the Islamic world, and working to consolidate anti-Islam in European collective thought, As it threatens the European identity, and presents itself as a savior and savior by adopting restrictive policies against Muslim communities and asylum seekers, and this has negatively affected European Muslims through their exposure to violent racist practices or through restrictions on their cultural freedoms, and this naturally makes it difficult for them to integrate into societies. It warns of the disintegration of European

societal peace, which has always characterized European countries due to their adoption of democracy, openness, and acceptance of the other.

Keywords (illegal immigration, extreme right, Muslim communities, European countries, Islamophobia)

مقدمة

عقب ازدياد أفواج المهاجرين غير الشرعيين المتجهة نحو الدول الأوروبية خلال العقد الثاني من القرن الحالي، بسبب سوء الأحوال الاقتصادية و انتشار الفقر والظلم وغياب الحريات وعدم الاستقرار الذي تعانيه الدول التي قدموا منها، خاصة الدول العربية التي اندلعت فيها ثورات الربيع العربي عام 2011، بالإضافة إلى الحوافز الكبيرة التي توفرها أغلب الدول الأوروبية خاصة الغربية منها، والتي تقدم لهم ما يفتقرون إليه في دولهم كالوظائف، والرعاية الاجتماعية، والصحية، والأمن، والحقوق الإنسانية، التي تضمنها تشريعات الدول الأوروبية، تحول موضوع الهجرة غير الشرعية إلى قضية هامة مسّت كل الجوانب السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الأوروبية، حيث استأثرت بالنقاش العام سواء بين صنّاع القرار السياسي على مستوى الحكومات الأوروبية، أو من خلال وسائل الإعلام بجميع أنواعه المرئية والمسموعة والمكتوبة، ولعل كل هذا الاهتمام يوضح مدى حجم التحديات التي تطرحها مسألة تدبير ملف الهجرة غير الشرعية بعد أن ارتبطت بصعود الأحزاب اليمينية المتطرفة في المشهد السياسي الأوروبي، وما يمكن أن يؤدي ذلك إلى الكثير من التغيرات السياسية والتشريعية والحقوقية علي المستوى الداخلي والخارجي، و التي سبق وأن استقرت عليها أغلب الدول الأوروبية الغربية منذ منتصف القرن الماضي، والتي ستؤدي بطبيعة الحال إلى التأثير السلبي على قضية اندماج المسلمين المقيمين في المجتمعات الأوروبية، وتأتي الانتصارات الأخيرة التي حققتها الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات التشريعية التي جرت في الكثير من الدول الأوروبية الغربية، خلال العقد الأخير من القرن الحالي، لتعطي مؤشراً واضحاً على هذا الصعود، جاءت هذه الانتصارات مترافقة مع زيادة وتيرة الهجرة غير الشرعية وما سببته من مشاكل أمنية واجتماعية واقتصادية وسياسية استغللتها الأحزاب اليمينية المتطرفة، وزادت من تضخيمها في الأوساط الشعبية الأوروبية والناخبين الأوروبيين بشكل عام، حيث تم ربط كل تدهور اقتصادي أو أمني أو اجتماعي بالهجرة غير الشرعية، لتتحول إلى فزاعة استفادت منها تلك الأحزاب المتطرفة في كسب الرأي العام الأوروبي، وفي الضغط على الحكومات

الأوروبية بما في ذلك المتكونة من الأحزاب المعتدلة لتبني سياسات أكثر تطرفاً سواء بخصوص التضييق على الجاليات الأجنبية خاصة المسلمة، أو النزوع إلى تبني الوطنية الضيقة وتشديد الحدود وما ينطوي عليه من آثار خطيرة قد تصل إلى اعتماد تشريعات متشددة تؤدي إلى التضييق على حرية تنقل الأفراد، وقبول اللاجئين، وترحيل المسلمين، وتقليل الإنفاق على المهاجرين غير الشرعيين والتضييق على الشعائر الدينية للمسلمين المقيمين، ناهيك عن انتشار ظواهر ونظم كالعنصرية، وكره الآخر، ورفض التعدد ورفض الرأسمالية، و الانغلاق، و هي نظم وظواهر ستكون لها انعكاسات سلبية على الجالية المسلمة المقيمة في الداخل الأوروبي و قبل هذا وذاك هي نظم لا تتلاءم مع الثقافة الأوروبية الغربية المنفتحة التي تبنتها منذ منتصف القرن الماضي.

1- إشكالية الدراسة :

تتمثل إشكالية الدراسة في الأسئلة التالية :

س1 : ما هو دور الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف على المشهد السياسي الأوروبي؟.

س2 : ما هي الأساليب التي تبناها اليمين المتطرف لكي يكون مقبولاً لدى الناخبين الأوروبيين؟.

س3 : ما هي التأثيرات السلبية التي قام بها اليمين المتطرف على الجاليات المسلمة في الدول الأوروبية؟.

2- فرضية الدراسة :

تنتقل هذه الدراسة من فرضية مفادها زيادة توافد أفواج الهجرة غير الشرعية باتجاه الدول الأوروبية خاصة في العقدين الأخيرين، وما نتج عنها من مشكلات اجتماعية واقتصادية وأمنية للدول الأوروبية بلغت درجة لم يعد بمقدورها تحملها، خاصة وأنها تزامنت مع موجات إرهابية وأزمات اقتصادية ومالية واجتماعية كثيرة ضربت معظم الدول الأوروبية، الأمر الذي استغلته أحزاب اليمين المتطرف في كسب تأييد الناخبين الأوروبيين في حملاتها الانتخابية، من خلال ربط كل الأزمات والمشكلات الحاصلة بتوافد المهاجرين المسلمين، وترسيخ ذلك بواسطة الدعاية الإعلامية، والخطابات التعويبية، التي تحرك مشاعر الخوف من المهاجرين المسلمين، والذي صار يعرف بالإسلاموفوبيا وتقديم نفسها كمخلصٍ من هذه المشكلات من خلال تقديم برامج تهدف إلى الضغط

على الجاليات المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية، وتضييق الخناق عليهم ووضع القيود والعراقيل لمنع تدفق اللاجئين ووقف الإنفاق عليهم.

3- مفاهيم الدراسة :

أ- الدور : يعرفه الباحث الغربي " ميريل " بأنه عبارة عن نموذج من السلوك المتوقع والمرتبط بموقع معين في مجتمع معين¹، وفي هذه الدراسة سنسلط الضوء على موقع الهجرة غير الشرعية في الدول الأوروبية والسلوك المتوقع الذي نتج عنها، والذي تمثل في زيادة شعبية اليمين المتطرف ومن ثم صعوده في المشهد السياسي الأوروبي، وانعكاس ذلك بشكل سلبي على الجاليات المسلمة في أوروبا.

ب - الإسلام وفوبيا : مصطلح صاغه باحثان فرنسيان عام 1918 لتصنيف ما اعتبروه جهداً سياسياً لتقويض الإسلام، ولكنه لم ينتشر إلا في أواخر التسعينات، مع تقرير مؤسسة الأبحاث البريطانية للمساواة بين الأعراق الذي عرّفه بأنه عداً لا أساس له من الصحة تجاه الإسلام، وتقر المؤسسة بأنه على الرغم من أن المصطلح ليس مثالياً إلا أنه طريقة مختصرة مفيدة للإشارة إلى الرهبة أو الكراهية لجميع المسلمين، أو معظمهم، ومنذ ذلك الحين تم استخدام المصطلح في السياسة و كل الأوساط الأكاديمية، ويقصد به بشكل عام الرهاب من الإسلام وهو المعنى الذي استخدمته التيارات اليمينية المتطرفة في خطابها السياسي والإعلامي الموجه للشعوب الأوروبية².

ج - التأثير : في اللغة التأثير مصدر أتر، فيقال أتر علي و أتر في، فيقال تأثير جانبي : يعني مفعول سلبي لدواء أو نحوه، ويقصد به النفوذ أي القدرة على إحداث أثر، والأثر ينشأ عن فعل مؤثر، والتأثير إما أن يكون مادياً كتأثير السموم والأدوية في البدن، وإما أن يكون نفسياً كتأثير الأحوال النفسية بعضها في بعض، والتأثير الطبيعي هو التأثير المتبادل بين الجسم والعقل والتأثير بشكل عام يدل على ما لبعض الناس من سلطان على أفكار غيرهم وإراداتهم أو على ما لبعضهم

¹- إسراء عمران أحمد عبدالكافي، دور القيادة في الإصلاح السياسي : دراسة العرقفة بين الفكر والممارسة - قيادة عمر بن عبد العزيز نموذجاً، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2011.

²- سماح عبدالفتاح أبو الليل، ظاهرة التنميط (دراسة تأثير الصعود اليميني المتطرف الأوروبي على ملفات اللجوء والهجرة)، مجلة كلية السياسة والاقتصاد- جامعة بني سويف ، العدد : العاشر ، مصر، إبريل 2021، ص 107

من نفوذ³، والتأثير في هذه الدراسة يقصد به الأثر السلبي أو الفعل السلبي الذي يقوم به التيار اليميني المتطرف ضد الجاليات الإسلامية المقيمة في الدول الأوروبية.

د - الجاليات المسلمة في أوروبا: تصنف الجاليات المسلمة في أوروبا إلى فئتين هما:

1- أبناء الدول الأوروبية الأصليين الذين دخلوا الإسلام منذ قرون طويلة، وحافظوا على إسلامهم رغم ما واجهوه من مصاعب وتحديات ومحاولات لمحو هويتهم، مثل اليوسنيين، والألبان، والكوسوفيين، والمسلمين في بلغاريا وروسيا، ويضاف إليهم المسلمون الجدد، من أمثال (رجاء جارودي) من فرنسا، و(مراد هوفمان) من ألمانيا، وغيرهما ممن اعتنقوا الإسلام.

2- مسلمون مهاجرون تنسوا بجنسية البلد الأوروبي المقيمين فيه، مثل المهاجرين إلى أوروبا بغرض العمل، أو هرباً من بلدانهم الأصلية لأسباب أمنية أو سياسية، ثم استقروا في بلد المهجر، والطلاب الذين سافروا لاستكمال دراساتهم العليا في أوروبا ثم آثروا البقاء والإقامة هناك، وغيرهم الكثير ممن اجتذبتهم النهضة الأوروبية الحديثة للهجرة إليها والاستقرار به⁴.

4- أهداف الدراسة :

أ - التعرف على تداعيات الهجرة غير الشرعية على مجتمعات الدول الأوروبية.

ب- التعرف على دور الهجرة غير الشرعية في فوز الأحزاب اليمينية المتطرفة الاستحقاقات بالانتخابية في الدول الأوروبية.

ج- التعرف على الوسائل والأدوات التي استخدمها اليمين المتطرف في توجيه الرأي العام الأوروبي لقضية الهجرة غير الشرعية وتحويلها من قضية إنسانية إلى قضية أمن قومي.

د- التعرف على الممارسات العنيفة، والانتهاكات الحقوقية التي تقوم بها الأحزاب اليمينية المتطرفة ضد الجاليات المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية.

هـ - محاولة كشف العلاقة بين الهجرة غير الشرعية وصعود اليمين المتطرف.

³- معنى تأثير في المعاجم العربية والأنطولوجيا، مترادفات، ترجمات، على الموقع الإلكتروني :

<https://ontology.birzeit.edu/term>

⁴- راغب السرجاني، الجاليات المسلمة في أوروبا، إسلام ويب، 28-7-2016، على الموقع الإلكتروني :

<https://www.islamweb.net>

و - محاولة كشف العلاقة بين صعود اليمين المتطرف وسياسات التضيق التي أصبحت تمارسها الدول الأوروبية ضد الجاليات المسلمة خلال العقدين الآخرين.

5- أهمية الدراسة:

أ - تهتم هذه الدراسة بدور الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف على المشهد السياسي الأوروبي، وبما أن الهجرة غير الشرعية التي تستهدف الدول الأوروبية تأتي من مناطق دول العالم العربي بجناحيه المشرق والمغرب، فإن أي تطورات قانونية أو سياسية أو اقتصادية تخص قضية الهجرة ستؤثر بالضرورة على دول العالم العربي، سواء من ناحية التمويل أو المنح أو المساعدات المالية أو المعاهدات أو العمل المشترك بين الطرفين.

ب - تهتم هذه الدراسة بالممارسات العنصرية التي تقوم بها الأحزاب اليمينية المتطرفة ضد الجاليات المسلمة، وما قد تنطوي عليه من مؤشرات تدل على انتشار ظاهرة الإسلام وفوبيا ومعاداة الإسلام، مما قد يؤدي إلى قبول نظريات توجب الصراع وتنمي الكره والعداء بين الأمم، خاصة العداء للعالم الإسلامي.

ج - تهتم هذه الدراسة بموضوع بالغ الأهمية يتمثل في مدى قدرة اليمين المتطرف على تغيير المنظومة الثقافية الأوروبية خاصة الغربية منها، والتي تبنتها منذ منتصف القرن الماضي والتي تقوم على الديمقراطية، والانفتاح، وقبول الآخر، وحرية انتقال الأشخاص، والبضائع إلى تبني سياسات أكثر انغلاقاً وتشدداً وأقل ديمقراطية.

6- منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الذي سيتم من خلاله تحليل العلاقة بين الهجرة غير الشرعية وصعود اليمين المتطرف، وكذلك تحليل العلاقة بين صعود اليمين المتطرف وتبني الدول الأوروبية لسياسات متشددة ضد اللاجئين، كما أنه سيتم استخدام التحليل الوصفي الذي سيتم من خلاله رصد حالات الاعتداءات والتضييق والعنف التي يمارسها التيار اليميني المتطرف ضد الجاليات المسلمة، خلال العقدين الآخرين، بالإضافة إلى ذلك سيتم استخدام المدخل التاريخي لاكتشاف الجذور التاريخية لنشأة اليمين المتطرف في الدول الأوروبية لكي نستطيع من خلالها معرفة التيارات اليمينية بشكل أكثر وضوحاً وفهماً للواقع.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لظاهرتي الهجرة غير الشرعية واليمين المتطرف في الدول الأوروبية.

المطلب الأول: التعريف بالهجرة غير الشرعية إلى الدول الأوروبية.

يُوصف الإنسان بأنه كائن متحرك بطبيعته التي فطره الله عليها، لهذا فإن الحركة والتنقل أو الهجرة تمثل قوام حياته و ضرورة من ضرورات معيشتة، لا تختلف عن الماء والهواء، ولهذا قام الإنسان بالهجرة منذ القدم سعياً للكسب أو بحثاً عن الأمن ومن أجل توفير حاجاته المادية والمعنوية التي لا يستطيع الحياة بدونها، ولذلك تعد الهجرة ظاهرة إنسانية كفلت لها المواثيق الدولية الحرية دون منع أو تضييق، حيث نصت على سبيل المثال كل من وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 والعهد الدولي الخاص سنة 1966 على اعتبارها من الحقوق والحريات الأساسية التي تسمى الجيل الأول من الحقوق و تشمل الحقوق المدنية والسياسية⁵، وتتعدد تعريفات الهجرة بتعدد الرؤى والتخصصات فمن الناحية اللغوية تعرف بأنها لفظ مشتق من الفعل الثلاثي هجر أي تباعد، وعند البعض التباعد، فيقال هاجر أي ترك وطنه، أي انتقل من موطن إلى آخر⁶، وفي الشريعة الإسلامية تعرف بأنها الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهي واجبة على كل مسلم من أجل الحفاظ على نفسه ودينه، أما من الناحية الاجتماعية، فتعرف بأنها الانتقال من سياق غير مرغوب فيه نظراً لعجز الفرد عن تحقيق التكيف الاجتماعي، أما في القانون الدولي، فهي انتقال الأفراد من دولة لأخرى بقصد الإقامة الدائمة فيها، وينشأ عن الهجرة مركز قانوني للمهاجر من حيث العلاقة بين الدولة المهاجر منها والمهاجر إليها، وتنقسم الهجرة من حيث قانونيتها أو مشروعيتها إلى هجرة شرعية، وتعرف بأنها الهجرة المنظمة التي تتم وفقاً للقانون والقواعد القانونية التي تقرها الدولة المهاجر منها أو إليها⁷، أما القسم الثاني موضوع الدراسة في هذا البحث فتسمى بالهجرة غير الشرعية ويطلق عليها أيضاً بالهجرة السرية أو الهجرة غير النظامية، وتعرف بأنها: قيام شخص لا يحمل جنسية الدولة أو من غير المرخص له بالإقامة فيها بالتسلل من حدودها البرية أو البحرية أو الجوية أو الدخول للدولة من أحد منافذها الشرعية بوثائق وتأشيرات مزورة، وغالباً ما تكون هذه

⁵ - سفيان باكراد ميسروب، حرية السفر والتنقل، مجلة الرافيدين، المجلد 11، العدد، 42، جامعة الموصل، 2009، ص 249

⁶ - أبوبكر الرازي، مختار الصحاح، مادة هجر، المطابع الأميرية، ط: 5، القاهرة، 1939.

⁷ عبد اللطيف محمد عمر، الهجرة غير الشرعية، المصرية للنشر والتوزيع، مصر، 2016، ص - ص 9 - 13

الهجرة جماعية ونادراً ما تكون فردية⁸، وينتشر هذا النوع من الهجرة في كل قارات ودول العالم، من مناطق طاردة تفتقر للاستقرار والأمن والضرورات المعيشية، باتجاه مناطق جاذبة تتميز بتوفر كل شروط الحياة الكريمة التي يطلبها الإنسان، وقد تحدث بين دول نامية مثل هجرة القبائل الإفريقية عبر الحدود للبحث عن الكلاً أو فراراً من الحروب، لكنها غالباً ما تكون وجهة المهاجرين باتجاه الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، غير أنها اكتسبت أهمية خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط، نتيجة للأعداد الهائلة التي أخذت في التوافد عبر قوارب الموت باتجاه الدول الأوروبية خلال العقدين الآخرين، وما أسفر عنها من تداعيات ضخمة في كل الجوانب السياسية، والأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية، خاصة عقب اندلاع ثورات الربيع العربي (تونس، مصر، ليبيا، سوريا، اليمن) عام 2011، ولم تحدث الزيادة في معدلات الهجرة غير الشرعية بسبب انتشار بوادر عدم الاستقرار وفقدان الأمن وفشل الدولة وتزايد معدلات الفقر فقط، وإنما تضافرت الكثير من العناصر والمحفزات الأخرى التي جعلت الدول الأوروبية الوجهة المفضلة للمهاجرين القادمين من الدول العربية، والأفريقية المسلمة جنوب صحراء، وتأتي الحوافز القانونية في مقدمة هذه العناصر، فسيادة القانون، وقيم العدالة، والمساواة واحترام حقوق الإنسان، والاعتراف بالتعددية الثقافية والدينية والعرقية وبضمان حقوق الأقليات السياسية والاجتماعية وامتيازاتها الخاصة، أعطت سناً قوياً لضمان حقوقهم، بالإضافة إلى ذلك مزايا السكن والإقامة والشغل وحجم المساعدات المالية التي تتفوقها الدول الأوروبية تفوق ما تنفقه الدول الأخرى التي تستضيف مخيمات اللاجئين والمهاجرين غير الشرعيين، حيث تعاني المنظمات الإنسانية من نقص شديد ومستمر في التمويل، لتقديم العون لأزمات اللاجئين الكبرى مثل سوريا وأفغانستان، فعلى سبيل المثال اعتباراً من 26 سبتمبر 2016 تم تمويل 48% فقط مما تحتاجه خطة لاجئي سوريا الإقليمية، وتم تمويل 27% فقط من خطة استجابة اليمن الإقليمية، واللاجئين والمهاجرين لعام 2013⁹، وذلك لشح النفقات التي تدفعها الدول الأخرى مقارنة بدول الاتحاد الأوروبي، وهذا ما جعل اللاجئين من الدول الإفريقية

⁸ - أحمد عبدالعزيز الأصغر، مكافحة الهجرة غير المشروعة، ط: 1، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2010، ص

10

⁹ - التصدي للأزمة العالمية للاجئين .. من المتملص عن المسؤولية إلى تقاسمها، ط: 1 (لندن، مطبوعات منظمة العفو

الدولية، 2016) ص 11

جنوب الصحراء يخاطرون بحياتهم ويقطعون الصحاري باتجاه سواحل شمال أفريقيا، ثم الانتقال عبر البحر الأبيض المتوسط من خلال قوارب الموت التي تشرف عليها عصابات التهريب، والهجرة غير الشرعية، و التي ازدهرت بشكل كبير عقب ثورات الربيع العربي عام 2011، بسبب فشل وانهايار مؤسسات الدولة فيها، وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للمهاجرين السوريين الذين لم يتوصلوا على أبسط الخدمات الإنسانية في مخيماتهم المنتشرة في الأردن، وتركيا، ولبنان، وذلك لعجز منظمة الأمم المتحدة عن الإيفاء بوعودها بسبب تملص الدول المانحة من وعودها السابقة¹⁰، فبحسب تقرير قدمته المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في نوفمبر 2014 فإن نقص التمويل لعملياتها الخاصة بالنازحين من العراق وسوريا والذي بلغ حوالي (58.45) مليون دولار قد يترك أكثر من مليون نازح في البلدين دون مساعدة هذا الشتاء¹¹، وفي ظل المأساة التي يعيشها اللاجئون السوريون، وازدياد سياسات التضييق من دول الاتحاد الأوروبي على استقبال المهاجرين، وطالبي اللجوء بالطرق المشروعة، لم يبق لهم سوى ركوب قوارب الموت عبر البحر الأبيض المتوسط باتجاه دول الاتحاد الأوروبي بحثاً عن الأمن والأمان والمعيشة الكريمة.

إن أهم ما يميز دول الاتحاد الأوروبي تلك المحفزات المرتبطة بالاستقرار السياسي، وعدم تفجر الحروب وتوفر الأمن ، أما فيما يخص المحفزات الاجتماعية والنفسية الجاذبة، فإن المجتمعات الأوروبية لا تأبه للقيود الاجتماعية التي تتمسك بها شعوب دول الجنوب، كالعادات والتقاليد والأعراف التي تمنع الحرية، و تقتل الإبداع¹²، غير أن أبرز المحفزات وأكثرها تأثيراً وجاذبية والتي تجعل المهاجرين غير الشرعيين القادمين من دول الجنوب يخاطرون بحياتهم من أجل الوصول إلى دول الاتحاد الأوروبي، هي استقبالها لهم بطريقة فيها الكثير من الإنسانية، بداية من إنقاذهم من أعالي البحار، إلى نقلهم لملاجئ صحية ولأثقة على أراضيها، و إجراء الكشف الصحي لهم وإمدادهم بالأكل والشرب، ومراعاة حالاتهم الصحية والنفسية والسياسية والاجتماعية وكل حقوقهم الإنسانية ومنحهم فرص الإقامة والعمل بشكل لا يمكن مقارنته بتلك التي كانوا عليها في بلدانهم

¹⁰ - رياض عواد، هجرة العقول، ط : 1، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1995، ص 70 **الى هنا**

¹¹ - إسرائ البدر، معاناة اللاجئين في الشتاء القارص، المركز الدولي للدراسات والأبحاث، ديسمبر 2014، على الموقع الإلكتروني: <http://www.medadcenter.com/investigations/583>

¹² - رياض عواد، هجرة العقول، ط : 1، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1995، مرجع سابق ذكره، ص 70

الأصلية، حيث البطالة والفقر وقلة الموارد¹³، ونسبة لذلك أصبحت دول الاتحاد الأوروبي الوجهة الأكثر تفضيلاً للمهاجرين غير الشرعيين، وبسبب الازدياد الكبير لأعداد المهاجرين غير الشرعيين في المجتمعات الأوروبية حتى أصبحوا يشكلون مجتمعات منعزلة تعيش على ضواحي المدن و العواصم الأوروبية، وعلى أثر العمليات الإرهابية و الأزمة الاقتصادية الأخيرة التي تعيشها غالبية الدول الأوروبية استغلتها الأحزاب اليمينية المتطرفة للصعود في المشهد السياسي الأوروبي، في محاولة منها تطبيق معتقداتها المتطرفة التي من ضمنها التضييق على المهاجرين، ووقف الإنفاق الحكومي عليهم والتضييق على حرية انتقال الأشخاص والبضائع، لتتحول ظاهرة الهجرة غير الشرعية في الدول الأوروبية من ظاهرة اجتماعية واقتصادية وإنسانية، إلى قضية أمن قومي قد تؤدي إلى تغيير كامل في التشريعات والسياسات الأوروبية الخارجية مثل الانسحاب من منظمة الاتحاد الأوروبي، وداخلية قد تتضرر بها الجاليات المسلمة المقيمة في المجتمع الأوروبي بسبب نقشي ظاهرة الإسلام وفوبيا.

المطلب الثاني : التعريف بالأحزاب اليمينية المتطرفة في الدول الأوروبية.

من المعروف أن الحياة السياسية بشكل عام سواء على مستوى الأفراد أو الأحزاب أو الحركات السياسية، لا تعبر عن طيف سياسي واحد، بل إنها تعبر عن مجموعة من الأطياف السياسية التي تتراوح بين أقصى اليمين و أقصى اليسار، ولكل طيف من هذه الأطياف مواقفه وأفكاره ومعتقداته السياسية، ولعل من بين أكثر الأطياف السياسية إثارة للجدل في الحياة السياسية تلك الأحزاب التي توصف باليمين المتطرف، بسبب انتهاجها للشعبوية كوسيلة للتأثير على الرأي العام داخل الدول، ولتبنيتها معتقدات متطرفة تتعلق بمفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ذات صبغة عنصرية ضد الأجانب، وبالأخص الجالية المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية، وتعود الجذور الأولى لنشأة ثنائية (اليمين واليسار) إلى أواخر القرن الثامن عشر في فترة الثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789، تحديداً عندما احتدم الخلاف داخل الجمعية التأسيسية الفرنسية بين المؤيدين لإعطاء حق الاعتراض للملك على مشروعات القوانين التي تصدرها الجمعية التأسيسية وبين المعارضين لهذا

¹³ - مصطفى عبد العزيز مرسي، قضايا المهاجرين العرب في أوروبا، ط : 1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2010.

الحق، وخلال الجدل الحاصل حول هذه القضية تكرر جلوس المؤيدين على يمين المنصة، وبالمقابل جلوس المعارضين على يسارها، مما أدى في نهاية المطاف إلى تحول هذا المشهد إلى انقسام سياسي جديد صبغ الحياة السياسية في فرنسا في ذلك الوقت، حيث تحول المصطلحين إلى معيار يتم من خلاله تحديد الهوية السياسية والتوجه السياسي للأفراد والجماعات، و بعد أكثر من قرن انتشر هذا التقسيم في أغلب الدول الأوروبية، واكتسب المصطلحان صفة رسمية للهوية السياسية ليتحول خلال العقد الأول من القرن العشرين إلى مؤسسات رسمية، حيث اتخذ مصطلحا (اليمين واليسار) معان محددة وواضحة، فمثلاً وصف المنشقون عن الحزب الشيوعي في فترة حكم الرئيس السوفيتي السابق جوزيف ستالين بأنهم معارضون يمينيون، وصار كل من يميل إلى اليسار يدل على أنه يعتنق الثورة العمالية العالمية، وكل من يميل نحو اليمين يدل على أنه يعتنق ويتبنى نوعاً من المشاعر القومية والوطنية الأصولية، ويتفق الباحثون السياسيون على صعوبة تحديد اليمين المتطرف، وإن كان بعضهم يقرر أن الأحزاب النازية والفاشية التي هزمت في الحرب العالمية الثانية تمثل بصورة جلية وواضحة مصطلح اليمين المتطرف باعتبار أن هذه الأحزاب تتصف بنزعتها العنصرية وبعتمادها الشديد على العرق والتعامل مع الغير من خلال تصنيفات شديدة التطرف¹⁴، وبشكل عام توصف الأحزاب اليمينية بالأصولية والنزعة المحافظة بخلاف الأحزاب اليسارية التي اتصفت بالتقدمية والثورية ضد الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة، وتنقسم الأحزاب اليمينية نفسها إلى قسمين هما : أحزاب يمينية تقليدية أو معتدلة، وأحزاب يمينية متطرفة، و كل منهما يختلف عن الآخر في الممارسة والأسلوب والأدوات، فبينما تسعى الأحزاب اليمينية المعتدلة إلى الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع عن طريق الحوار وبالوسائل السلمية، تستخدم الأحزاب اليمينية المتطرفة الأفكار العنصرية، والتمييز العنصري، والعنف لحماية الهوية التي تعتبرها مهددة من قبل الأجانب واللاجئين خاصة المسلمين وتجعل من الإسلام وفوبيا المحرك الأساسي للمشاعر المعادية للمسلمين المقيمين في الدول الأوروبية¹⁵، وعلى الرغم من أن اليهود والماسونيون كانوا أهم أعداء هذه الأحزاب في بداية نشأتها، لاسيما في الفترة التي سبقت اندلاع

14- هشام تيفلاتي، اليمين واليسار المتطرفان - النشأة والتاريخ والتطور والتضاربات الجيوسياسية، التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، 2022، على الموقع الإلكتروني : <https://imctc.org/ar/eLibrary/Articles/Pages/article21022022.aspx>

15 - إيمان عنان، تداعيات صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مركز البديل للتخطيط والدراسات الإستراتيجية، 2016، على الرابط الإلكتروني : <http://pss.elbadil.com/2016/12/19>

الحرب العالمية الثانية، عندما سيطر اليهود على الاقتصاد في الدول الأوروبية، خاصة في ألمانيا التي ظهرت فيها النازية التي حددت اليهود كعدو أول للهوية الألمانية، واستمرت الأحزاب اليمينية فيها بمعاداة اليهود بعد نهاية الحرب ونجاح اللوبيات اليهودية في استغلال المحرقة النازية لممارسة الإرهاب الفكري والابتزاز الاقتصادي على الأوروبيين بشكل عام، نظرة العداء نفسها التي حملتها الأحزاب اليمينية المتطرفة لليهود، ووجهت أيضاً للماسونية التي يعتبرونها تهديداً للهوية وللثقافة الوطنية والمجتمعية للدول الأوروبية¹⁶، لكن بتزايد أعداد الهجرة غير الشرعية واللاجئين للدول الأوروبية الذين كان غالبيتهم من المسلمين خلال العقدين الآخرين، لاسيما بعد اندلاع ثورات الربيع العربي عام 2011 تم تحديد المسلمين كعدو أول بالنسبة لهذه الأحزاب، فشعار (أوروبا للأوروبيين) هو جوهر فلسفتها، وبالتالي فإن الدول الأوروبية يجب أن يقطنها سكانها الأصليون (نحن)، ولا مكان فيها للأجانب (الآخر خاصة المسلم)، وأن استمرار تدفق المهاجرين يهدد بانقراض المجتمعات والهوية الأوروبية الأصلية، وتتعدد تعريفات اليمين المتطرف، لكنها تكاد تتفق جميعها على المعتقدات والأهداف التي يتبناها، فيعرفه البعض بأنه معتقد لا يؤمن بالمساواة بين البشر من الناحية العرقية، ويرى أنهم مقسمون بعضهم أفضل من الآخر¹⁷، ويعرفه الباحث الفرنسي "بيار أندريه" بأنه القومية المعادية للأجانب، أو القومية العنصرية ذات الأسس الإثنية، القائمة على العرف والتاريخ والثقافة¹⁸، ويمثل كره الأجانب أحد مظاهرها الأكثر وضوحاً، وتعتبر الهجرة غير الشرعية أكثر القنوات الجالبة للأجانب، وبما أن المهاجرين غير الشرعيين غالبيتهم من المسلمين، تحول تركيز اليمين المتطرف باتجاه معاداة الإسلام والمسلمين باعتبارهم يمثلون تهديداً للهوية الأوروبية المميزة، بما يحملونه من ثقافة مناقضة للثقافة الغربية، ومع تزايد أعداد المهاجرين القادمين من العالم الإسلامي خلال العقدين الأخيرين برزت للوجود ظاهرة الإسلام وفوبيا التي أدت إلى الكثير من المعاناة للجالية المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية، ويعرف اليمينيون المتطرفون أنفسهم بأنهم (لا يساريون ولا يمينيون) مما يسمح لهم بالتميز عن بقية الأطياف السياسية، حيث ادّعت زعيمة اليمين المتطرف الفرنسي " ماريان لوبان" أثناء انتخابات الرئاسة الفرنسية عام 2017 بأن

¹⁶- مفاهيم ومصطلحات، اليمين المتطرف، الجزيرة نت، 2015 ، على الموقع الإلكتروني : / 30/11/2015
<https://www.aljazeera.net>

¹⁷- مصطفى جاسم حسين، الاتحاد الأوروبي واليمين المتطرف : البريكست نموذجاً، مجلة العلوم السياسية، العدد 61، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، 2021، ص 220

¹⁸- المرجع السابق ، ص 2021

مصطلحي اليمين واليسار لا معنى لهما، وأن الانقسام الحقيقي هو بين أنصار العولمة والوطنيين¹⁹، وهناك من يقسم اليمين المتطرف من خلال معيار المشاركة السياسية إلى أحزاب احتجاجية هدفها الأساس تسجيل مواقف وتعبئة مستمرة في صفوف أنصارها، من أجل تسويق خطاب تحريضي هدفه التشويش الإعلامي أكثر من التأثير في واقع الأمور، ويُطلق على هذا الصنف اسم "اليمين الشعبوي المتطرف"، وأحزاب تتبنى الواقعية السياسية مما جعلها تعدّل خطابها ليكون مقبولاً لدى جزء من ناخبي اليمين في عمومهم، وملائماً كذلك لمتطلبات الانخراط في الديمقراطية الليبرالية القائمة على التعددية وبالتالي الاختلاف²⁰، وبالرغم من تعدد تعريفات اليمين المتطرف وعدم وجود اتفاق يجمع حوله الأحزاب التي تدخل في نطاق هذا المفهوم، إلا أنه يمكن تحديد أهم الأسس الأيديولوجية التي تشترك فيها الأحزاب اليمينية المنتمية إلى اليمين المتطرف والتي تشمل الآتي :

1- السلطوية : التأكيد على أهمية النظام والسلطة والعقاب الشديد لمن يخرج عليهما.

2- الشعبوية : البسطاء يحددون مضمون السياسة حتى تكون معبرة عن لإدارة العامة.

3- العداء للأجانب : الذي تجسد فيما بعد في الإسلام وفوبيا²¹

كما أن لليمين المتطرف نزعة متأصلة نحو رفض الرأسمالية والليبرالية ليس لذاتهما، وإنما خوفاً من التحولات العميقة التي عادة ما تصاحبهما، سواء على المستوى السياسي والاقتصادي أو على مستوى القيم والأخلاق، فهو يرفض سياسات الانفتاح الاقتصادي وفتح الحدود، و سن القوانين التي تتعدى على قيم الأسرة والمجتمع الأوروبي المسيحي، كتلك القوانين التي تجيز المثلية الجنسية أو تلك التي تبيح للمسلمين المقيمين بناء المساجد والتجنس بالجنسيات الأوروبية، بل إن اليمين المتطرف معروف بتحفظه على بعض مقتضيات مواثيق حقوق الإنسان في الغرب، ودافعه إلى ذلك ديني نابع في أساسه من التقاليد المسيحية.

المبحث الثاني : إسهام الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف.

المطلب الأول : استغلال اليمين المتطرف للهجرة غير الشرعية في حشد الدعم الشعبي الأوروبي.

19- هشام تيفلاتي، اليمين واليسار المتطرفان - النشأة والتاريخ والتطور والتضاربات الجيوسياسية، التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، 2022، مرجع سابق ذكره.

20- بن عياش سمير، التداخبات المحتملة لصعود اليمين المتطرف والشعبي بالدول الغربية على ضحايا الهجرة القسرية من الدول العربية واندماجهم في المجتمعات المضيفة، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد : 31، العدد: 3، ديسمبر 2020، ص 98

21- Mud, C.(2010), The Populist Radical Right: A Pathological Normalcy. Western European Politics, P.1173

بعد الخسائر المتكررة التي مُنيت بها الأحزاب اليمينية المتطرفة سابقاً في انتخابات السلطتين التشريعية والتنفيذية في مختلف الدول الأوروبية، وجدت أخيراً موضوع الهجرة غير الشرعية كأفضل الوسائل للفوز بالانتخابات، وذلك من خلال جعل مشجراً تعلق عليه كل المشكلات الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، لتحريك هواجس الجماهير وإثارة مخاوفها والاستثمار في مشاكلها، فمع تزايد أعداد المهاجرين غير الشرعيين خلال العقد الثاني من القرن الحالي عقب اندلاع ثورات الربيع العربي عام 2011، والتي بحسب تقارير منظمة العفو الدولية بلغت نسبة غير مسبوقة في التاريخ الإنساني، وبسبب قلة المستقبلين للاجئين والمهجرين في الدول الشرق أوسطية والشمال الأفريقي وشح الإنفاق من الدول المجاورة لمناطق عدم الاستقرار، بسبب تفجر ثورات الربيع العربي واندلاع الحروب الأهلية، وما أعقبها من ضعف أجهزة الدولة الأمنية المكلفة بحراسة الحدود، تحولت على إثرها إلى محطات رئيسية لانتقال آلاف المهاجرين الذين ينتمون إلى دول عربية وإفريقية مسلمة، للانتقال إلى السواحل الأوروبية عبر قوارب الموت طلباً للأمن والحياة الكريمة، تزامنت هذه الهجرة مع الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، التي كان مصدرها الركود الاقتصادي الذي ضرب الكثير من الدول الأوروبية خلال العقد الأخير من القرن الحالي²²، و زاد من تعميقه نقشي جائحة كورونا، بالإضافة لذلك تزايد نشاطات الجماعات الإرهابية داخل العمق الأوروبي، مما دفع اليمين المتطرف لاستغلال هذه الظروف للعب بمشاعر المواطنين الأوروبيين من خلال تضمين برامجها الانتخابية قضية الهجرة غير الشرعية في دعايتها الإعلامية فقدمت نفسها كمخلصة ومنقذة للجماهير من هذه المخاوف والهواجس، حيث اعتبرت الأحزاب اليمينية المتطرفة أنّ المهاجرين عامّة، سواء غير الشرعيين أو المواطنين الأوروبيين من الأجيال المتعاقبة للمهاجرين، هم مصدر الإرهاب، و قد زادت نسبة العداء للمهاجرين المسلمين بعد بروز تنظيم القاعدة، ثم داعش اللتان تسببتا في العديد من العمليات الإرهابية داخل العمق الأوروبي معتمدة على عناصرها المقيمون في الدول الأوروبية، مما أدى إلى زيادة وتيرة الصراع الحضاري بين الغرب والمسلمين في الوعي الجمعي الأوروبي، حيث استغل اليمين المتطرف الأحداث الإرهابية الفردية لتعممها على كل الجالية المسلمة المقيمة في أوروبا، فعلى سبيل المثال منقذا الهجوم على

22- لمزيد من التفاصيل انظر تقارير منظمة العفو الدولية الخاصة بقضية الهجرة غير الشرعية، أعوام (2011-2021) على الرابط الإلكتروني : <https://www.amnesty.org/ar/>

صحيفة تشارلي إيبدو، سعيد كواشي وشقيقه شريف ينتميان إلى الجيل الثاني من الجالية المسلمة في فرنسا، ومنفذو الهجمات في باريس في تشرين الأوّل 2015: عمر إسماعيل مصطفى، و سامي أميمور، وبلال حدفي هم أيضاً من أبناء الجالية الفرنسية المسلمة، كما وأنّ صلاح عبد السلام وشقيقه إبراهيم، وعبد الحميد أباعود مواطنون بلجيكيون²³، وكذلك الذين فجّروا قطار الأنفاق في لندن العام 2005، وهم: محمّد خان، شهزاد تتوير، حسيب حسين، وجرمانيلينديسي، جميعهم مواطنون بريطانيون يعودون بجذورهم إلى عائلات مسلمة مهاجرة . أمّا مننّفذ عمليّة كوبنهاغن فهو المواطن الدانماركي محمّد عبد الحميد الحسين، وكذلك فإنّ مننّفذ الهجوم في مدينة نيس هو التونسي محمد بوهلال الذي يملك تصريح إقامة فرنسي ويقطن في فرنسا منذ العام 2005²⁴، وتعتبر الجبهة الوطنية الفرنسية، وهي أول حزب استخدم مصطلح الإسلام وفوبيا في دعايته السياسية وحملته الانتخابية للتخويف من الإسلام والمسلمين، ومثله الكثير من الأحزاب اليمينية المتواجدة في مختلف الدول الأوروبية كالحزب النمساوي اليميني الذي وصف الإسلام بأنه " العدو الأول لأوروبا والعالم" والحزب اليميني الشعبي الدنماركي، الذي حذر الجماهير في أثناء حملته الانتخابية من الإسلام كمصدر تهديد لأوروبا، وكذلك ما وصف به زعيم حزب " ليقا نورد الإيطالي " الإسلام بأنه أكبر مصدر تهديد للثقافة الغربية الأوروبية²⁵، ويمكن القول أن نظرية "الاستبدال الكبير " التي تعود أصولها للكاتب اليميني الفرنسي " رينو كامو" الذي وضع هذا المصطلح في كتاب له ألفه عام 2011 قد حفز الكثير من المواطنين الأوروبيين إلى القيام بأعمال عنف وكرهية استهدفت الأجانب، والمسلمين بشكل خاص، وترتكز هذه النظرية على فكرتين أساسيتين هما : أولاً أن السكان الفرنسيين الكاثوليك البيض والسكان الأوروبيين المسيحيين البيض عموماً يجري استبدالهم بشكل منظم بغير الأوروبيين، خاصة المسلمين في منطقة الشرق الأوسط والشمال الإفريقي، والأفريقيين المسلمين جنوب الصحراء من خلال الهجرة والنمو السكاني، ثانياً : توجه اللوم إلى النخب الليبرالية وأنصار العولمة الذين يدعون إلى التعايش مما سيؤدي إلى انقراض الأوروبيين الأصليين

²³- رولان مرعب، تداعيات الهجرة غير شرعية على أوروبا وأبعادها، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 98، تشرين الأول، 2016،

على الموقع الإلكتروني : <https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content>

²⁴- المرجع السابق.

²⁵- Faried Hafez, Lslamophobia in Europe, Jordan, vol. 53, pp.138-139

وتقافتهم²⁶، ويقوم اليمين المتطرف إلى تنبيه الشعوب الأوروبية بخطورة انخراط الأجيال الجديدة من العائلات المهاجرة في العمل السياسي في ظل تساهل تشريعات البلاد في إعطاء الجنسية لهم وتمتعهم بكافة الحقوق، بما في ذلك السياسية منها، وفي ظل تدفق المهجرين وزيادة عدد المواليد سيؤدي ذلك إلى انعكاسات سلبية على مطالب الأوروبيين الأصليين وسلوكهم الانتخابي، وسيهدد ثقافة وهوية المجتمعات الأوروبية عبر إقحام ثقافتهم الدخيلة التي ستتحول مع الوقت إلى الثقافة الغالبة وعندها ستتدثر معها الهوية الأوروبية، خاصة وأن المسلمين يتصفون بصعوبة اندماجهم مع الثقافة الأوروبية، ويفضلون العيش في عزلة تامة عن المجتمعات الأوروبية، وهذا بحسب رأي الأحزاب اليمينية يعتبر تهديداً لقيم المواطنة ويمكن مع مرور الوقت أن تتقلب هذه الجموع على قيم الديمقراطية الأوروبية وتفرض قيمها الدخيلة، ونسبة لذلك تولد لدى المجتمعات الأوروبية إحساس متزايد بخطر الغزو الثقافي والفكري، ولعل ما نشرته صحيفة لوفيغارو الفرنسية ذات التوجه اليميني في أحد أعدادها السابقة يعطي مؤشراً واضحاً على حجم الدعاية التي يبثها اليمين المتطرف في الأوساط الأوروبية لتوجيه الرأي العام الأوروبي إلى كره الجاليات المسلمة، حيث نشرت مقالاً يطرح السؤال " هل ستكون فرنسا مسلمة بحلول عام 2025" مع صورة لامرأة فرنسية ترتدي حجاباً²⁷، ويأتي وصف الكثير من الأحزاب اليمينية للإسلام والمسلمين بالآخر أو الغير من خلال الإشارة لهم ب (هم) دليل على انتقال التركيز من الأيديولوجية إلى الأفراد²⁸، وهذا التطور على قدر كبير من الخطورة لأنه يستهدف قرابة 45 مليون مسلم مقيم في الدول الأوروبية، وعلى مستوى آخر، سوّقت هذه الأحزاب فكرتها المؤسسة لمعاداة الأجانب وذوي الأصول العربية والإفريقية المسلمة باعتبار أنهم -حسب دعايتها- يستحوذون على مناصب شغل متزايدة، نظراً لقبولهم بالأعمال بأجور زهيدة وشروط قاسية لا يقبل بها العمال من ذوي الأصول الأوروبية الأصيلة مما يؤدي إلى انتشار البطالة ومخاطر التشرد والمجاعة بين الأسر الأوروبية، حيث يشكل العامل الاقتصادي دافعاً قوياً في ظهور الأحزاب اليمينية، فهذه الأحزاب تجيد تقديم نفسها في حالات

26- لمزيد من التفاصيل انظر: مروة ديب وآخرون، مديرية الدراسات الإستراتيجية، أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مرجع سابق ذكره، ص 10- 14

27- سفيان بوسنان، الهجرة غير الشرعية والاتحاد الأوروبي " قراءة في أمننة الظاهرة"، مجلة العلوم السياسية، عدد 55، جامعة بغداد، 2018، ص 35.

28- مروى فكري، مسلمو أوروبا وتجدد صعود اليمين المتطرف، بوابة الباحثين، على الموقع الإلكتروني: https://www.researchgate.net/publication/340583943_mhadrat_nzryat_allaqat_aldwlyt_llsnt_alawly_mastr_laqat_dwlyt_wqanwn_dwly

تفجر الأزمات، ونسبة لذلك فقد شكلت الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة في العام 2008 حالة من عدم الاستقرار في الكثير من الدول الأوروبية، الأمر الذي استغلته الأحزاب اليمينية في برنامج سعيها للوصول إلى السلطة، ففي دراسة لمركز الدراسات الاقتصادية في جامعة "لودفيغ ماكسميليان" الألمانية لمائة أزمة اقتصادية خلال المدة (1870-2014)، في 20 دولة ديمقراطية حول العالم، كانت الأحزاب اليمينية المستفيد الأول من حالة عدم الاستقرار بعد الأزمات، كما كانت تزيد نسبة الأصوات التي تحصل عليها بأكثر من 30%²⁹، وبحسب تفسيرات "نظرية الحرمان النسبي" لصعود اليمين المتطرف في المشهد السياسي الأوروبي ما هو إلا رغبة فئة من المجتمع في الاحتجاج على ما تعتبره ضرراً لاحقاً بها من جراء تحولات اقتصادية واجتماعية داخل المجتمع³⁰، وعليه يمكن القول أن نجاح الأحزاب اليمينية المتطرفة في أغلب الانتخابات الأخيرة جاء بسبب التصويت الاحتجاجي للفئات المحرومة، التي استطاع اليمين المتطرف استغلال حاجاتها ومشاكلها من خلال توظيف قضية الهجرة غير الشرعية التي أثقلت الميزانية للدول الأوروبية، ففي هذا الصدد طالب زعيم الحزب اليميني الفرنسي السابق "لويان" بالنص في الدستور على ما يدعو "الأولوية الوطنية" في إشارة منه أن ما تتفقه الحكومة الفرنسية على المهاجرين جاء على حساب المواطنين الفرنسيين، وبذلك أصبحت الجاليات المسلمة في نظر اليمين المتطرف هي السبب الرئيس للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، كالبطالة، و التشرذم، والجريمة المنظمة التي تعانيها المجتمعات الأوروبية، وأن الحل يكمن في انتخاب الأحزاب اليمينية التي ستقدم الحلول الناجعة لكل هذه المشكلات³¹، ويُفسر هذا الخطاب النتائج الهامة التي حققتها أحزاب اليمين المتطرف في عدد من البلدان الأوروبية بعد اندلاع الأزمة المالية العالمية، وأخطر ما في الأمر هو انتقال الكثير من هذه التوجهات من الهامش إلى التيار الرئيس في المشهد السياسي الأوروبي مما يترتب عليه الكثير من المشكلات التي ستواجهها الجالية المسلمة، لعل أهمها تحول خطاب

29- مجموعة من الباحثين في برنامج "التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات"، صعود اليمين في البرلمانات الأوروبية.. فرنسا وألمانيا أنموذجين، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، الدفعة 2018- 2019، على الموقع الإلكتروني <https://www.masarat.ps> :

30- يعرف الحرمان النسبي بأنه : استياء يتولد لدى الأفراد من إدراكهم التناقض الموجود بين ما يستحقونه وما هو متحقق فعلاً، ونظرية الحرمان النسبي هي إحدى النظريات النفسية الاجتماعية التي تقوم بتفسير محددات الرضا والاستياء وتحليل السياقات التي تحدث في عملية إدراك الظلم، لمزيد من التفاصيل انظر : هيبه غربي، نظرية الحرمان النسبي وأسباب التطرف والعنف، مجلة الدراسات الإستراتيجية للكوارت وإدارة الفرص، المجلد : 2، العدد: 4، برلين، 2020، ص - ص 27- 43.

31- Rydgren, J - (2003), Meso-Level Reasons for Racism and Xenophobia. European Journal of Political Research, p.57

هذه الجماعات المتطرفة من مجرد مظاهرات واحتجاجات هامشية غير رسمية، إلى خطاب رسمي تتبناه الدولة.

المطلب الثاني : فوز الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات الأوروبية.

منذ أن هيمنت الأحزاب على العديد من الدول الأوروبية عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما سيطرت التوجهات الفاشية والنازية في العديد من الدول الأوروبية، لعل أهمها ألمانيا وإيطاليا، وما أسفر بسببها من اندلاع الحرب العالمية الثانية، التي تم فيها هزيمتها التي لم تحصل إلا بعد دمار وخراب شمل كل الدول الأوروبية والعالم أجمع، فشلت كل الأحزاب ذات التوجه اليميني المتطرف في الوصول إلى مكانة ذات أهمية في كلا السلطتين التشريعية و التنفيذية في كل القارة الأوروبية، نتيجة لاهتزاز ثقة الجماهير بها، بعد أن رأَت النتائج الوخيمة التي تسببت فيها سواء على المستوى الداخلي حيث ساد الطغيان و الاستبداد، أو على المستوى الخارجي، و اشتعال الحروب وفقد الأمن والأمان، على مستوى الفرد والدولة، وللتعامل مع هذه الظروف عمل اليمين المتطرف على تغيير هدفه بشكل مؤقت، من السعي للمشاركة السياسية إلى تحقيق هدف صار أكثر أهمية يتمثل في التركيز على البقاء، وعدم الاندثار، والاستمرار في العمل بشكل حذر إلى أن تحين الفرصة للعودة من جديد إلى سدة الحكم، واستمرت هذه الحالة في أغلب فترة الحرب الباردة إلى أن وجد ضالته في قضية الهجرة بشكل عام والهجرة غير الشرعية بشكل خاص، وهي قضية حساسة استطاعت الأحزاب اليمينية من خلال العزف علي أوتارها تحشيد الجماهير الأوروبية وراءها لتعود من جديد إلى المشاركة في الحياة السياسية والفوز في بعض الانتخابات، هذا الفوز أخذ يزداد بشكل طردي إلى أن صارت خلال العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين قوة لها ثقلها في المشهد السياسي الأوروبي، وذلك بفضل استغلال قضية الهجرة التي أخذت تتزايد بشكل غير مسبوق وتحويلها من قضية ذات أبعاد إنسانية إلى قضية أمن قومي للدول الأوروبية، حيث أخذت الأحزاب التقليدية (وسط - يمين / وسط يسار) تتراجع أمام تصاعد اليمين المتطرف في الانتخابات خاصة بعد أن عجزت هذه الأحزاب عن إيجاد حلول للأزمة الاقتصادية التي شهدتها أوروبا منذ عام 2008 والتي كان لها أثر كبير على الطبقات الوسطى التي وجدت في الخطاب الدعائي الشعبوي اليميني ما يشفي غليلهم، وما يهون عليهم المخاوف من المستقبل³².

32- مصطفى جاسم حسين، الاتحاد الأوروبي واليمين المتطرف : البريكست انموذجاً، مرجع سابق ذكره، ص 223

ويمكن القول أن استغلال اليمين قضية الهجرة في برامج الانتخابية قد بدا بشكل واضح خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي بعدما صارت ظاهرة ملفتة للانتباه للدول الأوروبية، وفي هذا الصدد أيضاً يمكن القول أن نجاح الأحزاب اليمينية المتطرفة جاء بعد تغيير حصل لوسائلها التي كانت تعتمد في السابق، والتي تركزت في الاحتجاجات والمظاهرات والأعمال الحماسية ذات الصبغة الشعبوية، إلى انتهاج مسار واقعي يتم فيه التحرك بشكل يتلائم مع الظروف والتوجهات السائدة في المجتمعات الأوروبية وذلك ليكون مقبولاً لدى الناخبين الأوروبيين، ومنحرفاً في البيئة السياسية السائدة ذات الصبغة الديمقراطية والليبرالية القائمة على التعددية، لهذا تم الدخول في اللعبة الديمقراطية التي تقبل بمبدأ الاختلاف وهو مبدأ لا يروق للأحزاب اليمينية المتطرفة، لكنها اضطرت للقبول به في سبيل إعادة ثقة الناخبين الأوروبيين في برامج الانتخابية، ومن ثم القبول بوجودها في السلطتين التشريعية والتنفيذية، خاصة بعد أن قدمت نفسها كمخلص ومنقذ للجماهير الأوروبية من الأخطار النابعة من الهجرة غير الشرعية - حسب رأيها - والتي تهدد الهوية الأوروبية وتهدد الأمن الغذائي بل والوجودي لها، هذا النهج المراوغ تبنته أغلب أحزاب اليمين المتطرف الموجودة في المشهد السياسي منذ عقد الثمانينات من القرن الماضي، واستمرت بفضلها في حصد النجاحات بشكل طردي في الانتخابات الأوروبية إلى حد اليوم، حيث حققت بفضلها انتصارات غير مسبوقة³³، ففي فرنسا حقق حزب الجبهة اليميني الفرنسي أول النتائج الإيجابية في الانتخابات الأوروبية عام 1984، عندما حصلت قائمته على 11% من الأصوات، واستمر في استقراره انتخابياً منذ عام 1986 عندما حصل على 9.6% في الانتخابات الإقليمية حيث سيطر على (21) من جملة (22) مجلس إقليمي، أما النجاح الأكبر الذي حققه حدث في عام 2002 عندما وصل زعيمها السابق " جان ماري لوبان إلى الدور الثاني لأول مرة في تاريخ الانتخابات الرئاسية الفرنسي، وفي انتخابات البرلمان الأوروبي تحصل على 23 مقعداً من أصل 74 مقعداً مخصصاً لأوروبا، قبل أن يتمكن من تكوين تحالف داخل البرلمان الأوروبي تحت اسم " تحالف أوروبا من أجل الشعوب والتحرر" مع أحزاب يمينية أوروبية متطرفة، حصل ذلك عندما صارت قضية الهجرة غير الشرعية أولوية قصوى في كل مداولات وسجلات الدول الأوروبية

33- انظر: بن عياش سمير، التداعيات المحتملة لصعود اليمين المتطرف والشعوي بالدول الغربية على ضحايا الهجرة القسرية من الدول العربية واندماجهم في المجتمعات المضيفة، مجلة العلوم الإنسانية، مرجع سابق ذكره، ص - ص 105- 107

سواء على المستوى الشعبي، أو على مستوى القيادات الأوروبية، ففي نفس السياق حصل حزب الحرية اليميني النمساوي عام 1995 على نسبة 21.9% من الأصوات في الانتخابات التشريعية، وفي العام التالي تحصل في انتخابات البرلمان الأوروبي على نسبة 27.6% من الأصوات، أما في سويسرا فقد بدأ حزب الشعب السويسري اليميني منذ عام 2007 عندما فاز في الانتخابات الفيدرالية بنسبة 29% من الأصوات، و62 مقعداً من أصل 200 مقعد هو العدد الكامل لمقاعد البرلمان السويسري³⁴، وينطبق الأمر نفسه على كل الأحزاب اليمينية المتطرفة في كل الدول الأوروبية حيث شهدت كل الأحزاب اليمينية المتطرفة بدايات انتصاراتها خلال العقد الأخير من القرن الماضي، غير أن ما شهدته القارة الأوروبية خلال العقد الأخير من القرن الحالي، من تصاعد ونمو لليمين المتطرف بدرجة غير مسبوقة، بفضل استغلال الهجرة غير الشرعية التي تفاقمت بسبب توافر عوامل عديدة سبق ذكرها، حيث زادت أعدادها بشكل كبير جداً و دون توقف، وهذا ما انعكس بشكل واضح على الانتخابات التي جرت في أواخر العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين ولعل الجدول التالي يوضح ذلك :

جدول / الانتخابات البرلمانية في الدول الأوروبية في الفترة (2014 - 2019)³⁵.

الدولة	الحزب	التاريخ	عدد المقاعد	عدد الأصوات %
أسبانيا	فوكس	2019	-	15%
فنلندا	الفنلنديين	2019	-	17.5%
المجر	الحركة من أجل مجر	2018	24	19.6%
فرنسا	الحبهة الوطنية	2017	8	8.75%
المانيا	البديل الألماني	2017	87	13.5%
النمسا	الحرية	2017	51	26%
هولندا	من أجل الحرية	2017	20	13.06%
بلغاريا	الوطنيون المتحدون	2017	27	9.21%
إيطاليا	رابطة الشمال	2017	125	17.4%
سلوفاكيا	النازي الجديد	2016	14	8%

³⁴- مرسي مشري، أمنة الهجرة غير الشرعية في السياسات الأوروبية : الدوافع والانعكاسات، : الدوافع والانعكاسات، مجلة سياسات عربية، العدد 15، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص 66.

³⁵- فتحي بولعراس، تأثير صعود اليمين المتطرف في الاتحاد الأوروبي، السياسة الدولية، العدد: 214، المجلد 53، أكتوبر 2018، ص 65، وانظر : التفاصيل انظر : مروة ديب وآخرون، مديرية الدراسات الإستراتيجية، أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا : أبرز العوامل والشخصيات والأفكار، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، سلسلة البحث السادس، العدد : الخامس والثلاثون، ط:1، بيروت لبنان، آيار 2019، ص - ص ، 14 - 18

دور الهجرة غير الشرعية في صعود اليمين المتطرف وتأثيره السلبي على الجالية المسلمة في الدول الأوروبية

الدولة	السنة	النسبة (%)	العدد الثالث 2023م
اليونان	2016	18	6.99%
سويسرا	2015	64	29.4%
بريطانيا	2015	-	27%
الدنمارك	2015	37	21.1%
بولندا	2015	-	39%
السويد	2014	49	12.86%
بلجيكا	2014	3	3.76%

وبالنظر في الجدول السابق يتبين مدى الثقل والتأثير الذي وصلت له الأحزاب اليمينية في نتائج الانتخابات التشريعية في مختلف الدول الأوروبية، هذا الصعود توازى مع زيادة حصتها في انتخابات البرلمان الأوروبي التي حققت من خلالها مكاسب غير مسبوقه ، حيث بلغ عدد النواب في هذه الأحزاب حوالي 174 نائباً من أصل 751، أي بنسبة 23.17%، كما أنها نجحت منذ العام 2015 في تأسيس مجموعة برلمانية جمعت كل النواب اليمينيين الفائزين بمقاعد في البرلمان الأوروبي وذلك للتنسيق فيما بينها داخل البرلمان أو خارجه³⁶، وهي نتائج فاقت تلك التي سبق وأن حصلت عليها هذه الأحزاب خلال العقود السابقة ، حيث تزامنت هذه النتائج مع ازدياد أفواج الهجرة غير الشرعية خاصة تلك التي بدأت عام 2015 عندما توجه الآلاف من المهاجرين الذين تعود غالبية جنسياتهم إلى سوريا وفلسطين والصومال وأرتيريا ودول أفريقيا جنوب الصحراء المسلمة عبر البحر الأبيض المتوسط من خلال ليبيا وتونس والمغرب واليونان وقبرص التي اتخذتها الأفواج المهاجرة كمحطات لها للعبور إلى الدول الأوروبية³⁷.

المبحث الثالث : دور اليمين المتطرف في التصييق على الجالية المسلمة في الدول الأوروبية.
المطلب الأول : دور اليمين المتطرف في أعمال التتمر والتنميط والعنف ضد الجالية المسلمة في الدول الأوروبية.

نتيجة للحملة الإعلامية التي شنتها الوسائل الإعلامية التابعة للأحزاب اليمينية المتطرفة على المهاجرين، تشكل خلال العقد الأخيرين رأي عام في الدول الأوروبية معاد للهجرة والمهاجرين المسلمين والجالية المسلمة المقيمة فيها، فبحسب استفتاء تم إجراؤه في العام 2002 من قبل

³⁶- 139 سماح عبدالفتاح أبو الليل، ظاهرة التنميط (دراسة تأثير الصعود اليميني المتطرف الأوروبي على ملفات اللجوء والهجرة)، مجلة كلية السياسة والاقتصاد- جامعة بني سويف ، العدد : العاشر ، مصر ، إبريل 2021، ص 106
³⁷- بن عياش سمير، النداءات المحتملة لصعود اليمين المتطرف والشعوي بالدول الغربية على ضحايا الهجرة القسرية من الدول العربية واندماجهم في المجتمعات المضيفة، مرجع سابق ذكره، ص - ص 103 - 109

المؤسسة الأوروبية للمسح الاجتماعي صرح حوالي 40% من الأوروبيين بالتأثير السلبي للهجرة في الأجور³⁸.

إن تصاعد العمليات الإرهابية التي تشنها جماعات محسوبة على الإسلام الراديكالي المتطرف منذ عقدين من الزمن على مدن ومؤسسات أوروبية غربية زاد حجم الشحن الدعائي ضد المهاجرين المسلمين، ويمكن القول أن ما يعرف بـ "رهاب الإسلام" أو ما يعرف في الأوساط الأكاديمية "الإسلام وفوبيا" قد ترسخ بشكل واضح في المجتمعات الغربية بشكل عام منذ تفجيرات 11 سبتمبر، 2001 التي نفذتها بحسب "الرأي الغربي" جماعات إسلامية متطرفة استغلت العولمة والليبرالية الغربية لتحقيق أهدافها التي تتمثل في استهداف أكبر عدد من الغربيين، وتعد نظرية "أورابيا" إحدى الركائز الأساسية في دوائر اليمين المتطرف، حيث يعتقدون أن النخب الأوروبية المحسوبة على أحزاب اليسار والقادة المسلمون قد دخلوا في خطة سرية لأسلمة أوروبا³⁹، ولقد تنوعت أشكال التمرر والتنميط والعنف اللفظي والجسدي لدى الأحزاب اليمينية المتطرفة بين وسائل الإعلام، والحملات، والبرامج الانتخابية، والمظاهرات المنددة، والدعوات الصريحة لطرد المهاجرين المسلمين ومنع أداء طقوسهم الدينية وصولاً إلى أعمال العنف والاعتداء والقتل، فعلى مستوى الحملات الانتخابية مثلاً: شبّهت زعيمة حزب الجبهة الوطنية الفرنسي المتطرف "ماري لوبان" عام 2010 صلاة المسلمين في الشوارع، بالاحتلال النازي في تحريض واضح ضد المسلمين، وطالب "فيليب ديوينتر" الزعيم السابق لحزب "فلامس بلانغ" البلجيكي اليميني المتطرف الحكومة البلجيكية بسجن المهاجرين المسلمين أو طردهم والإلقاء بهم خارج البلاد، ويرفع حزب الديمقراطيين السويديين شعار "الإسلام هو الخطر الأكبر الذي تواجهه السويد منذ الحرب العالمية الثانية، وفي نفس السياق يتبنى "حزب البديل من أجل ألمانيا" المتطرف شعار "الإسلام لا ينتمي إلى ألمانيا"، ويدعو إلى منع الأذان وبناء المساجد، وقد صرحت زعيمة هذا الحزب "فراوكا بيتري" في العديد من المناسبات قائلة "إن تأمين الحدود قد يحتاج لتحويل البنادق باتجاه من يعبر الحدود بطريقة

³⁸- مرسى مشري، أمنة الهجرة غير الشرعية في السياسات الأوروبية: الدوافع والانعكاسات، مرجع سابق ذكره، ص 65
³⁹- سماح عبدالفتاح أبو الليل، ظاهرة التنميط (دراسة تأثير الصعود اليميني المتطرف الأوروبي على ملفات اللجوء والهجرة)، مرجع سابق ذكره، 107

غير شرعية⁴⁰، أما على صعيد الإعلام فقد اعتمدت الأحزاب اليمينية المتطرفة على الصحف الموالية لها لنشر دعايتها، وترويج برامجها الحزبية بين الناخبين الأوروبيين، فعلى سبيل المثال، نجد مجلة "المناضل" الفرنسية في أحد أعدادها تطرح سؤالاً يقول: هل نحن مرغمون على تحويل باريس ولندن وميونخ إلى مدن أفريقية وآسيوية!!؟؟، وفي مجلة فرنسية أخرى اسمها "الوطني" حيث تقول "أن الفرنسيين ليسوا فقط مطالبين بالدفاع عن حقوقهم الشرعية، وإنما يعد ذلك واجباً مقدساً تجاه الأجيال القادمة، وعلينا ألا ننحني أمام الهجرة"⁴¹، حيث تصدرت صفحات كل المجالات والصحف التابعة لليمين المتطرف عناوين من قبيل "نيران الإسلام" و"الإسلام الملتهب" و"القبلة الزمنية الإسلامية" و"الإسلام يكتسح الغرب" مما انعكس سلباً على الجاليات المسلمة التي صارت المتهم الأول في جميع المشكلات الأمنية، والاقتصادية، والثقافية في المجتمعات الأوروبية⁴²، وفي نفس الصدد قام اليميني المتطرف الهولندي "غيرت فيلدس" بالإشراف على إخراج أفلام مسيئة للرسول "ص" والقرآن والإسلام⁴³، في محاولة تحريضية منه ضد الجالية المسلمة المقيمة في هولندا، وعلى مستوى الممارسة الفعلية على سبيل المثال في فنلندا شكل متطرفون حركة أطلقوا عليها "جنود" مهمتها حماية المواطنين من خطر المهاجرين في الشوارع، والذين أطلقوا عليهم ب"الغزاة المسلمين"، وفي ألمانيا تكونت جماعة مشابهة تعرف إعلامياً بمجموعة "فريتال" وهي جماعة يمينية متطرفة تدعي أن الدولة الألمانية عاجزة عن حماية المواطنين الألمان، لذلك اضطرت - حسب زعمها - بتولي حمايتهم، وقد قامت الجماعات اليمينية المتطرفة بالعديد من جرائم العنف في حق اللاجئين المسلمين، وزادت هذه الأعمال عقب الفورة الكبرى للمهاجرين التي شهدتها ألمانيا عام 2015 بنسبة أكثر من 40% مقارنة بالسنوات السابقة، كما ازدادت أعمال العنف ضد منازل إيواء اللاجئين لتبلغ 177 جريمة في العام 2015 مقارنة

40- مروة ديب وآخرون، مديرية الدراسات الإستراتيجية، أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مرجع سابق ذكره، ص - ص 21-23

41- هدى جمال عبدالناصر، صعود اليمين المتطرف في فرنسا، مجلة السياسة الدولية، العدد 118، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1994، ص 18.

42- غيضان السيد علي، موقف اليمين المتطرف من سياسات الضيافة للمهاجرين المسلمين، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أبريل 2022، على الموقع الإلكتروني: <https://www.mominoun.com/articles>

43- يعتبر الهولندي "غيرت فيلدس" رئيس حزب من أجل الحرية أحد أشهر زعماء اليمين المتطرف في أوروبا، ويرجع سبب شهرته بعد أن أثار عاصفة من الاحتجاجات في العالم الإسلامي عقب إنتاجه فيلماً مسيئاً للإسلام بعنوان (الفتنة) حيث قارن فيه بين الإسلام والفاشية، والقرآن وكتاب هتلر "كفاخي" وعد المسلمين همجيين ومتخلفين: انظر غيضان السيد علي، موقف اليمين المتطرف من سياسات الضيافة للمهاجرين المسلمين، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، أبريل 2022، على الموقع الإلكتروني: <https://www.mominoun.com/articles>

بنحو 26 جريمة في 2014⁴⁴، وقد بلغت ذروة الاعتداءات عام 2016 بواقع 3200 جريمة ضد المهاجرين، وتراجعت إلى 2200 في العام 2017⁴⁵، وفي النمسا ذكر تقرير صادر عن جهاز المخابرات الداخلية أن عدد الأعمال المتطرفة لليمين في عام 2015، بلغ 1150 قضية، مقارنة بحوالي 750 في عام 2014، وقد تراوحت هذه الجرائم بين إطلاق الألعاب النارية على مراكز إيواء المهاجرين والتحريض ضد المهاجرين عبر شبكات الانترنت⁴⁶، وفي نفس السياق تواجه السيدات المحجبات في سويسرا مشكلات كبيرة يفتعلها أنصار الأحزاب اليمينية، حيث تعرضت الكثير منهن إلى الشتائم، وتمزيق حجابهن في الكثير من الأحيان، ويرفض مديرو المصانع والشركات منح المسلمين فرص للعمل خوفاً من أعمال إرهابية قد يقوم بها المحمديون حسب وصفهم للمسلمين حيث يقول أحد المديرين " لا بد من أن يتأقلم هؤلاء المحمديون على الحياة هنا، هل يعتقدون أننا نريد أن يصبح الإسلام دين الدولة في سويسرا"، ومنذ بداية القرن الواحد والعشرين عقب عملية احتجاز الرهائن الروس في أحد مسارح موسكو في عام 2002 تعرض الكثير من المسلمين بما في ذلك الأطفال بتحريض من التيار اليميني الروسي إلى الضرب والمضايقات ووصف كل مسلم بالإرهابي، وظهرت الدعوات بغلق مساجدهم، ومراقبتهم أثناء قيامهم بأعمالهم اليومية⁴⁷، وتأتي عملية إحراق المصحف الشريف في أحد ميادين المدن السويدية التي قام بها "ارسموسن بالودان" زعيم الحزب اليميني الدنماركي " الخط المتشدد" إحدى النشاطات التي يقوم بها ضد الجاليات المسلمة في الدول الأوروبية، والتي من ضمنها قيادة مظاهرات مناهضة للإسلام في مختلف المدن الدنماركية خلال العامين 2021 و2022، ووفقاً لتقرير صادر عن الأمم المتحدة، فإن أعمال العنف التي قام بها اليمين المتطرف في كل الدول الغربية قد تضاعف ثلاث مرات بين الأعوام 2015 - 2020⁴⁸، وفي نفس السياق قامت "وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية" بإجراء استطلاع للرأي حيث تبين أن 92% من مسلمي أوروبا واجهوا تمييزاً عنصرياً واعتداءات

44- مروى نظير، مؤشرات وأسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 20 يونيو 2016، على الموقع الإلكتروني : <https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/146/>

45- مجموعة من الباحثين في برنامج "التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات"، صعود اليمين في البرلمانات الأوروبية.. فرنسا وألمانيا أنموذجين، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، الدفعة 2018- 2019، على الموقع الإلكتروني [/https://www.masarat.ps](https://www.masarat.ps) :

46- مروى نظير، مؤشرات وأسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مرجع سابق ذكره.

47- غيضان السيد علي، موقف اليمين المتطرف من سياسات الضيافة للمهاجرين المسلمين، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مرجع سابق ذكره.

48- مد سالم السالمي، الحدث السويدي وتطبيع اليمين المتطرف في أوروبا، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، إبريل 2022، على الموقع الإلكتروني : [/https://trendsresearch.org/ar/insight/28-april-2022](https://trendsresearch.org/ar/insight/28-april-2022)

معنوية وجسدية، وأظهر الاستطلاع تعرض 53% من الجاليات المسلمة في أوروبا لمضايقات بسبب أسمائهم التي تحمل الطابع الإسلامي، وتعرض 94% من النساء المحجبات المشاركات في الاستطلاع لاعتداءات جسدية ولفظية⁴⁹، ونسبة لذلك فإن الجاليات المسلمة المقيمة في أوروبا، وعلى أثر توافد أفواج المهاجرين وما تسببته من تداعيات لعل أخطرها صعود اليمين المتطرف تعيش حالة من انعدام الأمن بسبب الأعمال العنصرية التي تتعرض لها مؤخراً بفعل التحريض المتزايد الذي تقوم به التيارات اليمينية المتطرفة وهي أعمال تصب في ازدياد الهوة بين مسلمي أوروبا من جهة وبقية المكونات الأوروبية من جهة أخرى، مما سيؤدي في نهاية المطاف إلى فشل برامج الاندماج التي سبق أن تبنتها الدول الأوروبية لدعم الاستقرار السياسي والسلم المجتمعي فيها.

المطلب الثاني : دور اليمين المتطرف في تبني الحكومات الأوروبية سياسات التضييق على المهاجرين.

على مستوى الممارسة السياسية الرسمية فإن التشريع الأوروبي منذ اتفاقية شنغن، وصولاً إلى الشراكة، وكذلك اتفاقية الاتحاد من أجل المتوسط الذي تم الإعلان عنها سنة 2008 ثم ميثاق الهجرة الأوروبي الذي أصدرته الدول الأوروبية عام 2008، ثم تلك التشريعات التي صدرت عامي 2015 و 2016، وصولاً إلى التشريعات الجديدة عام 2022 قد جاء بطريقة تصاعدية، أي من مراقبة الحدود، إلى عقوبات بالسجن، إلى دفع غرامات مادية أو اعتبار أي مهاجر بطريقة غير شرعية بأنه إرهابي، ورغم أن محكمة العدل الأوروبية قد أصدرت العديد من الأحكام التي ألغت الكثير من التشريعات المتشددة التي تبنتها الأنظمة السياسية الأوروبية من خلال برلمانات وحكومات لا تنتمي لليمين المتطرف، إلا أن المداولات والسجلات والتشريعات واللقاءات الرسمية التي عقدت خلال العقدين الآخرين التي اختصت بموضوع الهجرة غير الشرعية أثبتت مدى نجاح اليمين المتطرف في جعل قضية الهجرة غير الشرعية قضية أمن قومي، لا قضية إنسانية وجعل منها أهم الموضوعات المطروحة سواء في البرلمانات الأوروبية، أو في اللقاءات الأوروبية الرسمية، والأهم من هذا وذاك هو نجاح الأحزاب اليمينية المتطرفة في فرض نظرتها على الأحزاب اليسارية،

49- شريف بيبي، هل ستسبب أزمة الهجرة اقتحام اليمين المتطرف المشهد السياسي الأوروبي، 20-2-2018، موقع مهاجر نيوز، على الرابط الإلكتروني : <https://www.infomigrants.net>

ويمين الوسط، وجعلتهم يتبنون الكثير من برامجها المتشددة في سبيل كسب التأييد الشعبي الذي تشكل مؤخراً بسبب الدعاية الإعلامية اليمينية، وقد تعدى ذلك إلى التحالف معها لتشكيل حكومات مشتركة، لتتحول الأحزاب اليمينية المتطرفة من أحزاب منبوذة ليس لديها قبول شعبي، إلى أحزاب تمتلك رصيماً شعبياً يتزايد بشكل تصاعدي وتوسع الأحزاب الأخرى إلى التودد والتحالف معها، وهذا يعطي مؤشراً خطيراً على الصعوبات التي تنتظرها الجاليات المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية، ففي الدنمارك أقر مجلس النواب عام 2016 بما يعرف "بقانون المجوهرات" والذي يسمح للحكومة الدنماركية بمصادرة أي مقتنيات لدى طالبي اللجوء تزيد أثمانها عن 1000 دولار، كما أصدرت قانوناً آخر ينص على إطالة مدة لم شمل أفراد الأسرة الواحدة لمدة قد تصل إلى 3 سنوات، وعقب انتخابات عام 2019، في خطوة منها تهدف إلى كسب تأييد التيارات اليمينية المتطرفة تبنت سياسة وقف قبول طلبات اللجوء المقدمة من السوريين، والشرق أوسطيين عموماً، وفي النمسا وعقب الانتخابات الأخيرة التي تحصل فيها حزب الحرية اليميني المتطرف نسبة غير مسبوقه من أصوات الناخبين، ومن ثم صار شريكاً في حكومتها التي بدأت مشروعاً في مايو 2021 أطلقت عليه " خريطة الإسلام في النمسا " هدفه تقديم معلومات وبيانات عن الجمعيات والمساجد والمؤسسات التعليمية الإسلامية في النمسا، مع بيانات عن تصنيفها العرقي والأيدولوجي وعلاقتها الداخلية والخارجية، وهذا ما شجع حركة الهوية اليمينية المتطرفة على تعليق لافتات تحريضية أمام العديد من المساجد، بعد أن فهمت أن المشروع الذي أطلقته الحكومة بأنه ضوء أخضر لممارسة العنف والعنصرية ضد الجاليات المسلمة في النمسا⁵⁰، وفي فرنسا وبحسب وسائل إعلام مختلفة سادت في ما بين الجاليات المسلمة المقيمة نوع من عدم الاطمئنان والثقة في الرئيس الفرنسي ماكرون، بعد تركيزه على قضايا الأمن بين مسلمي فرنسا وهي نفس القضايا التي تضعها زعيمة حزب الجبهة الوطنية المتطرف "ماري لوبان" في برامجها الانتخابية⁵¹، والأمر نفسه في بريطانيا حيث تحول حزب المحافظين إلى حزب يميني شديد المحلية، بعد أن تبني برامج حزب الاستقلال اليميني المتطرف الذي طالما طالب بخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وبوقف الهجرة ووقف

50- مد سالم السالمي، الحدث السويدي وتطبيع اليمين المتطرف في أوروبا، مرجع سابق ذكره.

51- المرجع السابق.

قبول اللاجئين، وليتزعزع حزب المحافظين غداة التوجه إلى البريكست⁵² برامج الترويج إلى الخروج عن الاتحاد الأوروبي وهو ما تم فعلاً في في 31- سبتمبر 2020⁵³، وتعتبر بريطانيا من بين الدول الأوروبية التي تعاملت مع قضية الهجرة غير الشرعية بشكل صارم منذ العقد الثاني من القرن الحالي، بعد أن أصدرت عام 2013 قانوناً يسمح باعتقال المهاجرين غير الشرعيين، ويحرمهم فتح حساب بنكي، وذلك من خلال إلزام المصارف بالكشف عن هوية الزبون المهاجر الذي يوجد في وضعية غير قانونية، ويمنعهم من العلاج، ويطلب من الأطباء الإبلاغ عن مرضاهم من المهاجرين غير الشرعيين، ويجرم القانون أصحاب المساكن الذين يسمحون بأجرتها للمهاجرين غير الشرعيين، ويفرض عقوبات صارمة على كل من شغل مهاجر غير شرعي⁵⁴، وفي السياق نفسه قامت الحكومة البولندية عام 2016، بحل هيئة استشارية حكومية كانت وظيفتها التعامل مع قضايا التمييز العنصري ضد الأجانب، مبررة ذلك بأن وظيفتها كانت غير مجدية، وتأتي المحادثات التي تجريها العديد من الحكومات الأوروبية كالدنمارك وبريطانيا مع روندا، وذلك لإقناعها على استقبال واستضافة طالبي اللجوء غير الأوربيين على أراضيها مقابل حوافز اقتصادية ومالية أحد أهم المؤشرات الخطيرة التي توضح مدى تغلغل الفكر اليميني المتطرف في السلطات الرسمية للدول الأوروبية، في تناقض كبير مع المبادئ الديمقراطية والحريات التي تبنتها منذ منتصف القرن الماضي⁵⁵، أما بالنسبة لإسبانيا فيعتبر القانون الذي صدر عام 2009 من بين أكثر القوانين صرامة ضد المهاجرين غير الشرعيين، حيث ينص على طرد المهاجرين غير الشرعيين، ويفرض غرامة تتراوح من عشرة آلاف إلى مئة ألف يورو على كل من يتورط في إدخال مهاجرين غير شرعيين، وتفرض عقوبات شديدة على من يشغلهم، مع إقفال محل الشغل لمدة تتراوح من ستة أشهر إلى خمس سنوات⁵⁶، وقد تم تنقيح قانون 2009 بقانون 2010 الذي أقر فيه المشرع الإسباني جملة من التدابير التي ضيقت على المهاجرين الشرعيين وغير الشرعيين على السواء،

52- هذه الكلمة اختصار لعبارة "British exit" أو خروج بريطانيا وتعني مغادرة بريطانيا للاتحاد الأوروبي الذي يضم 28 دولة تسمح بحرية الحركة والحياة والعمل لمواطنيها داخل الاتحاد فضلاً عن تجارة هذه الدول مع بعضها وقد شهدت بريطانيا استفتاء عام 2016 صوتت فيه الغالبية لصالح الخروج من الاتحاد بعد أن ظلت عضواً لأكثر من 40 عاماً. ولكن الخروج لم يحدث فوراً وذلك بسبب استمرار المفاوضات بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي حول كيفية الخروج الذي حصل بشكل فعلي في 31 ديسمبر 2020 : انظر : رسمياً بريطانيا خارج الاتحاد الأوروبي، وكالة الأناضول 2021/1/1، على الموقع الإلكتروني : <https://www.aa.com.tr>

53- مصطفى جاسم حسين، الاتحاد الأوروبي واليمين المتطرف : البريكست نموذجاً، مرجع سابق ذكره، ص - ص 217 - 244

54- عبدالواحد أكميز، الربيع العربي والهجرة غير القانونية في البحر الأبيض المتوسط، مجلة المستقبل العربي، العدد : 433، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، آذار 2015، ص 33

55- مد سالم السالمي، الحدث السويدي وتطبيع اليمين المتطرف في أوروبا، مرجع سابق ذكره.

56- عبدالواحد أكميز، الربيع العربي والهجرة غير القانونية في البحر الأبيض المتوسط، مرجع سابق ذكره ص 33

وهذا ما جعل آلاف من المغاربة يغادرون إسبانيا بسبب ما يتضمنه قانون 2010 من عقوبات مشددة في حق الشركات والمؤسسات التي تمنح عقود عمل للمهاجرين الذين لا يملكون وثائق الإقامة بإسبانيا⁵⁷، وبشكل عام تورطت أغلب الأحزاب الأوروبية الأخرى في التعاون مع الأحزاب اليمينية المتطرفة، فبعضها تبني جزءاً من خطاب اليمين خاصة فيما يتعلق بالهجرة والبعض الآخر عمد إلى التحالف معها وذلك من أجل الوصول إلى السلطة من خلال تشكيل ائتلاف معها أو من أجل إنقاذ حكوماتها من السقوط، بالإضافة إلى ذلك الابتعاد عن شبح التهديد بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي، كما حصل مع "سباستيان كورتز"، المستشار النمساوي الشاب الذي أثر توقيع اتفاق مع حزب الحرية اليميني وإشراكه في الحكومة مقابل أن لا يلجأ إلى المطالبة باستفتاء شعبي بخصوص الخروج من الاتحاد الأوروبي⁵⁸، والأمر نفسه حدث في بلغاريا، حيث يحكم حزب يمين الوسط البلاد من خلال ائتلاف مع أحزاب قومية يمينية منذ الانتخابات التي حدثت في مارس 2018، أما في إيطاليا و حتى قبل أن تصل "جورجيا ميلوني" زعيمة حزب إخوة إيطاليا اليميني المتطرف إلى رئاسة الحكومة الإيطالية في 22 أكتوبر 2022 عقب فوزها في الانتخابات التشريعية سبتمبر 2022⁵⁹، كانت الحكومة الإيطالية التي يقودها حزب يسار الوسط الديمقراطي، قد قامت بمجموعة من الإجراءات المثيرة للجدل تهدف إلى تقليص أعداد المهاجرين، واتهمت مجموعات حقوقية إيطالية بعقد اتفاقيات بخصوص الهجرة غير الشرعية مع قبائل ومليشيات وجماعات ليبية مسلحة تتهمها هذه المنظمات بانتهاك حقوق الإنسان⁶⁰، و عليه يمكن القول أنه بوصول اليمين المتطرف لقمّة السلطة التنفيذية لأول مرة في تاريخ إيطاليا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بزعامة اليمينية المتطرفة "جورجيا ميلوني" ستواجه الجاليات المسلمة واللاجئون الأجانب في إيطاليا فترات صعبة تفوق تلك التي سبق وأن عاصروها مع حكومات سابقة توصف بأنها أكثر اعتدالاً من الأحزاب اليمينية المتطرفة، والتي بالرغم من اعتدالها لم تتوانى في إصدار الكثير من القوانين التي تنتهك حقوق الإنسان، كتلك القوانين التي تم إصدارها عام 2009، قبل أن يتم التراجع عنها عقب

57- ماهر عبد مولا، التشريع الأوروبي إزاء الهجرة السرية المغاربية: آليات الردع والتحفيز، مرجع سابق ذكره، ص 47

58- شريف بيبي، هل ستسبب أزمة الهجرة اقتحام اليمين المتطرف المشهد السياسي الأوروبي، مرجع سابق ذكره.

59- الحكومة الأكثر يمينية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، "جورجيا ميلوني" تتولى رسمياً رئاسة وزراء إيطاليا، الجزيرة نت 23-10-2022، على الرابط الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/news>

60- شريف بيبي، هل ستسبب أزمة الهجرة اقتحام اليمين المتطرف المشهد السياسي الأوروبي، مرجع سابق ذكره.

حكم محكمة العدل الأوروبية ببطلانها بسبب انتهاكها للمبادئ الحقوقية والديمقراطية التي تتبناها منظمة الاتحاد الأوروبي⁶¹.

الخاتمة

اتضح أنه في ظل توافد المهاجرين غير الشرعيين وطالبي اللجوء على الدول الأوروبية، والتي تزايدت بشكل غير مسبوق بسبب تفجر الأزمات السياسية في دول العالم العربي خلال العقد الأخيرين، وما ترتب عليها من تدهور في جميع الجوانب الأمنية والاقتصادية والاجتماعية في بلدانها، الأمر الذي دفع بشعوبها إلى التوجه نحو الدول الأوروبية، ليس هذا فحسب بل أنها تحولت إلى مناطق عبور للآلاف من المهاجرين من الدول الأفريقية المسلمة جنوب الصحراء، مستغلين في ذلك ضعف الأجهزة الأمنية وحرس الحدود عقب ثورات الربيع العربي 2011، لتجعل منها مناطق انطلاق باتجاه السواحل الأوروبية على البحر الأبيض المتوسط، عبر قوارب الهجرة غير الشرعية التي سميت في الإعلام العالمي بقوارب الموت، نظراً للكثير من الضحايا الذين غرقوا وهم في طريقهم للسواحل الأوروبية، بعد أن فرضت دول الاتحاد شروطاً متشددة على الراغبين في الهجرة إليها بحثاً عن الأمن والعمل والمعيشة الكريمة، خاصة بعد تفجر ثورات الربيع العربي 2011، ومع تزايد الأعباء الاقتصادية التي أثقلت كاهل الميزانيات العامة للدول الأوروبية، والتي صرفت الكثير من المبالغ المالية في سبيل التعامل مع هذه القضية بالإضافة إلى تفجر الأزمات الاقتصادية التي ضربت الكثير من الدول الأوروبية مع تزايد العمليات الإرهابية في عمق المدن والعواصم الأوروبية التي تقوم بينها مجموعات ذات خلفيات إسلامية ومن أسر مهاجرة، والتي استغلتها الأحزاب اليمينية المتطرفة في خطابها الإعلامي خلال حملاتها الانتخابية، وذلك بربط كل المشكلات سابقة الذكر بالهجرة غير الشرعية خاصة تلك التي تأتي من دول إسلامية، وجعلت من الجاليات الإسلامية مصدر خطر يهدد الهوية والثقافة للدول الأوروبية ويتقل ميزانياتها بمصروفات ضخمة يتم إنفاقها على المهاجرين، وظهر ما أطلق عليه "الإسلام وفوبيا" الذي يخوف الشعوب الأوروبية من المسلمين حيث يتم تعميم عمليات إرهابية فردية، من خلال جعل أي مسلم في خانة الاتهام، وتحويل القضية

⁶¹ سبق وأن أصدرت السلطات الإيطالية في عام 2009 قانوناً يسمح لها بمعاقبة أي مهاجر غير شرعي يدخل الأراضي الإيطالية ويرفض المغادرة بالسجن لمدة تتراوح ما بين عام وأربعة أعوام وغرامة تزيد عن 10 آلاف يورو وترحيل قسري للموطن، إلا أن محكمة العدل الأوروبية أصدرت حكماً في إبريل 2011 يرى أن القانون الإيطالي يتعارض مع القوانين الأوروبية التي تعطي من قيم حقوق الإنسان، انظر : محمد مطاوع، الاتحاد الأوروبي وقضايا الهجرة : الإشكاليات الكبرى والإستراتيجيات والمستجدات، مجلة المستقبل العربي، العدد 431، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يناير 2015، ص ص 34 - 35

إلى قضية أمن قومي بالنسبة للدول الأوروبية، ومن خلال العزف على الأوتار الحساسة للمجتمعات الأوروبية استطاعت كسب تأييد الكثير من الناخبين، حيث ظهر ذلك بشكل واضح في الانتصارات الأخيرة التي حققتها في الانتخابات التشريعية والتنفيذية، وصارت مشاركة بشكل فعلي ورسمي في الكثير من الحكومات والبرلمانات الأوروبية وهذا ما انعكس سلباً على الجاليات المسلمة المقيمة في الدول الأوروبية والتي عانت الأمرين، فعلى المستوى الشعبي غير الرسمي تعرضت للكثير من الممارسات العنصرية العنيفة، الجسدية والمعنوية، وعلى المستوى الرسمي تم التضييق عليها من خلال تبني الكثير من التشريعات المتشددة التي استهدفتها بشكل مباشر، ونسبة لذلك فإن الجاليات المسلمة المقيمة في أوروبا تنتظرها الكثير من الصعوبات والإجراءات التي ستضيق على حياتها وسيصعب من عملية اندماجها هناك.

وفي ضوء ما سبق يمكننا عرض ما توصلنا إليه من نتائج عبر هذه الدراسة وهي كما يلي :

- كشفت قضية الهجرة غير الشرعية الارتباط الوثيق بين ازدياد أوضاعها من الدول الأصلية المسلمة إلى الدول المستضيفة الأوروبية، وصعود اليمين المتطرف في الدول الأوروبية، وذلك بسبب استغلال الأحزاب اليمينية المتطرفة قضية الهجرة في حملاتها الانتخابية، وكسب تأييد الناخبين الأوروبيين من خلال بث مخاوف تتعلق بتهديد الهوية والثقافة الأوروبية وربط كل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بها.

- إن ممارسات بعض المسلمين في الدول الأوروبية، وتفضيل الكثير منهم للعزلة عن المجتمعات الأوروبية، يمنح الأحزاب اليمينية المتطرفة فرصة للتسويق لمعتقداتها، وخاصةً عندما يتعلّق الأمر بالتعصّب الديني الأعمى، وبالتالي، ستستمرّ هذه الأحزاب باستخدام المهاجرين الشرعيّين، أو غير الشرعيّين على السواء، كورقة لكسب تأييد الناخبين ولمحاولة الوصول إلى السّلطة بغية تنفيذ أجندتها المتطرفة والتي من ضمنها القضاء على الجاليات المسلمة في أوروبا.

- إن فوز الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات التشريعية والتنفيذية مؤخراً سينعكس بشكل سلبي على الجاليات المسلمة في الدول الأوروبية، فخلال العقدين الأخيرين عقب بداية صعود اليمين المتطرف زادت أعمال العنف الجسدي والمعنوي ضد المسلمين، وصارت مقبولة بشكل أكثر من السابق في الأوساط الشعبية الأوروبية في ظل عدم اتخاذ عقوبات رادعة ضد هذه الأعمال،

في مساندة واضحة لرغبة الأحزاب اليمينية المتطرفة التي صارت شريكة مع الأحزاب اليسارية في الحكم.

- وصول الأحزاب اليمينية المتطرفة إلى الحكم ينذر بالمزيد من الإجراءات التعسفية ضد الجاليات المسلمة، من خلال فرض الكثير من القيود على الحقوق الاجتماعية، والثقافية، والدينية عليها، بالإضافة لذلك تشريع المزيد من القوانين المتشددة التي تتعلق بالهجرة والإقامة والتنقل والتجنيس واللجوء.

- استطاع اليمين المتطرف خلال العقدين الأخيرين من بناء أرضية صلبة من خلال نجاحه في كسب قاعدة شعبية كبيرة، ظهرت نتائجها بشكل واضح خلال الانتخابات الأوروبية الأخيرة، وهذا يعطي مؤشراً واضحاً على أن اليمين المتطرف سيكون متواجداً بقوة في الحكومات والبرلمانات الأوروبية خلال المدة القادمة، حيث لا توجد أي مؤشرات تدل على اختفائه في المستقبل القريب.

- إن صعود اليمين المتطرف في المشهد السياسي الأوروبي ينذر ببوارد عدم الاستقرار التي ستواجهها المجتمعات الأوروبية، وذلك بسبب اتساع الهوة بين الأقليات المسلمة، والمجتمعات الأوروبية، وهذا سيؤدي إلى عدم اندماجها وبالتالي تفجر الخلافات داخل المجتمعات الأوروبية.

- صعود اليمين المتطرف في المشهد السياسي الأوروبي سيرسخ ظاهرة "الإسلام وفوبيا" ليس في داخل المجتمعات الأوروبية فحسب، بل سيتعدى ذلك إلى الخارج، فمن الممكن جداً أن تتبنى السياسات الأوروبية الخارجية في تعاملها مع دول العالم الإسلامي، بعض المعتقدات اليمينية المتطرفة التي تحبذ نظرية صراع الحضارات لا سيما النظر للدين الإسلامي والحضارة الإسلامية كعدو محتمل للحضارة الأوروبية.

. أظهرت قضية الهجرة غير الشرعية الارتباط الوثيق بين الاستقرار والأمن في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا واستقرار الدول الأوروبية، فعقب اندلاع ثورات الربيع العربي عام 2011 ودخول المنطقة العربية في مستنقع العنف والحروب الأهلية أدى ذلك إلى هجرة غير مسبقة باتجاه الدول الأوروبية وهذا بطبيعة الحال انعكس بشكل سلبي على الدول الأوروبية في جميع الجوانب الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

المراجع :

أولاً / الكتب.

- 1- أبوبكر الرازي, مختار الصحاح, مادة هجر , المطابع الأميرية, ط : 5, القاهرة, 1939.
- 2- أحمد عبدالعزيز الأصغر, مكافحة الهجرة غير المشروعة, ط: 1, جامعة نايف للعلوم الأمنية, الرياض, 2010.
- 3- إسرائ عمران أحمد عبدالكافي, دور القيادة في الإصلاح السياسي : دراسة العرقه بين الفكر والممارسة - قيادة عمر بن عبد العزيز نموذجاً, دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة, 2011.
- 4- رياض عواد, هجرة العقول, ط : 1, دار الملتقى للطباعة والنشر, 1995.
- 5- عبد اللطيف محمد عمر, الهجرة غير الشرعية, المصرية للنشر والتوزيع, مصر, 2016.

ثانياً / الدوريات.

- 1- التصدي للأزمة العالمية للاجئين .. من المتملص عن المسؤولية إلى تقاسمها, ط: 1 (لندن, مطبوعات منظمة العفو الدولية, 2016.
- 2- بن عياش سمير, التدايعات المحتملة لصعود اليمين المتطرف والشعبي بالدول الغربية على ضحايا الهجرة القسرية من الدول العربية واندماجهم في المجتمعات المضيفة, مجلة العلوم الإنسانية, مجلد : 31, العدد: 3, ديسمبر 2020. 14
- 3- سفيان باكراد ميسروب, حرية السفر والتنقل, مجلة الرافدين, المجلد 11, العدد, 42, جامعة الموصل, 2009.
- 4- سفيان بوسنان, الهجرة غير الشرعية والاتحاد الأوروبي " قراءة في أمننة الظاهرة", مجلة العلوم السياسية, عدد 55, جامعة بغداد, 2018.
- 5- سماح عبدالفتاح أبو الليل, ظاهرة التتميط (دراسة تأثير الصعود اليميني المتطرف الأوروبي على ملفات اللجوء والهجرة), مجلة كلية السياسة والاقتصاد- جامعة بني سويف , العدد : العاشر , مصر , إبريل 2021.
- 6- عبدالواحد أكمر, الربيع العربي والهجرة غير القانونية في البحر الأبيض المتوسط, مجلة المستقبل العربي, العدد : 433, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, آذار 2015.

- 7- فتحي بولعراس, تأثير صعود اليمين المتطرف في الاتحاد الأوروبي , السياسة الدولية, العدد: 214, المجلد 53, أكتوبر 2018.
- 8- مجموعة من الباحثين في برنامج " التفكير اماهر عبد موله, التشريع الأوروبي إزاء الهجرة السرية المغاربية : آليات الردع والتحفيز, مجلة المستقبل العربي, العدد 398, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت أبريل 2012.
- 9 - محمد مطاوع, الاتحاد الأوروبي وقضايا الهجرة : الإشكاليات الكبرى والاستراتيجيات والمستجدات, مجلة المستقبل العربي, العدد 431, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, يناير 2015.
- 10 - مرسي مشري, أمنة الهجرة غير الشرعية في السياسات الأوروبية : الدوافع والانعكاسات, مجلة سياسات عربية, العدد 15, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2015.
- 11- مروة ديب وأخرون, مديرية الدراسات الاستراتيجية, أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا : أبرز العوامل والشخصيات والأفكار , المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق, سلسلة البحث السادس, العدد : الخامس والثلاثون, ط:1, بيروت لبنان, آيار 2019.
- 12- مصطفى جاسم حسين, الاتحاد الأوروبي واليمين المتطرف : البريك ست نموذجاً, مجلة العلوم السياسية, العدد 61, كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد, 2021.
- 13 - مصطفى عبد العزيز مرسي, قضايا المهاجرين العرب في أوروبا, ط : 1, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, أبو ظبي, 2010.
- 14 - هبة غربي, نظرية الحرمان النسبي وأسباب التطرف والعنف, مجلة الدراسات الاستراتيجية للكوارت وإدارة الفرص, المجلد : 2, العدد: 4, برلين, 2020.
- 15 - هدى جمال عبدالناصر, صعود اليمين المتطرف في فرنسا, مجلة السياسة الدولية, العدد 118, مؤسسة الأهرام, القاهرة, 1994..

ثالثاً / شبكة المعلومات الدولية.

- 1- استراتيجية وإعداد السياسات " , صعود اليمين في البرلمانات الأوروبية .. فرنسا وألمانيا أنموذجين , المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية - مسارات, الدفعة 2018 - 2019, على الموقع الإلكتروني : [/https://www.masarat.ps](https://www.masarat.ps)
- 2- إسرائ البدر , معاناة اللاجئين في الشتاء القارص , المركز الدولي للدراسات والأبحاث, ديسمبر 2014, على الموقع الإلكتروني : <http://www.medadcenter.com/investigations/583>
- 3 - الاتحاد الأوروبي يتبنى مشروعاً فرنسياً بشأن ميثاق الهجرة, 2008, على الموقع الإلكتروني : <https://www.aljazeera.net>
- 4 - الحكومة الأكثر يمينية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية, "جورجيا ميلوني" تتولى رسمياً رئاسة وزراء إيطالية , الجزيرة نت 23-10-2022, على الرابط الإلكتروني : <https://www.aljazeera.net/news>
- 5- إيمان عنان, تداعيات صعود اليمين المتطرف في أوروبا, مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية, 2016, على الرابط الإلكتروني : <http://pss.elbadil.com/2016/12/19>
- 6- تقارير منظمة العفو الدولية الخاصة بقضية الهجرة غير الشرعية , أعوام (2011-2021) على الرابط الإلكتروني : <https://www.amnesty.org/ar>
- 7- راغب السرجاني, الجاليات المسلمة في أوروبا, إسلام ويب, 28-7-2016, على الموقع الإلكتروني : <https://www.islamweb.ne>
- 8 - رسمياً بريطانيا خارج الاتحاد الأوروبي, وكالة الأناضول 2021/1/1, على الموقع الإلكتروني : <https://www.aa.com.tr>
- 9- رولان مرعب, تداعيات الهجرة غير شرعية على أوروبا وأبعادها, مجلة الدفاع الوطني اللبناني, العدد 98, تشرين الأول, 2016, على الموقع الإلكتروني : <https://www.lebarmy.gov.lb/ar/conte>
- 10 - شريف بيبي, هل ستسبب أزمة الهجرة اقتحام اليمين المتطرف المشهد السياسي الأوروبي, 2018-2-20, موقع مهاجر نيوز, على الرابط الإلكتروني : <https://www.infomigrants.net>

- 11- غيضان السيد علي, موقف اليمين المتطرف من سياسات الضيافة للمهاجرين المسلمين, موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث, أبريل 2022, على الموقع الإلكتروني :
<https://www.mominoun.com/articles>
- 12 - مجموعة من الباحثين في برنامج " التفكير الاستراتيجي وإعداد السياسات ", صعود اليمين في البرلمانات الأوروبية .. فرنسا وألمانيا أنموذجين, المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية - مسارات, الدفعة 2018 - 2019, على الموقع الإلكتروني :
<https://www.masarat.ps>
- 13 - مد سالم السالمي, الحدث السويدي وتطبيع اليمين المتطرف في أوروبا, مركز تريندز للبحوث والاستشارات, إبريل 2022, على الموقع الإلكتروني :
<https://trendsresearch.org/ar/insight/28-april-2022>
- 14 - مروى فكري, مسلمو أوروبا وتجدد صعود اليمين المتطرف, بوابة الباحثين, على الموقع الإلكتروني :
https://www.researchgate.net/publication/340583943_mhadrat_nzryat_allaqat_aldwly_t_llsnt_alawly_mastr_laqat_dwlyt_wqanwn_dwly
- 15 - مروى نظير, مؤشرات وأسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا, مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة, 20 يونيو 2016, على الموقع الإلكتروني :
<https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/146/>
- 16- معنى تأثير في المعاجم العربية والأنطولوجيا, مترادفات, ترجمات, على الموقع الإلكتروني :
<https://ontology.birzeit.edu/term>
- 17- مفاهيم ومصطلحات, اليمين المتطرف, الجزيرة نت, 2015, على الموقع الإلكتروني : /
<https://www.aljazeera.net> 30/11/2015
- 18- هشام تيفلاتي, اليمين واليسار المتطرفان - النشأة والتاريخ والتطور والتضاربات الجيوسياسية, التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب, 2022, على الموقع الإلكتروني
<http://pss.elbadil.com/2016/12/19/>
- رابعاً / المراجع الأجنبية :

2- Mud, C.(2010), The Populist Radical Right: A Pathological Normalcy. 3-Western European Politics, P.1173

3 -Faried Hafez, Lslamophobia in Europe, Jordan, vol. 53, pp.138-139

علم الجمال - المفهوم والقيمة والاتجاهات الجمالية

د. عبد الباسط إبراهيم الجهاني

مكان العمل / المعهد العالي لتقنيات الفنون

المؤهل العلمي/ دكتوراة في الآداب والفنون المتوسطة

البريد الإلكتروني/ setjahn@gmail.com

ملخص البحث:

يعني هذا البحث بدراسة المفهوم الجمالي والقيمة الجمالية من خلال استعراض أهم ما تناوله الفلاسفة والمنظرين بمختلف مرجعياتهم الأدبية والفكرية. وقد تضمن البحث عرضاً لمشكلة البحث والتي يمكن تلخيصها بالإجابة عن التساؤل التالي: ما هي العلاقة بين المفهوم الجمالي والقيمة الجمالية من خلال التعريفات الفنية للجمال والمعيار القيمي له. وهدف البحث تمثل في: الكشف عن المعيار للقيمة الجمالية لهذه النظريات والآراء الجمالية في الفكر الفلسفي.

النتائج ومنها:

- 1- الانسجام: وهو يتمثل في قيمة المنتج المقدم والقطع التي تتماشى مع توافر قطع أخرى كما يعتبر هو اتحاد شتى العناصر التي يكون منها الكائن أو الشيء.
- 2- الكمال: وهو ما يمنح القيمة لما يعد خالياً لكل من العيوب أو الأخطاء وقد تأتي كلمة الكمال من كلمة "perfection" التي معناها شيئاً مكتملاً وانتهى تماماً ووصل حتى أعلى مستوى متاح.
- 3- التوازن: تعتبر هذه القيمة هي التي تتعامل مع الحالة الفنية حين يقوم كل جزء مكون منها من خلال التأثير الذي تقوم به الأجزاء الأخرى من ثم يتم تعويضهم وإلغائهم في ذات الوقت وهذا بدوره يدل على الاستقرار.
- 4- الجدية: فأن الجدية تشير إلى درجة مرتفعة من الجدية والشكلية حتى تخرج كل المشاعر القاسية والثقيلة بالعمل الفني دون فقدان خاصية توليد الانطباع.
- 5- الرقة: قيمة مرتبطة بخصائص الرقة والنعومة والروعة والجاذبية وهي على عكس القوة والخشونة، ترتبط الحساسية أحياناً بكل من الهشاشة أو العناية والتفاصيل التي قد يتسبب فيها العمل الفني.

Research Summary

This research means studying the aesthetic concept and aesthetic value by reviewing the most important things that philosophers and theorists have dealt with their various literary and intellectual references.

The research included a presentation of the research problem, which can be summarized by answering the following question:

What is the relationship between the aesthetic concept and aesthetic value through artistic definitions of beauty and its value standard?

The aim of the research is to reveal the criterion for the aesthetic value of these aesthetic theories and opinions in philosophical thought. Results including:

1- Harmony: It is represented by the value of the product provided and the parts that are compatible with the availability of other parts. It is also considered to be the union of the various elements that make up the object or thing.

2- Perfection: which gives value to what is considered free of defects or errors. The word perfection may come from the word "perfection," which means something that is complete, completely finished, and has reached the highest level available.

3- Balance: This value is considered to be the one that deals with the artistic situation when each component part of it exerts the effect that it produces the other parts are then replaced and canceled at the same time, which in turn indicates stability.

4- Seriousness: Seriousness refers to a high degree of seriousness and formality so that all harsh and heavy feelings come out of the artwork without losing its impression-generating quality.

5- Delicacy: A value associated with the characteristics of delicacy, softness, splendor, and attractiveness, which is in contrast to strength and roughness. Sensitivity is sometimes associated with both fragility or care and detail that a work of art may cause. It also includes an index of research sources.

علم الجمال - المفهوم والقيمة والاتجاهات الجمالية:

شكل الاهتمام بفلسفة الجمال والدراسات الجمالية محوراً رئيساً من محاور التفكير الإنساني على اعتبار أن الإبداع الفني ظاهرة اجتماعية للحضارة حيث شغلت العلاقة بين مفهوم الجمال والمعيار القيمي لها الباحثين والفلاسفة والفنانين عبر الحقبة المختلفة في محاولات مستمرة لتحديد التعريف وإيجاد المعيار لمعرفة القيمة الجمالية لأي عمل فني لا بد من الرجوع لمعرفة المفاهيم وأسسها ومنظقاتها وجوهرها الفلسفي لدى أهم الفلاسفة وعلماء الجمال والفنانين.

تساؤل البحث: ماهي العلاقة بين مفهوم الجمال والقيمة الجمالية؟

هدف البحث: الكشف عن المعيار للقيمة الجمالية.

أهمية البحث: تكمن في معرفة العلاقة بين الفهم الجمالي والقيمة الجمالية للدراسين والباحثين هذه الإشكالية تفرض علينا استعراض لفلسفة الجمال ابتداء من افلاطون الذي كانت فكرة الجمال عنده تتمثل فيما وراء الطبيعة "حيث اعتبر الفن تزييفاً للحقيقة، بسبب محاكاة الفنان للعالم الواقعي، إذ كانت هذه المحاكاة تمثيلية وسطحية واعتبر الفن تمجيداً للحقيقة بسبب محاكاة الفنان لعالم المثل⁽¹⁾ فجعل الخير شرطاً من شروط الجمال وجعل الفن جزءاً من علم الأخلاق حيث ارتبطت فلسفة الجمال عند أفلاطون بفكرة التعالي معبراً عنها في صورة الفن. حيث أكد على أن "الرائع غير ممكن في هذا العالم المادي وإنما يوجد في عالم المثل الأعلى الذي لا ينشأ ولا يندم وأنه خارج إطار الزمان والمكان"⁽²⁾. فالبحث الأفلاطوني عن القيمة الجمالية في الفن وتمثل هذا التصور، في تمثله الجمال بوصفه صورة ثابتة وماهية مطلقة وبوصفه مرتبطاً بقيمة أخلاقية⁽³⁾.

أما الجمال عند (أرسطو) فإنه يعني التناسب والتماثل والترتيب العضوي للأجزاء في كل ما هو مترابط من الأشكال عبر عنه بقوله الكائن أو الشيء المكون من أجزاء متباينة لا يتم جماله ما لم تترتب أجزاؤه في نظام وتتخذ أبعاداً ليست تعسفية ذلك لان الجمال ما هو إلا التنسيق والعظمة⁽⁴⁾. في حين نجد أن القيمة الجمالية ارتبطت بالشكل عند أرسطو عن طريق "التركيب الملموس القابل للإحساس الخاص بشيء ما"⁽⁵⁾. وذلك من خلال الوحدة والتنوع في المأساة، حيث تكون الأجزاء متناسقة، فعندما يتغير مكان أي جزء أو إغائه يتفكك الكل ويختل وبالصدد نفسه أشار أرسطو "إن سرورنا بصورة معينة يفترض إعجابنا بأصل الصورة، ولا يمكن لكل الحواس أن تقدم لنا تمثلات واضحة"⁽⁶⁾. فرؤية (أرسطو) للجمال هب نموذجاً باطنياً قي العقل البشري ليس له موضوع نبحث عنه خارج أنفسنا فليس هناك مثال يتجاوز حدود الإنسان او العالم فكل شيء موجود فينا نحن. اما (أفلوطين) رأى ان الجمال لا يكون في تنسيق اجزاء الاشياء، بل في الفكرة التي يعبر عنها، أي بإيحائه الباطن غير المتمظهر في الحس والذي ندعوه لدى الانسان نفساً، لـ "أن كل ما تشكل بحسب فكرة معقولة صار أجمل، فالجميل هو المصور، والقبيح وهو ما يخلو

¹ مجاهد عبد المنعم مجاهد. دراسات في علم الجمال، عالم الكتب، ط 2، بيروت: 1986، ص 87.

² المصدر نفسه الصفحة نفسها.

³ عاطف جوده نصر. الرمز الشعري عند الصوفية، دار الاندلس، بيروت: 1978، ص 101.

⁴ عبد الفتاح الديدي، فلسفة الجمال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص 16

⁵ شاعر عبد الحميد. المصدر السابق، ص 243.

⁶ أميرة حلمي مطر. فلسفة الجمال وأعلامها ومذاهبها، دار قباء للطباعة، القاهرة: 1998، ص 87.

من الصور المعقولة، والبرهان على ذلك أننا لو قارنا بين حجرين أحدهما قد نحت على صورة معينة كأن تكون صورة إله أو إنسان وترك الآخر بغير تشكيل أو صورة معقولة، فإننا نلاحظ أن الأول سوف يتفوق على الآخر في القيمة الجمالية (7). أما في العصر الحديث نجد (شوبنهاور) الذي يرى أن للجمال صفة للشيء الذي يبعث اللذة في أنفسنا بصرف النظر عن منفعته أو فائدته فالجمال هو هو ظاهرة من ظواهر الذهن (8) وهو الشكل الدال أو المثال المعطى إلى الإدراك الحسي في حدود الواقع وبالتالي فإن العمل الفني هو تعبير الفنان عن مدى فهمه وإدراكه للمثال (9). في حين ربط (كانط) موضوع الجمال بموضوع الأخلاق ف"التجربة الجمالية لا ترجع إلى النشاط النظري أو إلى المعرفة المعتمدة على الذهن ولا إلى النشاط العملي أو السلوك الأخلاقي المعتمد على الإرادة، بل إلى مجال الشعور باللذة والألم (3) وبذلك يتضح بأن القيمة الجمالية لدى (كانط) مرتبطة بالمشاهد أو المتلقي. ويرى (هيجل) أن الجوهرى لفكرة الجمال يجب أن يكون موضوعاً حسيّاً أي شيئاً موجوداً بالفعل أمام الحواس ف النظر إلى الفكرة في ذاتها يكون الحق، ولكن النظر إلى مظهرها الحسي يكون الجمال (10). فالجمال لدى (هيجل) هو الفكرة حين تدرك في إطار حسي وحين تدرك بالحواس سواء أكان في الفن أم الطبيعة، أما الحقيقة فهي الفكرة حين تدرك في ذاتها أي بوصفها فكرة خالصة. أما (سانتينا) فإنه يرى أن الجمال قيمة ايجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجوداً موضوعياً (11) أي أن الحكم الجمالي عند سانتينا ايجابي وله صفة موضوعية، وشدد بأن القيمة الجمالية هي "انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية (12). في حين يرى (شيلنج) ان الابداع الفني ينشأ من التناقض اللانهائي ولهذا كانت الفنون هي المعيار الذي توزن به جماليات المشاهد والمناظر الطبيعية " حيث يقوم الإبداع الفني على التقابل بين العوامل المتناقضة الفعالة وعلى التناقض الباطني، أي على شعور داخلي بالتناقض يصعب اجتيازه وتجاوزه ألا بتحقيق العمل نفسه (13). غير إن (شيلر) أن الشعور الجمالي "تعبير عن توازن منسجم بين

⁷ المصدر نفسه، ص105.

⁸ شاكر عبد الحميد. المصدر السابق، ص112.

⁹ (2) - فؤاد كامل، الفرد في فلسفة شوبنهاور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص52.

¹⁰ مجاهد عبد المنعم مجاهد. الصدر السابق، ص90.

¹¹ جورج سانتينا. الاحساس بالجمال، تر. محمد مصطفى بدوي، الانجلو المصرية القاهرة: د: س، ص74.

¹² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

¹³ عبد الفتاح الديدي، فلسفة الجمال، المصدر السابق، ص18.

العقل والحساسية، وقيمه تحيل اللذة بوصفها كيفية للشيء، كما تحيل إلى انفعال يخص طبيعتنا الإنسانية⁽¹⁴⁾. وبذلك يكون الإحساس بالجمال ليس موضوعاً ذاتياً فقط، وإنما يعتمد على قوانين جمالية موضوعية. وإذا عرجنا على (جورج لوكاتشي) فإنه يرى الجمال بوصفه "يحدد النسيج الجوهري للإنسان⁽¹⁵⁾". لهذا فإن مفهوم الفن لديه هو انعكاس شامل للحياة. أما الجمال عند (اتين سوريو) هو "علم الصور، أي دراسة ما يتكشف لإدراك الإنسان حين ينظر إلى الأعمال الفنية، أنها تحليل لهذا النوع من المعرفة التصويرية المتضمنة في وعى الفنان لا شعوريا¹⁶. وهناك من رأى بأن الفن هو الشكل، مثل (كليف، بل) حين عرف "الفن بأنه صورة معبرة⁽¹⁷⁾. وبين أن الأهمية لم تعد في الموضوع، ولكن من خلال "علاقة الخطوط والألوان والأحجام في حد ذاتها ويتضح من هذا أن (بل) يحدد القيمة الجمالية في الشكل المعبر. أما (ديويت باركر) فيرى بأن "القيمة الجمالية تتلخص في تحول القيمة العملية إلى قيمة على مستوى الخيال⁽¹⁸⁾. أما (ناثان توبلر)، فقد حدد القيمة الجمالية بالآتي:

الأولى: وهي قيمة ذاتية ترجع إلى الشخص بفضل إثارته بحافز خارجي، أي أن الإحساس بالجمال يقبع في دواخلنا⁽¹⁹⁾، والثانية: فهي موضوعية تكمن في العمل نفسه، وهذا الرأي ينسجم وأطروحات (جيروم) حول القيمة الموضوعية وهي لا تهتم بالمشاهد، أو على أي شيء آخر ما عدا العمل، وكأن الجمال شيء "موجود هناك في بعض الأشياء، وليس في بعضها الآخر⁽²⁰⁾.. ولهذا فإن القيمة الجمالية مبنية على الحدس المعرفي.

فمذاهب علم الجمال تختلف في رؤيتها "فالمذهب الحسي يراها في الجميل نفسه، ويرى العقليون أن الجمال ليس مادة الجميل خطوط، ألوان وأصوات، لكنه فيما يتجاوز هذا، ولا يمكن بالتالي إدراكه إلا بالعقل الذي يتجاوز المحسوس، عندئذ القيمة الجمالية هي قيمة عقلية"⁽²¹⁾. في حين

¹⁴ عاطف جودة نصر. المصدر السابق، ص103.

¹⁵ أميرة حلمي مطر. مقدمة في علم الجمال، المصدر السابق، ص10.

¹⁶ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁷ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁸ المصدر نفسه، ص19.

¹⁹ ناثان توبلر. حوار الرؤية، تر. فخري خليل، مراجعة جبرا خليل جبرا، بغداد: دار المأمون للترجمة، 1987.

²⁰ جيروم ستولنتيز المصدر السابق، ص588.

²¹ رجب ابودبوس. تبسيط الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي: 1425م، ص95.

يرى أصحاب المذهب الكمالي "أن الفنان لا يقلد الطبيعة كما هي، بل يتصور فيها الكمال ويخرجها مازجاً فيها الواقع بتصوراته، أنه يحاكي الطبيعة ويعدها (22). وكان من اتجه اتجاه عاطفي فنهوا قائلين إن "الفنان تتملكه عاطفة فيحولها إلى عمل فني، العمل الفني هو تعبير عن عاطفة الفنان فهو الذي بإمكانه تجسيد عواطفه في عمل فني، ولهذا أمام عمل فني لا يجب أن تسأل ماذا يريد الفنان أن يقول؟ بل بماذا يشعر الفنان؟ (23). أما أصحاب الاتجاه أو المذهب الواقعي يرون أن "الفن تقليداً (محاكاة- الباحث) للطبيعة باعتبارها أرقى تجسيد للقيمة الجمالية (24). ومن خلال ما استعرض من آراء ووجهات نظر حول القيمة الجمالية والمفهوم الجمالي عند فلاسفة اليونان وفلاسفة العصر الحديث وبيان أهمية هذا الجانب في الفكر الفلسفي عامة تتضح النتائج التالية:

نتائج البحث: اهم القيم الجمالية الأساسية:

- 6- الانسجام: وهو يتمثل في قيمة المنتج المقدم والقطع التي تتماشى مع توافر قطع أخرى كما يعتبر هو اتحاد شتى العناصر التي يكون منها الكائن أو الشيء.
- 7- الكمال: وهو ما يمنح القيمة لما يعد خاليًا لكل من العيوب أو الأخطاء وقد تأتي كلمة الكمال من كلمة "perfectio" التي معناها شيئاً مكتملاً وانتهى تماماً ووصل حتى أعلى مستوى متاح.
- 8- التوازن: تعتبر هذه القيمة هي التي تتعامل مع الحالة الفنية حين يقوم كل جزء مكون منها من خلال التأثير الذي تقوم به الأجزاء الأخرى من ثم يتم تعويضهم والغائبهم في ذات الوقت وهذا بدوره يدل على الاستقرار.
- 9- الجدية: فأن الجدية تشير إلى درجة مرتفعة من الجدية والشكلية حتى تخرج كل المشاعر القاسية والثقيلة بالعمل الفني دون فقدان خاصية توليد الانطباع.
- 10- الرقة: قيمة مرتبطة بخصائص الرقة والنعومة والروعة والجاذبية وهي على عكس القوة والخشونة، ترتبط الحساسية أحياناً بكل من الهشاشة أو العناية والتفاصيل التي قد يتسبب فيها العمل الفني.
- 11- المأساة: تعتبر هي المعروفة على نطاق كبير باسم النوع الأدبي كما قد تُستخدم هذه القيمة لإلقاء الضوء على اللحظات القوية الممزوجة بالدراما الثقيلة.

²² المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

²³ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

²⁴ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

12- شيء متنافر: هو يدل على شيء لا مذاق له أو مبالغ فيه بصورة ضخمة، وغير متساوٍ مع الرقة أو النعومة. يتبادر إلى الذهن أن هناك معياراً لقياس القيمة الجمالية في العمل الفني، ويعد ذلك خطأً فادحاً إذ أن القيمة أكبر مما يمكن توصيفها في إطار وجعلها مقياساً، وبذلك يفقد الجمال جاذبيته وتنوعه، ويتيسر الإبداع الفني في إطار صلب من المعايير الجاهزة، لهذا قال (موكاروفسكى) ف "ليس هناك معيار جمالي ثابت، لأن من خصائص المعيار الجمالي ألا يكون ثابتاً" (25). وبهذا المعنى يمكن جعل القيمة الجمالية لا في الجميل وحده، وإنما القبيح أيضاً يدخل في المفهوم الجمالي للصورة (26).

²⁵ سيد صديق عبد الفتاح. أسرار الجمال، القاهرة: المصرية اللبنانية، 1993، ص124.

²⁶ ستولنتيز جيروم. النقد الفني، دراسة جمالية ونقدية، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص10.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أميرة حلمي مطر. فلسفة الجمال وأعلامها ومذاهبها، دار قباء للطباعة، القاهرة: 1998
- 2- جورج سانتيانا. الاحساس بالجمال، تر. محمد مصطفى بدوي، الانجلو المصرية القاهرة: د. س.
- 3- سيد صديق عبد الفتاح. أسرار الجمال، القاهرة: المصرية اللبنانية، 1993
- 4- ستولنتيز جيروم. النقد الفني، دراسة جمالية ونقدية، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.
- 5- عاطف جوده نصر. الرمز الشعري عند الصوفية، دار الاندلس، بيروت: 1978.
- 6- عبد الفتاح الديدي، فلسفة الجمال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.
- 7- فؤاد كامل، الفرد في فلسفة شوبنهاور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.
- 8- مجاهد عبد المنعم مجاهد. دراسات في علم الجمال، عالم الكتب، ط 2، بيروت: 1986.
- 9- ناثن توبلر. حوار الرؤية، تر. فخري خليل، مراجعة جبرا خليل جبرا، بغداد: دار المأمون. للترجمة، 1987.

الهجاء في ديوان الشاعر عمرو عيسى التندميرتي

ا. ناجي جمعة صالح لشهب

كلية القانون والشريعة / جامعة نالوت

رقم الهاتف: 0918537261 / البريد الإلكتروني: najelshhab1981@gmail.com

الملخص

قامت هذه الدراسة بإبراز شاعرية الشاعر عمرو عيسى التندميرتي؛ أحد رموز الإصلاح في جبل نفوسة قبيل الاحتلال الإيطالي لبلدنا الحبيب، من خلال دراسة القصائد الهجائية في ديوان الشاعر، وتمثلت في قصيدتين الأولى في الهجاء أهل قريته لعدم اتباعهم الحق المبين، والقصيدة الثانية التي هجا فيها الشاعر شخصًا يدعى أبو نصر الشامي يعمل قاضيًا في مدينة نالوت قبيل الاحتلال الإيطالي، الذي هجا وأساء إلى أهل الجبل، كما أساء إلى شيخه وقدوته عبد الله الباروني. وكان الشاعر صادق الإحساس ولم يخش في الله لومة لائم، مما جعل معظم قصائده قريبة جدًا من واقعنا، وتحاكي حال الكثيرين، ومن باب الإسهام في إبراز الأدب الليبي، وإظهار جهود مبدعيه، وليكون له حضور ضمن الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: الهجاء، جبل نفوسة، الإصلاح.

SUMMARY

The study highlighted the poeticism of the post Amr Issa AL-Tandimirt; One of the symbols of reform in Mount Nafusa before the Italian occupation of our beloved country through studying the satirical poems in the poet's collections, represented in two poems, the first satirizing the people of his village for not following the revealed truth, and the second poem in which the poet satirized a person called Abu Nasr al-Shami who worked as a judge in the city of Nalut shortly before The Italian occupation, which satirized and insulted the people of the mountain, and also insulted its sheikh and role model, Abdullah Al-Barouni. The poet was sincere in his feelings and did not fear, for God's sake, the blame of the critic, which made most of his poems very close to our reality, and imitate the situation of many, and as a way of contributing to highlighting Libyan literature, and showing the efforts Its creators, and to have a presence within Arabic literature.

Keywords: Satire, Nafusa Mountain, Reform.

1. المقدمة

لقد أنجز هذا العمل من أجل دراسة غرض من أغراض الشعرية، وهو الهجاء لأحد شعراء بلدنا الحبيب ليبيا، وعالم من علماء الجهاد المعرفي، والإصلاح الديني في جبل نفوسة وهو فضيلة الشيخ الشاعر (عمرو عيسى التدميرتي)، الذي عاش في المدة بين 1832 - 1903م.

2. أهمية البحث

تتبع أهمية البحث بإسهامه في خدمة الأدب الليبي، ودراسة أحد رواده في جبل نفوسة خاصة وليبيا عامة.

3. أهداف البحث

التعريف بأحد شعراء جبل نفوسة

4. حدود البحث

1_ الحدود الزمنية: من الفترة 1832 إلى 1903 م.

2_ الحدود المكانية: فهي تختص بجبل نفوسة.

5. تساؤلات البحث

ماهي الأسباب التي دعت الشاعر إلى الهجاء؟

6. معوقات البحث

قلة المصادر والمراجع والدراسات السابقة أدت إلى عدم المعرفة بشاعرية هذا الشاعر.

7. منهجية البحث

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي.

8. الدراسات السابقة عن الموضوع

لم أقف على أية دراسة أكاديمية تناولت الشاعر، إلا بعض الإشارات البسيطة التي عالجت سيرته معالجة عابرة مثل (كتاب منعطفات الإصلاح) لعمرو أحمد عيسى، وكتاب الحركة الشعرية في ليبيا للدكتور قرية زرقون نصر، ومعجم الأدباء والكتاب الليبيين لعبد الله مليطان، وهذا ما سوغ لنا اتخاذ ديواني الشاعر مادة للدراسة.

6. هيكلية البحث

1_ المقدمة.

2_ المبحث الأول/ مدخل لدراسة شعر الشاعر

المطلب الأول: السيرة الذاتية للشاعر

المطلب الثاني: التعريف بديوان الشاعر

3_ المبحث الثاني/ الهجاء في شعر

المطلب الأول: هجائه لأهل لقريته

المطلب الثاني: هجاء الشاعر دفاعاً عن شيخه وأهل الجبل

4_ الخاتمة.

5_ قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مدخل لدراسة شعر الشاعر

المطلب الأول: سيرته الذاتية

المطلب الثاني: التعريف بديوان الشاعر

1:1 السيرة الذاتية للشاعر

1- اسمه ونسبه

2- مولده

3- نشأته

4- سيرته التعليمية

5- شيوخه

6- تلاميذه

7- وفاته

1:1 اسمه ونسبه

هو أبو حفص عمرو بن عيسى بن سيفاو بن محمد بن عمرو بن مسعود بن عيسى بن محمد

[1] التندميرتي.

ويرجع نسبه إلى تندميرة الواقعة في جبل نفوسة، حيث يقول العالم المؤرخ أحمد الزاوي معرفاً

بجبل نفوسة هو سلسلة جبال صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق، وهو جزء من سلسلة جبال

أطلس التي تبتدي من المحيط الأطلسي، وتمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس، وتنتهي إلى

جبال قماطة وهي الهضاب التي تسمى (النقازة) غربي مدينة الخمس بقليل [2].

على الأطراف الغربية من هذه السلسلة يقع جبل نفوسة، وفي أحضان واحدة من قممه تغفو تدميرة [3].

2:1 مولده

ولد الشاعر عمرو في تدميرة، في عام لم تتحدد بعد على وجه الدقة واليقين، ولعل الأمر فيما يتعلق بموالد العلماء والمصلحين ما عاد في حاجة إلى تأكيد، حقيقة أن الناس في فترات التخلف لا يابهون كثيراً لتفاصيل حياة الأعلام إلا بعد أن يذيع في الناس ذكرهم، ويذهب في الآفاق صيتهم [4]، لكنَّ الشيخ إمام صالح التدميرتي [5] قال: إن الشاعر الشيخ عمرو عاش ثمانين عاماً وتذكر المصادر [6] أن تاريخ وفاته كان في 8 جمادى الأولى سنة 1321 هـ 1903 م. وهذا ما يجعلنا نرجح أن ميلاده بالمقاربة التاريخية حوالي سنة 1241 هـ 1823 م

3:1 نشأته

نشأ الشاعر في كنف أسرة كريمة متكونة من والده الذي ليس له من الأبناء غيره، ومن والدته سالمة بنت محمد بن عيسى بن مسعود الجد المشترك لوالديه، ومن أخرون للأُم هما إمام، وسالم وأخت هي تعزيز، وقد أنجب من البنات سالمة وسليمة. ومن الأبناء عيسى ويوسف والسيفاو، وله من الأحفاد أبناء ابنته سالمة الحاج عمرو والفقير إمام ومسعود وسليمة، وحفيدة من ابنته سليمة وهي عائشة [7].

ويقول الشيخ إمام صالح التدميرتي: إن الفقيه عيسى والد الشاعر توفي، وابنه مازال في طفولته، وأن له علاقات حتى خارج قرية تدميرة، ويدل على ذلك أن أصدقاء له من قرية كاباو لما حلوا بتدميرة سألوا قائلين: أين ابن الفقيه عيسى؟

فجاء إليهم الشاعر عمرو، وهو في حالة من التعب والإرهاق من أعمال الفلاحة والرعي، فسأهم حاله فطلبوا من خاليه اللذين يكفلانه، وهما سالم ومحمد أن يسمحا له أن يرافقهم إلى كاباو لأجل الدراسة، وبعد موافقتيهما ذهب إلى كاباو معهم، وهناك التقى بالشيخ عبد الله يحي الباروني، فأعجب الشيخ عبد الله بما رأى في الشاعر عمرو من علامات النبوغ والتفوق والحرص على طلب العلم. فلزم الشاعر الشيخ عبد الله الباروني، وانتقل معه إلى جادو، ثم إلى يفرن [8].

4:1 سيرته التعليمية

بدأت سيرة الشاعر التعليمية بحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية الشهير بمسجد (أبي قشقاش) على أيدي القائمين بهذه المهمة الجليلة؛ من مؤدبين ومقرئين ومن ضمنهم الشيخ أيوب الكاباوي [9]. وتعد فترة انتقاله من قرينته تندميرة إلى كاباو مع أصدقاء والده هي بداية رحلته العلمية، حيث التقى بالشيخ عبد الله الباروني، فلزمه فانقلبا إلى جادو، ثم إلى يفرن، والتحق بالمدرسة البارونية والمعروفة بمدرسة (البخاخة) التي كانت تتبع نفس النظام السائد في المدارس التابعة لجوامع الحواضر الكبرى، كالأزهر في مصر والزيتونة في تونس [10]. وبعد أن أكمل تعليمه، أخذ ينتقل بين قرى جبل نفوسة ومساجدها، يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعظهم بلسانه وسيرته، وكان شديداً على العصاة [11]، وكان فوق ذلك شاعراً بارعاً يعد من الطبقة الأولى من شعراء عصره في المنطقة [12]. وقد كانت له مكتبة ضخمة من الكتب أحرقت في أحداث الفتنة التي وقعت بين العرب والأمازيغ عام 1340 هـ [13].

5:1 شيوخه

يقول الشيخ إمام صالح التندميرتي: " إنَّ الشيخ " عبد الله يحيى الباروني " يُعدُّ الشيخ الوحيد الذي تتلمذ على يديه الشاعر " عمرو عيسى التندميرتي"، فلم تشر المصادر أنه تتلمذ على أيدي مشايخ آخرين، فقد كان الشيخ " عبد الله " قدوة للشاعر عمرو عيسى التندميرتي " [14].

6:1 تلاميذه

يقول الشيخ إمام صالح التندميرتي: " إن من طلبة الشيخ " عمرو " الشيخ علي الفطفاط من قرية القلعة، والشيخ صالح قوجة من جزيرة جربة، والشيخ سعيد بن تعاريت وهو أيضا من جزيرة جربة في تونس " [15].

7:1 وفاته

توفي الشاعر - رحمه الله - بتاريخ 8 جمادى الأولى 1321 هـ / 1903 م [16].

2:1:1 التعريف بديوان الشاعر

لم ير النور من أعماله إلا ما أدركته الألفاظ على يد المجاهد سليمان الباروني، فقد طبع قصائده الوعظية وبعض مدائحه في قسم الحق بديوان والده الشيخ عبد الله الباروني الذي نشره في بدايات القرن العشرين في القاهرة، كما طبع له ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية منفرداً

[17]. يقول الدكتور محمد مسعود جبران: "بعد السماح لسليمان الباروني بالسفر إلى الديار المصرية عام 1906م، أنشأ خلال إقامته بالقاهرة مطبعة الأزهار البارونية التي طبع فيها بعض الدواوين الشعرية من بينها ديوان الشاعر " عمرو عيسى التندميرتي". كما يقول كذلك الدكتور الصيد أبو ديب في مقالة له بعنوان (إضاءة تاريخية حول الشعر الليبي ودواوينه المطبوعة ما بين عام 1882م - 1992م): إن الحياة الأدبية في الجانب الشعري عرفت في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن ثلاثة دواوين شعرية هي على التوالي: ديوان مصطفى بن زكري، وديوان الشيخ عبد الله الباروني وتلميذه عمرو عيسى التندميرتي، وديوان سليمان الباروني [18].

وقد نشر هذا الديوان بين الشاعر وشيخه عبد الله الباروني، وهو الديوان الليبي الوحيد الذي نُشر مشتركاً بين شاعرين ليبيين، أما ديوان الشاعر محمد حامد الحضيبي (أصداء العشق والحرية) الذي صدر عام 1990م مشتركاً مع الشاعرة فاطمة السيد، فهو أول ديوان مشترك يصدر لشاعر ليبي مع شاعر من قطر عربي آخر [19]. ويشتمل هذا الديوان المشترك للشاعر مع شيخه على ستِّ وعشرين قصيدة، منها ست عشرة قصيدة ما بين تشطير لمنظومة القرطبي وتخمس القصائد الحلبية والمضرية، وقصائد ذاتية بلغت عشرًا.

أما ديوانه القلائد الدرية في مدح خير البرية فهو يشمل أربعًا وثلاثين قصيدة مقسمة بين تسع وعشرين قصيدة خمسة قام الشاعر فيها بتخميس القصائد الوترية، في مدح خير البرية - محمد صلى الله عليه وسلم - وخمس قصائد قام الشاعر بتشفيح قصائد عروسية. ومما يبرز دور الشاعر الإصلاحية في مجتمعه تناوله بعض العادات المحرمة شرعًا كمنع النساء من الميراث، كما في قوله [20]:

وَإِنِّي جَعَلْتُ يَا إِلَهِي وَسِيلَتِي *** إِلَيْكَ كِتَابَكَ الْكَرِيمَ الْمُتَزَلًّا
وَبِأَلِّ عِمْرَانَ وَبِالسُّورَةِ الَّتِي *** بِهَا أَحْكَامُ الْمَوَارِيثِ فَضْلًا
وَحَصَّصَ كُلَّ وَارِثٍ بِنَصِيْبِهِ *** وَبَيَّنَّهُ وَلَمْ يُخَلِّهِ مُهْمَلًا
فَبِؤْسًا لِمَنْ غَدَا يَخْصُصُ بِمَالِهِ *** الذُّكُورَ وَيَتْرَكَ الْإِنَاثَ سَبْهَلًا

وقضية البخل والحرص على جمع الأموال كما في قوله [21]:

وَإِذَا الْإِلَٰهُ أَعْطَاكَ مَالًا *** فَلْتَوَاسِ بِهِ ذَوِي الْحَاجَاتِ
مَنْ فَقِيرٌ أَتَاكَ وَإِنَّ السَّبِيلَ *** وَلْتَوَاصِلْ بِهِ ذَوِي الْقُرْبَاتِ
إِنَّ فِي الْمَالِ لِلْعِبَادِ حُقُوقًا *** يَسْتَحِقُّونَهَا خِلَافَ الرِّكَاتِ

وَإِذَا هَمَمْتَ تُنْفِقُ شَيْئًا *** فَلْيُكُنْ سَالِمًا مِنَ الْمُحِبِّاتِ

المبحث الثاني

الهجاء في شعر الشاعر

المطلب الأول: هجاء أهل قريته وأقاربه

المطلب الثاني: الهجاء دفاعًا عن شيخه وأهل جبل نفوسة

1:1:2 هجاء أهل قريته وأقاربه

يتصل الهجاء بالحماسة اتصالاً وثيقاً وذلك لأن الشعراء قبل الإسلام كانوا إذا هجوا لا يفردون القصائد الهجاء، وإنما يهجمون من خلال شعرهم الحماسي، فهم في حماستهم الدافقة نحو الدعوة إلى الحرب والإشادة بانتصارات قبائلهم كانوا يقفون بالمرصاد لكل قبيلة تعاديهم، فيعدّون مثالبها وكانت القبائل عامة تهفو إلى الإنصاف بما تراه مثلاً علياً تتمثل في صفات الشجاعة والكرم وحماية الجار والتأثر إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي نجدها في قصائد مدائحهم، ومن ثم كان شعرهم الهجائي يدور حول نقائص هذه الصفحات فهم يصفون أعداءهم باللؤم والوضاعة والجهل، فكثيراً ما ينبثق الهجاء لديهم من الحروب التي تدور بينهم [22]. أما شعر الهجاء في صدر الإسلام والتي جرت بين الشعراء الفريقين المسلمين والمشركين، فقد اشتمل على شعر كثير بدأ في بدر، واستمر حتى فتح مكة، وهاجت بين الشعراء الفريقين حرب كلامية مواكبة لحرب السيف، ولم تنته إلا بعد فتح مكة ودخول قريش جميعها في الإسلام، وبجانب هذه الأهاجي والنقائص التي تعددت بين شعراء الفريقين نجد الهجاء الذي يوجهه شعراء المسلمين إلى القبائل في موقفها من الإسلام [23]. وتطور الهجاء لدى الشعراء المسلمين في العصر الإسلامي، لأنهم سخّروا هذا الغرض لخدمة الدين، وعلى هذا فإن معاني الهجاء قد انقسمت عند هؤلاء الشعراء إلى نوعين:

1- نوع يعد امتداداً لما كان عليه الهجاء في مرحلة ما قبل الإسلام من الطعن بالمثالب ونهش الأعراس، ولكن في شيء من التحرج والتأدب، لأنهم كانوا يهجون قوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم.

2- نوع جديد تتمثل معانيه في الرمي بالمفر وعدم الاستجابة لداعي الله إلى غير ذلك من المعاني التي تدور في هذا الفلك [24]. هذا ما جعل الشاعر "عمرو عيسى التدميري" يتخذ

من الهجاء وسيلة دفاع عن الدين، لأن ما عاش الشاعر في قريته من جفاء أهلها عن فعل الخيرات، والتقرب إلى الله، وعدم استجابتهم لمن ينصحهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة، قاد الشاعر إلى هجائه لهم في قصيدة من ستة وأربعين بيتاً، ويذكر سبب هجائه لقريته في مطلع القصيدة [25]:

مَنْ لِي لِدْفَعِ تَرَاكُمِ الْأَشْعَالِ *** وَلِكَشْفِ مَا بِالْبَالِ مِنْ بُلْبَالِ
 ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي وَتَحْيَلِي *** وَبَقَيْتُ فِي بَحْرِ مِنَ الْأَهْوَالِ
 دَائِي مِنْ أَهْلِ مَحَلَّتِي وَعَشِيرَتِي *** بَلْ مِنْ حُصُوصِ أَقَارِبِي وَعِيَالِي
 فَمَنْ الَّذِي يَحْمِي حِمَايَ مِنْهُمْ *** وَمَنْ الَّذِي مِنْهُمْ يَرِقُّ لِحَالِي
 كَيْفَ السَّبِيلُ لِدْفَعِ مَا قَدْ نَابَنِي *** مِنْ شَرِّهِمْ فِي النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ
 وَكَذَلِكَ عَرَضِي لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُمْ *** حَسْبِي لَكَيْدُهُمْ الْإِلَهُ الْعَالِي
 رَانَ الذُّنُوبِ عَلَى صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ *** فَتَعَلَّقْتُ بِالطَّبْعِ وَالْأَقْفَالِ
 صَعَبَ الْعِلَاجِ لَجَهْلِهِمْ وَفَسَادُهُمْ *** عَنِّي فَمَا رَأَيْتُ وَمَا اخْتِيَالِي
 إِذَا أَمَرْتُهُمْ فَتَمَنَعُوا وَزَجَرْتُهُمْ *** فَتَعَنَّتُوا وَتَمَادُوا فِي التِّضَالِ
 وَوَعظْتُهُمْ فَأَبَوْا قُبُولَ مَقَالَتِي *** وَتَرَكْتُهُمْ فَبَقُوا بِبَحْرِ ضَلَالِ
 فَمَنْ أَجَلُ ذَا لَا أَحْمَدَنَّ خِصَالَهُمْ *** وَكَذَا هُمْ لَا يَحْمُدُونَ خِصَالِ

يبرز الشاعر في هذه الأبيات أهم الأسباب التي جعلته يهجو أهل قريته ومنها أن الأرض ضاقت عليه بما رحبت، مما يراه من أفعال أهل قريته وتصرفاتهم البعيدة كل البعد عن الدين، والأخلاق الحميدة، حتى أن الشاعر يصف حالته أنها أصبحت متكررة نتيجة تراكم الهموم وهذه الهموم، من أهل محلته وعشيرته، وهو ما أقره الشاعر حتى أنه نعتهم أنهم سبب دائه، ويصور الشاعر أهل قريته بصورة العدو حين يسأل عن يحمي حماه منهم، ومن يدفع شرهم الذي أصابه في النفس والأموال، حتى أن عرضه لم يسلم من أذاهم، وهو ما جعله لا يحمد خصالهم وهم كذلك لا يحمدون خصاله. ويبين الشاعر أنه لا حيلة له في معالجة جهلهم وفسادهم لصعوبة العلاج، فهم إن أمروا تمنعوا وإن زجروا تعنتوا وإن وعظوا أبوا ورفضوا الموعظة.

ثم ينتقل الشاعر ليصف كبار أهل القرية وما هو عليه حالهم، فشبّه عقولهم بعقول الأطفال دليلاً على السخافة والسذاجة، وعدم تحمل المسؤولية، ويدعو الشاعر بعدم الاعتزاز بمظهرهم فخصالهم ليست خصال رجال بالرغم من لحاهم التي في وجوههم.

في قوله [26]:

سُخْفُ الْأَرَاءِ لَا يُحْسِنُونَ تَصَرُّفًا *** فَشُبِّهَتْهُمْ فِي الْعَقْلِ كَالْأَطْفَالِ
لَا تَغْتَرَّرُ بِلِحَاهُمْ فَتَهَابُهُمْ *** لَيْسَتْ خِصَالُهُمْ خِصَالُ رِجَالِ
وَاحْذَرِ هُدَيْتَ بِأَنْ يَعْزِكَ وَعَدُهُمْ *** فَكَلَامُهُمْ شَبَّهُهُ الْهَبَا وَالْأَلِ
فَإِذَا رَأَيْتَ الشَّخْصَ مِنْهُمْ خَلَّتْهُ *** عَيْنُ الْقَبِيلَةِ وَهُوَ كَالْتِمَثَالِ

كما يصف الشاعر حالهم في أمور الدين والعبادة، فمثل لحالهم بالغربال الذي يتمسك بما لا ينفع ويطرح الدقيق وهو المفيد، وقصد بذلك تمسكهم بخسيس الأمور وإضاعتهم للمهم والأهم ومثل لذلك بالصلاة التي انشغلوا عن تأديتها، فبعضهم يؤخرها، أو يتركها، وبعضهم الآخر لم تخطر بباله، أما الزكاة والصدقات، فأموالهم يصرفونها في اللهو والفحش، وإذا أمروا بالصدقة يتعذرون بالافتقار فقال [27]:

تَرَكُوا الْأَهَمَّ مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَمَسَّكُوا *** بِخَسِيسِهَا كَتَحْفُظِ الْغَرْبَالِ
إِذْ شَأْنُهُ طَرْحُ الدَّقِيقِ إِضَاعَةً *** فَأَفْهَمَ فَدَا ضَرْبٍ مِنَ الْأَمْثَالِ
لَا يَعْتَنُونَ حَيَاتَهُمْ بِفَضِيلَةٍ *** وَتَهَاوَنُوا بِالْفَرَضِ وَالْأَنْفَالِ
أَمَّا الصَّلَاةُ تَهَاوَنُوا بِشُنُونِهَا *** شَغُلًا بِكُلِّ نَقِيصَةٍ وَمُحَالِ
بَعْضٌ يُؤَخِّرُهَا وَيَتْرُكُ تَارَةً *** وَالْبَعْضُ لَمْ تَخْطُرْ لَهُ بِالْبَالِ
تَرَكُوا الْحُقُوقَ اللَّازِمَاتِ بِأَسْرِهِا *** أَفٍ لَهُمْ مِنْ عَضْبَةِ أَرْذَالِ

ويصور الشاعر حال أهل قريته، ويستغرب من حالهم حين يأتيهم كاهن يجودون له بغير سؤال وكذلك إذا رأوا يوماً سفيهاً لا قوه بالترحيب، وأجلوه وقضوا حوائجه، لكنهم إذا رأوا بانساً فقيراً متعففاً أو عبداً أو عالماً يريد المصلحة لهم استخفوا بهم وهنا يحكم الشاعر عليهم بأن كل خصال الخير مفقودة فيهم ولم يبق سوى التفريط والإهمال، فقال [28]:

فَإِذَا أَتَاهُمْ كَاهِنٌ مُتَشَدِّقٌ *** جَادُوا لَهُ عَفْوًا بِغَيْرِ سُؤَالِ
وَإِذَا رَأَوْا يَوْمًا سَفِيهاً مُقْبِلاً *** نَهَضُوا إِلَيْهِ وَجِنُّوا بِاسْتِعْجَالِ

وَتَبَسَّمُوا فِي وَجْهِهِ وَتَهَلَّلُوا *** وَلَقَوْهُ بِالتَّرْحِيبِ وَالِإِجْلَالِ
 وَتَشَاوَرُوا فِي شَأْنِهِ وَتَجَمَّعُوا *** وَقَضَوْا حَوَائِجَهُ بِلا إِهْمَالِ
 وَإِذَا رَأَوْا ذَا شِيمَةٍ مَرَضِيَّةً *** وَ مُرُوءَةً تَعْلُو بِهِ وَكَمَالِ
 أَوْ بَائِسًا ذَا فَاقَةٍ مُتَعَفِّفًا *** أَوْ عَابِدًا لِلَّهِ ذَا إِجْلَالِ
 أَوْ عَالِمًا مُتَّصِرًا لِإِفَادَةٍ *** لَمْ يُلْهِهِ شُغْلٌ مِّنَ الْأَشْغَالِ
 عَكَّسُوا الْقَضِيَّةَ وَاسْتَحَقُّوا بِشَأْنِهِمْ *** عَمَضًا لَهُمْ فِعْلَ الْبَغِيضِ الْقَالِ
 مَهْمًا يُقَالُ لَهُمْ هَلُمَّ تَصَدَّقُوا *** قَالُوا أَفْتَقَرْنَا وَمَا لَنَا مِنْ مَالِ
 وَإِذَا عَلَى الْمَعْرُوفِ دُلُّوا قَالُوا لَا *** شَيْءَ أَنَا نُعْطِيهِ لِلشُّوَالِ
 فَالْخَيْرُ كُلُّ خِصَالُهُ مَفْقُودَةٌ *** مِنْهُمْ سِوَى التَّفْرِيطِ وَالِإِهْمَالِ

بعد تصوير الشاعر لحال أهل قريته، ينتقل إلى تأكيد هذا الوصف، وكأنه يعلم أن من يسمع هذا الوصف سينقده ويكذبه ويلومه على وصفه إياهم بتلك الأوصاف، فأنشد هذه الأبيات مجيباً لمن ينقده ويلومه قائلاً [29]:

يَا مِنْ يُعَنْدُنِي بِوَصْفِ عَشِيرَتِي *** أَقْصِرْ عَنِ التَّفْنِيدِ وَالتَّغْذَالِ
 وَلِلْأَيْمِي فِي ذَمِّهِمْ دَعْوَمِي لَا *** تَعْذَلْ فَلَسْتُ بِوَصْفِهِمْ مُتَّعَالِ
 ذَمِّي لَهُمْ حَلٌّ لَمَّا قَدْ قَارَفُوا *** جَهْرًا فَدَعْوَمِي وَحَلٌّ جِدَالِ
 وَأَقْلِلْ عِتَابِي لِهَجْوِهِمْ لَيْسَ الَّذِي *** قَدَمْتُهُ فِي حَقِّهِمْ بِمَحَالِ
 وَإِذَا شَكَّكَتْ وَلِمَ تُصَدِّقْنِي فَسَلْ *** ذَا خِبْرَةٍ يُنْبِي عَنِ الْأَحْوَالِ
 وَانظُرْ بِعَيْنِكَ تَلَقَّ مَا قَيْدَتُهُ *** حَقًّا يَقِينًا دُونَ مَا إِشْكَالِ
 يَكْفِيكَ عُذْرًا أَنْ قَبِلْتَ بِأَنْنِي *** فِي حَيْزِ الْهَجْرَانِ وَالِإِغْفَالِ
 أَبْدِي النَّصِيحَةَ دَائِمًا لَهُمْ وَهُمْ *** لَا يَقْبَلُونَ نَصِيحَتِي وَمَقَالِي
 وَلَزِمْتُ بَطْنَ دُوَيْرَتِي مُتَقَرِّدًا *** لَمْ أَعْبَا بِالْأَعْمَامِ وَالِأَحْوَالِ

ويختم الشاعر قصيدته بأبيات تصور حاله، وكيف أن نفسه تريد التنقل، إلا أنه يسفه أراذلتها ويعتذر عن هذه الحالة التي يعيشها قد عمت البلاد جميعها فيما يظن، إلا أنه يجد متنفساً وحيداً وهو أن من كان قبله ممن يفوقونه في العلم والأعمال قد أودوا، وخير مثال قدوتنا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ويناخي الشاعر نفسه في نهاية المطاف بالألا تجزع من القضاء الذي حل به، وأن تصبر وتغض الطرف عن أفعالهم القدرة، وأن تعتصم بالله سبحانه وتعالى.

فقال [30]:

فَمِنْ أَجْلِ ذَا نَفْسِي تُرِيدُ تَنْقَلًا *** وَتَحْتُنِي دَوْمًا عَلَى التَّرْحَالِ
 وَ أَنَا أَسْفَهُ رَأْيَهَا وَأَجِيبُهَا *** تَسْلِيَةً مَا حِيلَةَ الْمُخْتَالِ
 وَالْحَطْبُ قَدْ عَمَّ الْبِلَادَ بِأَسْرِهَا *** فِيمَا أَظُنُّ وَمَا فَشَى مَنْ قَالَ
 لَا غَرَوْ أَنْ أُوذِيْتُ قَبْلِي قَدْ أُذِيْتُ *** مَنْ فَاتَنِي بِالْعِلْمِ وَالْأَعْمَالِ
 لِي أُسْوَةٌ فِي الْهَاشِمِيِّ وَالْإِلِهِ *** وَالصَّالِحِينَ بِسَالِفِ الْأَجْيَالِ
 لَا تَجْزَعِي يَا نَفْسُ مِنْ وَقَعِ الْقَضَا *** وَ اسْتَشْعِرِي صَبْرًا عَلَى الْأَوْجَالِ
 وَاعْظِي الْجُهُونَ عَلَى الْقَذَا وَ اسْتَعْصِمِي *** بِالْدَائِمِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْعَالِي

1:2:2 هجاء الشاعر دفاعًا عن شيخه وأهل الجبل

تناول الشاعر أيضًا في قصائده قضية السخرية والاستهزاء بالآخرين، وما ينتج عنها من أضرار تؤذي الأفراد والجماعات، قال تعالى: رَبِّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرِ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [31].

فأنشد الشاعر أبياتًا يرد فيها على سخرية واستهزاء "أبو نصر الشامي" من شيخه "عبد الله الباروني" ومن أهل الجبل ونسائه، حيث كان أبو نصر الشامي يشغل منصب القاضي في نالوت إحدى قرى جبل نفوسة، فتعرض للشيخ عبد الله الباروني بالسخرية والاستهزاء من علمه و مكانته العلمية، كما تعرض لأهل الجبل و سخر من طريقة عيشهم، وحتى نساء الجبل لم يسلمن من سخريته واستهزائه [32] مما أوجب على الشاعر الرد عليه قائلا [33]:

قُلْ لِمَنْ عَنِ ذُرْوَةِ الْعَقْلِ غَفْلٌ *** هَلْ يَنَالُ الْفَضْلَ إِلَّا مَنْ عَقَلَ
 إِنَّ لِلْعَقْلِ عِلْمَاتٌ وَلَمْ *** أَرَى مِنْهَا خِصْلَةً فَيْكَ تَدُنْ
 إِذْ دَلِيلُ الْعَقْلِ بَرٌّ وَثَقَى *** وَدَلِيلُ الْعَقْلِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 لَا تَطُنَّ الْعِلْمَ يُعْلِيكَ بِلا *** عَمَلٍ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَحَلْ
 وَ اقْضِ بِالْعَدْلِ وَلَا تَعْدِلْ فَهَدْ *** خَابَ مَنْ عَنِ الْعَدْلِ عَدَلْ

يخاطب الشاعر في مطلع قصيدته "أبو نصر الشامي" موضحًا له أن ما فعله بعيد عن العقل وتبين له أن من علامات العقل البر والتقوى والعمل الصالح. ثم يمضي في الدفاع عن شيخه الذي اتهمه خصمه باللحن في القول فيقول [34]:

قُلْ لِمَنْ أَعْرَبَ فِي أَقْوَالِهِ *** وَعَنْ الْمُقْصُودِ بِالذَّاتِ غَفْلٌ
بَعْضُ عِلْمِ النَّحْوِ يَكْفِي مِثْلَ مَا *** يُضِلُّحُ الْعَيْشَ مِنَ الْمِلْحِ الْأَقْلُ
حُسْنُ الْأَفْعَالِ تُنْجِي يَوْمَ لَا *** يَجِدُ الْإِنْسَانَ إِلَّا مَا فَعَلَ
إِنْ حَسِبْتَ اللَّحْنَ فِي الْقَوْلِ خَطَاءً *** فَخَطَأُ الْفِعْلِ عَنِ النَّقْصِ أَدَلُّ
يَسْأَلُ اللَّهُ الْوَرَى عَنِ فِعْلِهِمْ *** وَعَنْ الْإِعْرَابِ قَوْلًا لَا يَسَلُّ

الشاعر في هذه الأبيات يدافع عن شيخه مبيِّنًا أنه لا يلحن لحنًا فاحشًا وإنما قد يسهو رغم

رد الشاعر "عبد الله الباروني" على أبو نصر الشامي بقصيدة قال في مطلعها [35]:

يَا أَبَا النَّصْرِ تَجَدَّدْ وَاصْطَبِرْ *** فَإِذَا الْبَيْنُ انْتَهَاءً وَأَجَلٌ
سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِالْقُرْبِ إِلَى *** مَسْقَطِ الرَّأْسِ وَمَعَادِ الْأَهْلِ
حِكْمَةُ الْمَوْلَى جَرَتْ فِي خَلْقِهِ *** بَاغْتِرَابٍ وَافْتِرَاقٍ وَنَقْلٍ

إلا أن الشاعر "عمرو عيسى التدميرتي" لم يتمالك نفسه في الرد عليه أيضا، والدفاع عن

شيخه، فأنشد أبياتًا يصف فيها رد شيخه له معرفا بمكانته شيخه فقال [36]:

إِذْ عُبِيدُ اللَّهِ فَاجَأَكَ بِمَا *** بِهِ فَاجَأَكَ مِنَ اللَّفْظِ الْجَزْلِ
جُمَلًا كَالسَّمِّ تُؤْذِي وَهِيَ مِنْ *** لَيْنِهَا يَحْسَبُهَا الْغُرُّ عَسَلٌ
ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ مَنْ *** صِيَّتِهِ نَارٌ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ
ذَلِكَ إِنْ نَازَلَ يَوْمًا قِرْنَهُ *** وَرَأَى لَامَتَهُ الْقَرْنُ جَفَلٌ
وَكَذَا حَالُكَ مَعَهُ حَالٌ مَنْ *** يَدْعِي الْبَاسَ وَإِنْ لَاقَ فَشَلٌ
لَا تَحَلْ مَا قَالَ مَدْحًا إِنَّمَا *** ذَلِكَ تَمْليحٌ فَفَقْ وَضَعِ الْمَثَلُ
مَدْحُ الْإِنْسَانِ بِوَصْفٍ لَمْ يَكُنْ *** فِيهِ هَجْوٌ إِنْ تَكُنْ مِمَّنْ عَقَلُ

ويختتم الشاعر بهذه الأبيات دفاعه عن شيخه، ويتنقل للرد على سخريته "أبي نصر الشامي"

بنساء الجبل وبجمالهن فقال الشاعر [37]:

قُلْ لِي أَنِي لَكَ عِلْمٌ بِالذِّي *** قُلْتُ فِي وَصْفِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَبَلِ
إِذْ تَمَشَدَقْتُ بِإِفْكِ بَيْنِ *** وَتَفَوَّهْتُ بِفُحْشٍ لَمْ يُقَلْ
أَرَأَيْتِ الْكُلَّ قُلْ لِي يَا فَتَى *** أَمْ بِبَعْضِ النَّوْعِ عَنْهُنَّ تَسْتَدِلُّ
فَقِيَاسُ الْمِثْلِ وَاهٍ وَادْعَاءُ *** رُؤْيَا الْمَجْمُوعِ يَا أَبَهُ الْعَقْلُ

يستفسر الشاعر في هذه الأبيات من خصمه أنّ له العلم بنساء الجبل، حتى يقول ما قال من فحش الكلام في حقهنّ، ويسأله إن كان قد رأى كل نساء الجبل، أم استدل على بعضهنّ، وأطلق حكمه على الكل، فإن قاس على بعضهن فقياسه وإه وضعيف، وإن رأى الجميع فالعقل يأبى ذلك. ويدرك الشاعر أن ما صدر من "أبو النصر الشامي" من سخرية واستهزاء بنساء أهل الجبل عامة ونساء نالوت خاصة، إنما كان لضعف إيمانه فأراد الشاعر أن يذكره فأنشد قائلاً [38]:

أَتَذَمُّ الطِّينَ أَمْ صَانِعَهُ *** وَيُكِّ جَدِّدَ تَوْبَةَ فَالْتَعَلُّ زَلْ
ثُمَّ مَعَ هَذَا فَنَالُوْتُ بِهَا *** كِسْوَاهَا مَنْ عَنِ الوَصْفِ تَجَلْ
تَسْلُبُ اللَّبَّ إِذَا عَايَنَتْهَا *** تَتَخَنِي طَوْرًا وَ طَوْرًا تَعْتَدِلْ
حُسْنُهَا يَكْفِيكَ عَن تَزِينِهَا *** بِحَلِي وَنَفِيسٍ مِّنْ حُلْنِ
يَكْسِفُ الشَّمْسَ مَحْيَاهَا إِذَا *** مَا بَدَا تَحْتَ ظِلَامِ مُنْسَدِلْ

نجد في البيت الأول حكمة وموعظة تكاد تكون مقالا يقال لكل من يسخر من خلق الله، ثم ينتقل الشاعر لوصف جمال المرأة النفوسية؛ فهي تسلب العقل بمجرد النظر إليها، فجمالها الطبيعي يغني عن زينتها بالحلي، كما أن جمال وجهها يكسف الشمس إذا ظهر من تحت سواد شعرها. ثم ينتقل الشاعر إلى الدفاع عن أهل الجبل ردًا على أبي نصر الشامي الذي امتدح الشام وذم وسخر من أهل الجبل قائلاً [39]:

تَدَمُّ العَيْشَ بِقَطْرِ أهْلُهُ *** أهْلُ زُهْدٍ وَاِكْتِفَاءٍ بِالأَقْلِ
لَهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ عِلْمٌ *** إِنْ تَكُنْ تَجْهَلُهُمْ عَنْهُمْ فَسَلْ
أَهْلُ جِدِّ وَاجْتِهَادٍ سِرُّهُمْ *** مُسْتَبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَجْتَهِلْ
لَا يُطِيقُ الحَصْمُ انْكَارًا لَهُ *** وَكَرَامَاتٌ عَلَى الفَضْلِ تَدُلْ
يَكْفِي مَنْ أَنْصَفَ مِنْهَا أَنَّهُمْ *** أَسْلَمُوا طَوْعًا بِلا سَيْفِ قَتْلِ

يعرف الشاعر في هذه الأبيات بأهل جبل نفوسة فيصفهم بأهل الزهد وأنهم أهل جد واجتهاد. ثم يختم الشاعر قصيدته بأبيات يخاطب فيها نفسه، ويدعوها إلى الصبر والحذر من الشيطان وألا يكون وعظه للآخرين وهو لم يتعظ فقال [40]:

يَا أَبَا عُمَانَ لَا تَأْسَ لِمَا *** قَالَهُ الْأَفَّاكُ وَاضْبِرْ وَ اخْتَمِلْ
 فَالَّذِي قَدَمْتَ كَافٍ فَاقْتَصِدْ *** وَأَقْصِرِ الْقَوْلَ عُمَيْرَ لَا تُطِنِ
 وَأَقْمِعِ النَّفْسَ وَ سُلْطَانَ الْهَوَى *** وَاحْذِرِ الشَّيْطَانَ وَالْخَلْقَ اعْتَزِلْ
 وَاسْعِ لِلْأُخْرَى وَدَعْ دَارَ الْفَنَاءِ *** وَاكْتَفِي مِنْهَا بِمَا قَلَّ وَحَلْ
 لَا يَكُنْ وَعْظُكَ لِلْغَيْرِ وَلَمْ *** تَتَّعْظَ وَيَحْكَ مَنْ قَالَ فَعَلْ

الخاتمة

لقد اكتملت هذه الدراسة بمباحثها ومطالبها لنصل إلى خاتمتها محاولين أن نرز على أهم النتائج التي تم التوصل إليها في النقاط التالية:

- 1_ تعد البيئة التي ترعرع ونشأ فيها الشاعر في بداية حياته ذات دور فاعل في أسلوبه، ومعانيه من خلال تشبعه بمبادئ الدين الإسلامي، وهذا يبدو واضحاً في قصائده الشعرية، فالهجاء الشعري حمله الشاعر لتذكير العامة بأصول الدين ويحثهم على مكارم الأخلاق.
 - 2_ استطاع الشاعر أن يواكب شعراء عصره من حيث اللغة، الأسلوب، والصورة الشعرية.
 - 3_ صور لنا أدب شاعرنا صورة واضحة لمرحلة من مراحل حياتنا الفكرية، والأدبية تظهر في كثير من جوانبها ملامح من حياتنا الاجتماعية، والثقافية في فترة من فترات تاريخ شعبنا.
- وفي نهاية هذه الدراسة نأمل من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد حققنا بها خدمة لأدبنا الليبي ولو بقسط يمكن في التعريف بأحد رواده.

المصادر والمراجع

- [1] ع. ع. أحمد، منعطفات الإصلاح في شعر عمرو بن عيسى التدميرتي، المجلد 1، تدميرة: منشورات مجلة المؤتمر، 2007.
- [2] أ. أ. الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المجلد الأول، ليبيا تونس: الدار العربية للكتاب، 1978.
- [3] ع. أ. ب. ر. السياب، رحلتي إلى وادي ميزاب و جبل نفوسة، 2011، p. 44.
- [4] ع. أ. عيسى، منعطفات الإصلاح في شعر عمرو عيسى التدميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007.
- [5] أ. إ. ص. التدميرتي، Interviewee، [مقابلة]. 2013 12 28.
- [6] دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتب، 1977.
- [7] ع. أ. عيسى، منعطفات الإصلاح في شعر عمرو عيسى التدميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007.
- [8] أ. إ. ص. التدميرتي، Interviewee، [مقابلة]. 2014 1 19.
- [9] ع. أ. عيسى، منعطفات الإصلاح، المجلد الأول، منشورات مجلة المؤتمر، 2007، p. 26.
- [10] ع. أ. عيسى، منعطفات الإصلاح، المجلد الأول، منشورات مجلة المؤتمر، 2007، p. 34.
- [11] م. ب. م. ب. ع. وآخرون، معجم أعلام الإباضية، المجلد 2، دار الغرب الاسلامي، 2006.
- [12] دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتب، 1977، p. 299.

- [13] ا.إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.
- [14] ا.إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.
- [15] ا.إ. صالح، Interviewee، [مقابلة]. 19 1 2014.
- [16] دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس: دار الكتب، 1977.
- [17] ع.أ. عيسى، منعطفات الاصلاح في شعر عمرو عيسى التندميرتي، منشورات مجلة المؤتمر، 2007، p. 31.
- [18] مجلة الدعوة الإسلامية، 1995، pp. 300-301.
- [19] س. مليطان، معجم الشعراء الليبيين، المجلد الاولي، دار مداد للنشر و التوزيع، p. 39.
- [20] ع.ع. التندميرتي، ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: مطبعة الاسلام، 1324 هـ.
- [21] ع.ع. التندميرتي، ديوان القلائد الدرية في مدح خير البرية، القاهرة: مطبعة الاسلام، 1324 هـ.
- [22] م.ع. علي، دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، جامعة المفتوحة.
- [23] م.ع. علي، الأدب الاسلامي - عصر النبوة والراشدين وبنو أمية، المجلد 3، كلية الدعوة الإسلامية، 1994، pp. 46-47.
- [24] د.م.ع. علي، الأدب الإسلامي عصر النبوة والراشدين و بنو أمية، كلية الدعوة الإسلامية، 1994، p. 133.
- [25] ع.ا.ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية .
- [26] ع.ا.ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الل الباروني، القاهرة : دار الطباعة المحمدية.

- [27] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [28] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [29] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [30] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [31] قرآن الكريم برواية قالون عن نافع.
- [32] ا. ا. ص. التدميري، Interviewee، [مقابلة]. 2014 1 19.
- [33] ع. ا. ي. الباروني، ديوان عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [34] ع. ا. ي. الباروني، ديوان عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [35] ع. ا. ي. الباروني، ديوان الشاعر عبد الله الباروني، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [36] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [37] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [38] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [39] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- [40] ع. ا. ي. الباروني، ديوان، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

تقسيمات الحديث عند العلامة أحمد بن سعيد الشماخي

دراسة استقرائية تحليلية مقارنة

د. أحمد بن يحيى بن أحمد أستاذ مشارك / جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

abuyahya101@gmail.com

ملخص:

تعنى هذه الورقة العلمية بتقسيمات الحديث عند العلامة أحمد بن سعيد الشماخي من خلال مختصر العدل وشرحه؛ ورغم دوره العلمي الكبير لكن لم يجد هذا الجانب عناية بحثية به؛ لذلك جاءت هذه الورقة ساعية لإبراز مفهوم السنة وتقسيمها للمتواتر والآحاد عند الشماخي وبيان أقسام الحديث المقبول لديه أو الضعيف وبيانه لهما، واستعمل الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي والمقارن، وهدف الورقة هو تسليط الضوء على المصطلحات الحديثية وتقسيم الحديث عند الشماخي وإبراز إضافات له في هذا الفن خاصة في فكر مدرسته الإباضية؛ وقد كشفت تطوير الشماخي لمفهوم السنة الاصطلاحي عند المدرسة الإباضية ومساهمته في بلورة كثير من المصطلحات الحديثية وتمازجت المصطلحات حديثيا وفقهيا في تراث الشماخي معبرة عن منظور فقهي حديثي معاً.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاة، وبعد فهذه ورقة علمية تعنى بتقسيمات الحديث عند العلامة الشماخي أبي العباس أحمد بن سعيد (1522/928) من خلال مختصر العدل وشرحه؛ وقد ربط البحث بينه والعالمين الوارجلاني عمرو التلاتي.

مشكلة البحث وأسئلته:

كان العلامة البدر الشماخي إماماً جليلاً في العلم؛ ترك بصماته وآثاره الواضحة في عدد من العلوم؛ ومن ذلك جوانب تتعلق بعلم الحديث والمصطلح؛ غير أن بعض هذه الجوانب التي أثر فيها الشماخي لم تجد العناية البحثية المعاصرة الكافية؛ لذلك جاءت هذه الورقة لمعالجة هذه الإشكالية من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة المرتبة وفق مباحث هذه الورقة وهذه الأسئلة هي كالاتي: ما مفهوم السنة وما وجه تقسيمها للمتواتر والآحاد عند الشماخي؟

وما هي أقسام الحديث المقبول عند الشماخي؟ وما أقسام الحديث الضعيف عنده؟

أهداف البحث هي:

- 1- التعرف على مفهوم السنة ووجه تقسيمها للمتواتر والآحاد عند الشماخي. 2- التعرف على أقسام الحديث المقبول عند الشماخي. 3- بيان أقسام الحديث الضعيف عنده.

منهج البحث:

سوف يستعمل الباحث المنهج الاستقرائي بجمع المصطلحات الحديثية وتقسيم الحديث عند العلامة الشماخي والمنهج الاستنباطي والتحليلي في دراسة وعرض هذه المصطلحات واستعمال المنهج المقارن أحيانا وفق سعة المقام.

مخطط الدراسة:

يشتمل البحث على ثلاثة مباحث: الأول: مفهوم السنة وتقسيمها للمتواتر والآحاد. الثاني: من أقسام الحديث المقبول. الثالث: الحديث الضعيف وأقسام أخرى للحديث. ويأمل الباحث أن يكون قد وفق في تحقيق هدف الورقة من تسليط الضوء على تقسيمات الحديث عند الشماخي وإبراز إضافات له في هذا الفن خاصة في فكر مدرسته الإباضية.

الكلمات المفتاحية: الشماخي، السنة، مصطلح الحديث، الصحيح، الضعيف، المتواتر، الآحاد.

المبحث الأول: مفهوم السنة وتقسيمها للمتواتر والآحاد.

أولاً: مفهوم السنة:

رغم ظهور الدلالة الأصولية لمصطلح السنة عند الإباضية منذ فترة مبكرة فإن بروز تعريف يكشف هذه الدلالة ويظهرها جاء متأخراً، وأول تعريف عثرنا عليه كان لأبي العباس الشماخي⁽¹⁾ وقد بين أن السنّة في اصطلاح أهل الأصول "ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير"⁽²⁾،

¹ الشماخي أبو العباس بدر الدين أحمد بن سعيد (1522/928) ، ولد بجبل نفوسة بليبيا، علامة أصولي، وفقه مؤرخ، أخذ العلم عن صالح بن نوح التندميرتي، وغيره، عني بالتأليف فأجاد، كتبه كثيرة أهمها: شرح العدل والإنصاف، وسير المشايخ، وإعراب القرآن الكريم. ر: الشماخي: مقدمة السير، السالمي عبد الله بن حميد، اللعة المرضية، ص28، معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، 125/3، 130.

² الشماخي أحمد بن سعيد، شرح مقدمة التوحيد ، ص92.

ويزيد عمرو التلاتي ذلك إيضاحاً فيقول: "السنة أقوال مُحَمَّد ﷺ وأفعاله وهمّه وعزمه وتقديره"⁽³⁾، ويذكر نور الدين السالمي أنّ السنة في اصطلاح المحدثين والأصوليين "ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير"⁽⁴⁾،

ونجد أبا ستة محمد بن عمر في حاشيته على مختصر العدل عند حديثه عن المندوب باعتباره قسماً من أقسام الحكم كما أورده الشماخي في الأصل؛ يذكر أن المناسب للمصنف -أي الشماخي- حينما اقتصر على المندوب وأراد به ما ليس بواجب ممّا يثاب على فعله، أن يقول: "والمندوب والمستحبّ والتطوّع والسنة مترادفة، ولعله يعني إنما لم يتعرض لذلك لأن كلام أصحابنا في كتب الفقه يشعر بعدم الترادف"⁽⁵⁾، ويبين أبو ستة في كتاب آخر الجمع بين ما قيل من أنّ الاستطابة واجبة وسنة فيرى أنها سنة واجبة⁽⁶⁾.

وأول تعريف فقهي للسنة نجده عند الشماخي؛ فقد قال: "أما في اصطلاح الفقهاء فهي المندوب أو العبادات النافلة وما ليس بواجب؛ أو ما يقابل البدعة"⁽⁷⁾، ثم نجد عند عمرو التلاتي بيان السنة المؤكدة في تعريفه لها بأنها "المطلوبة طلباً قوياً غير واصل إلى الجزم"⁽⁸⁾، ويوجز السالمي تعريف الشماخي المتقدم بقوله: "أنها العبادات النافلة"⁽⁹⁾. وتعريف الشماخي والسالمي يدوران حول النفل أو المندوب أو غير الواجب لكن الحصر على العبادات فيه نظر، وكذلك التعرض للبدعة عند الشماخي استطراد لا حاجة له هنا. ونجد لعمرو التلاتي أيضاً تعريفاً أكثر عمومية؛ إذ ذكر فيه أن السنة في عرف أهل الشرع "الأحكام المبعوث بها النبي الكريم ﷺ"⁽¹⁰⁾، وهذا التعميم يدخل فيه الواجب مع العلم أنه لا محل له هنا، وذلك لأن الأحكام فيها الواجب وغيره. ويرتبط بمفهوم السنة معنى الخبر؛ فحد الخبر هو ما يدخله الصدق والكذب عند الوارجلاني⁽¹¹⁾، أو ما

³ التلاتي عمرو بن رمضان ، العقد النضيد ، رقم و/40.

⁴ السالمي عبد الله بن حميد ، شرح طلعة الشمس ، 2/2.

⁵ أبو ستة محمد بن عمر ، حاشية مختصر العدل،(ص73).

⁶ أبو ستة محمد بن عمر ، حاشية كتاب الوضع ، ص146.

⁷ الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ص92.

⁸ التلاتي عمرو بن رمضان ، رفع التراخي في مختصر الشماخي ، ص72.

⁹ السالمي، شرح طلعة الشمس، 2/2.

¹⁰ التلاتي عمرو بن رمضان ، نتيجة الأفكار في تعليق عقيدة الأبرار، ص36.

¹¹ الوارجلاني أبو يعقوب، العدل والإنصاف، 1/139.

احتمل الصدق⁽¹²⁾ عند سعيد الجربي، أو ما احتمل الصدق أو الكذب عند الشماخي⁽¹³⁾، أو ما احتمل الصدق والكذب لذاته عند التلاتي⁽¹⁴⁾، ونجد القطب محمد اطفيش يحده بقوله: "والخبر الذي احتمل الصدق والكذب من جهة المُخْبِرِ أو من جهة المُخْبَرِ عنه"⁽¹⁵⁾.

ثانيا المتواتر:

معنى المتواتر لغة واصطلاحاً:

ورد التواتر لغة بمعنى التتابع مطلقاً، أو بمعنى تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات، قال الليثاني: "تواترت الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مُصْطَقَةً" وقال الأصمعي: "واترت الخبر: أتبعته وبين الخبرين هُنَيْهَةٌ"، وأصله من الوتر، وهو الفَرْدُ، فسَمِيَ المتعدد متواتراً إذ جُعِلَ كل واحد بعد صاحبه فَرْداً فَرْداً" ويشترط توالي التواتر لكل الطبقات (16). ويعرفه أبو العباس الشماخي بأنه "خبر جماعة عن جماعة يفيد العلم بنفسه العلم بصدقه"⁽¹⁷⁾، ولم يخرج عمرو التلاتي عن تعريفه واقتصر في حاشيته على شرح التعريف (18)

شروط التواتر:

اشترط علماء الإباضية - والشماخي أحد أعلامهم - شروطاً لا بدّ من وجودها في المتواتر حتى ينال درجته ومنزلته وهي كالاتي:

¹² الجربي سعيد بن علي ، فتاوى فقهية، ص 6.

¹³ الشماخي أحمد بن سعيد ، شرح مختصر العدل والإنصاف، ص 429.

¹⁴ التلاتي عمرو بن رمضان الحربي رفع التراخي في مختصر الشامخي (مخ)، ص 184.

¹⁵ اطفيش محمد بن يوسف، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 429.

¹⁶ ابن منظور، لسان العرب، مادة وتر، 5 / 275.

¹⁷ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 434.

¹⁸ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 186.

1-العقل وهو شرط مهم في قبول كلّ الأخبار لكن الوارجلاني جعله شرطا للمتواتر لمزية التأكيد عليه؛ إذ المجانين والصبيان والذين لا يعقلون لا يوثق بأخبارهم⁽¹⁹⁾، وقد أكد على ضرورته وشرطه الشماخي⁽²⁰⁾، وجرى على تأكيده عمرو التلاتي في شرحه لكلامه⁽²¹⁾.

2- المشاهدة بحيث يستند خبر الناقلين عليها؛ فأخبار من لم يشاهد لا يوثق بها⁽²²⁾، فلا بدّ أن يكون الرواة في خبرهم مستندين إلى المشاهدة، مثل الإخبار عن البلدان والملوك والأصوات وغيرها؛ ويخرج بذلك الإخبار عن الأمور العقلية؛ مثل لو أخبر جمع كثير من جهات العالم المختلفة أنّ العالم حادث ومثيل ذلك، فخيرهم يخرج عن مفهوم التواتر المصطلح عليه؛ وذلك لأنّ الأمور العقلية مما يمكن النظر فيها لكل عاقل، وليس لكثرة المخبرين فيها أي أثر⁽²³⁾.

وقد عبّر الشماخي وغيره عن المشاهدة بما هو أعمّ وهو الحسّ؛ فنذكر أنّ من شرطه استناده إلى الحسّ⁽²⁴⁾، على أن عمرو التلاتي فسّر الحسّ الذي ذكره الشماخي أيضا بالمشاهدة وإن عمّم تفسيره في قوله: "أي المشاهدة بأن يكون خبرهم عن أمر محسوس بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة، كجود حاتم ولو في الطبقة الأولى فيكون عن حسّ، بواسطة الأولى"⁽²⁵⁾، وفي تقديري أنّ تعبير الشماخي بالحسّ أجمع وأشمل من المشاهدة، والحواسّ التي أشار إليها التلاتي مجرد أدوات للحسّ. وينطلق القطب اطفيش إلى مجال أرحب بالحسّ حين يذكر أن المراد بالمحسوس هو ما كان محسوسا ولو بواسطة أو محسوسا في الأصل، فيشمل الطبقات المتعددة، ويمثل لذلك بما إذا رأى مكة جماعة، وأخبروا جماعة بوجودها، وتلك الجماعة أخبروا جماعة، فإنّه يصدق عليه باعتبار ما بعد الطبقة الأولى أنه محسوس بواسطة الطبقة الأولى، وفي الأصل أي بالنظر للأولى⁽²⁶⁾.

¹⁹ الوارجلاني، العدل والإنصاف، 1/ 139.

²⁰ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 434.

²¹ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 187.

²² م.س، 1/ 139.

²³ السالمي، شرح الطلعة 10/2، الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 434، التلاتي، رفع التراخي، ص 187.

²⁴ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 434.

²⁵ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 187.

²⁶ اطفيش، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 431.

3- العدد وضابطه أن يكون من عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويكونون كثرة عن كثرة إلى من شاهد ورأى ممن يؤمن عليه الخطأ⁽²⁷⁾، ويبقى تحديد العدد محلّ اجتهاد ونظر، وقد أكدّ السوفي أنه لا حدّ للعدد في قوله: "ليس للتواتر عندنا حدّ"⁽²⁸⁾ وهذا التأكيد نصّ عليه الملتشوطي أيضا قبله⁽²⁹⁾، ونلمس من عبارة الشماخي التأكيد على ذلك بقوله: "وشروطه العدد غير المتواطئين على الكذب، المستوون في الطرفين والوسط...خلافا لمن قال بتعيين العدد"⁽³⁰⁾.

وقد شرط الملتشوطي والسالمي أن لا ينزل العدد إلى أربعة؛ وذلك لأن ما نقله الأربعة ليس بمتواتر قطعاً؛ إذ الأربعة ليس بكثرة⁽³¹⁾، ثم إنه لا يحقق الشرط والصفة في الناقلين، إذ لا بدّ أن يكون عدد الناقلين لا يمكن في العادة أن يتواطأ مثلهم على الكذب، على أن هذه الصفة مرتبطة بأحوالهم من كثرة أو غيرها⁽³²⁾. ويعلق القطب اطفيش على قول بعضهم يستحيل تواطؤهم على الكذب عقلاً؛ بأن ذلك إما وهم أو يؤول بأن العقل يحكم بالاستحالة بالنظر إلى العادة لا بالنظر إلى الجواز والإمكان العقلي مجرداً عن العادة⁽³³⁾. ونجد عند البعض التأكيد على شروط أخرى مثل: 4- أن يتوافق الطرفان في الخبر كما ينكر اطفيش⁽³⁴⁾، وهذا الذي ذكره اطفيش تقدّمه الشماخي في الإشارة إليه بقوله: "وأن يستوي طرفا المخبرين، ووسطهم أي يبلغ كل من الأعلى والأوسط والأخير عدد التواتر"⁽³⁵⁾، ويعلق عمرو التلاتي على كلام الشماخي في شرحه بقوله: "في الطرفين أي بالنظر إلى الطبقة الأولى والأخيرة وبالنظر إلى الوسط أي ما بين الطبقة الأولى والآخرة من الطبقات بأن يكونوا ذلك الجمع من كل الطبقات، من هذا يتبين أن التواتر في الطبقة الأولى قد يكون أحاداً فيما بعدها...وبهذا علمت أن ذاك الاستواء شرط في إفادة التواتر العلم لا

²⁷ الوارجلاني، العدل والإنصاف، 1/ 139.

²⁸ السوفي، السؤالات، (مخ)، ص 116.

²⁹ الملتشوطي، الأدلة والبيان، (مخ مج)، ص 295.

³⁰ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 434.

³¹ الملتشوطي، الأدلة والبيان، (مخ مج)، ص 295، السالمي، شرح الطلعة 8/2.

³² السالمي، شرح الطلعة، 8/2-9.

³³ اطفيش، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 430.

³⁴ اطفيش، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 430.

³⁵ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 436.

في وجوده كما هو ظاهر كلام المصنف رحمه الله-يريد الشماخي- والأولى أن يقول المستوي طرفاهم ووسطهم كما يفيد كلامه في الشرح⁽³⁶⁾.

5- يشترط في التواتر الداخل في المفهوم الاصطلاحي في إفادته الاضطرار؛ أن يكون هذا الاضطرار ضرورياً ومحتاجاً إليه في علم من أخبر به، وفي هذا احتراز عن أمر لم يضطروا إلى العلم به كإخبار اليهود عن قتل المسيح، وبلوغ المخبرين عدد من يستحيل تواطؤهم على الكذب، قال اطفيش: "بل هذا مذكور في الحدّ، وزاد أصحابنا أن لا يدعوهم - أي الرواة الناقلين - إلى تصحيح مذهب إلى ما تواطؤوا عليه"⁽³⁷⁾

6- عدم علم السامع بالخبر وعدم علم نقيضه⁽³⁸⁾

7- أن يكون المخبرون مع استنادهم إلى الحسن عالمين بما أخبروا به⁽³⁹⁾

حجية المتواتر وحكمه:

ذهب علماء الإباضية مثل جمهور الأمة (40) إلى أنّ المتواتر حجة، وأنه يوجب العلم والعمل، بل إنّ خبر التواتر يوجب العلم ضرورة⁽⁴¹⁾، ويؤكد على ذلك أبو المنذر بشير بن محمد⁽⁴²⁾، ويسمي أبو سعيد الكدمي علم التواتر علم الشهرة، ويقول: "إن علم الشهرة أوجب من علم العيان وأوجب من علم ما وعته الأذن من المتكلم باللسان"⁽⁴³⁾ ويقول أيضاً: "هذه الحجة أوجب العلوم وأثبتها وأوضحها محجة ولا نعلم في الإسلام أوضح من علم الشهرة لأنها توجب علم ما سلف من الدهور وما مضى عليه السنوات والشهور"، كما يسميه علم التواتر أيضاً⁽⁴⁴⁾، ويؤكد في كتابه

³⁶ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 187.

³⁷ اطفيش، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 430.

³⁸ م.س، ص 430.

³⁹ م.س، ص 430.

⁴⁰ حول حجية المتواتر. ر: الكتاني، نظم المتناثر، 12/1، السيوطي، تريب الراوي، 123/1.

⁴¹ ابن بركة، التعارف، ص 37.

⁴² الرحيلي بشير بن محمد، المحاربة، 3و.

⁴³ الكدمي، المعتبر 1-86-87.

⁴⁴ م.س، 1-86-87.

الاستقامة على علم اليقين المستفاد من التواتر (45)، ويذكر عمرو التلاتي الجربي أيضا أن التواتر يوجب العلم اليقيني (46).

إن العلم الحاصل من التواتر هو علم ضروري يحصل في النفس بداهة، لكن اختلف في العلم الحاصل أهو ضروري أم نظري فذهب كثيرون إلى أنه علم ضروري دون الحاجة إلى أي مقدمات نظرية كما نصّ على ذلك علماء الإباضية قديما وحديثا (47) ونجد أن الوارجلاني مع اتفاقه مع باقي علماء المذهب في حصول العلم الضروري، يفصل في ذلك؛ فيذكر أنّ معرفة من حصل له العلم بالخبر المتواتر من جهة الضرورة هي ضرورية، لكن من لم يسمعه إلا نادرا كان في حقه كسبيا، ومع ذلك فصفة الكسبية تكون على حدّ قوله ابتداء، ومن ثمّ يكون عنده ضروريا (48).

ويستدلّ الشماخي على إفادة المتواتر للضروري بما نجده من أنفسنا من العلم بوجود مكّة، وبغداد، والأنبياء، والرسول، والصحابة ضرورة، ويقول بعد ذلك: "يفيد العلم ضرورة مطلقا وهو قول الأكثر" (49)، ولكن يظهر من كلام الشماخي المتقدم أنّه لا يميل إلى الإطلاق في إفادة المتواتر العلم الضروري وأنه يحصل في النفس بداهة.

إن المتواتر يوجب العلم والعمل (50)، لكنه يثبت بنفسه وبذاته العلم لا بقريته، كما أن العلم المستفاد -كما تقدم ذكره- يقيني؛ أي إنّه علم اعتقاد غير قابل للتغيّر، يجزم بصدقه ومطابقة حكمه للواقع كما يعبر التلاتي (51)، يقول اطفيش: "المتواتر مجزوم به- أي مقطوع- ومفيد للعلم بلا قرينة متصلة (52).

ثالثا خبر الأحاد:

⁴⁵ الكدمي، الاستقامة، 1/112

⁴⁶ التلاتي، روضة المشتاق على زهرة الإشراق، (مخ) ص 38.

⁴⁷ ر: الكدمي، المعبر، 1-86، الوارجلاني، العدل، 2/7، 139، السالمي، شرح الطلعة، 2/12-13.

⁴⁸ الوارجلاني، العدل، 1/142.

⁴⁹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 435.

⁵⁰ الوارجلاني، العدل، 1/143، الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 435.

⁵¹ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 186.

⁵² اطفيش، جامع الشمّل في حديث خاتم الرسل، ص 435.

يشير لفظ الآحاد إلى الانفراد ويقال: "استأخذ الرجل: انفراد"⁽⁵³⁾، قال ابن منظور: "والأحد: بمعنى الواحد وهو أول العدد، تقول: أحد واثنان وأحد عشر وإحدى عشرة"⁽⁵⁴⁾، يقول أبو أحمد الكندي: "والآحاد جمع أحد كأبطال جمع بطل، وهمزة أحد مبدلة من واو الواحد، وأصل آحاد: آحاد بهمزتين، أبدلت الثانية ألفا تخفيفاً كأدم وأصله آدم"⁽⁵⁵⁾ وحده الشماخي بقوله: "والآحاد غير المتواتر"⁽⁵⁶⁾ ويعرف التلاتي الآحاد بقوله: "والخبر الآحاد هو خلاف المتواتر وهو خبر من لا يفيد خبره بنفسه العلم بصدقه واحداً كان راويه أو أكثر"⁽⁵⁷⁾

⁵³ ابن منظور، لسان العرب، 3/ 70.

⁵⁴ م.س، 3/ 70.

⁵⁵ الكندي إبراهيم، الأدلة النصية، ص146.

⁵⁶ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص439.

⁵⁷ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص189.

أقسام خبر الواحد:

يقسم الإباضية خبر الأحاد إلى مستفيض وغير مستفيض، ومنهم من يسمّى المستفيض بالمشهور، وقد حدّ الوارجلاني وسعيد الجربي الخبر المستفيض بما نقله الصحابة عن رسول الله ﷺ واستفاض به الخبر، وأنه دون المتواتر⁽⁵⁸⁾، يقول القطب اطفيش: "والمستفيض من الأحاد"⁽⁵⁹⁾، وعرف الشماخي الخبر المستفيض بأنه ما زاد على ثلاثة وتلقته الأمة بالقبول⁽⁶⁰⁾، كما يعرفه التلاتي بمثل تعريفه فيقول "خبر زاد رجال نقله أي روايته أو ناقلوه على ثلاثة رجال وتلقته الأمة بالقبول"⁽⁶¹⁾ كما يعرفه التلاتي بمثل تعريفه فيقول "خبر زاد رجال نقله أي روايته أو ناقلوه على ثلاثة رجال وتلقته الأمة بالقبول"⁽⁶²⁾

يقول أبو يعقوب الوارجلاني: "وأما أخبار الأحاد فعلى ضربين: ضرب نقلته الصحابة عن رسول الله ﷺ واستفاض به الخبر وهو دون المتواتر، فبعض قصره إلى المسند وبعض جعله من نفس المتواتر حين كانت فيه مزية استفاضة"⁽⁶³⁾

ويفصل هذه العبارة سعيد الجربي بقوله: "وأخبار الأحاد على ضربين، ضرب نقلته الصحابة واستفاض به الخبر دون التواتر، فبعض عزاه إلى المسند الصحيح ما نقلته الثقات عن الثقات من طريق أو طرق إلى رسول الله ﷺ، لم يدخله وهن من جهة السند ولا من جهة المتن، ولا ذكر فيه مجهول ولا ضعيف ولا مختلف فيه، فالمتواتر يوجب العلم والعمل وهذا العمل دون العلم"⁽⁶⁴⁾، وقد أشار الوارجلاني والجربي إلى الضرب الثاني وهو ما دون المستفيض من الأحاد⁽⁶⁵⁾.

حكم خبر الأحاد وحجّيته:

⁵⁸ الوارجلاني، العدل 142/2، سعيد الجربي، جوابات الجربي(مخ)، 124 و.

⁵⁹ اطفيش، جامع الشمل في حديث خاتم الرسل، ص 435.

⁶⁰ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 439.

⁶¹ التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 189.

⁶² التلاتي، رفع التراخي، (مخ)، ص 189.

⁶³ الوارجلاني، العدل 142/2.

⁶⁴ الجربي سعيد بن علي فتاوى فقهية(مخ)، ص 28.

⁶⁵ الوارجلاني، العدل 142/2، الجربي سعيد بن علي فتاوى فقهية(مخ)، ص 28.

ذهب الإباضية إلى الاحتجاج بخبر الأحاد في المسائل العملية، وأنه موجب للعمل، ولم يقبلوا الاحتجاج به في المسائل الاعتقادية، وذهبوا إلى أنه لا يوجب العلم (66).

ويستدلّ الوارجلاني على وجوب الأخذ بخبر الواحد (67) بحديث عمر رضي الله عنه: (ما أدري ما أصنع بالمجوس، أنشد الله إمرءاً سمع فيهم شيئاً إلا رفعه إلينا، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهد أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب (68)، فأخذ عمر الجزية منهم وأقرهم على دينهم وفرّق بينهم وبين أهل الكتاب فيما سوى ذلك).

ويزيد الوارجلاني هذا الأمر تأكيداً باستدلاله إذ يقول: "الدليل الدالّ على قبول خبر الواحد توجيه السعاة إلى الصدقات بكتبه وأخباره وأوامره، وقبول أهل النواحي عن الرسل بما جاءت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (69). ويزدّ الوارجلاني على من خصّ التواتر بالحجية بأنّه من لازم تعليق الحجية على التواتر فقط إبطال جلّ أحكام الشريعة لعدم التواتر في جلّها، وإذا أبطل أخبار الأحاد فقد أبطل ما بنيت الشريعة وأحكامها عليه (70).

وفي مسألة قبول خبر الواحد في المسائل التي تعمّ بها البلوى يقول الشماخي "اعلم أنّ رواية العدل الواحد تقبل مطلقاً، أي سواء كان ممّا تعمّ فيه البلوى، أو في الحدّ، أم غيرهما" (71)، ويستشهد الشماخي بأمثلة لمثل هذا القبول خاصة برجوع الصحابة إليه - أي خبر الواحد-، في مواطن

⁶⁶ ر: ابن بركة الجامع 489/1، الوارجلاني، العدل 153/1، 154، السالمي، شرح الطلعة 15/2-20.

⁶⁷ الوارجلاني، العدل 153/1.

⁶⁸ أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، 278/1 (616).

⁶⁹ الوارجلاني، العدل 153/1.

⁷⁰ الوارجلاني، العدل، 78-79.

⁷¹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 465.

كثيرة، مثل خبر السيِّدة عائشة (إذا التقى الختانان وجب الغسل) (72)، وخبر أبي هريرة في غسل اليدين عند القيام من النوم (73)، قال الشماخي: "وهذا ممّا تعمّ فيه البلوى، وقد قبلوه" (74). ويؤكد الشماخي وعمرو التلاتي على أنه لا يحصل بخبر الواحد العلم والاعتقاد الجازم الذي لا يقبل التغيير مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء 36/17) وقوله عزّ وجلّ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ (الأنعام 116/6) وأنّ الطلب والأمر الوارد في هذه الآيات في العلم من أصول الدين كوحداية الله تعالى وتنزيهه عمّا لا يليق به، وذلك لأنّه ثبت من العمل بالظنّ في الفروع بأدلة أخرى أفادت ذلك (75).

ولم نجد فيما وقفنا عليه من أقوال علماء المذهب من قال بقبول خبر الواحد في مسائل الاعتقاد إلا إشارة واحدة عند أبي العباس الشماخي تذكر قبوله بشرط أن تحقّه قرينة، وعبارة الشماخي التي ذكر فيها ذلك هي قوله "وأعلم أنّ الفعل يجب بهما بيانا، أي بالمستفيض وغيره من الأحاد إذا اتصل سنده، ورواه عدل، ولا يوجبان علما إلا بقرينة كما إذا أخبر السلطان عن موت ابنه مشرفا على الموت، مع صراخ وجنازة، وخروج المخدرات على حال منكرة، غير معتادة فلا يفيدنا علما لجواز موت ابن له آخر، والعلم هو الذي لا يتطرق احتمال إلى متعلّقه، مع أنّنا لا نقطع بصدقه كما تقدم، ولا بغير قرينة خلافا لمن قال: يفيد مطلقا ولمن قال يفيد بقرينة (76)، ويظهر أن هناك اضطرابا في عبارته، إذ يصرح في آخرها بأنّه لا يقطع بالتصديق، فعلى مفهوم آخر كلامه أنّهما ولو احتقا بالقرائن لا يقطع بهما.

⁷² أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الغسل، 3/456 (1183) والربيع في مسنده، كتاب الطهارة، باب ما يكون فيه غسل الجنابة، 1/64 (133).

⁷³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا، 1/72 (160)، والربيع في مسنده، كتاب الطهارة، باب في آداب الوضوء وفرضه، 1/53 (87).

⁷⁴ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 646.

⁷⁵ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 440-442، التلاتي، رفع التراخي، ص 190-191.

⁷⁶ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 439-440.

المبحث الثاني: من أقسام الحديث المقبول:**الحديث الصحيح:**

تعريف الصحيح: يسمي الوارجلاني الحديث المقبول بالمسند الصحيح ويعرفه بأنه " ما نقلته الثقات عن الثقات من طريق أو طرق إلى رسول الله ﷺ، ولم يدخله وهن من جهة السند ولا من جهة المتن ولا ذكر فيه مجهول ولا ضعيف ولا مختلف فيه"⁽⁷⁷⁾

ونجد أبا يعقوب الوارجلاني في العلماء المتقدمين كان أكثر دقة في تقسيم الصحيح وأقرب إلى الفن الإصطلاحي فقد قسم الأخبار صحاحاً وضعافاً؛ وذكر في تقسيمه للحديث عشرة أقسام: والصحاح منها خمسة: وهي الخبر المتواتر، وأخبار الآحاد - ووصف هذين القسمين بالأخبار المسندة - وأخبار المراسيل وأخبار الصحيفة والموقوفة⁽⁷⁸⁾.

إن هذا التقسيم الذي جرى عليه فقهاء الإباضية المتقدمون جاء وفق نظرتهم الفقهية القائمة على أن التقسيم يراعى فيه المقبول عندهم من المردود، غير أن منهج المحدثين ينطلق منطلقاً آخر في تقسيم الصحيح⁽⁷⁹⁾، ووجدنا هذا النهج من التقسيم عند بعض علماء الإباضية المتأخرين؛ إذ يقسم محمد المطهري الصحيح إلى: صحيح بنفسه، وصحيح بغيره ويكون بمصحح آخر وارد عليه⁽⁸⁰⁾.

الحديث المرسل:

عرفه الوارجلاني بأنه " خبر أسنده الراوي إلى رسول الله ﷺ، ومعلوم أن الراوي الذي أسنده لم يصحب ولم يدرك ولم تقع له صحبة مع رسول الله ﷺ"⁽⁸¹⁾، وبمثل هذا التعريف عرفه سعيد الجربي⁽⁸²⁾. وعرفه الشماخي بقوله: " المرسل قسيم المسند، وهو ما أخبر به عن الرسول ﷺ من لم يسمع عنه الخبر"⁽⁸³⁾.

⁷⁷ الوارجلاني، العدل، 142/1-143.

⁷⁸ م، س، 142/1.

⁷⁹ يقسم المحدثون الصحيح إلى صحيح لذاته وهو مقصودهم في تعريف الصحيح، وصحيح لغيره وذلك مثل الحسن فإذا روي من غير وجه ارتقى بما عضده من درجة الحسن إلى منزلة الصحة، ويسمي بعضهم ذلك رتب الصحيح، بل هناك الأصح. لمزيد من التفصيل انظر: السيوطي، تدريب الراوي، 68/1 وما بعدها.

⁸⁰ المطهري، فتح المغيث، ص176.

⁸¹ الوارجلاني، العدل، 142/1.

⁸² الجربي سعيد بن علي، جوابات سعيد الجربي، ص 28.

⁸³ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص443.

وعرفه عمرو التلاتي: بأنه قول غير الصحابي تابعياً كان أو من بعده: قال النبي ﷺ كذا مسقطاً
الواسطة بينه وبين النبي ﷺ⁽⁸⁴⁾، قال: "وهذا في اصطلاح
الأصوليين، وأما في اصطلاح المحدثين فهو قول التابعي قال النبي ﷺ.."⁽⁸⁵⁾.
إن المراسيل تقع في أخبار الصحابة وإن صحبوا، ويظهر ذلك خاصة إذا علم منهم أنهم لم يسمعوا
من رسول الله ﷺ، وقد يقول الصحابي حدثني صحابي عن رسول الله ﷺ وقد يرفعه إلى النبي ﷺ
مباشرة ومنه ما يفهم أنه لم يسمعه من النبي ﷺ؛ كالذي يجري لأصاغر أصحاب رسول الله ﷺ إذ
يروون أموراً لم يشاهدوها، ولعلمهم وهم بحال الصغر ممن لا يضبط ذلك، أو أن الواحد منهم غائب
عن القصة التي وقع فيها، ومن أمثلة ذلك رواية ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال لبني النضير
حين أجلاهم وذكروا ديونهم عند الأنصار: (ضعوا وتعجلوا)⁽⁸⁶⁾ وكان ابن عباس إذ ذاك بمكة
صغيراً، ولهذا قال ابن عباس: (نحن أصحاب رسول ﷺ نروي عن رسول الله ﷺ ما سمعناه من
بعضنا ولا يكذب بعضنا بعضاً ولا نكذب)⁽⁸⁷⁾⁽⁸⁸⁾.

الفرق بين المرسل والمقطوع:

يذكر الوارجلاني الفرق بين المرسل والمقطوع من حيث إن المرسل مجهول الصحابي الراوي عن
الرسول الله ﷺ، فالساقط من السند أعلاه وهو الصحابي، أما في المقطوع فيكون الراوي عن الرسول
ﷺ معلوماً، غير أن القطع في واقع الوسط، ومن ثم فهو ليس متصل السند⁽⁸⁹⁾.
ويشير السوفي في ثنايا كلامه عن المرسل إلى هذا التفريق وأن القطع قد يكون بترك الراوي
رجلاً في الوسط أو أكثر⁽⁹⁰⁾، وقد ذكر سعيد الجربي هذا التفريق الذي قال به الوارجلاني⁽⁹¹⁾.

⁸⁴ التلاتي، رفع التراخي، ص 189، 191.

⁸⁵ م.س، 191.

⁸⁶ أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب البيوع، 61/2 (2325) و لا يخلوا من علة.

⁸⁷ لم أعر على هذا الأثر.

⁸⁸ الوارجلاني، العدل، 143/1.

⁸⁹ الوارجلاني، العدل، 144/1.

⁹⁰ السوفي، السؤالات، (مخ)، ص 246.

⁹¹ الجربي، أجوبة سعيد الجربي، (مخ)، ص 28.

حكم العمل بالمرسل:

ذهب أكثر الإباضية إلى القول بالعمل بالمرسل والاحتجاج به⁽⁹²⁾، وقد ترد عبارات بعضهم معبّرة بالعمل به دون تفصيل، وهناك من نجد عنده تفصيلاً وبيانا أكثر، يقول الوارجلاني: "وأكثر العلماء على أن العمل بالمراسيل واجب⁽⁹³⁾، وجاءت عبارة الشماخي مثله في قوله: "والأكثر على وجوب العمل به"⁽⁹⁴⁾، وبنفس عبارتيهما قال سعيد الجري⁽⁹⁵⁾.

يقول الشماخي: "إرسال الأئمة كجابر بن زيد والحسن وغيرهما كان مشهوراً مقبولاً فيما بينهم ولم ينكره أحد فكان إجماعاً أعني إجماعاً بالاستدلال"⁽⁹⁶⁾. إن قبول مرسل كبار التابعين وأئمتهم؛ لأن إرسال الأئمة جابر بن زيد والحسن وغيرهما كان مشهوراً فيما بينهم، كما أنه كان مقبولاً عندهم لم ينكره واحد منهم⁽⁹⁷⁾.

حديث زيادة الثقة:

يذكر التلاتي بعض قيود قبول الزيادة في الحديث ومنها أنّ الزيادة تخرج عن زيادة الكذب فإن هذه مردودة، وضابط الزيادة المقبولة أن يرويها العدل، فإن رواها ونقلها راو عدل ثقة قبلت وعمل بها، إلا إذا دلت قرينة على ضعفها، واطلع على أمر خارج عنها دال على سقوطها؛ فعندئذ لا تقبل⁽⁹⁸⁾. ويفصل التلاتي بيان ما يوجب عدم قبول الزيادة؛ كمثل بلوغ عدد غير الراويين للزيادة كثرة لا يتصور معها غفلة مثلهم عن مثل تلك الزيادة خاصة إذا كان المجلسواحد، وكذلك إذا توفرت دواعي نقلها وكانت من عادة الرواة عن الشيخ المروري عنه يتبعون

⁹² ر: ابن بركة، الجامع، 16/1، الوارجلاني، العدل 142/2، السوفي، السؤالات، ص246، الشماخي، شرح مختصر العدل، ص442، التلاتي، رفع التراخي، ص192، السالمي، شرح الطلعة 44/2-46.

⁹³ الوارجلاني، العدل، 144/1.

⁹⁴ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص442.

⁹⁵ الجري، أجوبة سعيد الجري، ص28.

⁹⁶ الشماخي، شرح المختصر، ص442.

⁹⁷ التلاتي، رفع التراخي، ص192.

⁹⁸ م، س، ص202.

روايته ولا يغفلون عن مثل تلك الزيادة⁽⁹⁹⁾. ومما يوجب ردّ الزيادة أن يردّ الشيخ المروي عنه رواية الراوي الذي زاد في الخبر وينكر الرواية عنه بتلك الزيادة؛ فحكم الزيادة في الحديث المروي السقوط، وإذا كذبه كانت المسألة أبلغ، ولكن بشرط أن يكذب المروي دون قدح في الراوي لأنه إن قدح عظمت المسألة، و جرح المتقدم بالتجريح فيهما إن كانا عدلين متساويين؛ إذ في تكذيب الرواية دون جرح تسقط الرواية، وتبقى عدالتهما لأنها متيقنة، والكاذب غير معين واليقين لا يزول بالشك، وإن قال الشيخ لا أدري ولا أعلم قبلت الرواية والزيادة؛ لجواز الذهول والغفلة فالقبول هنا أرجح منه فيما قبله وأكد⁽¹⁰⁰⁾.

ويذكر السالمي خلاف العلماء في مسألة قبول زيادة الثقة إلى أقوال ثلاثة:

- القول بقبولها مطلقا بشرط أن يكون الراوي ثقة، ونسبه إلى الجمهور⁽¹⁰¹⁾.
- القول بعدم القبول بها، ونسبه إلى بعض أهل الحديث⁽¹⁰²⁾.
- والقول بالتفصيل في المسألة وقبولها بالقيود⁽¹⁰³⁾.

⁹⁹ م.س، ص202.

¹⁰⁰ م.س، ص202-203.

¹⁰¹ فصلت بعض المصادر الحديث عن زيادة الثقة وأوردت أقوالا عدة ذهب إليها العلماء من المحدثين والأصوليين سواء ما أفاد القبول المطلق أو الرفض المطلق أو القبول المقيد وتفصيل ذلك. انظر منها: الخطيب، الكفاية، 424/1 وما بعدها، ابن الصلاح، علوم الحديث، ص85-88، الشيرازي، التبصرة، ص321-325.

¹⁰² نسب ابن كثير القول بردها إلى أكثر المحدثين، وفي كلامه نظر؛ وذلك لتصريح ابن الصلاح بأن الجمهور من الفقهاء وأصحاب الحديث قبلوا زيادة الثقة. ر: ابن كثير، الباعث الحثيث 190/1، ابن الصلاح، علوم الحديث، ص85.

¹⁰³ السالمي، شرح الطلعة، 29/2.

الحديث المسند والمتصل:

يراد بالإسناد في الحديث رفعه إلى قائله⁽¹⁰⁴⁾، ولفظة الاتصال بنفس دلالتها الحديثية لها ما يشهد لها مما عبر عنه العرب في كلامهم، فالوُصلة: ما اتّصل بالشيء، قال الليث: "كلُّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وُصلة، والجمع وُصل" و " الوُصل: وُصل الثوب والخُفّ" و "المَوْصل: ما يُوصل من الحبل"، قال ابن سيده: والمَوْصل مَعْقِد الحبل في الحبل⁽¹⁰⁵⁾.

ويعرّف الوارجلاني المسند الصحيح بأنه: "ما نقلته الثقات عن الثقات من طريق أو من طرق إلى رسول الله ﷺ، لم يدخله وهن من جهة المسند ولا من جهة المتن، ولا ذكر فيه مجهول ولا ضعيف ولا مختلف فيه⁽¹⁰⁶⁾، وهذا التعريف صادق في أكثر حدوده على الحديث الصحيح، وقد تقدّم في حدّ الصحيح، لكن ما يعنينا فهمه هنا هو عبارة (من طريق أو من طرق) فكأن الوارجلاني أراد- وكما ذكر بعد التعريف وإن لم يبيّنه بشكل جليّ- وضع تقسيم للمسند الأحادي على ضربين ضرب نقلته الصحابة عن رسول الله ﷺ واستفاض به الخبر وهو دون المتواتر، وضرب دون المستفيض⁽¹⁰⁷⁾، وتبع الوارجلاني في مثل هذا الطرح سعيد بن علي الجربي⁽¹⁰⁸⁾.

ويحدّد الشماخي المسند بأنه: "ما اتّصل فيه طريق النقل"، أو "ما اتّصل فيه طريق المتن"⁽¹⁰⁹⁾.

ويحدّد التلاتي المسند بأنه خبر وصل فيه طريق النقل إلى النبي ﷺ كأن يقال عن فلان عن

فلان عن فلان عنه ﷺ أنه قال كذا أو فعل كذا⁽¹¹⁰⁾

خير المتن:

¹⁰⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة سند، 3/ 220.

¹⁰⁵ م، س، 11/ 727-728.

¹⁰⁶ الوارجلاني، العدل، 1/ 142.

¹⁰⁷ م.س، 1/ 142.

¹⁰⁸ الجربي، جوابات سعيد الجربي، ص 28.

¹⁰⁹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 439.

¹¹⁰ التلاتي رفع التراخي، ص 190.

ويحدّ الشماخي المتن بأنه: " ما تضمنه الكلام من خبر، واستخبار، وأمر، ونهي وعامّ، وخاصّ، ومجمل ومبيّن، ومنطوق، ومفهوم، ونحوها (111)."

ويعرّف أخبار المتن بأنها: " ما أخبر به من غير سند اعتمادا على صحته" (112).

ويؤكد أنّ مرادهم بأخبار المتون هي متون الأحاديث التي ثبتت صحتها قول عمرو التلاتي شارحا تعريف الشماخي فيقول: "أخبار المتن أي الأحاديث المسماة بهذا الاسم، هي "ما" أي: شي من الأخبار، "أخبر" أي: أعلم به، "راويه": سامعه، "من غير سند" أي: من غير ذكر روايته وإنما لم يذكرهم، "اعتمادا" إي: لأجل استناده في عدم ذكرهم على "صحته" أي: ثبوته عنه ﷺ وعدم احتياجه إلى ذكرهم كأن يقال: قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات الحديث) (113) (114).

المبحث الثالث: الحديث الضعيف وأقسام أخرى للحديث:

تعريف الحديث الضعيف:

عرّف الشماخي الضعيف بأنه " ما وقع وهن في روايته، أو متته" (115).

وعرّفه التلاتي: بأنه ما حصل وهن وضعف في نقله كعدم عدالة أو ضبط أصحابها أو في متته ولفظه كأن يسقط منه شيء" (116). وهذا التعريف شرح به تعريف الشماخي.

تقسيمات الضعيف:

أول تقسيم للأخبار الضعيفة وجدناه عند الوارجلاني فقد ذكر خمسة أنواع ووصفها بأنها خمسة ضعاف ساقطة، وعدّها بقوله: " وأما الخمسة الأخر فالخبر الضعيف ثم المقاطيع ثم الشواذّ ثم المناكير ثم الكذب" (117)، وجرى على تقسيمه سعيد الجري (118).

¹¹¹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 439.

¹¹² م.س، ص 442.

¹¹³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوحي، باب بدء الوحي، 3/1 (1) وابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الهجرة، 210/11 - 211 (4868).

¹¹⁴ التلاتي، رفع التراخي، ص 193.

¹¹⁵ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 442.

¹¹⁶ التلاتي، رفع التراخي، ص 192.

¹¹⁷ الوارجلاني، العدل، 142/1.

¹¹⁸ الجري، جوابات سعيد الجري، ص 27.

ومما يستغرب له أن الشماخي - وقد اختصر كتاب العدل للوارجلاني ثم شرحه - لم ينص على تقسيم الضعيف وإن ذكر بعض تعريفات أنواعه، وكذلك عمرو التلاتي في حاشيته على شرح الشماخي، وعلى كل حال فإن هذا التقسيم الذي ذكره الوارجلاني ناقص ولم يستوف كل أنواع الضعيف.

الحديث الشاذ:

ويعبر أبو يعقوب الوارجلاني عن الشذوذ بانفراد أحد الرواة بخبر فيقول: "وأما الشذوذ فأخبار ترد عن عالم من وجه شاذ، وقد كانت له تلامذة فلم يرو ذلك الخبر أحد غير ذلك الراوي" (119).

ويعرف الشماخي الشاذ بأنه: "ما قلت رواه" (120)، ويجري التلاتي على تعريفه وهذا جرى على وجه من وجوه تعريف الشاذ وهو لأبي يعلى الخليلي الشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد، يشذ به ثقة أو غير ثقة، فيتوقف فيما شذ به الثقة ولا يحتج به، ويرد ما شذ به غير الثقة.

يقول الشماخي: "والخبر الشاذ هو خبر، قلت أي: ندرت رواه: أي ناقلوه" (121)، وقد جاء تعريفاً الشماخي والتلاتي مستوحيين من أحد معاني الشاذ اللغوية لكنه في تقديري غير دال على المدلول الاصطلاحي، ولعل كلام الوارجلاني - وإن جاء طويلاً وليس على شكل تعريف موجز - دال على المعنى الاصطلاحي أكثر منهما.

ورغم إدراج العلماء ذكر الحديث الشاذ ضمن الحديث الضعيف، واعتبار أحد شروط الصحيح المقبول خلوه من الشذوذ، إلا أنهم لم يتفقوا على رده، وقد ذكر الوارجلاني: حالة يقبل فيها الشاذ وهي إذا كان الراوي ثقة عالماً معروفاً بصحبة العالم فربما يقبل الخبر على شذوذه، ومثل لذلك بالخبر الذي رواه جابر بن زيد رضي الله عنه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثمانى وسبعاً وأربعاً وأربعاً وثلاثاً وأربعاً في غير خوف ولا سفر ولا سحاب ولا مطر) (122) قال الوارجلاني: "ولم يروه

¹¹⁹ الوارجلاني، العدل، 1/144.

¹²⁰ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 442.

¹²¹ التلاتي رفع التراخي، ص 193.

¹²² لفظ الحديث الذي وجدته عن ابن عباس: (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء الآخرة جميعاً في غير خوف ولا سفر ولا سحاب ولا مطر) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، 1/489(705) الربيع في مسنده، كتاب الصلاة ووجوبها، باب السهو في الصلاة، 1/106(251).

أحد من أصحاب ابن عباس إلا جابر، وقال مالك: إن جابراً ثقة، فقال له رجل أتري رسول الله ﷺ فعل ذلك، فقال مالك: أراه تخفيفاً على أمته⁽¹²³⁾ وقد ذكر سعيد الجربي هذا المثال وقبوله أيضاً⁽¹²⁴⁾.

ويذكر الوارجلاني مثالا آخر قُبل فيه الشاذّ، وهو الحديث المروي أيضاً عن رسول الله ﷺ: "من قتل عبده قتلناه، ومن جدد عبده جدعناه في أمثالها"⁽¹²⁵⁾ (126).

ويبين الوارجلاني حكم ظهور الخبر الشاذّ بعد الإجماع فيقول: "وأما الخبر الشاذّ إن ظهر عن رسول الله ﷺ بعد الاجتهاد والإجماع، فإن كان ما ثبت به قواعد الدين نظر إلى الصحابة فإن تمادوا على رأيهم صار منسوخاً وإن رجعوا إليه كان إجماعاً كما قدمنا، وإن اختلفوا كان قوله، ولما ينعقد إجماع فيظهر للرسول بعده شيء يحلّه أو ما يخالفه وربما يقع الاجتهاد قبل وقوع الإجماع وظهور الخبر"⁽¹²⁷⁾.

الحديث المنكر وحكمه:

أصل المعنى الإنكارُ هو الجُحُودُ، والنَّكْرَةُ: إنكارُ الشيء، وهو نقيض المعرفة أو خلاف المعرفة، وتقول نَكَرَ الأمرَ نَكِيراً وَأَنْكَرَهُ إنكاراً ونُكْرًا: جهله⁽¹²⁸⁾.

يقول الوارجلاني مبينا الأخبار المنكرة: "وأما المناكير فأخبار ترد من عند رسول الله ﷺ لا يقول بها أهل العلم العارفون بطرق أهل الحديث وجميع ما يذكر عن رسول الله ﷺ في تشبيهه البارئ سبحانه بعباده"⁽¹²⁹⁾.

ويحدّ الشماخي الحديث المنكر: بأنه ما لا يقبله العلماء⁽¹³⁰⁾، وجرى عمرو التلاتي على حده

¹²³ الوارجلاني، العدل، 144/1.

¹²⁴ الجربي، جوابات سعيد الجربي، ص 28-29.

¹²⁵ أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الحدود، 4/408 (8098)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار والمماليك، 4/218 (6938) (6939).

¹²⁶ الوارجلاني، العدل، 144/1.

¹²⁷ م.س، 14/2.

¹²⁸ ابن منظور، لسان العرب، مادة نكر، 5/233.

¹²⁹ الوارجلاني، العدل، 145/1.

¹³⁰ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 442.

تعريف أبي بكر البرديجي: الحديث الذي ينفرد به الرجل، ولا يعرف من غيره رواته، لا من الوجه الذي رواه منه ولا من وجه آخر-، إذ يذكر أن الأخبار المناكير -أي المنكرات والمردودات- هي الأخبار التي لا يقبلها ولا يرضى بها علماء الأخبار؛ لأمر تقتضي عدم قبولها كالوضع لها، والجهل براويها وغير ذلك (131).

الحديث المدلس:

ورد لفظ دلس بمعنى الخديعة ويقال: "دلس لي سلعة سوء، وأدلس الشيء إذا خفي، ودلسته فندلس وتدلسته أي: لا تشعر به" والتدليس: إخفاء العيب (132).

وعرف الوارجلاني الحديث المدلس: بأنه الحديث على من لم تزه أو تأته ولم يحدثك (133).

وعرف الشماخي التدليس بقوله: "أن يروي عن من لم يسمع منه، موهما أنه سمع منه، أو يذكر الراوي بغير اسمه المشهور، لنقص في اسمه المشهور، أو يكون اسماً واحداً لعدل ومجرح، فيروي عن هذا الاسم، ولم يعينه، ولم يبينه" وقال: "اعلم أن التدليس عيب في الرواية" (134).

وبمثل تعريف الشماخي جرى التلاتي فذكر أن التدليس هو أن يروي الراوي وينقل الراوي الحديث عن شيخ لم يسمعه ولم يدركه موهما أنه سمع مرويّه، أو أنه يجريه على لسان الراوي للحديث بخلاف اسمه المنتشر بين الناس لعيب فيه، أو أن يذكر الراوي شيخه باسم علم شيخ عدل ثقة مستفيداً من مشاركة غير العدل في ذلك الاسم، ولم يوضح ذلك الاسم بتعين مسماه (135).

تدليس الإسناد وحكمه: وعرفه عمرو التلاتي بقوله: "وهو أن يحدث عن الشيخ الأكبر ولعله ما رآه، وإنما سمعه ممن هو دونه أو ممن سمعه منه، ونحو ذلك" (136).

واختلف المحدثون والفقهاء في حكم تدليس الإسناد فمنهم جعله جرحاً، ومنهم قبل روايته (137)

¹³¹ التلاتي رفع التراخي، ص 193.

¹³² ابن منظور، لسان العرب، مادة دلس، 6/86.

¹³³ الوارجلاني، العدل، 1/157.

¹³⁴ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 452.

¹³⁵ التلاتي، رفع التراخي، ص 197.

¹³⁶ م، س، رفع التراخي، ص 196.

¹³⁷ راجع أقوالهم في: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 74-76، ابن رجب، شرح العلال، 2/583-586، الفسوي، المعرفة

الحديث المنقطع:

عرفه التلاتي بأنه: " ما سقط منه راو واحد غير الصحابة" (138).

الحديث المعضل (139) وحكمه: أَعْضَلَ الْأَمْرَ اشْتَدَّ وَغَلَطَ وَاسْتَعْلَقَ، وأمر مُعْضِلٌ لا يُهْتَدَى لوجهه، والمُعْضِلَاتُ الشَّدَائِدُ (140)، ولعل تكرر الانقطاع أعضل الحديث وغلط الإشكال فيه، فصار صورة من صور الأمر المُعْضِلُ الذي لا يهتدى لوجهه؛ فلذلك سمى الحديث بالمُعْضَلِ، ويقول اطفيش: " وسمي مُعْضِلاً لأنَّ الراوي مال عن الحديث ميلاً كثيراً بسبب ما أسقط من سنده فأعضله؛ أي كأنه عطله ومنعه" (141).

وقد عرفه عمرو التلاتي بقوله: " المُعْضَلُ بفتح الضاد وهو ما سقط منه راويان فأكثر" (142).

الحديث المعل:

العِلَّةُ تعني المَرَضُ، يقال: "عَلَّ يَعْلُ وَاغْتَلَّ أَي مَرِضَ، فَهُوَ عَلِيلٌ"، وَلَا أَعْلَكَ اللَّهُ أَي لَا أَصَابَكَ بِعِلَّةٍ، وَالْعِلَّةُ: الْحَدَثُ يَشْعَلُ صَاحِبَهُ عَن حَاجَتِهِ، كَأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ صَارَتْ شُغْلاً ثَانِياً مَنَعَهُ عَن شُغْلِهِ الْأَوَّلِ" (143)، وهذان المعنيان واردان في معنى العلة الاصطلاحي فهي وهن كالمرض يضعف الرواية، وهو حدث منع الرواية وحولها عن حالها الأول، فنقلها من الصحة إلى الضعف.

ونجد في كتب التراث الإباضي استخدام لفظ العلة والتعليل وأن المراد به تضعيف الحديث ففي سيرة محمد بن روح تعليل يذكر أن الدليل على تعليل الحديث في أولاد خديجة من غيره ﷺ فيما

والتاريخ، 13، 94/3.

¹³⁸ التلاتي، رفع التراخي، ص 189.

¹³⁹ حده الخطيب بما رواه تابعي التابعين وذكر أنه أخفض من المرسل، أما الحاكم فنكر أن المعضل من الروايات أن يكون بين المرسل إلى رسول الله ﷺ أكثر من رجل، وحده ابن الصلاح بأنه ما سقط من إسناده اثنان فصاعداً، وقيده بعض المحدثين بتوالي الانقطاع. ر: الخطيب، الكفاية، 21/1، ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 59 السيوطي، تدريب الراوي، 211/1.

¹⁴⁰ ابن منظور، لسان العرب، 11 / 452.

¹⁴¹ اطفيش - كتاب جامع الشمل، ص 410.

¹⁴² التلاتي، رفع التراخي، ص 191-192.

¹⁴³ ابن منظور، لسان العرب، مادة علل، 11 / 471.

يروى عنه عليه السلام من قوله: (إن شئت أسمعك ثغاءهم في النار) ⁽¹⁴⁴⁾، ثم ساق وجه التعليل كما يراه، وقد تقدم بعض ذلك في فصل النقد ⁽¹⁴⁵⁾. ويعرّف اطفيش الحديث المعلل بقوله: "المعلل عبارة عما فيه سبب قادح غامض مع أنّ الظاهر السلامة منه، أشار إليه ابن الصلاح" ⁽¹⁴⁶⁾، ويقول أيضاً: "والمعلول ما دخله قدح في بعض رواته" ⁽¹⁴⁷⁾.

من أسباب العلة وأنواعها:

يكشف لنا الوارجلاني عدداً من الأسباب التي تؤدي إلى العلة والوهم والضعف في الحديث بصورة مجملّة؛ فمنها العوارض التي يتعرض لها العدل فإن كان صالحاً لحمل الأخبار في حال من الأحوال قد يأتي عليه حال لا يحسن حملان الحديث وتأويله وتصريفه، وأيضاً بما كان "من كبر السن والنسيان والذهول والضعف، والتأويل الذي يخرج من الدين، والانتصار لمذهبه، ويكون أعرابياً من أهل البوادي ليس له طول دراية بالفقه وما يتعلّق به من الأحكام، وبالوهم في الحديث، وسماع بعض -أي من الرواية- وفوات بعض" ⁽¹⁴⁸⁾.

¹⁴⁴ ما وجدته رواية عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المؤمنين أين هم؟ قال في الجنة يا عائشة، وسألته عن ولدان المشركين قال إن شئت أسمعك تضاعفهم في النار) أخرجه ابن الجعد في مسنده، حديث مسلم بن خالد الزنجي، 436/1 (2969)، وابن عبد البر في التمهيد، 122/18.

وقد علّق ابن عبد البر بتضعيف هذا الخبر فقال: "أبو عقيل - يريد أحد رواته - هذا صاحب بهية لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل، وهذا الحديث لو صحّ أيضاً احتل من الخصوص ما احتل غيره في هذا الباب، ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين قوله لو شئت أسمعك تضاعفهم في النار، وهذا لا يكون إلا فيمن قد مات وصار في النار وقد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار والحمد لله" ر: ابن عبد البر، التمهيد، 122/18.

¹⁴⁵ الكندي محمد بن روح، سيرة محمد بن روح، ص 22-23.

¹⁴⁶ اطفيش، كتاب جامع الشمّل، ص 419. وانظر: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 90.

¹⁴⁷ اطفيش، كتاب جامع الشمّل، ص 419.

¹⁴⁸ الوارجلاني، العدل، 155/1.

الحديث المكذوب أو الموضوع:

أصل الكذب هو الإخبار بغير الواقع وسمي الحديث المكذوب بذلك لكونه في الواقع لم يقله الرسول ﷺ، ثم صار علما واسما للأحاديث التي انتشرت ويرى الناظر والمدقق استحالة أن تكون من قول الرسول ﷺ.

يقول أبو يعقوب الوارجلاني مبينا أحد وجوه أخبار الكذب: "وأما الكذب في الحديث فأخبار الزنادقة مما يروونه عن رسول الله ﷺ، وإشاعته في أيدي الأمة، فقبلتها العامة وانتشرت على أيدي ضعفاء الأمة وجهالها"⁽¹⁴⁹⁾.

ويقول سعيد الجربي: "وأما المكاذيب فأخبار الزنادقة مما يروونه عن رسول الله ﷺ، وإشاعته في أيدي الأمة فقبلته العامة وأهل البدع والأهواء، وانتشرت على أيدي ضعفاء الأمة وجهالها كابن أبي العوجاء وأبي شاعر الديصاني، وفرع من هذا حديث المدلسين وهم الذين يزيدون في الحديث وينقصون منه بعد قوله ﷺ: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (150)«(151)».

ويظهر من كلام الوارجلاني والجربي عموم تسمية المكذوب ودخول الموضوع في مسماه، وأما التدليس المشار إليه في عبارة الجربي فهو تعمد التدليس واعتماده طريقة للكذب والوضع فهذا لا شك في دخوله حدّ المكذوب أو الموضوع.

وعلى هذا فالحديث الموضوع والمكذوب واحد، لكن لفظ الوضع أشنع في الدلالة والتعبير، وذلك قد يرد الحديث ويتهم بالكذب صاحبه، لكن لا تصل عبارة الناقد القول بأنه موضوع، ولذلك يكون الوصف بالوضع أبلغ وأقوى، وقد يسمون الموضوع بالمكذوب أو العكس، وهناك من لا يسمي الموضوع حديثاً أصلاً، وفي الحقيقة هو ليس حديثاً، لكن تجوزوا في تصنيفه وتسميته.

خبر الصحيفة:

يبين الوارجلاني مسألة أخبار الصحيفة بقوله: "وأما أخبار الصحيفة فناس كانوا يكتبون كلما سمعوا عن رسول الله ﷺ كعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ، وذلك (أن عبد الله بن عمرو بن العاص استأذن رسول الله ﷺ أن يكتب كل ما سمع منه، فقال عليه الصلاة والسلام:

¹⁴⁹ الوارجلاني، العدل، 145/1.

¹⁵⁰ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب، 1/52(107)

¹⁵¹ الجربي، جوابات سعيد الجربي، ص 29.

اكتب، فقال: أكتب ما سمعت منك ولو في حال الغضب يا رسول الله؟ فقال له: اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج منه إلا حق يريد لسانه (152) «(153)».

ثم يذكر التلاتي اسم بعض من اشتهر بالصحائف مثل عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص وبهز بن حكيم بن معاوية بن حمدة القشيري كان يحدث عن أبيه عن جده في مثل هذا (154). ويذكر الوارجلاني أنهم - يريد جملة المحدثين (155) - لم يقرؤوا خبر الصحيفة، كما أنهم لم يطرحوه، ولكن استثنى من الصحائف صحيفة عمرو بن حزم فهي صحيحة، وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ كتب لعمرو بن حزم هذه الصحيفة، ثم بعته بها إلى اليمن عاملاً، وهي تحوي جملة من سنن رسول الله ﷺ، ذكر أن فيها سنن العقول والديات وغيرها (156).

ويذكر الوارجلاني أن ابن عبد البر ذكر في بعض كتبه أن جابراً بن زيد رضي الله عنه رحل إلى صحيفة عمرو بن حزم، وتوسل إلى آل حزم ليوقفوه عليها فأوقفوه عليها فقرأها كلها، وأشهر ما فيها عند العلماء حتى كادت أن تعد من المسند (157). وعلى كل حال فسبب تضعيف خبر الصحائف كما

¹⁵² أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب العلم، 1/187 (359).

¹⁵³ الوارجلاني، العدل، 1/143.

¹⁵⁴ الوارجلاني، العدل، 1/143.

¹⁵⁵ دار الخلاف بين العلماء في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قيل بعدم سماع عمرو عن أبيه، وقيل إنّه سمع منه، وإنما رواية عمرو عن أبيه عن جده كتابا وليس سماعا، ومنهم من ذهب إلى توثيق رواية عمرو عن أبيه عن جده، بل ذهب بعضهم إلى أن رواية عمرو عن أبيه عن جده هي سماع وليس كتابا.

ووجدنا تصحيحا لروايات معينة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حتى عند علماء فنّ علل الحديث، وهم من أكثر الناس تدقيقا كيحيى بن معين والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم، وصوّب ابن أبي حاتم رواية سئل عنها فنكر أن صوابها جاءت من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وتبقى صورة روايتهم كتابا هي محل نظر النقاد.

ومع ذلك فقد اختلف النقل حتى عند هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم التصحيح لروايتهم فنقل عنهم التعليل أيضا، فنقل الدوري مثلا عن يحيى بن معين أن روايتهم كتابا ولذلك جاء ضعفه، بينما نقل عن يحيى في مصادر أخرى توثيقه، وورد اختلاف القول عند أحمد كما ورد الاختلاف عن غيرهما، ولا يتسع المقام للإطالة.

لمزيد من تفصيل الأقوال معزوة إلى أئمة المحدثين وعلماء العلل انظر: ابن معين، من كلام أبي زكريا في الرجال، ص48، الرازي ابن أبي حاتم، علل الحديث، 1/469، سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل، 1/230-231.

¹⁵⁶ الوارجلاني، العدل، 1/143.

¹⁵⁷ م.س، 1/144.

ذهب إليه من ذهب من المحدثين راجع إلى أن هذه الصحائف قد توارثها الأبناء عن الآباء ولذلك ضعّفوها، فلعلها لم يتحقق فيها السماع⁽¹⁵⁸⁾.

ونجد عند الشماخي تعريفاً لأخبار الصحيفة بأنها: "ما يرويه الراوي عن أبيه عن جده، من صحيفة عندهم، كأخبار عمرو بن شعيب وكصحيفة عمرو بن حزم"⁽¹⁵⁹⁾، وجرى على تعريفه عمرو التلاتي⁽¹⁶⁰⁾.

أقسام أخرى في الحديث:

الحديث الموقوف⁽¹⁶¹⁾: يعرفه الوارجلاني بقوله: "وأما الموقوف من الأخبار فما وقف به على الصحابي ولم يبلغ به رسول الله ﷺ"⁽¹⁶²⁾. ويعرفه الشماخي بأنه: "ما أخبر به عن الصحابي"⁽¹⁶³⁾، وجرى عمرو التلاتي على تعريفه ولم يزد عن شرحه وبيانه⁽¹⁶⁴⁾.

حكم الموقوف⁽¹⁶⁵⁾: ذهب الوارجلاني إلى أنّ حكم الموقوف صحيح لإدراجه ضمن الأخبار الصحيحة، ويعلّل الوارجلاني رأيه بأنّ الظنّ بالصحابة أن لا يكذبوا على رسول الله ﷺ، ثم قال: "وبخاصّة إذا كان ما رووه ممّا لا يدركونه بعقولهم ولا يبلغونه إلا بتوقيف من الرسول ﷺ أو ممّن أخذ عنه"⁽¹⁶⁶⁾، لكن مقتضى كلامه الأول التعميم، ومقتضى آخر كلامه التفصيل فيعطي حكم المرفوع ما دلت الدلائل أنه ليس من قولهم.

¹⁵⁸ م.س، 144/1.

¹⁵⁹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 445.

¹⁶⁰ التلاتي رفع التراخي، (مخ)، ص 193.

¹⁶¹ حدّه أهل المصطلح عند الإطلاق بما روي عن الصحابي من قوله أو فعله أو نحو ذلك متصلاً كان أو منقطعاً، وذهبوا إلى أنّه قد يستعمل في غير الصحابي مقيداً مثل وقفه على فلان، أو وقفه فلان وهكذا. ر: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 46، السيوطي، تدريب الراوي، 184/1.

¹⁶² الوارجلاني، العدل، 144/1.

¹⁶³ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 442.

¹⁶⁴ التلاتي رفع التراخي، (مخ)، ص 192.

¹⁶⁵ يقول ابن جماعة مبيّناً حكمه: "الموقوف وإن اتّصل سنده ليس بحجة عند الشافعي وطائفة من العلماء وهو حجة عند

طائفة". ر: ابن جماعة، المنهل الروي، ص 42.

¹⁶⁶ الوارجلاني، العدل، 144/1.

ويدلل الوارجلاني على قوله بمزيد كلام وتوجيه فيقول: "ومعلوم أنّ الصحابة بالأمس أهل جاهليّة جهلاء لا ينسب إليهم من العلم شيء، فأتاهم الله بالقرآن وبمحمد ﷺ فتعلّموا من القرآن ومن السنّة فوقوا الحديث على أنفسهم، فحدثوا بما لا يُظنّ به فيهم إلا خيراً ولم يكن ما رووا مما يدركونه بعقولهم ولا يبلغونه إلا بتوقيف من الرسول ﷺ أو عن أصحابه أيضاً الذين أخذوا عنه، وجُلّ حديث ابن مسعود عن رسول الله ﷺ موقوف، ولقد قال ذات يوم حدثني رسول الله ﷺ: فذكر الحديث ثم بدا له فقال: "دون هذا أو فوق هذا أو مثل هذا ما شاء الله.." (167)

الحديث المقطوع:

عرفه الوارجلاني بقوله: "المقاطع هي كل خبر منقطع في الوسط، وذلك أن يحدث عن رسول الله ﷺ من لم يره ولم يتّصل إسناده، بانقطاع واحد أو اثنين أو أكثر بين الراوي وبين من روى عن رسول الله ﷺ" (168)، وتعريف الوارجلاني جمع بين تعريف المقطوع والمنقطع، فوجود الإشارة إلى التابعي الراوي لكون من يحدث عن الرسول ﷺ هو من لم يره، ولكونه منقطعاً بواحد أو أكثر صار منقطعاً، ومع ذلك سمّاه الوارجلاني مقطوعاً. ويحدّ الشماخي المقطوع بأنّه: "ما لا يتّصل فيه طريق النقل" (169)، وجرى على تعريفه الثلاثي فلم يزد على شرح تعريفه (170).

أما عن حكم المقطوع فنجد خلافاً بين الإباضية في قبوله، فقد ذهب الوارجلاني إلى القول بجواز العمل به (171)، وتبعه على هذا القول سعيد الجربي (172)، وذهب الثلاثي إلى أن حكم المقطوع أنه ضعيف غير مقبول إلا بقريّة، وأورد قولاً قيل فيه إنه كالمرسّل (173)

¹⁶⁷ م.س، 144/1.

¹⁶⁸ الوارجلاني، العدل، 144/1.

¹⁶⁹ الشماخي، شرح مختصر العدل، ص 442.

¹⁷⁰ الثلاثي رفع التراخي، (مخ)، ص 192.

¹⁷¹ الوارجلاني، العدل، 144/1.

¹⁷² الجربي، جوابات سعيد الجربي، (مخ)، ص 28.

¹⁷³ الثلاثي رفع التراخي، (مخ)، ص 192.

ويفرق الوارجلاني بين المرسل والمقطوع بكون المرسل مجهول الصحابي الراوي عن رسول الله ﷺ بينما الراوي عن الرسول ﷺ في المقاطيع معلوم، غير أنّ القطع في الوسط ولم يتصل السند⁽¹⁷⁴⁾، وهذا مبني على حده المقطوع كما تقدّم.

خاتمة البحث (النتائج والتوصيات):

مع نهاية بحثنا هذا يمكننا التأكيد على عدد من النتائج والتوصيات وهي:

- كشف لنا البحث دورا في للعلامة الشماخي في تطور المفهوم الإصطلاحي للسنة في المدرسة الإباضية.
- ساهم الشماخي في بلورة كثير من المصطلحات التي عرضها الوارجلاني في كتاب العدل ثم جاء الثلاثي فأبان جوانب كثيرة مما قدمه الشماخي.
- جاء تقسيم فقهاء الإباضية للحديث بين صحيح وضعيف - خاصة المتقدمين - وفق نظرتهم الفقهية القائمة على أن التقسيم يراعى فيه المقبول عندهم من المردود.
- إرسال الأئمة جابر بن زيد والحسن وغيرهما كان مشهوراً فيما بينهم، كما أنه كان مقبولاً عندهم لم ينكره واحد منهم.
- تمازجت المصطلحات حديثياً وفقهياً في تراث الشماخي معبرا عن منظور فقهي وحديثي.
- كشف لنا بعض التتبع أن المصطلحات الحديثية مقارنة لبعض وجوه الإصطلاح عند المحدثين والفقهاء وهناك تقارب في المفهوم.
- يوصي الباحث بدراسة شاملة لتراث الشماخي لاستخراج كل ما يتعلق بفن الحديث رواية في رسائل علمية. وهكذا يوصي بما يتعلق بالحديث دراية في رسائل.

المصادر والمراجع:

- ابن كثير عماد الدين أبي الفداء (1373/774)، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، شرح أحمد محمد شاكر، تحقيق وتعليق: ناصر الدين الألباني، علي بن حسن الأثري الحلبي، ط1، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1415هـ.

¹⁷⁴ الوارجلاني، العدل، 144/1.

- ابن معين أبو زكريا يحيى بن معين (845/230)، من كلام أبي زكريا في الرجال، تح: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق، 1400هـ.
- ابن منظور محمد بن مكرم: (711/1311) لسان العرب، دار صادر، (د.ت).
- الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس: (179/796) موطأ مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر، (د.ت).
- أطفيش قطب الأئمة محمد بن يوسف المصعبي (1914/1332) جامع الشمل في حديث خاتم الرسل، المطبعة الشرقية، مطرح، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 1412هـ، 1992م.
- البخاري الجعفي محمد بن إسماعيل: (256/870) صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ 1987م.
- البستي التميمي محمد بن حبان (354/965)، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط2، الرسالة، بيروت، 1414هـ، 1993م.
- البغدادي أبو الحسن علي بن الجعد (230/844)، مسند ابن الجعد، تح: عامر أحمد، ط1، مؤسسة نادر، بيروت، 1410هـ، 1990م.
- البغدادي الخطيب أحمد بن علي بن ثابت (1071/463) الكفاية في علوم الرواية، تح: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، (د.ت).
- الجربي سعيد بن علي (1492/898) فتاوى فقهية، (مخ)، مكتبة إروان، العطف، الجزائر، (د.ر)، لدى الباحث صورة منه.
- الحنبلي ابن رجب: (795/1393) شرح علل الترمذي، تح: همام عبد الرحيم سعيد، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1407هـ.
- التلاتي عمرو بن رمضان الجربي (1747/1187):
- رفع التراخي في مختصر الشامخي (مخ)، مكتبة الحاج سعيد محمد، غرداية، الجزائر، (د.ر)، لدى الباحث صورة منها.
- روضة المشتاق على زهرة الإشراف، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، (د.ت).

- العقد النضيد على نكتة التوحيد، (مخ)، مكتبة القطب، بني يسجن، غرداية، الجزائر، صورة لدى الباحث، (د. تر)
- نتيجة الأفكار في تعليق عقيدة الأبرار، (مخ)، مكتبة الشيخ صالح بن عمر لعلي في بني يسجن بالجزائر، رقم م.49.
- الرازي ابن أبي حاتم عبد الرحمن (855/240)، علل الحديث، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1405هـ.
- الرحيلي أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب (حي في: 887/273) كتاب المحاربة، (مخ) ضمن مجموع السير العمانية.
- السالمي نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد (1914/1332)، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، مطابع سجل العرب، القاهرة، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983م.
- السديكشي أبو ستة محمد بن عمر القصبي (1678/1088)، حاشية أبي ستة على مختصر العدل، (مخ)، مكتبة الحاج سعيد محمد، غرداية، الجزائر، (د.ر)، لدى الباحث صورة منها.
- السليمي ابن بركة عبد الله بن محمد البهلوي (ق10/4): كتاب التعارف، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، 1404هـ، 1984م.
- السوفي أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني (ق12/6)، كتاب السؤالات، (مخ)، مكتبة جمعية أبي إسحاق، غرداية الجزائر، د.ر، لدى الباحث صورة منها.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (911/1506) تدريب الراوي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (1522/928):
- شرح مختصر العدل والإنصاف، دراسة وتحقيق مهني التويجني، مرقون، لدى الباحث نسخة منه.
- شرح مقدمة التوحيد، تصحيح وتعليق أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، مسقط، سلطنة عمان، 1409هـ.

- كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيادي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ/1987م.
- الشهرزوري ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن: (643/1246) علوم الحديث، تح: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق وبيروت، 1406هـ، 1986م.
- الشيباني أبو عبد الله أحمد بن حنبل (856/241)، سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل، تح: زياد محمد منصور، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1414هـ.
- الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي: (476/1084) التبصرة في أصول الفقه، تح محمد حسن هينتو، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية، 1980م.
- الفراهيدي البصري أبو عمرو الربيع بن حبيب: (170/787) مسند الإمام الربيع بن حبيب، تح: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، ط1، دار الحكمة، بيروت، 1415هـ.
- الفسوي يوسف بن سفيان (891/277)، المعرفة والتاريخ، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ، 1999م.
- الكدومي الناعبي أبو سعيد محمد بن سعيد (حي في 886/272):
- الاستقامة، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، روي، سلطنة عمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، 1405هـ، 1985م.
- المعتبر، دار جريدة عمان للصحافة والنشر، سلطنة عمان، روي، 1984هـ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة
- الكتاني محمد بن جعفر: (1345/1927) نظم المتناثر في الحديث المتواتر، تح: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، (د.ت).
- الكندي إبراهيم بن أحمد بن سليمان (معاصر): أصول الفقه والأدلة النصية، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، 1419هـ، 1998م.
- الكندي أبو عبد الله محمد بن روح (ق4/10): كتاب سيرة الشيخ محمد بن روح، (مخ)، مكتبة السالمي، بديعة، سلطنة عمان، رقم 3.
- معمر علي يحيى (1980/1400)، الإباضية في موكب التاريخ، ج3 الإباضية في ليبيا، ط2، مكتبة وهبه، القاهرة، 1414هـ/1993م

- المطهري محمد بن سليمان بن بكير: (1419/1998) فتح المغيـث، تح: أحمد كروم وعمر بازين، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1419هـ، 1999م.
- المشوطي، تبغورين بن عيسى(ق6/12): الأدلة والبيان، مخ مجم، مكتبة السالمي، بديـة، سلطنة عمان، رقم 2، لدى الباحث صورة.
- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: (303/916) سنن النسائي الكبرى، تح: عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1991م.
- النيسابوري الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله: (405/1006) المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م.
- النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج(261/875) ، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
- الـوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (1175/570): العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، دار نوبار للطباعة، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، 1404هـ، 1989م.

الاجتهادات المقاصدية وتطبيقاتها عند الخلفاء

معاذ محمد عمرو أمطاوع
كلية التربية - جامعة نالوت

المقدمة

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- توضيح أهمية مراعاة مقاصد الشريعة في العمل بالنصوص.
- 2- الكشف عن مدى أثر مقاصد الشريعة في العمل بالنصوص.
- 3- دراسة بعض الأمثلة في الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

أهمية الموضوع:

- 1- مكانة مقاصد الشريعة بقواعدها وشروطها، وخطورة استبعادها في فهم النصوص والعمل بها.

- 2- القيمة العلمية للفهم المقاصدي، ودوره في وضوح الرؤية عند العمل بالنصوص.
- 3- تعلق البحث بعلم (مقاصد الشريعة)، وهو علم قائم بذاته له مراتبه وأنواعه ومجالاته، والجهل به يؤدي إلى الخلل والقصور في فهم النصوص الكتاب والسنة والعمل بها.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1- إظهار مدى تأثير أعمال المقاصد عند اختلاف الزمان والمكان والعرف في العمل بالنصوص.
- 2- دراسة بعض الوقائع العملية للاجتهاد المقاصدي للخلفاء رضي الله عنهم.
- 3- بيان أهمية مراعاة مقاصد الشريعة عند تناول النصوص القرآنية والنبوية الشريفة فهما وتطبيقا.

موضوع البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة تطبيقية لنماذج من اجتهادات الخلفاء رضي الله عنهم - عند العمل بالنصوص، مراعيًا فيها النظرة المقاصدية باعتبار اختلاف الزمان والمكان، وأثر ذلك في تغيير حكم العمل بالنصوص.

مشكلة البحث:

- ما الأصول التي كان يعتمد عليها الخلفاء في اجتهاداتهم؟
- هل ابتعد الخلفاء الراشدون عن مضمون النص وخالفوه؟

حدود البحث:

هي بعض الاجتهادات المقاصدية للخلفاء في التعامل مع بعض النصوص في الكتاب والسنة، بحسب اختلاف الظروف الزماني والمكاني، وذلك بعرض بعض النماذج ودراستها وتحليلها، ومدى العلاقة بين هذه الاجتهادات والفهم المقاصدي في عهد الخلفاء الراشدين.

الدراسات السابقة:

1- الاجتهاد المقاصدي حجيته وضوابطه ومجالاته، لنورالدين الخادمي، كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العددان 65_66 / 1998م، وهذا الكتاب قيم ومهم في مباحث الاجتهاد المقاصدي، ذكر فيه الكاتب بعض القضايا المعاصرة من غير إشارة إلى موضوع البحث.

2- الاجتهاد المقاصدي في عصر الخلفاء الراشدين، مها سعد إسماعيل الصيفي، رسالة ماجستير في أصول الفقه، نوقشت بكلية الشريعة والقانون/الجامعة الإسلامية عام 2010م غزة - فلسطين، ذكرت فيه الباحثة مفهوم الاجتهاد المقاصدي الراشدي، وحجتيه وأهميته وضوابطه وتطبيقات الاجتهاد المقاصدي في عصر الخلفاء الراشدين .

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: ضوابط الاجتهاد المقاصدي.

المبحث الثاني: مراعاة مقاصد الشريعة في العمل بالنصوص بحسب اختلاف الزمان والمكان.

المبحث الثالث: نماذج من اجتهادات الخلفاء.

المقدمة

جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد العاجلة والآجلة، ومن أراد أن يدرك هذه المصالح فعليه الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وفهم السلف الصالح وعلى رأسهم صحابة رسول الله والتابعون الذين أنار الله بصائرهم بالإيمان، وفتح قلوبهم، فاستقامت أفهامهم، فكانوا أولى الناس بمعرفة مقاصد وحكم الشرع وغاياته، ومنهم الخلفاء الراشدون الذي كانوا موفقين في اجتهاداتهم وفتاويهم وقضائهم. وظهر ذلك من خلال اجتهاداتهم التي راعوا فيها المصالح الكلية للشرعية، من حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والقواعد الكلية التي بينت عليها الشريعة الإسلامية، فكانوا يعتمدون على الكتاب والسنة وعلم المقاصد الذي يعد الكاشف عن روح الشريعة، وجمالها وعظمتها، وكمال رسوخها، وصلاحياتها لكل زمان ومكان. وقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على اجتهاداتهم المسندة إلى المقاصد الضرورية والحجاجية وقد تم ذكر نماذج تطبيقية لاجتهاداتهم، وكما تم عرض هذا البحث من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: ضوابط الاجتهاد المقاصدي

قال تعالى - {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (1). هذه الآية تدل على أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وهذه الضوابط إنما وضعت ليستند إليها المجتهد في اجتهاده، بعيدا عن الأهواء والشهوات، وهذه الضوابط التي وضعها علماء أصول الفقه هي :

1_ الضابط الأول: أن لا يخالف الاجتهاد المقاصدي نصا من القرآن الكريم، قال تعالى - {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (2) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي: جعلت محكمة كلها، لا خلل فيها ولا باطل، والإحكام منع القول من الفساد. أي: نظمت نظاما محكما لا يلحقها خلل ولا باطل" (3)

وأضاف القرطبي بقوله: "أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل، ثم فصلها بالأمر والنهي، وذلك إحكام الشيء: إصلاحه وإتقانه، وإحكام آيات القرآن، إحكامها من الخلل يكون فيها، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله." (4)

فإنه عز وجل جعل القرآن محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا دليل على أنه لا يجوز مخالفة النصوص وقد أكد الإمام الشاطبي على أن الاجتهاد يكون تابعا للمصدر الأول، ألا وهو القرآن الكريم: "إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا، ويتأخر العقل فيكون تابعا، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل" (5)

فالشريعة ترحب بكل اجتهاد، يتوافق مع آيات القرآن الكريم ومقاصدها، طالما أنه يحقق جلب مصلحة لأفراد المجتمع، ويدفع عنهم الشرور والآثام والمفاسد؛ لكون الشريعة مبناها وأساسها على جلب المصالح ودفع المفاسد التي تلحق الضرر والأذى بأفراد المجتمع.

2_ الضابط الثاني: أن لا يخالف الاجتهاد المقاصدي مقاصد الشريعة في كليتها الخمس:

حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل أو العرض، وحفظ العقل، وحفظ المال.

فكل اجتهاد يخالف تلك الأصول الخمسة يعدُّ باطلا ومخالفا لمقاصد الشريعة وصاحبه آثم ومعرض لعقوبة الله، وهذا ما أشار إليه الإمام الشاطبي بقوله: "الضروريات هي: التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين" (1).

ومن خلال هذا الكلام يتبين لنا أن الاجتهاد لا بد أن يكون مبنيا على وفق ما يحفظ المقاصد الشرعية بجلب المصلحة ودرء المفسدة من خلال النظر إلى روح الشريعة ولبها.

3_ الضابط الثالث: أن لا يخالف الاجتهاد المقاصدي الإجماع الصادر عن الصحابة وكذلك

القياس.

قال الخطيب البغدادي: "إجماع أهل الاجتهاد في كل عصر حجة من حجج الشرع، ودليلا من أدلة الأحكام مقطوع على مغيبه" (2).

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "إذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولكن كثيرا من المسائل يظن بعض الناس أن فيها إجماع، ولا يكون الأمر كذلك، بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسنة" (3).

وكذلك القياس لا يجوز للاجتهاد المقاصدي مخالفة القياس، فهناك أقيسة جرى العمل بها، من قبل الصحابة مثل: "جواز صيد ما عدا الكلب من الجوارح قياساً على الكلب، ومثال ذلك الفهد والصقر والشاهين والبازي، واستثنوا، الكلب الأسود؛ لورود نص فيه.

وقد عمل الصحابة بالقياس، ففاسوا النبيذ على الخمر في التحريم، فالاجتهاد المقاصدي لا يجوز أن يصادم القياس المعتمد المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية.

3_ الضابط الرابع: أن يحقق الاجتهاد المقاصدي (المبني على خدمة الكليات الخمس: مقصد حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل أو العرض، وحفظ العقل، وحفظ المال) مصلحة تفيد أفراد المجتمع، بصفتهم العمومية، وليس الخاصة.

قال الإمام الشاطبي: "المصالح المجتلبة شرعاً، والمفاسد المستدفة، إنما يعدُّ من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية" (1).

والمصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة، فكل اجتهاد مقاصدي يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ولا يتصادم مع أدلة التشريع الإسلامي ومقاصده، فهو اجتهاد مرحب به، وله موضع التقدير والاحترام، وكل اجتهاد مزعوم بأنه مستوحى من مقاصد الشريعة، ويتصادم مع أدلة التشريع ومقاصدها، ويقدم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، فهو اجتهاد لا قيمة، ولا مكانة له في حياة ونفوس أفراد المجتمع الإسلامي.

المبحث الثاني: مراعاة مقاصد الشريعة في العمل بالنصوص بحسب اختلاف الزمان والمكان.

قد يتغير حكم العمل بالنصوص في زمن دون آخر؛ نظراً لوجود مصلحة تقتضي ذلك، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

مثال الأول: خروج النساء لأداء الصلاة في المساجد.

ومع ما ثبت من أفضلية صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد، فقد ثبت عن النبي أنه قال: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " (2)، وفي رواية عند أبي داود: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن ثقلات " (3)، وقوله: " إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها " (4).

وهذه الأحاديث وغيرها تبين أن المرأة لا تمنع من المسجد، لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث، وهي أن لا تكون متطيبة ولا متزينة، مع العلم أن حديث النهي عن منع النساء من

حضور الصلاة في المساجد كان في زمن النبوة، وكان الظرف الغالب لأحوال الناس الصلاح والتقوى، وهو خير القرون، ومع ذلك فقد جاء في بعض الأحاديث ما يقيد خروجهم للمساجد ببعض الشروط كقوله: " ولكن ليخرجن وهن تغلات " ، وبعد وفاة النبي وتغير الظرف العام لأحوال المسلمين في زمن الصحابة، وضعف الوازع الديني مقارنة بزمن النبوة، ومع ذلك يبقى الصلاح هو الغالب نجد أن عائشة رضي الله عنها قالت لو أدرك رسول الله: " ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل، قلت لعمرة: أومنعن؟ قالت نعم" (1). فقد رأت عائشة رضي الله عنها أن ما حدث يقتضي تغيير الحكم السابق حينما كان الصلاح عامًا، والقلوب عامرة بالإيمان، ولم يوجد الدغل في بعض النفوس، فلو استمر الحكم مع تغير الحال في زمنها لأدى إلى مفسدة عظيمة تزيد على ما يجلبه الخروج إلى الصلاة من مصلحة (2).

المثال الثاني: مسألة إخراج الزكاة من غير المنصوص عليه.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن، وقال له: " خذ الحب من الحب ، والشاة من الغنم، والبعير من الإبل، والبقرة من البقر " (1). فهذا نص صريح في أمره لمعاذ بأخذ الأصل في الزكاة، وأنها تخرج من أعيان الأموال وأجناسها، وهي في العروض العين، وفي الأنعام الرؤوس، وفي الزروع والثمار الغلات ذاتها، ومع هذا النص الصريح نجد أن معاذ بن جبل رضي الله عنه حين ذهب إلى اليمن قال لهم: " انتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة " .

وتصرف معاذ ظاهره فيه تجاوز للنص إلى أخذ القيمة، لأنه في هذه الحال سيأخذ من الحب شيئاً غير الحب، ومن الغنم شيئاً غير الشاة وهو خلاف ما أمر به الحديث، لكن معاذ لم يتعلق بظاهر الحديث، بل نظر إلى المقصد من أخذ الزكاة، وهو التزكية والتطهير للغني، وسد خلة الفقراء من المؤمنين، فأخذ الحل اليمنية بدل العين من زكاة الحبوب والثمار راعى فيه حال أهل اليمن؛ لأنه أيسر عليهم، وراعى فيه حال فقراء المدينة؛ لأنه أنفع لهم، فلما كان من مقاصد الزكاة الموساة بالمال وإغناء فقراء المسلمين وسد حاجتهم، وكان تحققه بغير العين أفضل في هذه الحال، نظر معاذ في المقصد وأمضى حكمه على وفقه (2).

فاعتماد المصلحة ورعاية مقصد الشارع من الزكاة هو الذي جعل معاذاً - وهو أعلم الصحابة بالحلال والحرام - يأخذ القيمة بدلاً من الحبوب، ولا يظن به مخالفته ظاهر الحديث الآخر، علماً أنه من روايته، ولكنه فهم من الحديث ما جعله يأخذ القيمة بدل الأصل، وهو أن المقصود من الزكاة دفع الحاجة، وأن مبناها على الموساة، ولأن إعطاء القيمة فيه مراعاة للحال، وهو أهون على الناس وأيسر وأنفع .

المبحث الثالث: نماذج من اجتهادات الخلفاء:

المثال الأول: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق.

توفي النبي ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الرقاع واللخاف والعصب والأكتاف، لكنه مفروق ولم يرتب في مصحف واحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . يرجع سبب عدم جمع القرآن مرتباً في مصحف واحد على عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حرص النبي نفسه على عدم جمعه ترقباً لنزول شيء جديد منه حتى وفاته، فلو أنه رتبته أولاً بأول وجمعه بين دفتي مصحف واحد، لأدى هذا إلى كثرة التغيير والتبديل كلما نزلت عليه آية، وفي هذا من المشقة ما فيه.

وظل القرآن الكريم على هذه الحال مفروقاً غير مجموع في مصحف واحد، إلى أن كانت خلافة أبي بكر، فواجهته أحداث جسيمة، وقامت حروب الردة، واستحرّ القتل بالقراء في وقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة التي استشهد فيها سبعون قارئاً من حفاظ القرآن. هال ذلك عمر بن الخطاب، وخاف أن يضيع شيء من القرآن بموت حفظته، فدخل على أبي بكر، وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فنفر أبو بكر من مقالته، وكبرّ عليه أن يفعل ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، فظل عمر يراوده حتى اطمئن أبو بكر لهذا الأمر. فوقع اختيار أبي بكر الصديق على زيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة، فأوجز الصديق مبررات اختياره في جملة قصيرة هي: "إنك رجل شاب، عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن واجمعه" (1).

ثم كلف أبو بكر زيدا بن ثابت بتتبع الوحي وجمعه، فجمعه زيد من الرقاع والعصب واللخاف وصدور الرجال. حرص زيد بن ثابت على التثبت مما جمعه، ولم يكتف بالحفظ دون الكتابة، وحرص على المطابقة بين ما هو محفوظ ومكتوب، وعلى أن الآيات من المصدرين جميعاً. فكان ذلك أول جمع للقرآن بين دفتين في مصحف واحد، واحتفظ أبو بكر بالمصحف المجموع حتى وفاته، ثم أصبح عند حفصة بنت عمر.

هنا اجتهد الخليفة من أجل الحفاظ على الكتاب الأهم لرعيته، وهو القرآن الكريم، فقرر جمع القرآن بعد أن كان مفرقاً، رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك، إلا أن مسؤوليته اقتضت أن يتخذ الإجراء الذي يحافظ به على القرآن الذي به تعرف أحكام الدين. وكان أصل هذا الإجتهد نصيحة وجهها عمر، ثم شاوره أبو بكر للتأكد من أن هذا الإجتهد لا يتعارض مع الدين ثم أمر بتنفيذه.

المثال الثاني: إيقاف حد السرقة في عام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب.

قال الله تعالى: - {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم} (1). وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: "تقطع يد السارق في ربع دينار" (2).

وقد أقام النبي حد السرقة على المرأة المخزومية مع شرفها، ولم يقبل الشفاعة فيها، وقال: (وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (3).

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الحدود - ومنها حد السرقة - إنما جاءت للحفاظ على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم، وهي من الضروريات المعلومة في الشريعة، وليس المراد بها تعذيبهم بقطع أعضائهم أو قتلهم أو رجمهم، ومن جهة أخرى نجد أن الشريعة تراعي ظروف الناس الخاصة والعامّة عند تطبيق هذه الحدود، فقد يصيب الأمة ظرف عام يقتضي تغيير العمل بالحديث النبوي، وذلك رفعا للحرَج والمشقة والضيق الذي قد يلحق بالأمة، ومن ذلك ما وقع من اجتهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عام الرمادة، (4). حيث أوقف العمل بحد السرقة، وهو حد ثابت بنص القرآن وبنص نبوي صحيح صريح، وهو محل إجماع بين العلماء، وما وقع من عمر بن الخطاب إنما هو مراعاة منه للظرف الزماني الطارئ على الأمة حيث وقعت مجاعة عظيمة ألمت بالناس واستمرت تسعة أشهر، مما دفع بعض أفراد الناس إلى السرقة لسد جوعهم حفاظا على حياتهم.

فقد روى أبو بكر بن أبي شيبة من طريق حصين بن حدير قال: سمعت عمر يقول: "لا قطع في عذق، ولا في عام سنة" (5).

وهذا النص صريح في أن الدافع لعمر من عدم تطبيق حد السرقة هو بسبب الظرف الطارئ الذي دفع الناس للسرقة

المثال الثالث: زيادة الأذان الثاني يوم الجمعة ومنع المتعة في الحج في عهد عثمان بن عفان.

• زيادة الأذان الثاني يوم الجمعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي (1) وهذه الزيادة من سنة الخلفاء الراشدين، ولا شك أن عثمان من الخلفاء الراشدين و رأى مصلحة أن يزداد هذا الأذان لتنبه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة، فاجتهد في هذا و وافقه جميع الصحابة، واستمر العمل به ولم يخالفه أحد حتى في زمن علي و زمن معاوية و زماني بني أمية و بني العباس إلى يومنا هذا، فهي سنة بإجماع المسلمين (2) ثم هو له أصل في الشرع، و هو الأذان الأول في الفجر، ففاس عثمان هذا الأذان عليه(3).

• النهي عن متعة الحج.

عن سعيد بن المسيب، قال: اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة، فقال علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك، فلما أن رأى علي ذلك، أهلَّ بهما جميعاً 4. والناظر إلى حكم عثمان يجد أن عثمان نهى عن المتعة أو الجمع بينهما ليعمل بالأفضل لا ليبطل المتعة، ولا يخفى على عثمان ومن دونه أن من أراد الإحرام فهو مخير بين الأفراد والقران والتمتع، ولكنه رأى الأفراد أفضل من الإثنين.

المثال الرابع: تضمين الغسال والصباغ في عهد علي بن أبي طالب.

• تضمين الغسال والصباغ

كان الصانع الذي يغسل الثوب ويصبغه لا يضمن الثوب إذا فسد أثناء غسله أو صباغته، ولكن بعد فساد ذم بعض الناس ظهرت شواهد يستنتج منها تهاون الصانع في العناية بما في أيديهم من أموال ليست لهم، وظهر الغش والخداع والكذب بطريقة لم تكن من قبل، لذلك اجتهد الخليفة علي بن طالب رضي الله عنه في تغريمهم ما أثلّفوه، فذكرت كتب السير: " أن علي بن طالب ضمن الغسال والصباغ " (1).

• عقوبة الطبيب إذا أخطأ بتقصير منه

عقوبة الطبيب إذا أخطأ بتقصير منه كان سيدنا علي رضي الله عنه يحمل الطبيب مسؤولية خطئه إن مات المريض، ويوجب عليه دفع ديته، فخطب يوماً قائلاً: " يا معشر الأطباء والبياطرة،

والمطيبين، من عالج منكم إنسانا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة فإنه إن عالج شيئا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب، فهو ضامن" (2).

والناظر إلى حكم سيدنا علي رضي الله عنه يجد أنه كان متعمق الفهم في مقاصد الشريعة ويعرف أنه شامة في فهمه لمصالح العباد ودرء المفسد عنهم لذا نجد أنه حكم حكما سديدا عندما ضمن الصناعات والطبيب وذلك حفظا لحقوق العباد من الضياع وسدا للزرائع وهو أخذ أموال الناس بالباطل بدعوى سرقتها أو ضياعها، وكذلك حفظ النفس التي من خلالها تقوم الحياة وأيضاً بذلك أعطى للصناعات والأطباء والبيطرة نوع من المسؤولية والاهتمام تجاه ما يقومون به من أعمال وجعل ترك الحفظ أمر قد انقضت وولى وبذلك جعل الناس مطمئنين لأنه وفر لهم أمان وراحة في قضاء حوائجهم وحفظ لهم حقوقهم. فنجد أن القيمة التشريعية وهي حفظ أموال الناس وحقوقهم تجلت واضحة في اجتهاد سيدنا علي رضي الله عنه وأن المقصد من وراء هذا الاجتهاد واضح أيضا فلا بد من الالتفات إليه.

المثال الخامس: تدوين الحديث النبوي في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز.

يعد تدوين السنة من أهم اجتهادات عمر بن عبد العزيز فبعد أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن في أول الأمر، مخافة اختلاط القرآن به، وانشغال الناس عن كتاب ربهم بغيره، ثم جاء بعد ذلك الإذن النبوي بالكتابة والإباحة المطلقة لتدوين الحديث الشريف، فنسخ النهي وصار الأمر إلى الجواز (1).

ولقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع السنة، ثم عدل عن ذلك، فعن عروة بن الزبير: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما ولقد عزم له فقال: إني أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا (2).

هذا الرأي من عمر متناسبا مع حالة الناس في ذلك الوقت فإن عهدهم بالقرآن لا يزال حديثا وخصوصا من دخل في الإسلام من أهل الآفاق ولو أن السنة دونت وتناولها الناس بالحفظ والدراسة لزاحمت القرآن، ثم جاء عمر بن عبد العزيز فأمر بجمع الحديث والسنن ووضعها في دفاتر مرتبة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم عامل على المدينة كتابا قال فيه: انظر ما كان

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء , ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم" (3).

وكتب أيضا إلى علماء آخرين في المدينة، يقول ابن شهاب الزهري: " أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا فبعث لكل أرض عليها سلطان دفترًا ولم يقف عند ذلك بل عمم أوامره إلى جميع الأمصار ليقوم كل عالم بجمع وتدوين ما عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سمعه من أصحابه الكرام، وقد انتهج عمر في جمع الأحاديث منها سديدا قويما وسلك فيه شروطا صارمة ووضع له أبعادا هادفة مفيدة ويتجلى ذلك في أربعة أمور:

1_ حسن اختياره للقائمين بهذا الأمر .

2_ أنه طلب ممن يدون له السنة جمع الأحاديث مطلقا وتدوينها .

3_ أنه ألزم من يدون السنة النبوية أن يميز الصحيح من السقيم .

4_ تثبته من صحة الحديث والتحديث (1).

ومن خلال هذا نستنتج أن تدوين الحديث النبوي كان من اجتهاداته مخالفا بذلك من سبقوه من الخلفاء والنصوص التي تنهى عن كتابة الحديث وتدوينه بعد أن أعمل المقاصد في فهم النصوص وتفسيرها حسب ما تقتضيه المصلحة في حفظ السنة من الضياع.

ومن اجتهاداته أيضا إخراج زكاة الفطر نقدا.

جاء في مصنف بن أبي شيبة عن قرّة قال " جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز في صدقة الفطر نصف صاع عن كل إنسان، أو قيمته نصف درهم" (1).

وهذا ما ذهب إليه عمر في اجتهاداته إلى جواز إخراج زكاة الفطر نقدا واجتهاد عمر ظاهره فيه تجاوز للنص وهو خلاف ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم حين فرض زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين (2). لكن عمر لم يتعلق بظاهر الحديث، بل نظر إلى المقصد من أخذ الزكاة، وهو التزكية والتطهير للغني، وسد خلة الفقراء من المؤمنين، لأنه أنفع لهم، فلما كان من مقاصد الزكاة المواساة بالمال وإغناء فقراء المسلمين وسد حاجتهم، نظر عمر رضي الله إلى المصلحة وأمضى حكمه.

هذه بعض الاجتهادات الفقهية التي مارسها عمر بن عبد العزيز تدل على تبحره في المسائل الشرعية، وقدرته على الاجتهاد وإصدار الأحكام استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومن سبقه

من الخلفاء الراشدين وعلماء الأمة، من خلال الجمع بين فهم النص ومعرفة الواقع وتقديم المصلحة.

الخاتمة

- 1- من خلال الإجتهد المقاصدي يمكن فهم نصوص الشريعة وتفسيرها وفقا للمقاصد، والترجيح بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينهما.
- 2- الإجتهد المقاصدي يتميز عن غيره من أنواع الإجتهد عن رؤيته للنصوص مع تقديم المصلحة العامة.
- 3- المعنى من تغيير الأحكام لتغيير الزمان والمكان والعرف هو تغيير الوصف الشرعي للوقائع، بناء على إجتهد جديد لحكم أو قضية بسبب تغيير الوصف الظاهر، ولا يعني إبطال الأحكام الشرعية.
- 4- الإجتهد المقاصدي يقوم على مراعاة مصالح العباد في الأجل والعاجل، بناء على مقاصد الشريعة في إعتبار تغيير أحوال الناس وظروفهم وأعرافهم.
- 5- كان الخلفاء الراشدون يعتمدون على الكتاب والسنة، ويستخدمون المصلحة والقياس، وكانوا كثيرون الشورى للصحابه ويعتمدون رأيهم.
- 6- لم يبتعد الخلفاء الراشدون عن مضمون النص، بل نظروا إلى روح النصوص ووظفوها لمقاصدها.

التوصيات

أوصى الباحث بأهمية استخراج ما تناثر في تراث أئمتنا من مسائل وقضايا أعملوا فيها فهم المقاصدي عن تعاملهم مع النصوص، وجمع ذلك وترتيبه وتبويبه في ديوان خاص، ليستفاد منه في توجيه الحركة الفقهية بما يتناسب مع الخلود الزماني والإمتداد المكاني للشريعة الإسلامية.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

- 1- أحمد حسن الربابعة، أثر الاجتهاد المقاصدي في الكشف عن الحكم الشرعي للمسألة الطبية المعاصرة ((الخلايا الجذعية)) .

- 2- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ت: 671هـ - 1273م)، المجلد الخامس، الجزء التاسع، ص2، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان 1966 م.
- 3- أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، (ت 462هجرية) حققه عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام 1417هـ.
- 4- أبي عمر يوسف ابن عبدالبر النمري القرطبي (436)، جامع البيان العمل وفضله وما ينبغي لروايته وحماله .تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام 1419.
- 5- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق : محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط 1/ 1422.
- 6- أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا (د. ت).
- 7- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المشهور بالشاطبي، الموفقات، تحقيق : مشهور بن حسن سلمان، دار ابن عفان، الدمام، السعودية، ط 1/ 1417.
- 8- نقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع الفتاوى ، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزائر، دار الوفاء، ط 3/ 1426
- 9- جمال فرحات صاوي، مراعاة مقاصد الشريعة وأثرها في العمل بالحديث النبوي.
- 10- خليل محمود نعراني، أثر الظرف في تغيير الأحكام الشرعية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط- 1427 هـ.
- 11- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، تحقيق: عصام موسى هادي، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل، المملكة العربية السعودية، ط 1/ 1434.
- 12- عبد الله بن محمد العبسي الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الاستاذ سعيد اللحام، مكتب الدراسات والبحوث، دارالفكر، بيروت، (د.ط). (د.ت).
- 13- عبد الستار الشيخ، عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1996م.

- 14- عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العويد، مقاصد الشريعة عند الصحابة رضوان الله عليهم المجال والأعمال، الطبعة الأولى 1440 هـ 2019م، دارأطلس الخضراء للنشر والتوزيع. الرياض.
- 15- علي محمد الصلابي، عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.
- 16- محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1968م.
- 17- محمد معاذ مصطفى الخن، اجتهاد الصحابة، بحث في أصول الفقه وتاريخ التشريع، دار الإعلام، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، 1423 هـ - 2002م.
- 18- محمد مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1 / 1401.
- 19- مسفر القحطاني، الوعي المقاصدي قراءة معاصرة للعمل بمقاصد الشريعة في مناحي الحياة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 2008م.
- 20- يعقوب عبد الوهاب الباحسين، إرشاد القاصد إلى علم المقاصد، دار التدمرية، الرياض، ط 1 1438.

نظرية (المعرفة، والتعارف، والاعتراف)

عند الشيخ علي يحيى معمر

دراسة نقدية تحليلية

الدكتور - خالد سعيد تفوشيت

أستاذ مساعد بقسم أصول الدين، كلية العلوم الشرعية - سلطنة عمان

Ksaid@css.edu.om

الملخص:

تناولت هذه الورقة نظرية (المعرفة، والتعارف، والاعتراف) عند الشيخ علي يحيى معمر بالدراسة والتحليل باعتبارها منهجاً علمياً لتحقيق التقارب والوئام الإنساني، القائم على التعايش مع الآخر؛ موضحة السبل المثلى لمعرفة الآخر والتعريف إليه وصولاً إلى الاعتراف به، وتفهم ما لديه بالطرق التي تمكن البشرية من سد الفجوات المعرفية، وتجاوز العقبات التي تحول دون التلاقي والتواصل.

وتهدف الدراسة إلى عرض مضمون هذه النظرية، وبيان التسلسل المعرفي والمنطقي بين دوائرها، وإظهار المنظور الإسلامي لها، وذلك من خلال توضيح مفاهيمها التأسيسية الثلاث (المعرفة، والتعارف، والاعتراف) لصلة المسلم بالمسلم، أو صلته بالآخرين، وكذلك الوقوف على الضوابط التي تضبط هذه النظرية والأهداف التي تحققها، وبيان العلاقة التكاملية بين الاختلاف باعتباره عاملاً من عوامل ثراء الفكر البشري الذي يبقى على الدوام، وبين المفاهيم التي تقوم عليها هذه النظرية لتوجيهها الوجهة المنسجمة مع مراد الله.

وظّف هذا البحث المنهج التحليلي ليعالج موقع المفاهيم الثلاثة في عملية الحوار، مستهدفاً بناء إطار عام لمسألة الحوار المنضبطة بقيم المعرفة والتعارف والاعتراف وقوانين التدافع ضمن رؤية منسجمة تماماً مع الفطرة، كما اعتمد البحث على استقراء فكر الشيخ وأطروحات هذه النظرية من خلال كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية.

وقد استدعى ذلك كله تقسيم موضوع هذه الورقة إلى ست محاور تناولت: تحديد المفاهيم المؤسسة للنظرية، ودوائر النظرية وتسلسلها المعرفي، والمنظور الإسلامي للنظرية، وضوابط النظرية وأهدافها، والعلاقة التكاملية بين الاختلاف والمفاهيم الثلاثة.

وخلص البحث إلى أنّ نظرية التعارف عند الشيخ علي يحيى معمر انبنت على رؤية متكاملة ومستوعبة للمعرفة الصحيحة التي تؤدي إلى التعارف الصحيح الذي ينطلق أساساً من الاعتراف بالاختلاف والتباين بين الناس، وهذه الدوائر الثلاث: (المعرفة والتعارف والاعتراف) تعدُّ عند الشيخ من أهم وسائل وحدة الأمة، وحفظ الأخوة والتسامح بين أفرادها وجماعاتها، فهو ينطلق في تأصيلها لهذه النظرية من منطلق القرآن الكريم الذي يؤسس لمبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات (ليتعارفوا).

مقدمة

تناولت هذه الورقة نظرية (المعرفة، والتعارف، والاعتراف) بالدراسة والتحليل باعتبارها منهجاً علمياً لتحقيق التقارب والوئام الإنساني القائم على التعايش مع الآخر؛ موضحة السبل المثلى لمعرفة الآخر والتعرف إليه وصولاً إلى الاعتراف به، وتفهم ما لديه بالطرق التي تمكن البشرية من سد الفجوات المعرفية، وتجاوز العقبات التي تحول دون التلاقي والتواصل، فالمشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار فيما بينها، وإنما في عدم معرفة ما عند الآخر، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة، وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص أو التعصب واتباع الهوى، أو الصورة النمطية والسطحية في المعرفة؛ لذلك فإن كل حضارة غالباً ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السليمة أو الصحيحة بها، فيبقى جانب الصراع والتصادم هو الطاغى والأبرز.

وقد حاول الشيخ علي معمر أن يبرز من خلال هذه النظرية الرؤية الإسلامية في موضوع الحوار والتفاعل مع الآخر القائم، وذلك من خلال استجلاء منهج القرآن الكريم الذي أسس لرؤية كونية متوازنة ومتكاملة في الحوار والاتصال والتفاعل، ومنهج سنة النبي ﷺ، وبالنظر في الأمثلة الواقعية الحية لأعمال الخلفاء الراشدين، والصحابه، والتابعين وسير سلفنا الصالح التي تجسد قيم الحوار، والاتصال القرآني في ممارسات الأمة الإسلامية وحضارتها وفي صلتها مع الأديان، والثقافات، والأمم، والشعوب.

فالحقيقة الأساسية التي ركز عليها الإسلام في قضية الحوار ووظفت في بيان الحق وخدمته في مختلف صورته وأشكاله اختزلها الشيخ علي معمر في هذه المفاهيم الثلاث التي تُعدُّ الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة والمختلفة، فمن دون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة

للمعرفة، وما كان للتعارف أساساً أن يكون؛ لأنّ التعارف لا يتحقق بدون ترسيخ حقيقة الاعتراف بسنة الاختلاف بيننا في عدة خصوصيات، وذلك عبر تفعيل مواطن الوفاق والاتفاق لبلوغ صيغة إدارية لما نختلف حوله سواءً في فهم الدين أو السياسة أو الثقافة أو الاجتماع.

أسئلة البحث:

يمكن صياغة ما سبق ذكره على هيئة أسئلة محددة تكون هي المنطلق للحديث عن هذه النظرية، وهي:

1- ما مضمون هذه النظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف)، وما هو التسلسل المعرفي والمنطقي بين دوائرها؟

2- ما هو المنظور الإسلامي لنظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف)، هل تعدّ هذه النظرية من المفاهيم التأسيسية لصلة المسلم بالمسلم، أو صلته بالآخرين؟

3- ماهي الضوابط التي تضبط هذه النظرية والأهداف التي تحققها؟

4- ما هي العلاقة التكاملية بين الاختلاف والمفاهيم التي تقوم عليها هذه النظرية؟

أهداف البحث:

1- عرض مضمون هذه النظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف)، وبيان التسلسل المعرفي والمنطقي بين دوائرها.

2- إظهار المنظور الإسلامي لهذه النظرية، من خلال توضيح المفاهيم التأسيسية لصلة المسلم بالمسلم، أو صلته بالآخرين.

3- الوقوف على الضوابط التي تضبط هذه النظرية والأهداف التي تحققها.

4- بيان العلاقة التكاملية بين الاختلاف باعتباره عاملاً من عوامل ثراء الفكر البشري الذي يبقى على الدوام، وبين المفاهيم التي تقوم عليها هذه النظرية لتوجيهه الوجهة المنسجمة مع مُراد الله.

منهج البحث:

وظّف هذا البحث المنهج التحليلي ليعالج موقع المفاهيم الثلاثة في عملية الحوار، مستهدفةً بناء إطار عام لمسألة الحوار المنضبطة بقيم المعرفة والتعارف والاعتراف وقوانين التدافع ضمن

رؤية منسجمة تماماً مع الفطرة، كما اعتمد البحث على استقراء فكر الشيخ وأطروحات هذه النظرية من خلال كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية.

هيكل البحث:

وقد استدعى ذلك كله تقسيم موضوع هذه الورقة إلى مقدمة وست محاور:

مقدمة:

المحور الأول: تحديد المفاهيم المؤسسة للنظرية.

المحور الثاني: دوائر النظرية وتسلسلها المعرفي.

المحور الثالث: المنظور الإسلامي للنظرية.

المحور الرابع: ضوابط النظرية وأهدافها.

المحور الخامس: العلاقة التكاملية بين الاختلاف والمفاهيم الثلاثة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المحور الأول: تحديد المفاهيم المؤسسة للنظرية.

أولاً: المعنى اللغوي للمفاهيم الثلاث:

- المعرفة لغة: مأخوذة من عَرَفَهُ يعرفه بالكسر مَعْرِفَةً وَعَرَفَاناً بالكسر، وهي إدراك الشيء بتفكير وتدبر، فهو أخص من العلم، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال يعلم الله لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكير، ويضاد المعرفة الإنكار، والعلم الجهل، فهي إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف (1).

- التعارف لغة: مأخوذة من عرف الشيء عرفانا ومعرفة، أي أدركه بحاسة من حواسه، وتعارف يتعارف تعارفاً، فهو مُتَعَارَفٌ، ومُتَعَارَفٌ عليه، وتعرف إلي فلان جعلته يعرفني، وتعارف الرجلان تحقق كلاهما من الآخر وعرفه، وتعارف الصديقان بعد سنواتٍ من الفراق، وتعارف الطُّلاب: عَرَفَ

(1) انظر الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان: بيروت طبعة 1995، 1 / 467، وانظر المناوي، محمد: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى 1410، 511/1. وانظر الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405، تحقيق: إبراهيم الإبياري، 283/1.

بعضهم بعضاً، قال تعالى: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، وتعارفوا على أمرٍ: أصبح متفقاً عليه بينهم في السلوك والعادات والمعاملات ونحو ذلك حين تصبح مقبولة دون اتفاق رسمي، مثل لغةٍ متعارفٍ عليها، وأجرٌ متعارفٌ عليه، وهذا أمرٌ متعارفٌ عليه.

- الاعتراف في اللغة: مأخوذٌ من اعترف يعترف اعترافاً: أي اعترف بالشيء وأقر به، أي اعترف بالخطأ، واعترف الشيء: عرفه، واعترف إليه: أخبره باسمه وشأنه، واعترف الضالة: وصفها من غير أن يراها بصفة يعرفها هو وحده ويعلم بها أنه صاحبها، واعترف به: دل عليه، واعترف للأمر: صبر، واعترف: ذل وانقاد⁽²⁾.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للمفاهيم الثلاثة:

إنَّ المتتبع للمعنى اللغوي لهذه المفاهيم يدرك تداخلها وترابطها في المعنى فمفهومُ التعارفِ مأخوذٌ من المعرفة ومن العرفان، وهما يفيدان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره، والتعارف مزيج من التعرّف والتعريف، فمفهوم التعارف ذو سعة يمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتساكن والتعايش، ويمكن أيضاً أن يستوعب قيم الحوار، والجدل والتي هي أحسن، والاحترام المتبادل، والتكاتف حسب المواهب والقدرات المتنوعة، للنهوض بالعرف الحسن والمعرفة الرشيدة؛ وفاءً بالحاجات، وتعاوناً على التكاليف والأعباء، فبناء الفرد لذاته، ونضوجه الشخصي تعرّف وتعارف، وتكوين الأسرة وتربية الأبناء واستكمال شخصياتهم، تعرّف وتعارف، وتفاعلات المجتمع تعرّف وتعارف، وعلاقات الشعوب والقبايل الإنسانية تعرّف وتعارف، ولن يتحقق ذلك تحققاً فاعلاً إلا بالمعرفة الصحيحة القائمة على نهج الإسلام وصبغته، فهو أصل التعارف وأساسه.

المحور الثاني: دوائر النظرية وتسلسلها المعرفي.

إنَّ الحديث عن هذه مفاهيم النظرية الثلاثة (المعرفة، والتعارف، والاعتراف) يتطلب إدراكاً لتسلسل المعرفي والمنطقي بينها وذلك بتتبع مختلف أنواع الحوار ودوائره.

وقد أشار الشيخ العلامة علي يحيي معمر رحمه الله إلى أنّ نظرية المعرفة والتعارف والاعتراف مبنية في النسق الإسلامي على حوار متنوع ومتعدد ومتداخل ومتصل، يبدأ ويدور في

(2) انظر ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر: بيروت، ط 1، ج 9، ص 236، 237.

دوائر كثيرة متداخلة يمكن حصرها في ثلاث دوائر رئيسة لو تمسك بها المسلمون لنعموا بالتواصل والتواد والتراحم فيما بينهم، هذه الدوائر هي: المعرفة والتعارف والاعتراف، وقد جعلها الشيخ وسائل لوحدة الأمة وحفظ الأخوة والتسامح بين أفرادها وجماعاتها، فقال: "أنَّ المذهبيَّة في الأُمَّة الإسلاميَّة لا تتحطَّم بالقوَّة ولا تتحطَّم بالحجَّة. ولا تتحطَّم بالقانون، فإنَّ هذه الوسائل لا تزيدُها إلاَّ شدَّة في التعصُّب، وقوَّة ردِّ الفعل؛ وإنَّما تتحطَّم المذهبيَّة بالمعرفة والتعارف والاعتراف، فبالمعرفة يفهم كلُّ واحد ما يتمسِّك به الآخرون، ولماذا يتمسِّكون به. وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعيِّ للعبادات. وبالاعتراف يتقبَّل كلُّ واحد منهم مسلك الآخر برضى ويعطيه مثل الحقِّ الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ) وفي ظلِّ الأخوة والسماح تغيب التحدِّيات وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحِّح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة غير خائفة أن يقال عنها تركت مذهباً أو اعتنقت مذهباً"⁽³⁾.

الدائرة الأولى: المعرفة التي تؤدي أولاً إلى الحوار مع الذات في إطار الذات بوصفها فرداً وجماعة، ثم الحوار مع الآخر ثانياً، أي يفهم كل واحد ما عنده وما يتمسك به الآخرون، ولماذا يتمسكون به.⁽⁴⁾

في هذه الدائرة يتحاور المسلم مع نفسه ليكتشف حقيقة توجهه، ومدى مصداقية المنهج الذي يتبعه، ومدى التزامه به في قلبه ونفسه وفؤاده وجوارحه وأفعاله وسلوكياته إلخ، فإذا كان يعاني من إشكاليات فكرية فحلها هو ربط عالم الشهادة بعالم الغيب، ووصل المخلوق بالخالق، والربط بين الدنيا والآخرة، وما بين الحياة بالممات، وما بين الفناء والخلود، فتحل تلك الإشكالات التصويرية؛ ولذلك كانت الضرورة داعية إلى إعادة صياغة الشخصية الإسلامية وتصورها الصحيح حتى يكون تصوراً قرآنياً مبنياً على الأدلة اليقينية لا على الأوهام والأفكار الخاطئة، وبذلك يصبح المسلم قادراً على اكتشاف هويته وشخصيته، فيصبح متبوعاً لا تابعاً، قائداً لا منقاداً، مؤثراً لا متأثراً.⁽⁵⁾

⁽³⁾ معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري، السيب: سلطنة عمان، ط3، 2014م، ص2.

⁽⁴⁾ انظر معمر: المرجع نفسه، ص 2.

⁽⁵⁾ انظر الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، أعده ورتبه: فهد بن علي بن هاشل السعدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2008م، سلطنة عمان ص 325.

الدائرة الثانية: التعارف الذي يؤدي إلى الحوار مع الذات في إطار حضور الآخرين، وهو التعارف الذي يشتركون فيه من حيث السلوك والأداء الجماعي للعبادات⁽⁶⁾.

وفي هذه الدائرة يتحاور المسلم مع ذاته في تنوع مستوياتها، لكن في حضور الآخرين؛ أي في حضور جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، والأجناس والجماعات الأخرى المغايرة له في الرؤية والعقيدة والتصور. وهنا يجب أن يكون كل من المتحاورين مطلعاً على ثقافة الآخر ومنطلقاته العقديّة والفكرية.

وكذلك يتحاور المسلم مع أخيه المسلم بعيداً عن اللزوميات الكلامية وسبق إصدار الأحكام والتوجس والتشنج من الآخر أو التشنيع عليه حتى يخلق مجالاً حيويّاً للتأثير في الآخرين " فإذا استقام التاريخ الإسلامي، وعَرَضَ كلُّ أصحابِ فرقةٍ من فرق الإسلام عقائد تلك الفرقة، وأحداث تاريخها، ومدى ارتباطها بمصدرها الأول عرضاً واضحاً صريحاً، وأزيلت عنها ما ألصقته بها الدعاية المغرضة، أو الجاهلة، أو المستغفلة، وجد جميع أصحاب الفرق في جميع مواطن الإسلام، أنهم متشابهون كل التشابه، فهم منطلقون لتحقيق الرسالة الخالدة التي أنيطت بهم، في طريق واحدة، أوفي طرق متشابهة، منتهية إلى غاية واحدة"⁽⁷⁾.

فالقضية هنا هي قضية تعارفٍ قائم على معرفة ما عند الآخر، وذلك باطلاع كل فريق على ما عنده للآخر، وإزالة الحواجز النفسية والاجتماعية التي فصلت الأمة بعضها عن بعض رداً من الزمن، وأوجدت الوحشة، فإن إزالة هذه الحواجز يُبدّل هذه الأمة بالوحشة والنفور ألفةً وتقارباً، وهذا الذي حصل فعلاً، عن طريق مؤسسات عديدة عملت على مدّ الجسور بين فئات الأمة ليتم التعاون بينها بعد التعارف والتفاهم فيما بينها⁽⁸⁾.

ومن ثم ينتقل المسلم بقيمه الحوارية إلى المستوى الحضاري العالمي حيث الحوار الشامل مع الثقافات والحضارات المختلفة والمتغايرة "فحيثما توجد المؤسسات الإسلامية فالجسور ممدّت، والعلاقات توطدت، والتعارف حصل، وتبع ذلك التعاون"⁽⁹⁾.

(6) انظر معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 2.

(7) معمر، علي يحي: الإباضية في موكب التاريخ، ص 19.

(8) انظر الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، ص 324.

(9) الخليلي: المرجع نفسه، ص 324.

فلا قيمة للحديث عن حوار الحضارات إذا لم يسع أتباع كل حضارة ودين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة والمغلوطة التي تكون قد تكونت بفعل ظروف وعوامل تاريخية وإيديولوجية معينة.

إنَّ الإسلام يدعو أتباع وأبناء الحضارات والثقافات إلى أن يتعاملوا فيما بينهم على أساس الانتماء إلى أسرة إنسانية مشتركة، تتفاعل في إطارها مختلف الروابط الحضارية بين الأمم والشعوب، وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل الأحقاد والكراهيات والعصبيات التي طالما أنهكت الإنسانية برمتها بفعل الحروب المدمرة والصراعات المنهكة التي أثرت بشكل كبير على مستوى التقارب بين الحضارات والشعوب حتى أمست متنافرة متباعدة.

فالتعارف كمبدأ إنساني حضاري سام له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات، فهو يقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتفاهم ويهدف إلى بناء أسس حوار حضاري مثمر وبناء.

الدائرة الثالثة: الاعتراف الناتج عن الحوار مع الآخر وفي إطار الآخر بوصفه فرداً وجماعةً، أو عن طريق تقبُّل كل واحدٍ منهم مسلك الآخر برضى، وإعطائه مثل الحق الذي أعطاه لنفسه، اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ ف" يتقبَّل كلُّ واحد منهم مسلك الآخر برضى ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه ... وفي ظلِّ الأخوة والسماح بتغيير التحدييات وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحِّح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة غير خائفة أن يقال عنها تركت مذهباً أو اعتنقت مذهباً"⁽¹⁰⁾.

وهنا يتحاور المسلم مع الآخر المغاير، لكن في ظل نموذج وراثته وثقافته من أجل الحفاظ على هويته وثقافته مخافةً ذوبانها، وتحللها بفعل ضغط الثقافات والأنساق الأخرى، لا من أجل إقصاء الآخر أو محوه من على ظهر الأرض "ولن نصل إلى هذه الدرجة حتَّى يعترف اليوم أتباع جابر وأبي حنيفة ومالك والشافعيّ وزيد وجعفر وأحمد وغيرهم ممَّن يقلِّدُهم الناس أنَّ أئمَّتهم أيضاً يقفون في سعيد واحد لا مزية لأحدهم على الآخرين إلاَّ بمقدار ما قدَّم من عمل خالص لله"⁽¹¹⁾،

(10) معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 2.

(11) معمر: المرجع نفسه، ص 2.

وبهذا ينجح المسلم في تحقيق حوارٍ مثمرٍ وفاعلٍ وبنّاءٍ مع الآخر، يصلُ إلى الاعتراف والتعاش والتفاهم، سواء أكان فرداً أم جماعة، فرقة أم مذهباً، مجتمعاً أم ثقافة أم حضارة. وعندما يصبح حوار التعارف ثقافة وجزءاً من التربية العامة للمسلم، ويتحول إلى نمط في حياته، وقيمة حضارية في وجوده وسلوكه وتفاعلاته، يكون أكثر تأهلاً لتحقيق الاعتراف ومن ثمّ التفاعل مع الآخرين، من أجل تحقيق أهدافه الحضارية والاستخلافية، بوصفه مكلفاً بواجب الاستخلاف والإعمار والإنقاذ والشهود "فلا ينبغي أن يكونَ الإنسانُ متفوقاً على نفسه، يُصرُّ على أن ما يقوله هو وحده الحق، فالحق يعرف بالرجوع إلى الأصول من الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- لا بمجرد الدعاوى. ثم مع هذا نجد أن علمائنا السابقين، كانوا حريصين كل الحرص على ما يوحد الصف، ويرأب الصدع، ويجمع الكلمة... فنحن لا ندعو أحداً إلى أن يتخلى عن مذهبه، سواءً من الناحية الفكرية، أو من الناحية الفقهية" (12).

"المعرفة هي الأساس، ثم التعارف؛ بحيث إن كل فريق يُبدي ما عنده للفريق الآخر، ثم بعد ذلك يتمّ الانسجام ما بين الجميع، فالأمة بحاجة إلى أن تأخذ بهذه الوسائل للتوصل بمشيئة الله إلى الوحدة العامة الشاملة التي تجمع فئاتها وتجمع شتاتها" (13).

والمسلم يكون فاعلاً في الحوار الحضاري العالمي، كلما كان ممتكاً زمام الحوار مع ذاته ومع الآخر، سواء في مجتمعاته هو أو في مجتمعات الآخرين، وسواء أكان أقلية أم أكثرية.

المحور الثالث: المنظور الإسلامي للنظرية.

تعدُّ نظرية المعرفة والتعارف والاعتراف من المفاهيم التأسيسية لصلة المسلم بالمسلم أولاً، ثم صلة هذا المسلم بالآخرين من أهل الكتاب، وأهل الأديان والملل والنحل الأخرى؛ لذلك لا بد من توضيح الإطار النظري الشرعي لهذه النظرية، حيث يتأسس هذا الإطار وفلسفته وأبعاده الكبرى لها على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]، فاختيار الله تعالى في خطابه مصطلح

(12) انظر الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، التقريب بين المذاهب الفكرية، ص 229، 230.

(13) الخليلي: المرجع نفسه، ص 343.

(التعارف) دون غيره مقصود؛ إضافة لما ذكرنا من قبل، فإنه أشد ملائمة لطبيعة المجتمع الإنساني وارتقاء التعارف بين طبقاته شعوباً وقبائل وأمماً، إذ يحصل هذا التعارف "طبقة بعد طبقة متدرجاً إلى الأعلى... وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العمائر، والعمائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب؛ لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها... فكان هذا التقسيم نظاماً محكماً لربط الأواصر دون مشقة ولا تعذر، فإن تسهيل حصول العمل بين عدد واسع الانتشار يكون بتجزئة تحصيله بين العدد القليل ثم يبيث عمله بين طوائف من ذلك العدد القليل، ثم بينه وبين جماعات أكثر. وهكذا حتى يعم أمة أو يعم الناس كلهم، وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم"⁽¹⁴⁾.

إن القرآن الكريم يؤسس لمبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات (ليتعارفوا)، فالتنوع بين الناس إلى شعوب وقبائل وامتدادهم وتكاثرهم على ربوع الأرض لا يعني أن يتفرقوا أو تتقطع أواصرهم ويعيش كل شعب في عزلة عن الشعوب الأخرى، كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادموا ويتنازعوا من أجل الثروة والقوة والسيادة، وإنما ليتعارفوا .

كما تتأكد بناء على هذا الخطاب قيمٌ عديدةٌ مثل: "قيمة الإنسان وتكريمه"، و"قيمة التفاعل والتواصل الإنساني من أجل الحق"، و"قيمة التقوى" بوصفها مقياساً للتفاضل والتكريم، كما يؤكد ذلك النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: "يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"⁽¹⁵⁾.

ويتأكد لدينا أيضاً قصدية وخصوصية اختيار مصطلح (التعارف) ومتطلباته لفعالية مفهومه في إدراك الغاية من مستلزماته، كالمعرفة والاعتراف المؤدي إلى التعاون وتبادل المنافع ونبذ حب الغلبة والاستئثار والأنانية والاستعلاء والتصادم والصراع. ثم إنه بالغ بكُلِّ إدراك ما لدى الآخر من خير يرغب أن يشاركه فيه، وما يتخبط فيه من مشكلات يقترح عليه حلولها، أو شرور تحيط به

(14) ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتوير، الجزائر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب والدار التونسية للنشر، 1984، ج26، ص260، 259.

(15) أخرجه البيهقي، من حديث جابر رضي الله عنه، في حُطبة الوداع، وقال: في هذا الإسناد بعض من جهل، انظر شعب الإيمان، باب في حفظ اللسان، فصل، ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء، ج11، ص130.

يرشده لمضارها ويدله على سبيل الخلاص منها. كل ذلك يتأتى بحسب مستويات الحوار ومنهجيته العلمية والفلسفية التي ينساب عبرها التعارف.

ومن هذا المنطلق نجدُ أنّ "التعارف" بوصفه مفهوماً إسلامياً تأسيسياً للعلاقة مع الذات ومع الآخر، يخصُّ العالم كله، بشعوبه وقبائله، ويدور حول قيمة "التكريم الرباني" للناس، وهو من باب أولى يخص المسلمين فيما بينهم، فيحكم بينهم بقاعدة التقوى بوصفها معياراً وميزاناً ربانياً يُميّز على وفقه العمل الصالح والعمل الفاسد، "فبالمعرفة يفهم كلّ واحد ما يتمسك به الآخرون، ولماذا يتمسكون به. وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبّل كلّ واحد منهم مسلك الآخر برضىٍ ويعطيه مثل الحقّ الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ)؛ وفي ظلّ الأخوة والسماح تغيب التحدييات وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة..."⁽¹⁶⁾.

وعلى هذا الأساس يشعر الجميع أنهم يسرون في خط واحد، ويهدفون إلى غاية واحدة، وهي خدمة الإسلام، ورفع كلمة الله، وبالتالي يؤمنون بضرورة الترفع عن سفاسف الأمور، وعدم البقاء في الأمور الهامشية، والارتفاع إلى مستوى عظمة الرسالة.

وبناء على ذلك ندرك أنّ هذه المفاهيم تدور حول معرفة الله سبحانه وتعالى، وتكون تجسيداتهما العملية الواقعية على مستوى قيام الإنسان بواجب الاستخلاف والعمران والحضارة المستقيمة على الطريقة، كما أمر الحق تبارك وتعالى، ومن ثمّ ندرك أنّ التعارف في مستوياته المتنوعة يهدف إلى التلاحم والتآلف والتواصل والتعايش والتدافع والتداول بين الناس، وليس معنى هذا أنّ يستعلي الإنسان على الآخرين بنسبه، فلا قيمة لهذا النسب إنما يتعارف المؤمنون بما يكون بينهم من صلة التقوى لا بالأحساب والأنساب، فكل ما يكون من خُلةٍ في هذه الدنيا ومن تواصلٍ بين الناس يتحول يوم القيامة إلى عداوة ساخنة، وإلى قطيعة بينهم إلا ما يكون بين عباد الله المتقين، فأولئك كما تواصلوا في هذه الدنيا بتقوى الله سبحانه وتعالى يظلون متواصلين يوم القيامة بالتقوى، وعندما التزم المسلمون هذه الآداب كما شرعت لهم، وهذه العبادات كما فرضها الله سبحانه وتعالى، وقاموا

(16) معمر، علي يحيى: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص2.

بحقوق هذه الآداب، عندما قاموا بذلك كان لهم التمكين وكان لهم النصر في الأرض، وتآلفت قلوبهم وتناصروا على البر والتقوى⁽¹⁷⁾.

فالإطار النظري لهذه المفاهيم يجعلها ضابطاً يضبط علاقات الناس وتواصلاتهم وتفاعلاتهم وحواراتهم بجملة من القيم والمبادئ التي تتبع من الرؤية الإسلامية، وهذا كما يجعلها قيمة أساسية من قيم عالمية الإسلام وخصائصه العامة الأخرى.

المرتكزات والمبادئ الشرعية للنظرية

عندما تُؤسس نظرية المعرفة والتعارف والاعتراف بكل قيمها وأخلاقياتها وضوابطها وشروطها، بوصفها مقصداً من مقاصد الوجود الحضاري للبشرية على "منظومة التقوى" ومفرداتها الأخلاقية، والتشريعية، والعملية، والتربوية، فإنها تتحول إلى إطار لنفي الخبث، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإزالة الأحقاد التي خلفتها رواسب التعصب والإقصاء، واستبدالها بالتسامح والتفاعل والتواصل، الذي من خلاله يتعارف الناس ويتفاعلون من أجل تحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية، كما أمر الحق تبارك وتعالى، فيعيشون إخوة متحابين، وهذا لا يتحقق إلا إذا أسندته **مرتكزات ومبادئ** تتناسب مع سمو وحسن مقصد هذه المفاهيم والرؤية الإسلامية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. وحدة الأصل الإنساني التي عبرت عنها آية الحجرات، وأكدها الأحاديث الشريفة. فوحدة الرحم الأولى يفترض فيها أن تثير في الإنسان تجاه أخيه الإنسان مشاعر نبيلة سامية تتعلق بهذه المفاهيم الثلاثة.

2. مبدأ وحدة الإنسانية الجامع، وهي نزعة إنسانية ظلت مطمح البشرية في أغلب مراحل تاريخها، خاصة حين تظلمت حضارة، فحامت حول هذا المقصد مذاهب فلسفية وديانات وفنون؛ لأنه تعبير عن حاجة فطرية في الإنسان، كما صرح بذلك القرآن الكريم: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} [البقرة: 211]؛ فإن يكن اختلافهم وتفرقهم وتنازعهم حصل بعد تنازع الهداية والضلال

(17) انظر الخليفي، أحمد بن حمد: شعائر الإسلام ودورها في وحدة الأمة، محاضرة ألقاها سماحته في جامع إزكي عصر يوم الخميس 28/محرم / 1423 هـ الموافق 2002/4/11م.

لهم، فإن في التعارف والاعتراف ما يهديهم إلى نوع من التقارب والتعایش الذي يذكرهم بأصلهم الأول ويرشدهم إلى دلائل الهداية وأسبابها.

3. الاختلاف ظاهرة طبيعية وسنة كونية؛ قال تعالى: **لَوْ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ** {الروم:21}، فالاختلاف في الألوان واللغات آية من آيات الله تعالى، ومما يتسق مع مقتضى هذه الآية والسنة الكونية الإلهية مُعْتَقَدًا وسلوكًا وعملاً التسليم بالحقيقة الواقعية والبحث عما في جوهر الإنسان، روحه وإنسانيته مما يقربه من أخيه الإنسان، وينفع كل منهم الآخر بما قُدِّر له من خيرات يعيش عليها أو ابتكار أو علم اهتدى إليهما.

4. حرية الاختيار، فقد أسس الإسلام قبول عقيدته على حرية الاختيار، فلا إكراه في الدين، فمن باب أولى لا إكراه في الرأي والاختيار، حيث خلد سبحانه في كتابه الكريم قبول الرأي الآخر وحكم بأن قراءته ذكر وبركة تُرَكِّي قارئه وترفع شأنه عند خالقه (18).

وإذا بدت نية فرض الاختيارات فلن يستطيع التعارف أن يمضي أبعد من أشواطه الأولى وبداياته؛ لذلك كان حرية الرأي والاختيار ركيزة فكرية ذات أثر نفسي بعيد ينعكس إيجاباً على مسار التعارف القائم على المعرفة، والمؤدي إلى الاعتراف بالآخر.

ومن خلال هذا العرض المقتضب للمنظور الإسلامي لنظرية المعرفة والتعارف والاعتراف المبني على الحوار الهادف المثمر يتبين أنه يصلح أن يكون إطاراً للتواصل والحوار والتفاعل بين المسلمين والناس أجمعين، فعندما ينضبط الحوار بإطار المعرفة والتعارف، الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه، ويؤسس العلاقة والشراكة والتواصل معه فلا يقطعها أو يمنعها أو يقاومها، عندئذ نجد أنه تلقائياً ينزع نحو الاعتراف بالحق والتدافع بدل التمسك بالباطل والصراع، وهذا يؤكد لنا أن التعارف القائم على المعرفة هو أحد أرقى المفاهيم، وأكثرها قيمة وفاعلية، ومن أشد وأهم ما يحتاج إليه الأفراد والجماعات والأمم والحضارات، وهذه دعوة نبيلة للإسلام لأن يكتشف كل منا الآخر ويعترف عليه، وتكتشف وتتعرف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى، بلا سيطرة أو هيمنة، أو إقصاء أو تدمير.

(18) انظر نوبري، إبراهيم: مركزية الحضارة الغربية ومستقبل الحضارة في القرن 21، محاضرة مخطوطة.

إنَّ المبدأ القرآني في الدعوة إلى المعرفة والتعارف بين الشعوب والحضارات يهدف إلى تجاوز المصالح النفعية المحكومة بالأبعاد السياسية والاقتصادية، ويرمي أيضاً إلى استبعاد وإقصاء المعايير القومية الضيقة في التفاضل بالأعراق والأنساب واللغات. لكن بالمقابل لا بد من اعتبار الأسس الاجتماعية والأخلاقية القائمة على منظومة القيم والآداب لأنها الوحيدة الكفيلة باستمرار وتقوية أواصر ووشائج التقارب والتفاهم، ثم التعارف، فهي قواعد في التفكير والسلوك يحكمها الضمير الإنساني السليم ويتفق على نظامها العام كل من كان سوياً رشيداً.

جوانب المنظور الإسلامي للمفاهيم الثلاث:

يمكن أن يُدرس المنظور الإسلامي لنظرية المعرفة والتعارف والاعتراف من جوانب متعددة، ويمكن أن يُنظر إليها من زوايا نظر متكاملة ومتداخلة، وفيما يلي أهم هذه الجوانب.

الجانب الأول: المعرفة والتعارف والاعتراف رسالة وواجب ينبغي أن يقوم به المسلم:

تُعَدُّ المعرفة والتعارف والاعتراف رسالةً وواجباً ينبغي للمسلم أن يقوم به إزاء نفسه ومجتمعه وأُمَّته والآخرين الذين يعيشون معه في هذا العالم، من أجل التعريف بنفسه، ودينه، وحضارته، وقد حدد الشيخ علي يحي معمر طبيعة هذه الرسالة وكونها من أوكذ الوجبات عند علماء الأمة الذين تركوا في حياة الإسلام أثراً عظيماً "فكانوا يحاولون بما أوتوا من جهد وقوة، أن يوجهوا قلوب الناس إلى الإيمان الحق بالله، والفهم الحق لأسرار الشريعة والعمل الحق بما جاء به الإسلام... وهبوا أنفسهم وجهودهم للعلم، فكانوا يحرصون على إفادة الناس في كل مجتمع: في المسجد، والشارع، والسوق... لذلك كانوا حراًصاً أشد الحرص أن يكون ما يعلمونه حقاً ثبت لهم بالدليل، وصح عندهم بالبرهان، فإنَّ هداية الناس إلى دين الله، وتعليمهم أسرار شريعته، وتثبيت قلوبهم وبصائرهم بنور الله، أفضل القربات عندهم، وأزكى الأعمال لديهم، وأحب الواجبات إلى نفوسهم"⁽¹⁹⁾.

الجانب الثاني: المعرفة والتعارف والاعتراف إطاراً للحوار والتواصل والتفاعل والتكامل والتعلم:

سبق أن أشرنا إلى أنَّ المعرفة والتعارف والاعتراف وسيلة من الوسائل المهمة في تحقيق أهداف الإسلام ومقاصده الكبرى، وذلك بوصفه إطاراً للحوار والتواصل والتفاعل والتكامل والتعلم؛ يجمع كل العناصر والجوانب المتداخلة والمتكاملة له، بمعنى أن هذه المفاهيم الثلاث أوسع وأشمل

(19) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 199.

من تلك الأطر، فالحوار قد يكون هادفاً ومثمراً لأجل المعرفة والتعارف، وقد يكون لمجرد المراءى والجدل والتنازب والتنافر، أما التواصل فقد يكون بتعارف أو بدون تعارف، فالاختلاف الثقافي والعرفي والديني والمذهبي باقٍ حتى قيام الساعة، والحكم فيه يومئذ لله، والتعامل مع بقائه لا يكون بإلغائه ولا بتجاهله، بل بالتعرّف إليه وتقبله واحترامه كسنة دائمة من سنن الكون.

فعندما يكون الحوار مثمراً مؤسساً على تكريم الإنسان وتقوى الله سبحانه وتعالى، يصبح الحوار محكوماً بمنظومة من القيم والأخلاقيات والمقاصد التي تحاول أن تتأى به عن الاستغلالية، والاستهزاء بالآخرين، وعدم احترامهم، والتكبر، وامتهان الآخرين وتسخيرهم ليكونوا وسائل لتحقيق مصالح خاصة، ونشر الفساد والظلم وسفك الدماء بغير وجه حق، فإذا اختفت تلك المنظومة القيمية الخلقية في الحوار استقوى منطق القوة، وتضخم النزوع نحو الصراع، والعنف المقتن بوصفه فلسفة، ومنطقاً للتعامل مع الآخرين، وهنا يتحول الحوار إلى نفي للآخر، وإلى صدامٍ معه وتعدّ عليه، وإلى فرضٍ لمنطقِ الذاتِ وقيمها وأهدافها على الآخرين، سواء اقتنعوا أم لم يقتنعوا، يقول الشيخ علي معمر: "لكن هذه الحرية الدينية التي فهم حدودها الأقدمون، وهذه السماحة الإسلامية، التي أتاحت لتلك العقول الجبارة أن تحلق في أجواء البحث والاطلاع والاستطلاع - أصبحت فيما بعد سبباً من أسباب الشحناء والخلاف والتنازب، عندما سيطر الجهل على الناس، وأعمى التعصب الجامد نور البصائر، ولعبت أهواء الحكم والسياسة بالمفاهيم الحقيقية لتعاليم الدين القويم، واستغل الطغاة والجبابة من الحكام، أطماع ضعاف النفوس والعقائد، ممن تثق بهم الشعوب، وتكل إليهم أمر دينها، فانطمست الروح الحية، وأصبحت الحقائق الدينية، والأصول التي تبنى عليها العقائد والأعمال، مظاهر جدلية للقول لا للعمل، وميدانا يتسابق فيه طلاب الشهرة العلمية للظهور لا للحق، وللناس لا لله" (20).

وهنا يفقد الحوار قيمته الحضارية والتربوية الإنسانية المستمدة من روح الشريعة ومبادئها ومقاصدها العامة، ويتحول إلى أداة ووسيلة فحسب في يد من يريد استغلاله لمطامحه أو ثقافته أو لمذهبه أو حزبه أو غير ذلك؛ ولهذا نجد الإسلام يضبط مسألة الحوار مع الذات ومع الآخرين ضمن نسق تعارفي إنساني هادف، يقول سماحة الشيخ الخليفي: "ولا ريب أنّ الأمة الإسلامية

(20) معمر، علي يحيى: الإباضية في موكب التاريخ، ص 49.

مقومات اتحادها كثيرة، وهي قائمة بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإنما غلبة العصبية والجهل، أوجبت الأحقاد في نفوسها وهي عوامل مدمرة لاتحادها منذ قديم الزمان، والموروثات الفكرية الخاطئة أدت بالأمة إلى الاختلاف والتنازع والتشتت، وقد تعمقت هذه المؤثرات في نفوسهم إلى أن أصبحت كل طائفة منهم تحرص على أن تستمسك بمواريتها مهما كان خطأها وبعدها عن هدي الإسلام، ولا تحاول أن تعرض هذه المواريت على الأصول التي يجب أن يرجع إليها، وهي كتاب الله أولاً، ثم الثابت الذي لا خلاف فيه من السنة الصحيحة... (21).

الجانب الثالث: التعارف معيار وميزان لقياس علاقات الناس:

إنّ التعارف معيارٌ وميزانٌ لقياس علاقات الناس وصلاتهم وتفاعلاتهم ومدى تحقيقهم لمراد الله في وجودهم واستخلافهم الأرضي، والكتاب والسنة هو المقياس الحقيقي لمعرفة مقدار صحة الأشياء وصوابها، وذلك باعتباره مقياساً لا تشوبه أيُّ شائبة فهما الطريق الأمثل للتعارف والاعتراف، فهما: "المقياس الحقيقي الذي نقيس به الخطأ والصواب، والميزان الصادق الذي نزن به العقائد والمذاهب والآراء والأعمال، فنعرف مقدار صحتها، ومدى قربها أو بعدها من الصواب، فإنما هو الميزان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي)) (22).

هذا هو المقياس الصحيح، الذي لا يتغير، ولا يتهم، ولا يخطئ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. من أراد أن يعرف صحة عقيدة أو زيغها، وقربها من الحق أو بعدها، فليعرضها على هذا المقياس، وليحكم حينئذ بما يتبين له... (23).

الجانب الرابع: التعارف قيمة أخلاقية يتجسد من خلالها التوافق والانسجام:

(21) الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، الوحدة الإسلامية، ص 250.
 (22) رواه البيهقي في السنن بصيغة: «أني قد خَلَفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يُفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ» انظر سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، ط 1994م، ج 10، ص 114. ورواه الربيع بن حبيب بصيغة «خَلَفْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لَمْ تَجِدُوهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي سُنَّتِي، فَمَا لَمْ تَجِدُوهُ فِي سُنَّتِي، فَالَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» انظر الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ومكتبة الاستقامة: روي، مسقط- سلطنة عمان، ج 1، ص 14.

(23) معمر، علي يحيى: الإباضية في موكب التاريخ، ص 40.

يعدُّ التعارف الذي يؤدي إلى الاعتراف والتحاور والتواصل بين المسلمين وغيرهم قيمةً أخلاقية إسلامية إنسانية عالية يتجسد من خلالها التوافق والانسجام والتساكن والتعايش والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين رغم اختلافهم فيما بينهم وبين غيرهم، كما أنه يؤدي إلى تكريمهم، واحترامهم لقدرات وإمكانات الآخرين.

فيجب علينا ألا ننظر إلى التعارف بوصفه غاية في حد ذاته، بل وأيضاً باعتباره وسيلة للتواصل حيث يلتقي مفهوم الاعتراف الموصل إلى التآلف والتواصل والتراحم مع مفهوم التعارف في نسق معرفي مشترك. فمجموع هذه الأطر يتضمن بناء الجسور والوصول إلى الآخر وتجاوز الذات.

يقول الشيخ علي يحيي معمر: " ولكنني أحب أن ألغي تلك المسافات الطويلة التي خلقتها بين فرق الأمة أقلام مسيرة لتعود كل فرقة إلى موقفها القريب تمسك يدها وتتعاون معها على البر والتقوى، ولأصحح بعض تلك الأخطاء التي ارتكبتها الأقلام المدفوعة في غفلة من الزمن ضد فرق من الأمة فقطعت بينها الوشائج، وأفسدت العلاقات وحكمت فيما بينها أهواء الساسة والمتسلطين ثم مكائد المبشرين والمستعمرين" (24).

فالتعارف هو الذي يحدد مستويات الحوار والتعاون، ويثريهما ويثمرهما، هذا إلى جانب الدور الوقائي الذي يلعبه في منع النزاع والصدام على مستوى الأفراد والجماعات والأمم والحضارات؛ لهذا فإن اختيار مفهوم التعارف الذي يصل بنا إلى الاعتراف المؤدّي إلى التآلف والتواصل والتعاون على البر والتقوى هو أكثر دقة وأكثر فاعلية.

المحور الرابع: ضوابط النظرية وأهدافها.

أولاً: ضوابط المعرفة والتعارف والاعتراف:

سبق وأن أشرنا إلى جملة من القيم والأخلاقيات، التي تضبط الحوار القائم على معرفة ما عند الآخر حتى يكون مثمراً ومن ثمَّ يؤدي إلى التعارف والاعتراف، وينبغي للمتحاور -من أجل

(24) معمر، علي يحيي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 424.

التعارف للتآلف والتسامح ومن ثم الاعتراف لا للجدال والتخاصم والتنافر - أن يكون مُخلصاً متفاعلاً تحكمه قيم الإخلاص، والصدق، والأمانة، والحكمة، والحق، والموضوعية.

ولا شك أن ضبط إطار هذه المفاهيم الثلاث "المعرفة والتعارف والاعتراف" يحدد لنا أفق الحوار وامتداداته، وغاياته، ومعانيه، وقيمه، يتأسس أصالة على تكريم الآخرين واحترامهم، والمساواة والتفاعل معهم، وعلى عدم الجهل بالآخر، والاكتفاء بالمعرفة السطحية التي لا تعطينا النظرة المتكاملة والواضحة عن الآخر، وإنما محاولة الإقناع بالحجة، والدليل، والبيان، والتبليغ، والدعوة بالتالي هي أحسن، والإصلاح والإرشاد.

وضمن ضوابط إطار المعرفة والتعارف والاعتراف " بكل قيمها، وأخلاقياتها، نستطيع أن نضع وسيلة الحوار في سياقها الصحيح، ونُحدِّد لها الهدف المناسب، ونضع لها الشروط الصحيحة، والمنظومة الأخلاقية والقيمية التي ينبغي أن تحكمه ليكون مثمراً، ومحققاً لمقاصد الناس ومصالحهم المشروعة.

وبذلك نبتعد عن كل ما يؤدي إلى العصبية والجهل والتشاحن والتباغض والفرقة والتشتت؛ فيغيَّب ويختفي الحوار المثمر، وفي هذه الحالة مهما التجأنا إلى الحوار من أجل التعارف والاعتراف، فلن نصل إلى النتيجة المرجوة له، نعم قد نصل إلى التسامح المبني على فوقية المتسامح تجاه المتسامح معه؛ لأنَّ البعض يعدُّ التسامح إهانة للآخر.

لذلك بنى الشيخ علي يحيى معمر نظريته على المعرف والتعارف والاعتراف بين المذاهب والفرق الإسلامية، ولم بينها على الحوار والتسامح؛ لأنَّ علاقة المسلمين فيما بينهم علاقة إيمانية، توحدهم تحت بوثقه الإيمان بالله الواحد الأحد، وليست علاقة تسامحيه، وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على الحوار التسامح.

فالعلاقة الأولى: ندية تقوم على الاعتراف بالحق واحترام الاختلاف نتيجة للمعرفة والتعارف. **والعلاقة الثانية:** فوقية، تقوم على إنكار الحق والاستعلاء على المختلف معه، فلن يعترف أحد بالآخر ما لم تصح بعض المصطلحات والمفاهيم الخاطئة العالقة في أذهان أتباع الفرق والمذاهب الإسلامية، وفي ذلك يقول الشيخ علي يحيى معمر: "وقد كانت العصبية المذهبية وأصابع السياسة، وُعد بعض المسلمين عن بعض، وجهل أهل كلِّ مذهبٍ بما عليه الآخرون، حواجز تحول دون تعرُّف المسلمين بعضهم ببعض. أمَّا الآن - وقد اختلط المسلمون بعضهم ببعض وعرف الكثير

منهم الكثير عن الآخرين - فإنه ينبغي أن تختفي بعض المصطلحات أو بعض المفاهيم، وتنشأ بدلاً منها مفاهيم أو مصطلحات أخرى، تكون أقرب إلى توحيد جميع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم. فلا معنى أبداً أن يأتي إنسانٌ يسهل عليه تماماً أن يستخفَّ بأحكام الله فيرتكب ما نهاه عنه، ويهمل ما أوجبه عليه، ثم يزعم - في تبجح ظاهر - أنه سني أو من أهل السنة؛ فإذا قابله إنسانٌ آخر لا يثق معه في المذهب رماه بأنه مُبتدعٌ رغم الصلاح والتقوى، والحقيقة عكس ما يقول⁽²⁵⁾.

ثانياً: أهداف المعرفة والتعارف والاعتراف.

لما كان مفهوم التعارف الإسلامي بدوائره وجوانبه المختلفة مفهوماً إنسانياً شاملاً لكل البشرية دون استثناء، ولما كان إطاراً أخلاقياً يضبط علاقات الناس وتواصلهم وتفاعلهم وحوارهم بجملة من القيم والأخلاقيات والمبادئ، فإن هذا التعارف يعدّ قيمة أساسية من قيم عالمية الإسلام وخصائصه العامة الأخرى.

فإذا كان الإسلام عالمياً، وواقعياً، ومتوازناً، ومتكاملاً، وإنسانياً، فإنّ هذه العالمية لا يمكن أن تتجسد على حقيقتها، ولا يمكن أن تمارس حق ممارستها إلا في ظل إطار التعارف الإسلامي الذي يدعو إلى التكريم، والسلم، والعدالة، والمساواة، والتسامح، والحرية، والعقلانية، والتشارك، والتساكن، والتآلف.

أهم الأهداف والغايات التي يسعى لتحقيقها وفق الرؤية الإسلامية⁽²⁶⁾:

نستطيع أن نضبط مسار التعارف، وأن نرصد أهم الأهداف والغايات التي يسعى لتحقيقها وفق الرؤية الإسلامية في النقاط التالية:

1- التقارب والتسامح: فالتعارف الإيجابي المبني على معرفة الآخر هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه، فمن شأن البحث المخلص والموضوعي عن هذه الأسباب أن يمدّ أرض الوفاق بين الحضارات والشعوب والقبائل، فتنشعب الإيرادات بقابلية التجاوز والتسامح.

(25) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 317.

(26) انظر: مزاح، محمد: رؤية إسلامية لتعارف الحضارات، بحث منشور في الإنترنت.

2- **التعايش السلمي:** يتطلب هذا الهدف تعميقاً بالغاً لفلسفة وأفكار السلام، وتفكيراً جاداً للخروج بالمسألة من حسابات ومصالح السياسيين والعسكريين، واصطناع جماعات الضغط من دعاة السلام العالمي العادل في كل حضارة بل في كل مجتمع، فتسود المجتمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صورتها الحقيقية؛ بأن تضمن وضعها في ذمة المبادئ⁽²⁷⁾.

3- **معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه،** فكثيراً ما رسمت الحضارات صوراً نمطية لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصور، وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها. وكثيراً ما تكون تلك الصور مغلوطة لأسباب لا ينفسح المجال لبحثها.

المحور الخامس: الاختلاف وعلاقته التكاملية مع المفاهيم الثلاثة للنظرية.

يعدُّ الاختلاف بين البشر، أصلاً من أصول خلقهم؛ وذلك لأنه يحقق حكمة عليا من استخلافهم في الأرض، كما يعدُّ مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الجنس البشري، فاختلاف الاستعدادات بين أفراد هذا الجنس سنة من سنن الخالق، لتتبع الخلق - مع وحدة الأصل والنشأة - فهو من الأمور الطبيعية التي تأتي أن يكون هذا الجنس على مستوى واحد في التفكير والذكاء والميول والرؤى والقيم والموازن حتى لا تصطدم بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، لتقابل هذه الاستعدادات المختلفة وظائف الخلافة المختلفة المتعددة المتنوعة، فلا بد إذن من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف؛ ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات، فالحياتة قائمة على ذلك التنوع "فلذلك تجدهم متفاوتين في المدارك، مختلفين في المشارب، متعاكسين في الأحاسيس، وإلى ذلك يرجع تعدد مذاهبهم في الأمر الواحد، وتباين تصوراتهم في القضية الواحدة {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود:118،119]، وكثيراً ما تتأصل الحمية في نفوسهم فلا تلبث مع استمرار الوقت وعوامل الزمن أن تتحول إلى عقيدة راسخة مستحكمة في العقل والوجدان، مستعصية على الحجة والبرهان، لا تتزعزع لمحرك، ولا تنقاد لداع"

(27) ابن نبي، مالك. مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ ورقم الطبعة، ص187،

(28)، فتنفاوت مراتب عقولهم ومداركها وبناء على هذا التفاوت تختلف التصورات، وتتباين وجهات النظر، وتتعدد المناهج، وتتويع المعتقدات، وبقبول الهدى وإقامة مراد الله تعالى في هذه الحياة يكون منتهى ارتقاء العقل، وبذلك يكون التميز بين أفراد الجنس البشري، وما تماثل أحوال الأمم تلقاء دعوة أنبيائها مع اختلاف العصور إلا دليلاً على تفاوت مراتب العقول البشريّة، وأنّ قبولها الهدى هو منتهى ارتقائها، فنعلم "أنّ الاختلاف شنشنة قديمة في البشر، وأنّ المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جُبِلَ عليها النظام البشري" (29)، فننتعظ ونعتبر ونحذر مما وقعت فيه الأمم السابقة.

وقد اقتضت حكمة الله هذا النظام في العقل الإنساني؛ لأنّ ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبدية الخالصة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إنّ الله سبحانه وتعالى خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأمور، ومنها أمر الصلاح والفساد في الأرض وهو أهمّها وأعظمها لیتفاوت الناس في مدارج الارتقاء ويسموا إلى مراتب الزلفى فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة حتى يُعدّ الواحد بألف {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [الأنفال: 37] (30)، فالاختلاف الذي انجر إليه البشر انجراراً ضرورياً كان ناموساً لتدرج الحضارة وتسهيل وصولها لأذهان البشر وأنّ النهاية تعود إليه (31).

وهذا يؤكد على أنّ الاختلاف عاملٌ من عوامل ثراء الفكر البشري الذي يبقى على الدوام موزعاً بين أفراد الجماعة الإسلامية بل والإنسانية جمعاء، وعلى أجيالها المتعاقبة وثقافتها المتنوعة، وهو أيضاً أصلٌ من أصول الاجتماع الإنساني، وعاملٌ لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم، بالتناظر والتشاور وإعمالهم الرأي وإجلالهم الفكر في الأسباب الموصلة إلى درك الصواب، فبآتي كل منهم بما قدحه زناد فكره وأدركته قوة بصيرته.

(28) الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، رؤى فكرية، ص 323.

(29) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج12، ص 192

(30) ابن عاشور: المرجع نفسه، ج12، ص188.

(31) ابن عاشور، محمد الطاهر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر:

المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، ص 109.

ولذلك يرى الشيخ علي يحي معمر أن حركة الاختلاف بين المذاهب، من الخصائص الحيوية في الإسلام، ودليل انفساحه للعقول والأفهام، وأُسُّ صلاحيته لكلّ زمان ومكان⁽³²⁾؛ ويتأتى ذلك عندما يكون الحوار الفكري بتبادل الآراء، وبالنقد البناء الذي يعدُّ قوام الحياة الفكرية التي تصل بنا إلى التعارف والاعتراف ومن ثمَّ يصبح التسامح بين فئات الأمة الإسلامية الواحدة واجباً دينياً، وفرض وطنياً واجتماعياً، فالأمة هي أمة واحدة مهما اختلفت في التصورات والاجتهادات⁽³³⁾.

وبهذا يكون الاختلاف - بالوصف الذي ذكرناه - رياضةً للأذهان، وتلاقحاً للآراء، وفتحاً لمجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها للتعارف والاعتراف بين المسلمين، لا كما يُخيّل إلى بعض الناس أن الخلاف والاختلاف مظهرٌ من مظاهر التفرقة والشقاق بينهم؛ وذلك بسبب علوقها في أذهانهم بالملابسات التاريخية التي عرفها المسلمون ضمن المدارس والمذاهب التي نشأت في فتراته التي كثر فيها التقليد، وتعصب المقلدين لها، بدافع الجهل، أو الدعاية السياسية المغرضة، فأساءوا فهم الاختلاف وحقيقته، وشوهوا معنى المذاهب الفقهية "وقد كانت العصبية المذهبية وأصابع السياسة، ويُعد بعض المسلمين عن بعضٍ وجهل أهل كلّ مذهب بما عليه الآخرون، حواجز تحول دون تعرّف المسلمين بعضهم ببعض"⁽³⁴⁾.

أضف إلى ذلك عدم تفرقتهم بين أنواع الخلاف، وعدّها شيئاً واحداً يستوجب حكماً واحداً هو الذم؛ لذلك لا بد من تحديد تلك الأنواع ومعرفة طبيعتها ومدى علاقة كل نوع بالتعارف، فالخلاف إما أن يؤدي إلى معرفة ما عند الآخر ومن ثمّ التعارف والتواصل والتسامح، فيكون محموداً، وإما أن يؤدي إلى التعصب والتنافر والخصومة، وتجاهل الآخر وإقصائه فيكون مذموماً، فهو نوعان لا ثالث لهما.

النوع الأول: الاختلاف المحمود.

إنّ الاختلاف في الفروع أمر طبيعي، اقتضته طبيعة الاستنباط وتفسير النصوص الشرعية، فهو اختلاف توسعة ورحمة، وهو: الاختلاف المحمود الذي يفتح الباب أمام صاحب كل واقعة

⁽³²⁾ انظر معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 93.

⁽³³⁾ الخليلي، أحمد بن حمد: لقاءات في الفكر والدعوة، رؤى فكرية، ص 323.

⁽³⁴⁾ معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 317.

ليتهدي إلى الحل المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب ويُسر هذا الدِّين الذي يتعامل مع الناس من واقع حياتهم.

وقد حدد الشيخ علي يحيي معمر هذا النوع من الخلاف، واضعاً الملامح المنهجية له قائلاً: "لقد تختلف أنظار المجتهدين في مسألة فيذهب كلٌّ إلى رأيٍ يعتمدُ فيه على دليل صحَّ عنده، وقد يعمل الناس بقول في جهة أو في زمان ثمَّ يترجَّح غيره عليه فيعملُ به الناس ويموت القول الأوَّل أو يبقى في بطون الكتب فقط. وهذه حالة توجد عند جميع المذاهب، بل قد تقع للعالم الواحد كما اشتهر للشافعي قديماً وجديداً، وكذلك غيره..."⁽³⁵⁾.

ضوابط الاختلاف المحمود عند الشيخ علي يحيي معمر:

إن ضابط الاختلاف المحمود عند الشيخ علي معمر هو: ما لا ينقض أصول الشريعة، ولا يخالف نصوصها الناتج عن إعمال لأصولها ولأدلتها في الأحوال المناسبة لها، وحمل متعارضها بعضه على بعض، وهو الناتج عن الاجتهاد في طلب الحق؛ لأن أصل الاختلاف الاجتهادي لا يقتضي الفرقة والعداوة، وإنما يقتضي التعارف والاعتراف خاصة إذا بني على أسس علمية منهجية، ولذلك أرجع الشيخ مجموع صور وموضوعات الاختلاف إلى أساسين ليس فيهما ما يبرر الخصومة والقطيعة، فقال: "ولكن يهمني أيضاً أن أذكر أن هذا الخلاف في مجموع صور وموضوعاته إنما نتج عن أساسين: الأوَّل: فهم الأئمة والعلماء للأدلة في نصوصها الثابتة من الكتاب والسنة. الثاني: حرص أولئك العلماء والأئمة على إصابة الحق في الفهم والاستدلال والعمل بالمقاصد الحقيقية للشريعة الإسلامية. وليس في هذين الأساسين اللذين نتج عنهما الخلاف ما يدعو إلى الخصومة أو القطيعة"⁽³⁶⁾.

فلا يذم الخلاف متى كان في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد وإبداء الرأي، وهو ما لا يعارض أصلاً من أصول الشريعة، كالاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصر، وهو المعبر عنه بالاجتهاد⁽³⁷⁾.

⁽³⁵⁾ معمر، علي يحيي: المرجع نفسه، ص 6.

⁽³⁶⁾ معمر: المرجع نفسه، ص 93.

⁽³⁷⁾ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج4، ص 34.

وهنا يظهر لنا أثر التفريق بين نوعي الخلاف، "فمسائل الرأي هي المسائل التي ربما تعارضت فيها الأدلة، أو كانت أدلتها فيها أخذ ورد من حيث ثبوتها، فقد يرى بعض العلماء ثبوت رواية من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرى آخرون عدم ثبوتها، فمن هنا يكون الاختلاف بينهم، ولا يفسق بعضهم بعضاً، ولا يضلل بعضهم بعضاً، ولا يقطع بعضهم عذر بعض؛ لأنَّ قطع الأعدار إنما هو مخالفة القطعيات، أما قضايا الفروع فالاختلاف فيها لا يفضي إلى الشقاق بل يجب التسامح فيه؛ فلذلك لا يُفسق ولا يُضلّل الناس فيها بعضهم بعضاً، ونحن نرى إقرار النظر والاجتهاد في مثل هذه الأمور في القرآن الكريم وفيما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم" (38).

والمقصود من الفروع هنا المسائل الفرعية الشرعية التي تعتمد غالباً على الأدلة الظنية، سواء من حيث ثبوتها أم دلالتها، عقدية كانت أم فقهية، والمقصود بالأصول هنا: المسائل الأصلية أو كبرى المسائل العلمية وأمهاها، والتي تعتمد غالباً على الأدلة القطعية، سواء من حيث ثبوتها أو دلالتها، وسواء أكانت هذه المسائل عقدية أم فقهية (39).

وقد حصر الشيخ علي معمر الخلاف الواقع بين المذاهب الإسلامية في دوائر ثلاث أساسية هي:

1. العقائد المتعلقة بالخالق سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله.

2. نظام الحكم وشروط رئيس الدولة.

3. الأحكام المتعلقة بالمسائل الفقهية أصولاً وفروعاً.

منبهاً على أنّ المسلمين اتفقوا عموماً على أصول هذه الدوائر وإن اختلفوا في التفاصيل والتفريعات، ثم قال: "فنحن لو استطعنا أن نجري مقارنة بين عدد المسلمين الذين يثيرون الجدل ويحدثون الخلاف ويدعون إلى تتبّع فرقة دون فرقة أو مذهب دون مذهب ويحكمون على هذا أو ذلك بالضلال أو بالكفر ويأمرونهم باتباع مذهب أو الاستمسك به دون غيره - وبين عدد من يتبّع

(38) الخليلي، أحمد بن حمد: الدين والحياة، الخطاب الدعوي لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، إعداد خميس بن راشد العدوي، المكتب الفني أجيال، ط1، 2007م، ص 145.

(39) انظر العلواني، طه جابر: أدب الاختلاف في الإسلام، هيرندن: فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط5، 1992م، ص25.

- وانظر البيانوني، محمد: دراسات في الاختلافات العلمية، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1998م، ص32.

تلك المذاهب في بساطة ويستمسك بها في تعلق مع عدم تعمق، ولا استطاعة لإقامة حجج وبراهين، لوجدنا أن نسبة ضئيلة جداً قد لا تصل إلى الواحد في الألف، هي التي تفهم بعض تلك المشاكل وهي التي تنتزَع إثارة الخلاف والشغب، وتحاول أن تكثّر المسلمين إلى كتل في مذاهب معيّنة، وأن هذه النسبة فقط أو بعضها في الحقيقة، هي التي تعرف مواضيع الخلاف والجدل أمّا باقي أتباع المذاهب الذين يساقون في مجموعات كبرى وراء اسم إمام من الأئمة فيتمسّحون له في عصبية ويتمسّكون بمذهبه في حرص وتشدّد، فهم في الغالب لا يعرفون ولا يفهمون شيئاً من تلك المشاكل المعقّدة من علم الكلام أو أصول الفقه أو قواعد السياسة⁽⁴⁰⁾.

فمبدأ المعرفة والتعارف والاعتراف يمكن أن يتحقق ويكوّن علاقة تكاملية مع الاختلاف إذا بقي الاختلاف ضمن الحدود والضوابط التي حددها علماء الإسلام، ولكنه إذا جاوز حدوده، ولم تراخ ضوابطه فيتحوّل إلى جدال وشقاق يكون سيئ العواقب يحدث شرخاً في الأمة - وفيها ما يكفيها - فيتحوّل الاختلاف من عامل بناء وتحوّل وتنوع وتعارف إلى معاول للهدم.

الخلاف الذي يؤدي إلى التقريب والتوافق والتعايش:

هو ذلك الخلاف الذي تكون أسبابه ذاتية أصلية، لا نستطيع رفعه وإزالته، والمخطئ والمصيب فيه لا يعلمه إلا الله، فهذا النوع لا يخلّ بتوازن المجتمع في أي كيان من كياناته، مما يسعف على إنجاز التقريب بالتعارف والاعتراف الذي يفضي إلى تحقيق الوحدة الإسلامية تلقائياً، بحكم وحدة الأصول العامة، والمفاهيم الكلية، والمقاصد الأساسية العليا، وهذا ما أشار إليه الشيخ علي معمر، فهو يرى أنّ غاية ما يجب علينا فيه هو: أن نتعارف ونتأدّب بأداب الإسلام، ونتحلّى بمكارم أخلاقه، حتى لا يكون سبباً في الإخلال بتوازن المجتمع الإسلامي كله، إخلالاً يتناول مقوماته المعنوية والمادية على السواء وهذا ما لا يجوز شرعاً المصير إليه.

وهذا لا يتأتى إلا بالرد إلى كتاب الله وسنة نبيه، قال تعالى: ﴿إِن تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، "ولا يكون الاحتكام إلى الله إلا بالرجوع إلى كتابه فُتُسْتَلْهُم منه الحقيقة ويُسْتَبَانَ به الحق، وكذلك الاحتكام إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لا يعني إلا بالرجوع إلى سنته الثابتة الصحيحة"⁽⁴¹⁾.

(40) معمر، علي يحيى: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 373.

(41) الخليلي، أحمد بن حمد: الدين والحياة، الخطاب الدعوي لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، ص 6.

وعلى قاعدة من هذا الفهم للاختلاف في الإطار الإسلامي يتبرز لنا العلاقة التكاملية بينه وبين المفاهيم الثلاثة (المعرفة والتعارف والاعتراف) التي تؤدي إلى إذابة التسميات المذهبية تحت بوتقة واحدة هي الإسلام ف"لا سنيّة ولا مبتدعة ولا شيعة ولا خوارج ولا مالكيّة ولا إباضيّة وإنّما هم مسلمون يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح وكم يكون رائعاً حين يقف المدرّس والواعظ والمحاضر فلا يحتجُّ إلاّ بقول الله أو قول رسوله فإذا احتاج إلى كلام الناس استشهد بكلام عالم من العلماء مقتصرًا على ما ذكر اسمه وامتنع كلّ الامتناع أن يجري على لسانه اسم المذهب أو الفرقة أو الطائفة فانمحت من المجتمعات الإسلاميّة الألقاب المطلقة على مجموعات الفرق كالشيعة والسنة والخوارج والمعتزلة واختفت منه أسماء الفرق فلم يبق ذكر للحنفيّة أو المالكيّة أو الإباضية أو الزيدية أو الظاهريّة أو غيرها وإنّما كلّ ما يبقى أسماء علماء ضمن كشف طويل يتضمّن من خدم الشريعة الإسلامية منذ البعثة إلى قيام الساعة. أمّا الأئمة الإسلامية فهي تتكوّن من جميع من نطق بكلمة الشهادة وإليها يتّجه النداء القرآنيّ الكريم {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وتكون مجتمعا واحداً لا انشقاق فيه فإذا شدّ فرد فارتكب معصية لاحقه المجتمع بالموعظة أو بالحكم الذي انزله الله حتّى يتوب فيعود إلى مكانه أو يهلك على إصراره فيتولّى الله تبارك وتعالى حسابه"⁽⁴²⁾.

وقد أرجع الشيخ علي معمر بعض أسباب النزاعات التي كانت بين المسلمين إلى الملك والدنيا، ف"عندما اضطربت الأمور في أواخر الخلافة الرشيدة، وعند صدر الدولة الأموية، وبرز الصراع على الحكم بروزاً واضحاً بين مختلف طوائف الناس، وظهرت الرغبات الماديّة الملحة طافحة على تصرف الأفراد والجماعات، انقسمت مواقف الناس إلى عدّة تكتلات أو أصناف... ولقد كان لكلّ واحد من هذه الأصناف اتجاهات لها خطوط عريضة انبنت عليها فيما بعد مذاهبهم في العقيدة والسياسة"⁽⁴³⁾، فهو ليس تقريباً في الدين، ولكنّه من الأحوال التي لا تسلم منها الجماعات، كما ذهب إلى ذلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير⁽⁴⁴⁾، حيث بيّن أنّ سياسة الدول كثيراً ما تختلط باختيارات الأشخاص الأقوياء داخل أجهزة السلطة، وأنّ هوى هؤلاء ينقلب محددًا لتوجهات الدولة ومواقفها في حالتها السلم والحرب، وأنّ وقوفهم أمام احترام

(42) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 320.

(43) معمر، علي يحي: المرجع نفسه، ص 413، 415، 416.

(44) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج8، ص 194.

الأفكار وحرية الآراء راجع إلى حرصهم على البقاء على مناصبهم، والمحافظة على وجاهتهم، فكل واحد منهم يخال أن كل مخالفة له في الرأي تنذر بتلّ عرشه وزلزال أركانه، ومنهم الذين يسخطون من مخالفة المعتاد ويرون العادة ديناً أو شبه دين، ومنهم الذي يتوهم أن الدين يخالف احترام الآراء⁽⁴⁵⁾، الأمر الذي أدّى إلى صرف النشاط العقلي عن الإبداع والإنتاج الحضاري الذي يدفع الحياة الفكرية إلى الأفضل، فتأججت المجادلات وتوسعت دائرتها، ووجدت العقول في القضايا الكلامية ميداناً للمناقشة والحوار، وامتزج الجدل العقلي العقدي بالخلاف السياسي، فكانت المناظرات العلمية والحوارات الخطابية أوسع مجال لذلك، وكان البحث والنقد معيارين لبيان الصواب والخطأ، ثم اتخذ المرتابون الذين كلّ نظرهم وضعفت حجّتهم في المسائل العقدية والفقهية، التكفير والتضليل والتبديع سلاحاً يواجهون به المخالفين ليكموا أفواههم، ويخرسوا ألسنتهم، فأصبحت مقالة التكفير راسخة في الخطابين الكلامي والفقهي.

وفي ذلك يقول الشيخ علي معمر: "الحقيقة أنّ الذي يجب أن نبحت عن مبرراته إنما هو اختلاف الآراء والأصول بين مذهب وآخر وطائفة وأخرى، لا التشابه والتقارب، وذلك لأن مصدرها واحد، وهي جميعاً تزعم أنّها تعود إلى ذلك المصدر، فالاختلاف يبحث عن سببه والدوافع إليه، وليس من الحقيقة في شيء أن نعكس المنطق فنجعل التباعد والتباين بين المذاهب، والفرق هو الأصل فإذا رأينا تشابهاً أو تقارباً بين بعضها بحثنا عن السبب المبرر كما يقول صاحب الملاحظات. ولعل المستشرقين هم الذين ركزوا هذه النظرة واعتبروا الخلافة والخصومة بين المذاهب هي الأصل فإذا وجدوا تشابهاً واتحاداً بحثوا عن الأسباب أو افتعلوا له المبررات على كلّ حال والأصل المذاهب أنّها تستقي مصدر واحد وترجع إلى أصل واحد والطبيعة فيها أن تكون متشابهة متقاربة فإذا تباعدت كان على ذلك على غير أصل بحث عن أسبابه ومبرراته ولا يخرج غالباً عن أصابع السياسة في القديم وعن أصابع الاستعمار في الحديث، وعن أصابع اليهودية والمسيحية في المدى الطويل، ثمّ عن الجهود المخلصة التي يبذلها الجنود المخلصون للاستعمار والمسيحية، وهم مستشرقون في العصور الحديثة"⁽⁴⁶⁾.

(45) انظر ابن عاشور: احترام الأفكار، مرجع سابق، العدد 18، 1904م، ج 1، ص 279.

(46) معمر، علي يحيي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 470.

فغلبة الهوى والمكابرة وسوء الفهم للدين وقلة الهدى يعمي صاحبه، ويؤدي به إلى الفرقة والخلاف والتكفير، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253]، فقوله: {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} يدل على أن الاختلاف الذي لا يبلغ بالمختلفين إلى كفر بعضهم بما آمن به الآخر لا يبلغ بالمختلفين إلى التقاتل، لأنَّ فيما أقام الله لهم من بيِّنات الشَّرْع ما فيه كفاية الفصل بين المختلفين في اختلافهم إذا لم تغلب عليهم المكابرة والهوى أو لم يُعْمِهم سوء الفهم وقلة الهدى (47)، كما أنَّ الاستقامة على الدين تكون حائلاً دون تلك الفرقة فمخالفة الأمة عمداً إلى أحكام كتابها ضرب من ضروب الاختلاف فيه، لأنَّه اختلافها على أحكامه، قال ٢: « فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » (48)، فلا جرم أن كانت الاستقامة حائلاً دون ذلك (49).

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّ الإسلام سَوَّغ الاختلاف والتنوع داخل منظومته، وأسس للتسامح والحوار مع الآخر أُسُماً راسخة تقوم على المعرفة والتعارف والاعتراف، فعقد له موثيق متينة فيما يتعلق بعلاقة المسلمين بعضهم مع بعض، وعلاقتهم مع غيرهم من الأمم، وجعل معرفة الأفكار واحترامها، واتباع الأسلوب العلمي في الجدل والحوار هو الفيصل في إدارة الاختلاف، وهذا الأمر وحده الذي يجمع ولا يفرق ويقدم ولا يؤخر.

وبهذا يصبح التمازج مع الآخر المختلف والتعارف معه سنَّة حضارية ماضية، كما يصبح الإنصاف للمخالفين والأخذ منهم دليل على الثقة في النفس وعلى الرغبة في الاستزادة من العلم والحكمة والمنفعة التي تؤدي إلى التعارف والاعتراف ومن ثم التواصل والتعايش مع الآخر، وليس دليل نقص في العقل أو ضعف في الدين.

وقد أكد على ذلك الشيخ أيضاً أثناء حديثه عن أوجه التقارب بين الفرق الإسلامية حيث جعل أكبر "رباط الذي يربط بينهما هو رباط الأخوة الإسلامي، فإذا اختلفت أنظارهما في جزئية فغنها

(47) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج3، ص 11.

(48) رواه مسلم، انظر مسلم: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت: لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفضائل، باب توفيره ٢ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، ج 4، ص 1829، رقم الحديث، 1337.

(49) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 12، ص 175.

تتلاقى في الكليات ويهْمُنَا الآن تتقارب أنظاريهما في الجزئيات. لو وجدت كل فرقة منهما أقلماً صادقة ومخلصة تسعى في هذا الاتجاه، ولو تخلّصت كل واحدة منها من مواقف المتعصبين المنغلقيين الذين لا يرون إلا أنفسهم مهما كثر وقوي الآخرون⁽⁵⁰⁾.

فظاهرة الاختلاف المحمود هي التي تمثل الدافع المعرفي الذي يعيد للمفاهيم الثلاثة دورها الحقيقي في سياق تاريخ الثقافة الإسلامية باعتباره مؤلداً للحراك الفكري ونقطة ارتكاز أساسية تتسنى بها مواكبة المستجدات، واستيعاب التحولات، والتعايش مع الأمم وحضارتها.

النوع الثاني: الاختلاف المذموم.

الاختلاف المذموم هو ذلك الاختلاف الذي يترتب عليه عدّ المخالف خارجاً عن الدين، ويؤدي إلى التضليل ويفضي بأصحابه إلى تكفير بعضهم بعضاً، ومقاتلة بعضهم بعضاً في أمر الدين. وضابط هذا النوع من الخلاف هو كل اختلاف يؤدي إلى نقض أصول الشريعة ويخالف نصوصها، " وإن أعظمه ضرراً، وأفدحه خطراً، وأعمقه أثراً، وأسوأه عاقبة ما كان في أصول الدين، فإنها قواعد الإسلام؛ بها تقوم أركانه، وعليها يُشاد بنيانه، وبقدر ما تكون قوتها تكون متانة الدين نفسه، ولأجل ذلك فإن الأمة كثيراً ما تتسامح في الخلاف الذي يكون بين فئاتها في فروع الشريعة، ولكن يشتد شقاقها، ويتعمق نزاعها عندما تختلف في الأصول، وبقدر ما يكون من التقارب أو التباعد فيها بين طائفة وأخرى بقدر ما بينهما من التلاقي أو الافتراق"⁽⁵¹⁾.

مظاهر الاختلاف المذموم ومآلاته:

1- **الاختلاف المذموم مدعاة للتكفير:** وقد تصدّى الشيخ علي يحي معمر لمقالة التكفير - التي اتخذت سلاحاً في وجه المخالفين، ومسوغاً لإشهار السيف في وجوههم استناداً إلى نرائع ظاهرها ديني، وباطنها سياسيّ عشائريّ نفسيّ - وذلك في كتابيه (الإباضية بين الفرق الإسلامية، والإباضية في موكب التاريخ) تصدى لهذا النوع من الخلاف وناقش فيه أصحاب المقالات الذين جنوا على المذهب الإباضي وغيره من المذاهب الإسلامية، فالتكفير في رأيه "قولة ناشئة عن قلة تأمل وإحاطة بمراد الشريعة وإغضاء عن غرضها"⁽⁵²⁾، وإنّ التوسّل بهذه

(50) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 490.

(51) الخليلي، أحمد بن حمد: الحق الدامغ، مطابع دار البعث، قسنطينة: الجزائر، ط2، 1412هـ، ص7.

(52) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص315.

المقالة لدليل قاطع على عدم المعرفة الصحيحة بما عند الآخر وضعف حجة أصحابها وقصورهم عن إقامة الحق، إذ تنطوي في حقيقتها وجوهرها على انتصارٍ للذات لا للدين. كما أنها تسوّغ الاعتداء والظلم وتلبسه لبوس الدين، وتعطي للاستبداد طابع الشرعية وتحول مجال الحوار إلى مجال تناز، وتنقل الاختلاف الفكري إلى صراع وتقاتل، وتصبح فئات المجتمع مشحونة ضد بعضها بعضاً، فتقلب قوى المجتمع وطاقاته إلى عوامل تآكل داخلي بدل أن تكون عامل قوة ومنعة، وذلك أبرز عامل من عوامل الضعف والانهيال، وقد بين ما ينبغي على العلماء فعله إزاء هذا النوع من الاختلاف قائلاً: "قائمه ينبغي أن تختفي بعض المصطلحات أو بعض المفاهيم، وتنشأ بدلا منها مفاهيم أو مصطلحات أخرى تكون أقرب إلى توحيد جميع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم. فلا معنى أبداً أن يأتي إنسان يسهل عليه تماماً أن يستخف بأحكام الله فيرتكب ما نهاه عنه ويهمل ما أوجبه عليه ثم يزعم - في تبجح ظاهر - أنه سني أو من أهل السنة. فإذا قابله إنسان آخر لا يتفق معه في المذهب رماه بأنه مبتدع رغم الصلاح والتقوى. والحقيقة عكس ما يقول" (53).

فظاهرة تبديع وتكفير بعض المسلمين وتفسيق بعضهم الآخر، والحكم بالابتداع على كل من يخالف رأياً فقهياً معيناً، ظاهرة قديمة في تاريخ الإسلام؛ لأنها نتيجة طبيعية لانحراف بعض العقول، وضيق أفقها عن قبول الرأي المخالف " فأصبح كل مذهب من مذاهب المسلمين إذا نظرت إليه من زاوية أتباعه هو مذهب السنة ومذهب الحق ومذهب الاستقامة ومذهب العدل ومذهب الصواب وإذا نظرت إليه من زاوية مخالفه فهو مذهب الأهواء ومذهب البدعة ومذهب الزيغ ومذهب الضلال. وينشأ الناشئ المسلم في أكناف أحدها فتعتاد أذنه على سماع هذه الأوصاف والنعوت ويتلقاها ويتشربها في غير كلفة حتى تصبح عقيدة غير خاضعة للنتقاش أو المراجعة " (54).

2- **الاختلاف المذموم مدعاة للتفرقة والتضليل والتبديع:** احتلت مقالة «الفرقة الناجية» حيزاً واسعاً في كتب التراث، فعندما صارت كل فرقة تدّعي استثنائها بالحقيقة، وترى الفرق الأخرى سابحة في متاهات الضلالة، واستحال الاختلاف عاملاً من عوامل الصراع الداخلي بدل أن

(53) معمر، علي يحي: المرجع نفسه، ص 317.

(54) معمر، علي يحي: المرجع نفسه، ص 316.

يكون مصدر قوة وثناء، وانصرف العقل الإسلامي في هذا الخضم عن أداء دوره الأساسي باعتبارها مصدر توليد المعرفة وتطويرها وآلة إعمار الأرض وإثمارها.

وقد تناول الشيخ علي يحي معمر هذه القضية انطلاقاً من نظريته التي سعى فيها إلى ردم هوة الخلاف بين الأمة، مرجعاً الأمر في ذلك كله إلى التقوى والصلاح، فالفرقة الناجية وأهل السنة المتمسكون بهدي النبي ﷺ وبتعاليم الدين الحنيف هم المتقون وأهل الصلاح من كل فرقة ومذهب وأن الفرقة الداخلة في النار هي فرقة العصاة والمذنبين والمبتعدين عن الهدى النبوي وتعاليم الإسلام فقال: "لقد آن الأوان أن تطلق كلمة أهل السنة على أهل الصلاح من كل فرقة، وكلمة السني على كل فرد متمسك بالإسلام محافظ عليه حسب الأصول التي يركز عليها المذهب الذي ينتمي إليه"⁽⁵⁵⁾.

وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلح البدعة، فهو مصطلح استخدم كأداة للترقية والإقصاء للخصوم، فنبه الشيخ علي معمر على أنه يجب أن تطلق كلمة المبتدعة أو أهل الأهواء على كل مجموعة من الناس غير ملتزمة للإسلام سلوكاً، وأنه يجب تحديد المصطلح وحصره في المتهاون بأحكام الإسلام بغض النظر عن المذهب الذي ينتمي إليه، فقال: "وكلمة المبتدع أو أهل البدعة على كل متهاون بأحكام الإسلام حسب المذهب الذي ينتمي إليه. لقد انقرض أتباع كثير من المذاهب الإسلامية كالظاهرية والمعتزلة والخوارج ولم يبق فيها أعلم إلا الماتريدية وهم أتباع أبي حنيفة والإباضية وهم أتباع جابر بن زيد والأشاعرة وهم أتباع مالك والشافعي والأثرية وهم أتباع أحمد في القديم وابن تيمية في الحديث وفرق من الشيعة تجمعها كلمة الشيعة وتفترق بأسماء خاصة كالزيدية والجعفرية وغيرها"⁽⁵⁶⁾.

فالشيخ ينطلق في تحرير محل النزاع حول قضية الفرقة الناجية بإرجاع الأمر إلى نصابه وأصله ألا وهو كتاب الله وسنة نبيه، فهو المقياس والحكم "وأتباع هذه المذاهب كلها يؤكّدون أنّهم في دينهم يرجعون إلى أصلين هما الكتاب والسنة فهم - جميعاً - بهذا الاعتبار من أهل السنة أو سنيون أعني أنّ الصلحاء من جميع هذه المذاهب سنيون وأنّ الفسّاق جميع هذه المذاهب مبتدعة وأهل هواء فالحنفي والإباضي والمالكي والشافعي والحنبلي والجعفري والزبيدي

(55) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 361.

(56) معمر، علي يحي: المرجع نفسه، ص 317.

- مثلاً. إذا تمسك بالإسلام حسب مذهبه فهو سنّي وإذا تهاون به في واجباته عملاً أو تركاً، قولاً أو عقيدةً، فهو مبتدع.

يعني أنّ البدعة هي الانحراف عن الدين، والسنة هي الاستمساك به على ما عرفه أيّ مسلم بدراسته للإسلام⁽⁵⁷⁾.

"ومن التحكّم المخالف للمنطق والعقل وطبيعة الحياة أنّ تأتي إلى رجل من الزيدية - مثلاً. قد درس الإسلام على مذهبه، وحافظ عليه محافظة المؤمن التقي الذي يخشى الله بالغيب فنقول له: أنت مبتدع ولا يمكن أنّ تكون من أهل السنة إلاّ إذا درست مذهب ابن حنبل وعرفت الإسلام على طريقه، وأعلنت أنّك من أتباعه، ثمّ تأتي إلى رجل قد غلب عليه شحّ نفسه واستعبدته أهواؤه فترك بعض ما فرض عليه الإسلام، وارتكب بعض ما نهاه عنه فنقول له: أنت من أهل السنة لأنك تتبّع مذهب أحمد أو مذهب محمد⁽⁵⁸⁾.

وعليه يعلن الشيخ علي معمر أنّ "أهل السنة هم الأتقياء الصالحون من أيّ مذهب كانوا والمبتدعة وأهل الأهواء هم الفسقة والفجرة ولو لبسوا جبّة جابر وطيلسان مالك وعمامة أحمد واتخذوا لمظهرهم سمت زيد وجعفر لقد آن لتلك المفاهيم - التي أملاها التطرّف في التعصّبات - أنّ تختفي"⁽⁵⁹⁾.

"لقد كان المسلمون في صدر الإسلام وليس فيهم سنّيون على الجملة ومبتدعة أو أهل أهواء على الجملة وإنّما كانوا على قسمين كبيرين مؤمنين ومنافقون فكلّ من وقى بما عاهد الله عليه والتزم شريعة الإسلام سلوكاً وعقيدة وقولاً أو عملاً فهو داخل في المنافقين ما دام يقرّ بكلمة الشهادة ولم يرتدّ عن الإسلام"⁽⁶⁰⁾.

"وهكذا ينبغي للمسلمين اليوم يجب أن تختفي المفاهيم السابقة التي تدخل المذاهب كاملة في الجبّة وتحرم منها أتباع مذاهب أخرى... ينبغي أن يطلق أهل السنة على جميع المسلمين بمختلف مذاهبهم ما داموا يعترفون بأنّ السنة هي المصدر الثاني للتشريع ولا تطلق كلمة

(57) معمر، علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 361.

(58) المرجع نفسه، ص 362.

(59) المرجع نفسه، ص 364.

(60) المرجع نفسه، ص 364.

المبتدع وصاحب الهوى إلا على الفاسق الذي غلبه هواه من أي مذهب كان. وعلى المؤسسات العلمية اليوم أن تحمل هذا المبدأ لتعود بالمسلمين إلى منهج الإسلام لا كرامة إلا لتقي ولا عدوان إلا على شقي ولا متبوع إلا المعصوم ولا قدمه إلا بالعمل الصالح. والأفضل من ذلك أن تلغى هذه التسميات كلها لا سنيّة ولا مبتدعة ولا شيعة ولا خوارج ولا مالكيّة ولا إباضيّة وإنما هم مسلمون يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح" (61).

"وكم يكون رائعاً حين يقف المدرّس والواعظ والمحاضر فلا يحتج إلا بقول الله أو قول رسوله فإذا احتج إلى كلام الناس استشهد بكلام عالم من العلماء مقتصرًا على ما ذكر اسمه وامتنع كل الامتناع أن يجري على لسانه اسم المذهب أو الفرقة أو الطائفة فانمحت من المجتمعات الإسلاميّة الألقاب المطلقة على مجموعات الفرق كالشيعة والسنة والخوارج والمعتزلة واختفت منه أسماء الفرق فلم يبق ذكر للحنفيّة أو المالكيّة أو الإباضيّة أو الزيديّة أو الظاهريّة أو غيرها وإنما كل ما يبقى أسماء علماء ضمن كشف طويل يتضمّن من خدم الشريعة الإسلامية منذ البعثة إلى قيام الساعة. أمّا الأئمة الإسلاميّة فهي تتكوّن من جميع من نطق بكلمة الشهادة وإليها يتّجه النداء القرآني الكريم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وتكون مجتمعًا واحدًا لا انشقاق فيه فإذا شدّ فرد فارتكب معصية لاحقه المجتمع بالموعظة أو بالحكم الذي انزله الله حتّى يتوب فيعود إلى مكانه أو يهلك على إصراره فيتولّى الله تبارك وتعالى حسابه" (62).

"ويبدو لي لو أنّ لجنة من علماء الأمة حاولت أن تضع موسوعة في علوم الشريعة على أساس المواد العلمية - أصولاً وفروعاً - مادة كالبسملة عند قراءة الفاتحة ورفع الأيدي عند التكبير في الصلاة، وكالحكم على مرتكب الكبيرة وصّدق الوعد وتخلف الوعيد، ثمّ عرضت أقوال العلماء في كلّ مادة منها باعتبارهم أفراد من علماء الأمة، ولم تراع المذاهب التي ينسبون إليها، لالتقت جميع المذاهب على أغلب المقالات التي تقال في كلّ مادة، أعني أنّه لوجد علماء من كلّ مذهب في كلّ مادة يقولون بما يقول به مخالفوهم أو يرجحون غير المعمول به في مذاهبهم، ولو تمّ ذلك لظهر التقاء كلّ المذاهب الإسلاميّة على أغلب ما اختلفوا فيه

(61) معمر، علي يحي: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، ص 362.

(62) المرجع نفسه، ص 362.

وما من رأي في مذهب إلا ويوجد من يقول به أو يرجحه من العلماء المستقلين في المذاهب الأخرى" (63).

3- **الاختلاف المذموم مدعاة للتنافر والتناحر:** وقد وقع المسلمون في العديد من الفتن على امتداد تاريخهم بسبب الانتماءات المذهبية والاختلافات بين الفرق، والتي منشؤها في الغالب سوء التفاهم الذي كان بينهم في خلافاتهم كالصراع بين السنة والشيعة أو الخلاف بينهم وبين المعتزلة والخوارج، أو بينهم وبين الإباضية، ويؤكد مفهوم التعارف الذي يؤدي إلى الاعتراف والتسامح والتعايش باعتباره قيمة من القيم التي تأسست عليها الرسالة الإسلامية " وهذا الجهل بالمذاهب الإسلاميّة، ومقالاتها الحقيقيّة، والخط بين ما يذهب إليه كلّ واحد منها ونسبته إلى الآخر، والتشويه الذي ينتج عن ذلك - سواء كان مقصودًا أو غير مقصود - هو ما يجب أن يربأ عنه حملة الشريعة الإسلاميّة" (64).

وقد صور لنا هذه النظرة بعض المذاهب والتيارات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، توهمًا منها أن الانكفاء على الذات وغلق سبل التواصل مع الآخر المختلف هما «قارب النجاة» على قاعدة «أن اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» وهذا الأمر أدّى إلى تصنيف المذاهب الإسلامية من قبل المستشرقين ومن سار في ركبهم إلى معسكرات متناحرة، حيث نبه إلى ذلك الشيخ علي معمر قائلاً: " ومحاولة تصوير المذاهب الإسلاميّة كمعسكرات متناحرة يسر لها المستشرقون كثيراً ويعملون على تركيزها وقد ساعدهم على ذلك بعض السطحيين من علماء المسلمين في القديم والحديث، وبمثل هذا صارت تلك المسائل بمثابة الشعارات التي يرفعها أصحاب المذاهب، وكان المتعلمون في المراحل الأولى من الطلب وأشباه العلماء من محبي الظهور يجدون فيها وسائل طيبة ومساعدة على الجدل والشغب والشهرة وحب الظهور تمامًا كما يجد العوام وأشباه العوام في بعض الخلافات الفقهيّة العلميّة - كرفع الأيدي عند التكبير، وتحريك السبابة عند التشهد، وقراءة البسمة في أول الفاتحة - وسيلة لإظهار المعرفة وبيان شدّة التمسك بالدين والمحافظة على السنّة. فإذا ارتفعنا

(63) المرجع نفسه، ص 364.

(64) معمر/ علي يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 94، 317.

عن هذه المستويات قليلاً على مستوى أهل العلم وأصحاب التحقيق وجدنا هذه المسائل تدور فيما بينهم على طرفين متطرفين ووسط معتدل يلتقي عليه المذهبان⁽⁶⁵⁾. وقد أدى ذلك إلى تكوّن منظومة فكرية ثقافية لدى المسلمين على مدى قرون من الجمود على وحدة المعرفة والتوجس من الاختلاف والتنوع، واعتبارهما عنوان الافتراق والنزاع. ولذلك يرى الشيخ علي معمر أنّ "العصبية المذهبية وأصابع السياسة، ويُعد بعض المسلمين عن بعض وجهل أهل كلّ مذهب بما عليه الآخرون، حواجز تحول دون تعرّف المسلمين بعضهم ببعض. أمّا الآن - وقد اختلط المسلمون بعضهم ببعض وعرف الكثير منهم الكثير عن الآخرين - فإنّه ينبغي أن تختفي بعض المصطلحات أو بعض المفاهيم، وتتسأ بدلا منها مفاهيم أو مصطلحات أخرى تكون أقرب إلى توحيد جميع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم"⁽⁶⁶⁾.

الخاتمة

خلص الباحث بعد رحلته المتواضعة مع «النظرية» التعارف الشيخ علي يحيي معمر المبنية على رؤية متكاملة ومستوعبة للمعرفة المؤدية إلى التعارف ثم الاعتراف، فهي نظرية تقوم على: أنّ المعرفة الصحيحة تؤدّي إلى التعارف الصحيح الذي ينطلق أساساً من الاعتراف بالاختلاف والتباين بين الناس، كما ينطلق من التعامل مع هذه الحقائق التكوينية في الذات الإنسانية على أنها ظاهرة طبيعية، وعلى أنها تعبير عن إرادة إلهية في أن يكون الناس مختلفين، فاختلاف الألسن والألوان آية من آيات الله البيّنات، وغاية الاختلاف ومآل التعارف هو الاعتراف بخصوصية الآخر وكرامته وإنسانيته باعتبار أنّ مقارنته - المختلفة عن مقارنتنا للحقيقة - مشروعة، ومن شأنها أن تكون مثيرة لنا، وزاخرة بغنى التوازن المعرفي الكوني الذي لا مندوحة عنه من أجل رقي الحياة البشرية. كما ينبغي أن يؤسس هذا التعارف للاحترام المتبادل على قاعدة هذه الاختلافات والتباينات، وليس على قاعدة إلغائها أو حتى تجاوزها وتجاهلها؛ وذلك استجابة للدعوة الإلهية.

⁽⁶⁵⁾ المرجع نفسه، ص 215، 216.

⁽⁶⁶⁾ معمر، علي يحيي: المرجع نفسه، ص 360.

فلم يكن التعارف الإسلامي وفق منهج القرآن وهدى النبي ﷺ خطاباً مثالياً، وإنما تجربة إسلامية فعلية، ورسالة إسلامية للعالم في الانفتاح على الثقافات الأخرى، وعلى أن العلاقة التي لا تؤسس على المعرفة والتعارف والاعتراف تتأثر بالصورة النمطية التي لا تكمن خطورتها فقط في حجب التواصل والزَّج إلى الصراع بالنسبة للآخر، وإنما أيضاً في سوء تقدير الذات.

أهم نتائج الخاصة البحث:

1. ينطلق الشيخ علي معمر في تأصيله لهذه النظرية من منطلق القرآن الكريم الذي يؤسس لمبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات (ليتعارفوا)، فالتنوع بين الجنس البشري لا يعني أن يتفرقوا أو تنقطع أواصرهم، كما لا يعني أن يتصادموا ويتنازعوا من أجل الثروة والقوة والسيادة، وإنما ليتعارفوا.
2. أسس الشيخ علي يحي معمر «نظريته» على أن المعرفة الصحيحة تؤدي إلى التعارف الصحيح الذي ينطلق أساساً من الاعتراف بالاختلاف والتباين بين الناس، كما ينطلق من التعامل مع هذه الحقائق التكوينية في الذات الإنسانية على أنها ظاهرة طبيعية، وعلى أنها تعبير عن إرادة إلهية في أن يكونَ الناس مختلفين.
3. حاول الشيخ علي يحي معمر أن يُبرز من خلال هذه النظرية الرؤية الإسلامية في موضوع الحوار والتفاعل مع الآخر القائم، وذلك من خلال استجلاء منهج القرآن الكريم الذي أسس لرؤية كونية متوازنة ومتكاملة في الحوار والاتصال والتفاعل، ومنهج سنة النبي ﷺ.
4. تُعدُّ الدوائر الثلاث للنظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف) عند الشيخ علي يحي معمر من المفاهيم التأسيسية لصلة المسلم بالمسلم أولاً، ثم صلته بالآخرين من أهل الكتاب، وأهل الأديان والملل والنحل الأخرى؛ لذلك جعلها الشيخ علي معمر من أهم وسائل وحدة الأمة وحفظ الأخوة والتسامح بين أفرادها وجماعاتها.
5. يرى الشيخ علي يحي معمر أن (المعرفة والتعارف والاعتراف) رسالةً وواجباً ينبغي للمسلم أن يقوم به إزاء نفسه ومجتمعه وأمتة والآخرين الذين يعيشون معه في هذا العالم، من أجل التعريف بنفسه، ودينه، وحضارته.

6. بنى الشيخ علي يحيي معمر نظريته على (المعرف والتعارف والاعتراف) بين المذاهب والفرق الإسلامية، ولم بينها على الحوار والتسامح؛ لأنَّ علاقة المسلمين فيما بينهم علاقة إيمانية، توحدهم تحت بوثقه الإيمان بالله الواحد الأحد، وليست علاقة تسامحية، وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على الحوار التسامح فقط.

أهم النتائج العامة:

1. تُؤسس نظرية المعرفة والتعارف والاعتراف بكل قيمها وأخلاقياتها وضوابطها وأهدافها، بوصفها مقصداً من مقاصد الوجود الحضاري للبشرية على "منظومة التقوى" ومفرداتها الأخلاقية، والتشريعية، والعملية، والتربوية. التي من خلالها يتعارف الناس ويتفاعلون من أجل تحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية.
2. إنَّ غاية الاختلاف هو معرفته، ومآل التعارف هو الاعترافُ بخصوصية الآخر وكرامته وإنسانيته باعتبار أنَّ مقاربتَه المختلفة عن مقاربتنا للحقيقة مشروعة، ومن شأنها أن تكونَ مُثريَّةً لنا.
3. الإسلام هو دين الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الضامنة لتحقيق التعايش والسلام والأمن.
4. التعارف هو الذي يحدد مستويات الحوار والتعاون، ويثريهما ويثمرهما. كما أن للتعارف دوراً وقائياً في منع النزاع والصدام على مستوى الأمم والحضارات.

التوصيات:

1. الاهتمام بدراسة فكر وتراث الشيخ علي يحيي معمر باعتباره فكر حضاري متزن يجمع ولا يشتم، ويوحد ولا يفرق.
2. دراسة نظرية المعرفة والتعارف والاعتراف دراسة واعية متأنية، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر.
3. النظر إلى الموروث الفكري لما أنتجته عقول وأيدي علماء جبل نفوسة بعين الاعتبار والاهتمام، لما يتمتع به من جدة واصالة وارتباط بمنهج الإسلامي القويم.

هذا وصل اللهم وسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين، والحمد لله رب العالمين

انتهيت من كتابته يوم الأحد الموافق

5 رجب 1443 هـ - 2022/2/6م بوشر مسقط سلطنة عمان.

المصادر والمراجع:

- أحمد بن حمد الخليلي: الاستبداد مظاهره ومواجهته، الطبعة الأولى، 2013م.
- أحمد الخليلي: الحق الدامغ، مطابع دار البعث، قسنطينة: الجزائر، الطبعة الثانية، 1412هـ.
- أحمد بن حمد الخليلي: الدين والحياة، الخطاب الدعوي لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، إعداد خميس بن راشد العدوي، المكتب الفني أجيال، الطبعة الأولى، 2007م.
- أحمد بن حمد الخليلي: مقومات الأمة المسلمة.
- أحمد بن حمد: الخليلي معالم للجيل الواعد، هذا الكتيب أصله محاضرة ألقاها سماحة الشيخ الخليلي في أحد جوامع السلطنة.
- أحمد بن حمد الخليلي: شعائر الإسلام ودورها في وحدة الأمة، محاضرة ألقاها سماحته في جامع إزكي عصر يوم الخميس 28/محرم / 1423هـ الموافق 2002/4/11م.
- أحمد بن الحسين البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، طبعة 1994م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ومكتبة الاستقامة: روي، مسقط- سلطنة عمان
- طه جابر العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، هيرندن: فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط5، 1992م،
- علي يحيي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري، السيب: سلطنة عمان، الطبعة الثالثة، 2014م
- علي يحيي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب: سلطنة عمان، الطبعة الثالثة، 2008م.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1405، تحقيق: إبراهيم الإبياري
- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان: بيروت طبعة 1995، تحقيق: محمود خاطر.

- محمد المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى.
- محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى.
- محمد البيانوني: دراسات في الاختلافات العلمية، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1998م.
- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ ورقم الطبعة.
- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، 1984م.
- محمد الطاهر ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية.
- محمد الطاهر ابن عاشور: احترام الأفكار، مرجع سابق، العدد 18، 1904م.

A comparative study of the structure, magnetic properties of Terbium and Erbium doped Yttrium Iron Garnet thin films

Ramadan E. Shaiboub¹ and Ftema W. Aldbea²

¹Physics Department, Faculty of Education, Nalut University, Nalut, Libya

²Physics Department, Faculty of Science, Sabah University, Sabah, Libya

Email address: shaiboubr@yahoo.com

Abstract

The structure and magnetic properties of (Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) and (Er_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) thin films were fabricated onto quartz substrate by a sol-gel method followed by spin coating process. Heat treatment of the films was processed at 900 °C in air for 2-3hrs. The crystalline structures and magnetic properties of samples were investigated by X-ray diffraction (XRD), the field emission scanning electron microscope (FESEM) and vibrating sample magnetometer (VSM). The XRD patterns of the (Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) and (Er_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) films were consistent with single phase garnet structure. FE-SEM micrographs of films reveal that the particles were highly agglomerated. The grain size for the (Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) film was about 50 nm, while for (Er_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) film found about 68 nm and the average thicknesses ranged from 180 - 245 nm. The magnetic measurements at room temperature show that the saturation magnetization (M_s) and the coercivity (H_c) of (Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) film is about (67 emu/cm³) and 14 Oe, while for (Er_{0.4}Y_{2.6}Fe₅O₁₂) film it's about (51 emu/cm³) and 37 Oe respectively.

Keywords: structure, magnetic properties, Thin film, Er, Tb and YIG

1. Introduction

Yttrium iron garnets (YIG) is a ferrimagnetic material that has attracted a lot of attention because of its applications in microwave communication and magneto-optical devices [1,2]. Nowadays, despite the remarkable utility of small magnetic particles in magnetic recording media, permanent magnets, microwave devices and so on have been proved, their present applications and a full understanding of their magnetic properties remain a challenge. YIG has a cubic structure with a space group Ia3d with the general unit formula (Y₃Fe₅O₁₂). The magnetic ions are distributed over three crystallographic sites with sublattice magnetization *Ma* [octahedral site, 16 Fe³⁺ ions in a], *Md* (tetrahedral site, 24 Fe³⁺ ions in d), and *Mc* {dodecahedral site, 24 Y³⁺ ions in c}. Ionic distribution in garnet is represented as {Y₃³⁺} [Fe₂³⁺] (Fe₃³⁺)O₁₂⁻². The interaction between the Fe³⁺ ions in [a] and (d) sites is strongly antiferromagnetic due to strong super exchange interaction.

The magnetic moment of the rare-earth ions in the {c} sublattice couples antiparallel with the resultant moment of Fe³⁺ ions. The magnetic moment caused by two Fe³⁺ ions in [a] site is aligned antiparallel to that caused by three Fe³⁺ ions in (d) site, leaving a net moment from Fe³⁺ in the d-site. Therefore, the saturation

magnetization (M_s) of YIG is given by the magnetic Fe^{3+} in the d-sites. The paramagnetic trivalent (Tb^{3+} , Er^{3+}) ions can be substituted for nonmagnetic Y^{3+} ions in {c} sites, but not for Fe^{3+} ions in [a] or (d) sites [3]. The magnetic moment of both ions can substituted for Y^{3+} in {c} sites, which can be parallel to the magnetic moment of Fe^{3+} in the d-sites, meaning that the saturation magnetization of Tb:YIG or Er:YIG is different from that of pure YIG. So, YIG is the most representative and well-known compound among the rare earth-iron garnets, and various magnetization can be achieved by substitution in the YIG [4]. A low-coercivity, high-remanence, soft magnetic material, having a hysteresis loop, is required for microwave operation. For a magnetic material to be applied in microwave devices, the most important static magnetic properties are the saturation magnetization (M_s), anisotropy constants, Neel temperature, remanent magnetization, coercivity (H_c). In general, M_s and H_c are required for applications [5].

Most of the previous studies focused on the preparation of YIG substitution rare earth (RE) metals [6-12] in the formulation of ($Y_{3-x}R_xFe_5O_{12}$ powder or films) with varying concentrations ($x=0,0.1,0.2,0.4,0.6, \dots$ etc), or co- substitution of (RE) [13]. Here in this paper, we try to gain more understanding about the effect of low concentration of Tb^{3+} , Er^{3+} ($x = 0.4$) for some non-magnetic Y^{3+} ions in YIG nanoparticles and study the structural, magnetic properties of the samples prepared under the same conditions using the sol-gel method, which may lead to new developments in the selection and purification of materials used in new techniques. Tb^{3+} and Er^{3+} ions are chosen for their high verdet constant, beside that larger values of Bohr magneton ($9.59 \mu_B$ for Tb^{3+} and $9.72 \mu_B$ for Er^{3+}) [14]. In recent years, great interest has been focused on the study of the dependence of the physical and chemical properties on the particle size. For this reason, there is renewed interest in the development of new techniques to produce particles of different sizes, sufficiently monodispersed and with a good grade of homogeneity. The sol-gel process offers considerable advantages such as better mixing of the starting materials and excellent chemical homogeneity in the final product [15].

2. Experimental

The (Er:YIG) precursor sol was prepared by sol-gel method. Yttrium nitrate hexahydrate [$Y(NO_3)_3 \cdot 6H_2O$], Iron (III) nitrate nanohydrate [$Fe(NO_3)_3 \cdot 9H_2O$], Erbium nitrate pentahydrate [$Er(NO_3)_3 \cdot 5H_2O$] were used as raw materials. 2-methoxyethanol and acetic acid were used as solvents. $Fe(NO_3)_3 \cdot 9H_2O$ and $Y(NO_3)_3 \cdot 6H_2O$ were dissolved in the 2- methoxyethanol and refluxed at $80^\circ C$ for 3 hours. The $Er(NO_3)_3 \cdot 5H_2O$ dissolved in acetic acid added gradually into the yttrium and iron solution. Then the refluxing process was carried out for 3 hours. A small quantity of diethylamine was added to the mixture solution, while the pH value was adjusted in

the range of 2-3. After cooling down to room temperature, the solution was stirred for 3 days. The gel was transformed into thin film form (onto quartz

substrates) using the spin coating technique. The rate of the spinning process was 3500 rpm and it was done for 30 second. After the spinning process, the films were heated at 90 °C for 2 h to remove the residual solvents and then at 350°C for 15min at a heating rate of 3°C/min to burn off the organic materials, followed by heat treatment process at 900 °C for 2 h at a heating rate of 4°C/min to crystallize them.

For (Tb:YIG) precursor sol, Terbium (III) acetate hydrate ($\text{Tb}(\text{COOCH}_3)_3 \cdot \text{H}_2\text{O}$) was first dissolved in 1 ml of acetic acid. Then, 1 ml of distilled water was added to the terbium solution followed by 10 μl of nitric acid. Tb solution was added to the yttrium and iron solution. The pH of precursor solution can affect the formation temperature of the garnet phase [16], thus the precursor solution was maintained at pH 3 by adjusting the amount of diethylamin ($\text{C}_4\text{H}_{11}\text{N}$) in the solution. The resulting solution was refluxed again for 3 h at (80 ± 1) °C followed by stirring for 48 h to obtain a homogenous gel. To prepare the films, 25 μl of the gel was dropped onto a clean quartz substrate. The substrate was spin coated first at 500 rpm for 15 s, then at 3,500 rpm for 30 s. The film was heated at 90 °C for 2 h to get rid of residual solvent, and followed by 350 °C for 15 min at heating rate of 3 °C/min to burn-off the organic, then also, heat treatment process at 900 °C for 2 h at a heating rate of 4 °C/min to crystallize them. The X-ray diffractions (XRD) were done at $2\theta = 20^\circ$ to 80° to investigate the structural properties of the films. Magnetic measurements were carried out at room temperature using a vibrating sample magnetometer (VSM). The field emission scanning electron microscope (FESEM) was carried out to examine the surface quality of the films.

3. Results and Discussion

3.1. XRD Measurements

The XRD patterns of ($\text{Er}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$) and ($\text{Tb}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$) thin films with the Philips model Pw 3020 MRD x'pert pro (a $\text{CuK}\alpha$ radiation $\lambda = 1.54056\text{\AA}$) reveal a single phase garnet structure and the crystallization had completely occurred at 900 °C due to the good homogeneity of the gel prepared at pH = 2-3. The peaks position illustrates a slight shift to the lower 2θ angles as shown in figure 1, indicating that Er and Tb atoms have been incorporated into garnet structure [17].

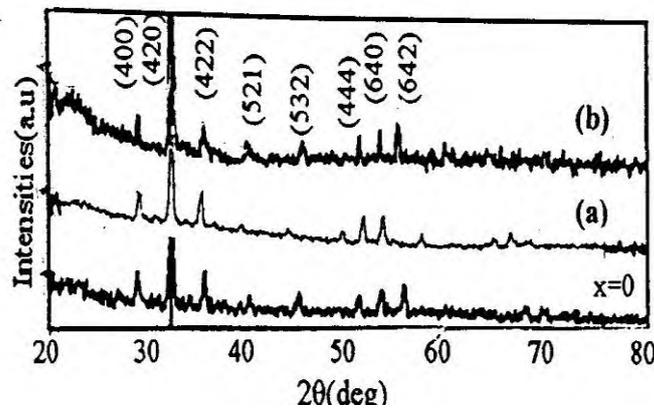


Fig. 1: XRD patterns of (a) $\text{Er}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$ and (b) $\text{Tb}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$ films at 900°C

3.2. Microstructural Properties

Figure 2,3 shows the microstructure of the $\text{Tb}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$ and $\text{Er}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$ thin films obtained from (FE-SEM) at magnification of 300, 000X. In general, for these samples, the particle size increases with the annealing temperature increased. Most of the particles stuck to each other when the annealing temperature is above 800°C and this implies that the particles are highly agglomerated due to their high surface energy [18]. Agglomeration of fine particles is caused by the attractive van der Waals force and the driving force that tends to minimize the total surface energy of the system. The grains could not be seen clearly, and this may be because of masking caused by the gold coating on the film's surface. The cross section backscattered FE-SEM microstructure was used to measure the film thickness. The thickness values of obtained (Tb:YIG) , (Er:YIG) films and the average grain sizes were summarized in table 1.

Table 1 . Variations of the grain size and the thickness of the (Tb:YIG) and (Er:YIG) films .

The film	Average grain size (nm)	Thickness (nm)
$\text{Tb}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$	50	185
$\text{Er}_{0.4}\text{Y}_{2.6}\text{Fe}_5\text{O}_{12}$	68	245

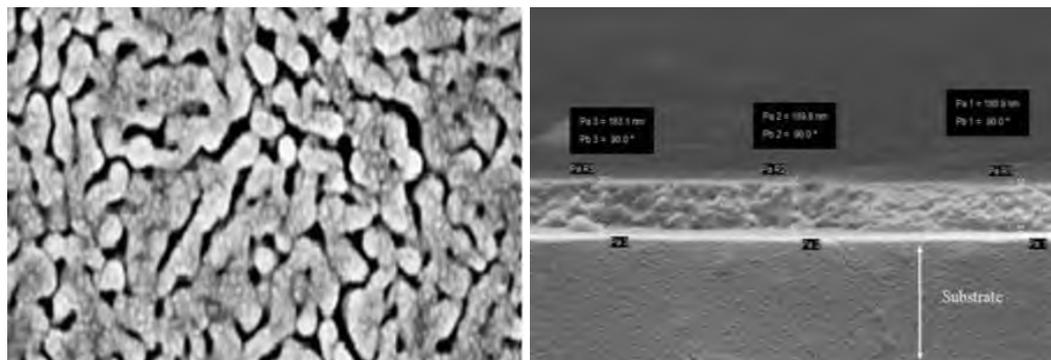


Fig 2: FE-SEM micrograph and image of cross-section of $Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ films at 900 °C.

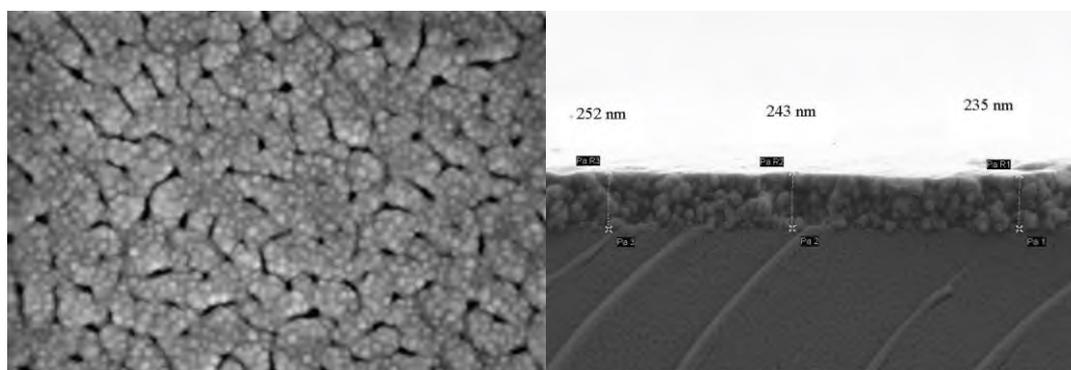


Fig 3: FE-SEM micrograph and image of cross-section of $Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ films at 900 °C.

3.3. Magnetic Measurements

The magnetic properties of the (Tb:YIG) and (Er:YIG) films were measured using the vibrating samples magnetometer (VSM) at room temperature (25 °C). Figure 4,5 shows the hysteresis loops for these films measured with a 15kOe field step. The magnetic measurements at room temperature show that the saturation magnetization (M_s) of the films and the curves revealed soft magnetic nature of ($Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$) film than that of ($Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$) film. The saturation magnetization of the ($Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12} = 67\text{emu/cm}^3$) is somewhat higher than the ($Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12} = 51\text{emu/cm}^3$), this could be due to the difference in synthesis route, the higher purity of the sample and related to the magnetic structure of the films . While the coercivity (H_c) of ($Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12} = 14\text{ Oe}$) is less than the coercivity (H_c) of ($Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12} = 37\text{ Oe}$). The largest coercivity for (Er:YIG) film is probably due to the different ionic radius of Er^{3+} (1.004 Å) and Tb^{3+} (1.044 Å) substituted Y^{3+} (0.892 Å).

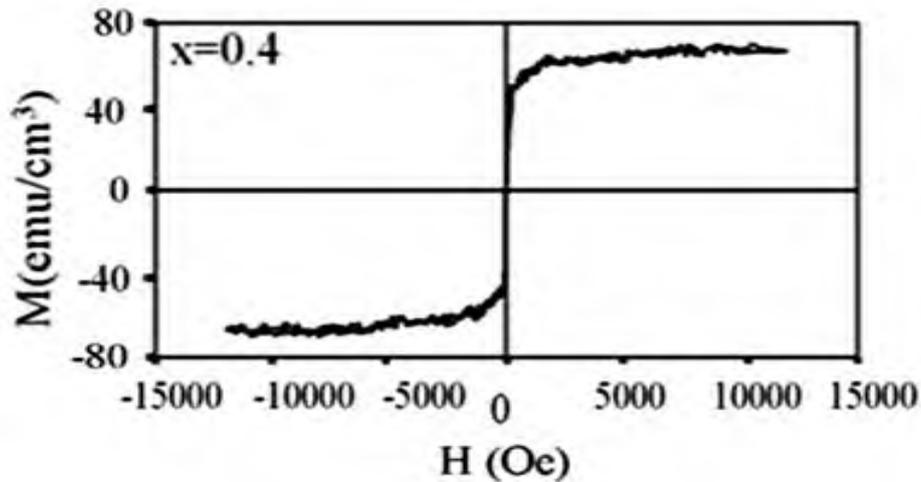


Fig. 4: Hysteresis loop of the $Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ film at $900\text{ }^\circ\text{C}$

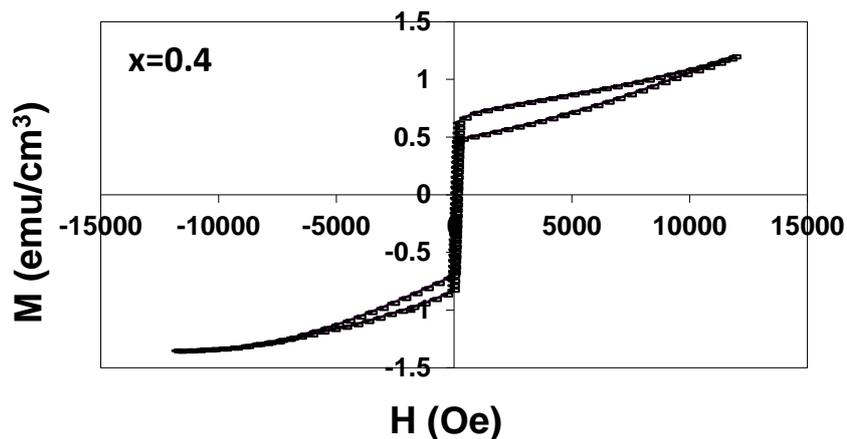


Fig. 5: Hysteresis loop of the $Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ film at $900\text{ }^\circ\text{C}$

4. Conclusion

The structure and magnetic properties of the (Tb:YIG) and (Er:YIG) thin films were prepared using a sol-gel method. The films can be crystallized into a single phase garnet structure at $900\text{ }^\circ\text{C}$ for 3 h. The grain size was measured to be in the range of 50–70 nm. These films heated at same temperature $900\text{ }^\circ\text{C}$ exhibited almost the same trend, only differing in saturation magnetization (M_s) and coercivity (H_c) values. The films have normal shape of hysteresis loops, the saturation magnetization (M_s) of the (Tb:YIG) film was somewhat higher than the (Er:YIG) film and the $Tb_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ film have low coercivity and exhibit soft magnetic nature compared with $Er_{0.4}Y_{2.6}Fe_5O_{12}$ film. This study reported further understanding of the effect of Tb^{+3} and Er^{+3} in Y^{+3} ions of YIG thin films, which may lead to the development of new

materials for new technologies. So, this results indicate that (Tb:YIG) and (Er:YIG) films could be suitable for devices of microwave and memory applications respectively. Based on this study, it can also be suggested that the small amount of Tb and Er into YIG have strong effect on the magnetic structure of the films. The annealing temperature films and different concentrations are of further interest and would prove very useful as an integrated sensor and electronics industry .

References

- 1- P. Vaqueiro, M.A. Lopez, J. Rivas and J.M. Greneche (1997) “*Annealing dependence of magnetic properties in nanostructural particles of yttrium iron garnet prepared by citrate gel process*”. *J. Magn. Magn. Mater.* 169: 56-68.
- 2- M.J. Jafelice and R.H. Godoi (2001) “*Preparation and characterization of spherical yttrium iron garnet via coprecipitation*”. *J. Magn. Magn. Mater.* 226-230: 1421-1423.
- 3- M. S. Lataifeh and A. al-sharif (1995) “*Magnetization measurements on some rare-earth iron garnets*” . *Applied Physics A: Materials Science & Processing*, vol. 61, no. 4, pp. 415–418.
- 4- S. Mandal, S. Phadtare, *Curr. Appl. Phys.* 5, 118 (2005).
- 5- Y.B. Lee, K.P. Chae, *J. Phys. Chem. Solids* 62, 1335 (2001).
- 6- M. J. Geselbracht, A.M. Cappellari, A. B. Ellis, M. A. Rzeznik, and B. J. Johnson, “Rare earth iron garnets: their synthesis and magnetic properties,” *Journal of Chemical Education*, vol. 71, no. 8, pp. 696–703, 1994.
- 7- M. S. Lataifeh and A. Al-sharif, “Magnetization measurements on some rare-earth iron garnets,” *Applied Physics A*, vol. 61, no. 4, pp. 415–418, 1995.
- 8- H.Xu, H. Yang, and L. Lu, “Effect of erbium oxide on synthesis and magnetic properties of yttrium-iron garnet nanoparticles in organic medium,” *Journal of Materials Science: Materials in Electronics*, vol. 19, no. 6, pp. 509–513, 2008.
- 9- Zhongjum Cheng HY, Cui Y, Yu L, Zhao X, Feng S (2007) Synthesis and magnetic properties of Y_{3-x}Dy_x Fe₅O₁₂ nanoparticles. *J Magn Mater* 308:5–9.
- 10- Zhongjum C, Hau Y (2007) Synthesis and magnetic properties of Sm-Y₃Fe₅O₁₂ nanoparticles. *Physica E* 39:198–202.

- 11-** Xu H, Yang H, Xu W, Yu L (2008) Magnetic properties of Bi doped Y₃Fe₅O₁₂ nanoparticles. *Curr Appl Phys* 8:1–5.
- 12-** T. Shintaku and T. Uno, “Preparation of Ce-substituted yttrium iron garnet films for magneto-optic waveguide devices,” *Japanese Journal of Applied Physics*, vol. 35, no. 9A, pp. 4689–4691, 1996.
- 13-** Suleiman M. Elhamali, N.B. Ibrahim* and S.Radiman,” Structural, Optical and Magnetic Properties of YIG Doped with Erbium and Terbium Nanofilms using Sol-Gel Method”. *Journal of Advances in Nanomaterials*, VI, No 1. <https://dx.doi.org/10.22606/jan.2016.11002>.
- 14-** C. Kittel, P. McEuen, and P. Mc Euen (1976) “ *Introduction to solid state physics vol. 8*”. Wiley New York.
- 15-** J.C. Rehspringer, J. Bursik, J. Magn. *Magn. Mater.* 211, 291(2000).
- 16-** Guillot M, Gall LE, Marchand A, Desvignes JM, Artinian M (1990) “*Contribution of the terbium ion to the Faraday rotation of terbium yttrium ferrite garnets*”. *J Magn Magn Mater* 83:25–26.
- 17-** Toledo JA, Valenzuela MA, Bosch P, Armenda´riz H, Montoya A, Nava N, Vazquer A (2000) “*Effect of Al₃⁺ introduction into hydrothermally prepared ZnFe₂O₄*” . *Appl Catal A* 198:235–245.
- 18-** S. Verma, S. D. Pradhan, R. Pasricha, S. R. Sainkar, and P. A. Joy (2005) “*A novel low-temperature synthesis of nanosized NiZn ferrite*”. *Journal of the American Ceramic Society*, vol. 88,no. 9, pp. 2597–2599.

Ultraviolet Far-UV (222nm): A Promising Approach for the Disinfection of Hospital and indoor Occupied Public Spaces.

Warrag Saed¹, Agnan M M²

^{1,2} Department of Medical Microbiology,
Faculty of Medical Technology, University of Nalut, Libya.

Corresponding author: E. mail: s_warrag@yahoo.com

Mobile: 00218/917139889

Abstract:

Hospital-associated infections have led to a significant increment of morbidity and mortality among patients. Ultraviolet irradiation C (UVC) has emerged as an effective strategy for microbial control in hospitals and indoor public spaces. This review article highlights the current information regarding UV-C and Far-UV Technology disinfection capabilities and applications. UVC is commonly applied for air, surface, and water disinfection. UV irradiation (100 to 400 nm) is fractionated into four main regions by their wavelength and energy: Far-UV from 200 to 235 nm, short wave ultraviolet (UV-C) from 200 to 280 nm, UV-medium wave (UV-B) from 280 to 315 nm, and UV long wave (UV-A) from 315 to 400 nm. UV-C devices such as, Robots, Mercury-vapor lamps and diodes(UVC-LEDs) has the ability to disinfect airports and transport stations. However, overexposure to UV-C radiation can cause erythema, or sunburn like lesions on the skin, and photo keratitis in the eyes. Hence, for the application of UV-C light, safety is one of the primary considerations. Published studies on the effectiveness of UV-C radiation on surfaces and the surrounding environment showed that for bacterial inactivation it was more than 99.9% within 15 minutes, and the reduction in *C. difficile* spores was 99.8% within 50 minutes. A recent study showed 87.4 %, 99.9 % and a total inactivation of SARS-CoV-2 after 1, 10 and 20 s of treatment by UVC-LED (280 nm; 37.5 mJ/cm²), respectively. In rooms occupied by patients with MRSA, UV-C irradiation of approximately 15 minutes duration resulted in a decrease in total CFUs per plate (mean, 384 CFUs vs 19 CFUs; $P < .001$), in the number of samples positive for MRSA (81 [20.3%] of 400 plates vs 2 [0.5%] of 400 plates; $P < .001$), and in MRSA counts per MRSA-positive plate (mean, 37 CFUs vs 2 CFUs; $P < .001$). Far-UV-C(222nm) can eliminate pathogens including COVID-19 and other viral diseases without causing any health risks in spaces with simultaneous human presence. The Far-UV-based devices/lights can be administered to be used as an adjunctive procedure to the standard chemical methods in public indoor spaces such as hospitals, health clinics, schools, sport centers and public transport to minimize the risk of pathogens contamination and propagation, saving costs by reducing manual cleaning and equipment maintenance provided by manpower.

Key words: Ultraviolet radiation, disinfection, UV-C devices ,Light sources, bacteria

Introduction

Ultraviolet irradiation C (UVC) is a well-known and well-understood technology that could successfully inactivate pathogens, including viruses and bacteria. Therefore, an increased use of UVC-based devices has the potential to reduce the risks of airborne diseases and the dissemination of pathogens on surfaces of public spaces. Ultraviolet irradiation C (UVC) has emerged as an effective strategy for microbial control in indoor public spaces. UVC is commonly applied for air, surface, and water disinfection. The SARS-CoV-2 pandemic led to an exponential interest in developing UVC-based devices for indoor space disinfection in addition to conventional preventive measures and the use of traditional disinfectants.

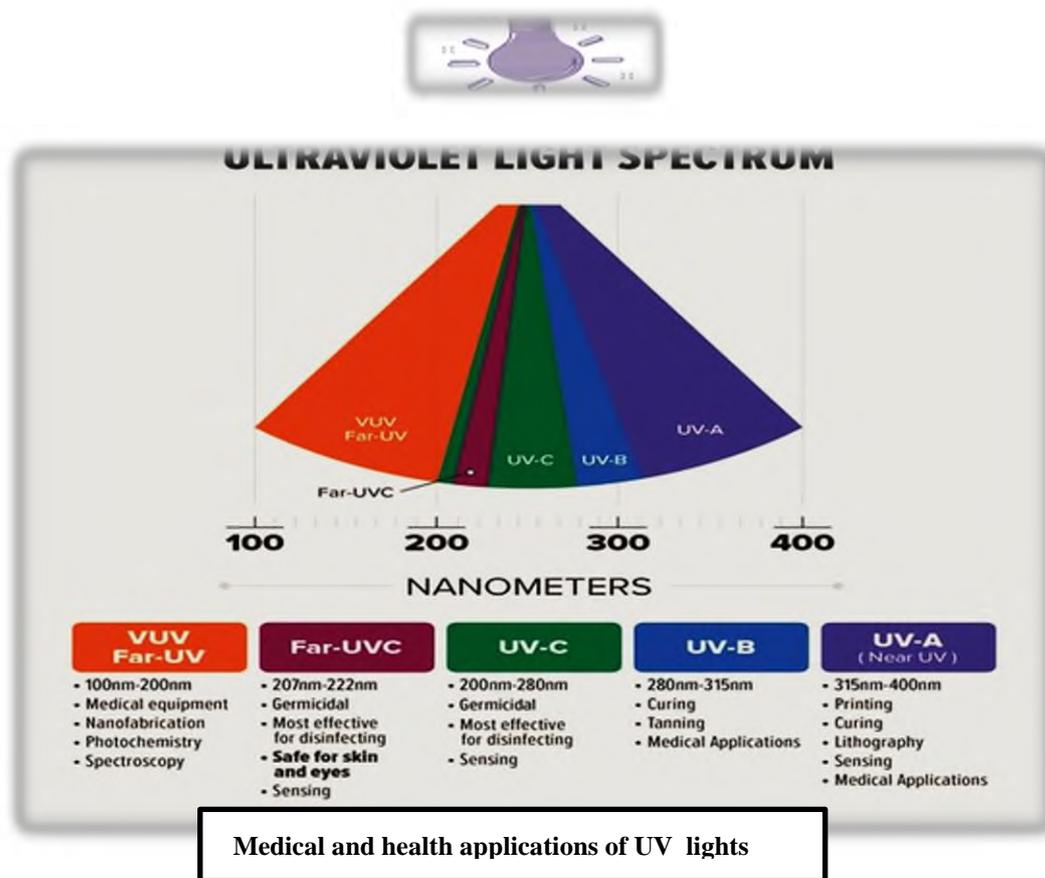
UV irradiation (100 to 400 nm) is fractionated into four main regions by their wavelength and energy: UV from 100 to 200 nm, short wave ultraviolet (UVC) from 200 to 280 nm and 222nm(Far-UV) , UV-medium wave (UVB) from 280 to 315 nm, and UV long wave (UVA) from 315 to 400 nm [7]. These systems could not only be a powerful strategy to mitigate disinfection issues on hospital surfaces but are also promising for the food and water industry [1]. Hospital-associated infections have led to a significant increment of morbidity and mortality among patients. As a result, the public health had concentrated on preventing the transmission of infection using environmental controls [2]. Due to the increase in hospital-associated infections, multidrug- and extensive drug-resistant microorganisms, and the pandemic of new viral strains, specifically, the severe acute respiratory syndrome coronavirus (SARS-CoV) in 2003, the swine influenza virus H1N1 in 2009, and the recent SARS-CoV-2 pandemic since December 2019, studies on environmental cleaning and disinfection techniques had been conducted in order to prevent transmission of the infections and to control the pandemic. Both air purification techniques and surface cleaning techniques had been reported as effective disinfection methods, including the non-thermal plasma (NTP), thermal treatment, antimicrobial material-embedded filters, ultraviolet lights, and photo catalysis. [3-6].

Microbial disinfection

The microbial inactivation process by UVC irradiation is mainly based on the occurrence of photochemical reactions caused by UV light on the genetic material (DNA or RNA) of microorganisms [8]. The adenine-thymine bond is broken resulting in the formation of a covalent linkage between two adenines named pyrimidine dimer. These dimers (e.g. cyclobutane pyrimidine dimers – CPDs) disrupt the normal assembly of nucleic acids, which consequently affect the correct transcription and replication of RNA and DNA, respectively [9]. For that reason, the mode of action of UVC light on microorganisms is called “inactivation” and not “killing” [8]. Environmental surfaces may play an important role in transmission of healthcare-associated pathogens such as *Clostridium difficile*, methicillin-resistant *Staphylococcus*

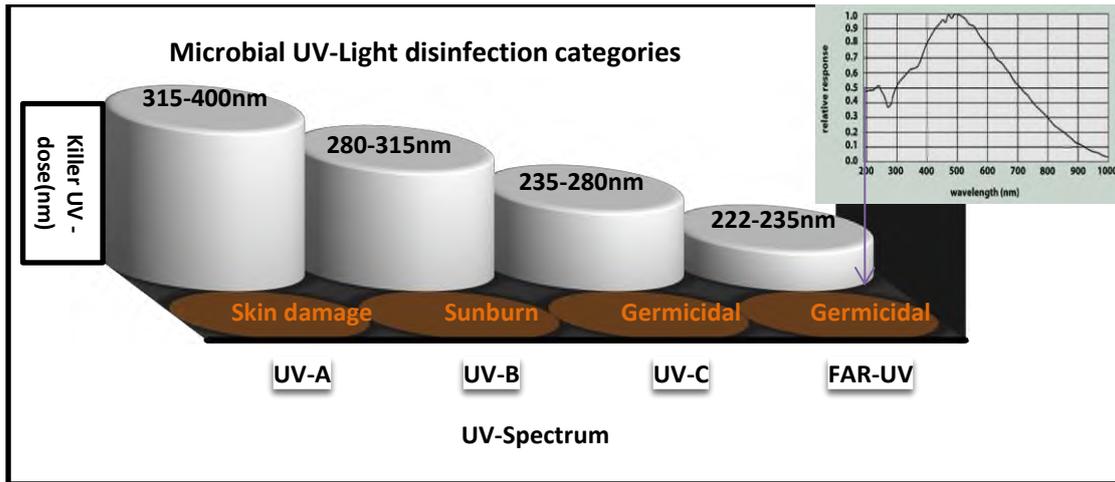
aureus (MRSA), and vancomycin-resistant *Enterococcus* (VRE) Patients may acquire these pathogens through direct contact with contaminated surfaces or healthcare workers' hands may transmit pathogens from contaminated surfaces to susceptible patients [10-15]. Ultraviolet germicidal irradiation (UVGI) is commonly used to disinfect air, water, and various kinds of surfaces due to its high efficiency and relatively low cost. In addition, the use of ultraviolet light for inactivating bacteria and viruses is well established. A shortwave ultraviolet C (UV-C) radiation, 100-280 nanometer (nm), is commonly used in UVGI as their wavelengths are strongly absorbed by bio aerosols. The radiation can damage microorganisms' deoxyribonucleic acid (DNA) and ribonucleic acid, leading to the inactivation of bacteria or virus. In the last decades, an increasing number of studies have demonstrated the UV-C light germicidal ability and its application in healthcare-related settings, e.g., on the ambulance, in operative rooms, and in hospital rooms. However, overexposure to UV-C radiation can cause erythema, or sunburn like lesions on the skin, and photo keratitis in the eyes. Hence, for the application of UV-C light, safety is one of the primary considerations [16,17,18,19]. The effectiveness of UV-C radiation in reducing the counts of vegetative bacteria on surfaces was more than 99.9% within 15 minutes, and the reduction in *C. difficile* spores was 99.8% within 50 minutes. In rooms occupied by patients with MRSA, UV-C irradiation of approximately 15 minutes duration resulted in a decrease in total CFUs per plate (mean, 384 CFUs vs 19 CFUs; $P < .001$), in the number of samples positive for MRSA (81 [20.3%] of 400 plates vs 2 [0.5%] of 400 plates; $P < .001$), and in MRSA counts per MRSA-positive plate (mean, 37 CFUs vs 2 CFUs; $P < .001$). This UV-C device was effective in eliminating vegetative bacteria on contaminated surfaces both in the line of sight and behind objects within approximately 15 minutes and in eliminating *C. difficile* spores within 50 minutes. [20]. Tru-D device was effective in killing *C. difficile* spores, MRSA, and VRE inoculated onto surfaces in the laboratory and in hospital rooms. Disinfection of hospital rooms with Tru-D reduced the frequency of positive MRSA and VRE cultures by 93% and of *C. difficile* cultures by 80% on frequently touched surfaces. These findings are consistent with unpublished data from another research group that are available online [21]. The device was effective in reducing contamination in sites not easily amenable to manual application of disinfectant (e.g., the undersurface of bedside tables) and on portable equipment. The housekeeping staff considered the device to be easy to use and to integrate into their routine cleaning practices. These results suggest that the Tru-D device is a promising new environmental disinfection technology that could be a useful adjunct to routine cleaning measures in healthcare facilities. The biological effects of UV radiation of different wavelengths (UVA, UVB and UVC) were assessed by [23] in nine bacterial isolates displaying different UV sensitivities. Biological effects (survival and activity) and molecular markers of oxidative stress [DNA strand breakage (DSB), generation of reactive oxygen species (ROS), oxidative damage to proteins and lipids, and the activity of antioxidant enzymes catalase and superoxide dismutase] were

quantified and statistically analyzed in order to identify the major determinants of cell inactivation under the different spectral regions. Survival and activity followed a clear wavelength dependence, being highest under UVA and lowest under UVC. The generation of ROS, as well as protein and lipid oxidation, followed the same pattern. DNA damage (DSB) showed the inverse trend. Multiple stepwise regression analysis revealed that survival under UVA, UVB and UVC wavelengths was best explained by DSB, oxidative damage to lipids, and intracellular ROS levels, respectively.[22]. Fig.(1) and (2).



Medical and health applications of UV lights

Figure(1).Ultraviolet light sources UVC and its efficacy
Source: Google images of wavelength dependence by UV-radiation on bacteria



Figure(2). Microbial UV-light disinfection and efficacy.

The aim of this study was to collect and analyze the results published to date on the impact of far-UVC in the spectral region between 200 and 235 nm on microbial disinfection efficacy in indoor spaces and its effect on animal and human cells, skin and eyes

Methods

This study was based on the descriptive research to investigate the background of UVC and Far-UVC application and future prospects to improve the disinfection strategies in hospitals and public occupied places and to ascertain the underlying patterns of the some current research data to validate the existing disinfection procedures for healthy environment..

Data analysis:

UV-Devices and light sources

UV-C emerges as an alternative to harmful and (eco)toxic chemical disinfectants. Far-UV-C (222nm) can eliminate pathogens in spaces with simultaneous human presence. Autonomous UV-C-based devices/robots reduce manual work and process costs. No consensus exists on UV-C safety and human exposure. figure(3) A,B,C UV-C (200-280 nm) is most traditionally referred to as germicidal UV with ability to kill bacteria, viruses, mold, and fungi. While UV-C is most traditionally referred to as germicidal UV, UV-B wavelengths have also demonstrated effectiveness against certain bacteria. UV-A (320-400 nm) and UV-B (280-320nm) light causes oxidation of proteins and lipids causing cell death. Broad band UV lamps have also been shown to inhibit photo-reactivation, the process that can result in self-repair of damaged microbes.(UV-C irradiation different UVC doses from distinct UVC sources cause different antimicrobial effects, depending on the target microorganisms. Thus, UVC tolerance may be species-dependent. In general, Gram-negative bacteria seem to be more susceptible to UVC radiation than vegetative Gram-positive bacteria, yeast, bacterial spores, molds, and viruses [23]. A wide range of light sources have been

used under UVC wavelengths: mercury-vapor UVC lamps; UVC light-emitting diodes (UVC-LEDs); continuous and pulsed xenon arc lamps; excimer lamps: krypton chloride excimer (KrCl) lamps and krypton-bromide excimer (KrBr) lamps and micro plasma lamps [24], [25].

Mercury-vapor UVC lamps.

Mercury-vapor lamps can be divided into three classes, namely low-pressure (254 nm), medium-pressure (220-580 nm), and high-pressure lamps (220-1000 nm) [26] The conventional UVC light at 254 nm with 30–40 % power efficiencies generated by low-pressure mercury-vapor lamps remains the most common disinfection unit source due to the electrical efficiency and low cost[27].

UVC light-emitting diodes (UVC-LEDs).

To overcome the potential environmental and health warns of mercury, UVC-LEDs (emitting between 255 and 280 nm) have emerged as an alternative solution with efficiencies more than nine times higher than the conventional mercury-vapour UVC lamps (254 nm) when used for water disinfection. A recent study showed 87.4 %, 99.9 % and a total inactivation of SARS-CoV-2 after 1, 10 and 20 s of treatment by UVC-LED (280 nm; 37.5 mJ/cm²), respectively [28]. UVC LED ranging between 16 J/s and 18 J/s were found to reduce *P. aeruginosa*, *S. aureus* and *E. coli* colonies on the stethoscope membrane after >240 h and 2900 cycles of use [29].

Pulsed UVC light

Pulsed UVC light has a broad spectrum (200-1000 nm with a peak at 254 nm) emitted from a xenon flash lamp that is delivered in a series of pulses (100 ns to 2 ms). Pulsed UVC light represents a fast and residue-free technology with higher light energy and intensity and deeper penetration than the alternative UVC light sources[30].

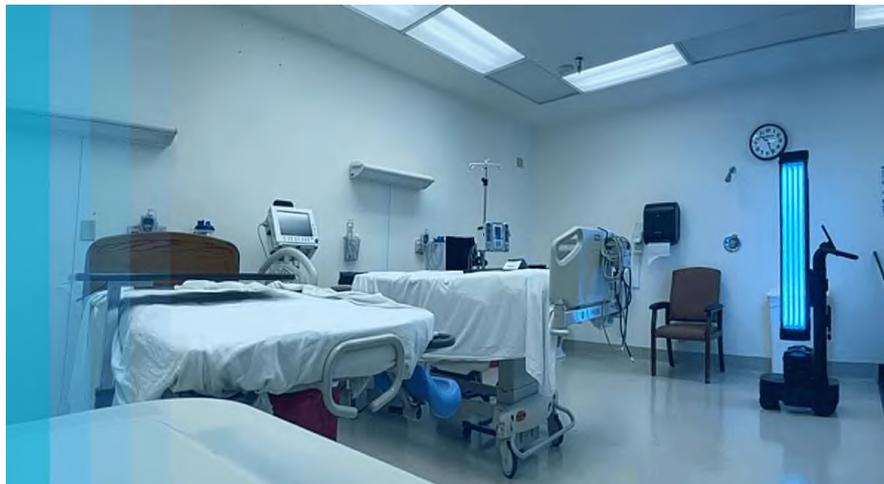
Excimer lamps: far-UVC light

Excimer lamps, namely xenon-bromide - XeBr (285 nm), krypton-bromide - KrBr (207 nm) and krypton-chlorine - KrCl (222 nm), could inactivate a wide range of pathogens. For example, xenon lamps inactivated *E. coli*, hepatitis A virus, Murine NoV-1 and SARS-CoV-2 in suspension and on food-contact surfaces [31]. The most commonly used excimer lamps for UVC disinfection are these of KrCl that emit light at 222 nm, being recognized as far-UVC technology.

UVC technological devices: robots.

The adoption of automatic UVC technological devices (robots) during the Covid-19 pandemic gave support to fight the spread of pathogens in enclosed areas where contact between people was frequent, particularly in hospitals work offices, schools, shopping centers, and airports[32], [33]. These devices already played a significant role in avoiding manual supervision and maneuvering of the disinfection treatment, helping to mitigate the potential spread of pathogens. Among different purposes for UVC robots, most of them are used to fight microbial spread in hospital environments and even in ambulances fig(A, B, C, and D). Xenex Disinfection Services recently developed a pulsed-xenon disinfection system to reduce the load of SARS-CoV-2 on hard surfaces and N95 respirators [34]. The use of this system resulted in log reductions up to 4.12

and 4.79 of SARS-CoV-2 after 5 min in hard surfaces and N95 respirators, respectively. Other applications for UVC robots include the sterilization of liquids and packaging using pulsed UVC light. An example is Pure Bright, which uses flash lamps filled with inert gases (xenon, krypton) causing 4.8-7.2 log reductions of different viruses with a dose of 1.0 J/cm² [35]. Figure(3)



Figure(3).UV-C technological devices : robots

Data concerned with SWOT analysis comparing strengths, weakness, opportunities and threats between Far-UVC and UVC lights indicated that: Far-UVC is Stronger at inactivation of bacteria and viruses compared to 254nm light source, and safer to use in public occupied spaces Table(1).

Table (1). A SWOT analysis comparing strengths, weaknesses, opportunities, and threats between Far-UVC and UVC lights .

Strengths	Weakness
<ul style="list-style-type: none"> - Multiple target inactivation mechanism of DNA and cell membrane damage - Without mercury environmental and health concerns. - Stronger at inactivation of bacteria and viruses compared to 254nm light source. - Safe for use in the presence of humans and animals. - This does not apply to Far-UVC LEDs. -Longer lifespan of lamps compared to mercury vapor lamps at 254nm. 	<ul style="list-style-type: none"> - Controversial information about its pathogen disinfection compared to 254nm lights were it only inactivates DNA. - Limited available data on its long-term health effects. - Ozone production. - On longer human presence it has the potential to cause skin, eye and cell damage. - Mercury vapor lamps are readily available worldwide in all wattages - Limited availability of lamps and fixtures due to its relatively new technology , higher energy consumption and costs.
Opportunities	Threats

<ul style="list-style-type: none"> - Potential for future technology and effectiveness development of 222nm light sources. - Increased demand for effective and safe disinfection techniques in public spaces. - Opportunity for market business to provide safer environment for customers and employees in public spaces. 	<ul style="list-style-type: none"> - Safety concerns due to limited research and data on long-term health effects. - Competition from established 254nm mercury vapor lamps. - Economic downturns that may decrease demand for disinfection products and services.
--	---

Table(2). Comparison between UVC/ Far-UVC light sources and chemical disinfection Source:(Elgujja,et.al.2020/ available at:www.jnsmonline.org).

UVC/FAR-UVC light sources	Traditional disinfection (H2O2)
<ul style="list-style-type: none"> - Rapid contact time, for example, 15 min for vegetative bacteria Has a sporicidal activity after longer exposure of up to 50 min. - Plug and play: Does not require closing the HVAC system, nor sealing the room. - Eco-friendly, with no residue, irritants. -Low recurrent running costs. - Microbial cells cannot develop resistance to this technology, and it can be used in public spaces while there is a heavy movement of people in all directions . - can be used in general public occupied spaces such as hospitals, airports, railway stations ,universities, clubs sport centers etc..... without any health risks. 	<ul style="list-style-type: none"> - Cannot be used in an occupied room. - It is labor-intensive as it requires closing the HVAC system and sealing the doors to prevent its escape. - Has a sporicidal activity It cannot be routinely used, but only as part of the terminal cleaning after the patient has vacated the room. - Expensive. - Time-consuming: requires about 2.5 to 5 h Its effectiveness dependents on specific use parameters (e.g,. concentration, contact time, etc.).

FAR-UV APPLICATION

Ultraviolet irradiation C (UVC) has emerged as an effective strategy for microbial control in indoor public spaces. UVC is commonly applied for air, surface, and water disinfection. Unlike common 254 nm UVC, far-UVC at 222 nm is considered non-harmful to human health, being safe for occupied spaces, and still effective for disinfection purposes. Therefore, and allied to the urgency to mitigate the current pandemic of SARS-CoV-2, an increase in UVC-based technology devices appeared in the market with levels of pathogens reduction higher than 99.9 %. This

environmentally friendly technology has the potential to overcome many of the limitations of traditional chemical-based disinfection approaches. The novel UVC-based devices were thought to be used in public indoor spaces such as hospitals, schools, and public transport to minimize the risk of pathogens contamination and propagation, saving costs by reducing manual cleaning and equipment maintenance provided by manpower. However, a lack of information about UVC-based parameters and protocols for disinfection, and controversies regarding health and environmental risks still exist. In this review, fundamentals on UVC disinfection are presented. Furthermore, a deep analysis of UVC-based technologies available in the market for the disinfection of public spaces is addressed, as well as their advantages and limitations. This comprehensive analysis provides valuable inputs and strategies for the development of effective, reliable, and safe UVC disinfection systems. **Figure (4)**

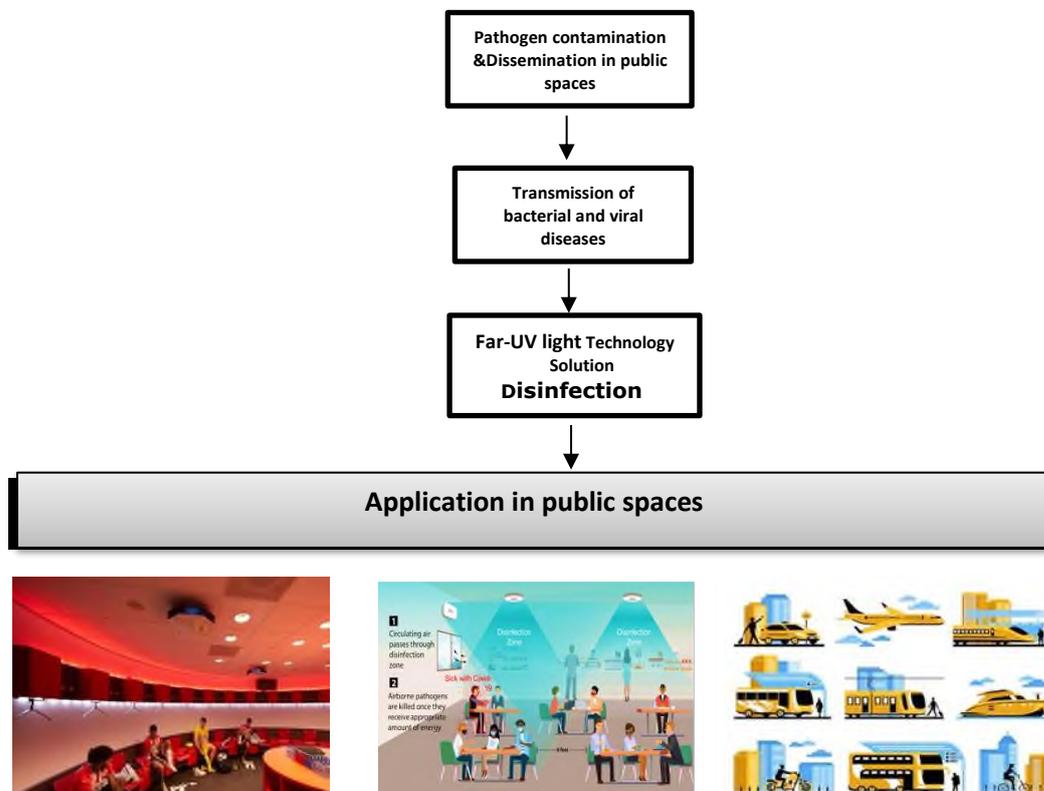


Figure (4).: future Far-UVC disinfection technology safety application in public occupied spaces and services.

Safety Aspects of Human Exposure to Far UV-C Radiation.

Multiple recent studies of health effects from Far UV-C exposures of the eye and skin indicate that the wavelengths below about 230 nm are substantially safer than longer UV-C wavelengths. These experimental observations are consistent with biophysical considerations regarding the much shorter penetration depth of Far UV-C radiation as compared with longer wavelength UV-C radiation. The biophysical background here is that UV-C radiation at wavelengths less than about 230 nm is strongly absorbed by all proteins (particularly through the peptide bond) and by other biomolecules, and so its ability to penetrate living tissue is quite limited. This phenomenon is quantified by wavelength dependent measurements. These considerations and experimental results have led to proposals to modify safety guidelines for human exposure in the Far UVC spectral region, including for whole-room exposure in occupied settings (see below). The promising reports on the effects of far-UVC on cells, tissue and pathogens – including coronaviruses – give reason to hope that this radiation might become a very important tool in the fight against airborne pathogens and especially SARS-CoV-2 in the current pandemic.

Discussion and Conclusions

Based on the evidence in the published literature and the collation of expert knowledge by the authors, the following conclusions can be drawn: Far UV-C technology is currently dominated by one source type, the KrCl* lamp. Although alternate devices exist, they are not yet practically viable for disinfection applications. Though commonly referred to as 222 nm lamps, a KrCl* lamp will emit polychromatic radiation across a wide segment of the UV-C range; optical filters may be needed to limit substantial emissions to the Far UV-C range. Far UV-C is an effective viral disinfectant, with particular suitability as a technology response to transmission of SARS-CoV-2 via air and surfaces. The efficacy of Far UV-C against viral pathogens is at least as high as that of conventional UVGI, and benefits from the long history of this technology as a disinfectant in a wide range of settings. The rate of ozone generation by these sources is orders of magnitude lower than for conventional “ozone generating” UV lamps. Reasonable application of these sources for continuous, room-scale disinfection could be achieved while maintaining ozone concentrations below regulated values; however, it is also reasonable to consider applications where ambient ozone concentrations would exceed these values.

It is the responsibility of lamp manufacturers and those installing such systems to properly communicate and assess the potential ozone hazard of these systems.

The majority of the presented studies conclude that human and animal cells can tolerate far-UVC doses of 150 mJ/cm² for 207 nm irradiation – and probably even much higher ones for 222 nm – without damage such as dimer formation, erythema or increased cell death. This irradiation dose is much higher than 1.7 mJ/cm², the only 222 nm dose published to date for a 3 log-reduction of coronaviruses in aerosols, and still many times

above the previously mentioned 10 mJ/cm^2 for a one log-reduction of 2/3 of the pathogens in Table 2.

Conclusion:

-The material in this Report suggests that there is sufficient evidence for immediate consideration of this technology during this world-wide health crisis.

-Far UV-C offers a promising technology to reduce surface and airborne disease transmission in occupied spaces, including COVID-19 ,other viral diseases and bacterial pathogens, when it is properly designed, engineered, and applied.

-The Far-UV-based devices/lights can be administered to be used as an adjunctive procedure to the standard chemical methods to minimize the risk of pathogens contamination saving costs by reducing manual cleaning and equipment maintenance provided by manpower.

Other important advantages are:- - The prevention of surgical site infections by far-UVC irradiation – as suggested by Buonanno, M *et al* (35)– seems to be very attractive for future application. Microbial cells cannot develop resistance to this technology. - can be used in general public occupied spaces such as hospitals, airports, railway stations ,universities, clubs and sport centers etc..... and other public places with heavy people movements in all directions without any health issues or risks.

Recommendation

- There should be future studies on the feasibility acceptability and efficacy of Far-UVC in long –term care settings.

- further studies are also required on the information regarding the safety of this kind of radiation to determine the necessary doses for pathogen decontamination compared with exposure time (seconds, minutes and hours) or fixing a timer system to ascertain safety on longer exposure in public occupied places.

References

(1)

D.J. Anderson, R.W. Moehring, D.J. Weber, S.S. Lewis, L.F. Chen, J.C. Schwab, P. Becherer, M. Blocker . Effectiveness of targeted enhanced terminal room disinfection on hospital-wide acquisition and infection with multidrug-resistant organisms and *Clostridium difficile*: a secondary analysis of a multicenter cluster randomized controlled trial with crossover
Lancet Infect. Dis., 3099 (2018), pp. 1-9, [10.1016/S1473-3099\(18\)30278-0](https://doi.org/10.1016/S1473-3099(18)30278-0)

(2) Xu Z, Wu Y, Shen F, Chen Q, Tan M, Yao M. Bio aerosol science, technology, and engineering: past, present, and future. *Aerosol Sci Technol.* 2011; **45**(11): 1337- 1349.

(3) Casini B, Tuvo B, Cristina ML, et al. Evaluation of an ultraviolet C (UVC) light-emitting device for disinfection of high touch surfaces in hospital critical areas. *Int J Environ Res Public Health.* 2019; **16**(19): 3572.

(4) 3Yu BF, Hu ZB, Liu M, Yang HL, Kong QX, Liu YH. Review of research on air-conditioning systems and indoor air quality control for human health. *Int J Refrig.* 2009; **32**(1): 3- 20.

(5) Kim J, Jang J. Inactivation of airborne viruses using vacuum ultraviolet photo catalysis for a flow-through indoor air purifier with short irradiation time. *Aerosol Sci Technol.* 2018; **52**(5): 557- 566.

(6) Khan et al., 2022.

M. Khan, M. McDonald, K. Mundada, M. Willcox
Efficacy of ultraviolet radiations against coronavirus, bacteria, fungi, fungal spores and biofilm *Hygiene*, 2 (2022), pp. 120-131, [10.3390/hygiene2030010](https://doi.org/10.3390/hygiene2030010).

(7) M. Raeiszadeh, B. Adeli

A critical review on ultraviolet disinfection systems against COVID-19 outbreak: applicability, validation, and safety considerations
ACS Photonics (2020), [10.1021/acsp Photonics.0c01245](https://doi.org/10.1021/acsp Photonics.0c01245)

(8) M. Buonanno, D. Welch, I. Shuryak, D.J. Brenner

Far-UVC light (222 nm) efficiently and safely inactivates airborne human coronaviruses *Sci. Rep.*, 10 (2020), pp. 1-8, [10.1038/s41598-020-67211-2](https://doi.org/10.1038/s41598-020-67211-2)

(9) Goodman ER, Platt R, Bass R, Onderdonk AB, Yokoe DS, Huang SS. Impact of an environmental cleaning intervention on the presence of methicillin-resistant *Staphylococcus aureus* and vancomycin-resistant enterococci on surfaces in intensive care unit rooms. *Infect Control Hosp Epidemiol.* 2008;**29**:593–599.
doi: 10.1086/588566. [[PMC free article](#)] [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)]

(10) Boyce JM, Pittet D. Guideline for hand hygiene in health-care settings: Recommendations of the Healthcare Infection Control Practices Advisory Committee and the HICPAC/SHEA/APIC/IDSA Hand Hygiene Task Force. *Infect Control Hosp Epidemiol.* 2002;**23**(Suppl):S3–S40. doi: 10.1086/503164. [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)]

(11) Bhalla A, Pultz NJ, Gries DM, Ray AJ, Eckstein EC, Aron DC, Donskey CJ.

Acquisition of nosocomial pathogens on hands after contact with environmental surfaces near hospitalized patients. *Infect Control Hosp Epidemiol.* 2004;**25**:164–167.
doi: 10.1086/502369. [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)]

(12) Boyce JM, Potter-Bynoe G, Chenevert C, King T. Environmental contamination due to methicillin-resistant *Staphylococcus aureus* (MRSA): possible infection control implications. *Infect Control Hosp Epidemiol.* 1997;**18**:622–627.
doi: 10.1086/647686. [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)]

(13) Eckstein BC, Adams DA, Eckstein EC, Rao A, Sethi AK, Yadavalli GK,

Donskey CJ. Reduction of *Clostridium difficile* and vancomycin-resistant Enterococcus contamination of environmental surfaces after an intervention to improve cleaning methods. *BMC Infect Dis.* 2007;**7**:61. doi: 10.1186/1471-2334-7-

61. [[PMC free article](#)] [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)].

(14) Hayden MK, Bonten JM, Blom DW, Lyle EA, van de Vijver D, Weinstein RA. Reduction in acquisition of vancomycin-resistant *Enterococcus* after enforcement of routine environmental cleaning measures. *Clin Infect Dis*. 2006;**42**:1552–60. doi: 10.1086/503845. [[PubMed](#)] [[CrossRef](#)] [[Google Scholar](#)].

(15) Reed NG. The history of ultraviolet germicidal irradiation for air disinfection. *Public Health Rep*. 2010; **125**(1): 15- 27.

(16) McDevitt JJ, Rudnick SN, Radonovich LJ. Aerosol susceptibility of influenza virus to UV-C light. *Appl Environ Microbiol*. 2012; **78**(6): 1666- 1669.

(17) Yin R, Dai T, Avci P, et al. Light based anti-infectives: ultraviolet C irradiation, photodynamic therapy, blue light, and beyond. *Curr Opin Pharmacol*. 2013; **13**(5): 731- 762.

(18) World Health O, International Programme on Chemical S. Ultraviolet radiation : an authoritative scientific review of environmental and health effects of UV, with reference to global ozone layer depletion / published under the joint sponsorship of the United Nations Environment Programme, the International Commission on Non-Ionizing Radiation Protection and the World Health Organization, 2nd edn. Geneva: World Health Organization; 1994.

(19) Rutala William A. Martin S. Favero Lectureship, Disinfection and Sterilization: Successes and Failures.
<http://www.unc.edu/depts/spice/dis/dsFaveroLectjune09.pdf>

(20) William A. Rutala 2015. (room decontamination) / 02-january Cambridge university press .

(21) H. Singh, S.K. Bhardwaj, M. Khatri, K. Kim, N. Bhardwaj
UVC radiation for food safety: an emerging technology for the microbial disinfection of food products *Chem. Eng. J.*, 417 (2021),
Article 128084, [10.1016/j.cej.2020.128084](https://doi.org/10.1016/j.cej.2020.128084)

(22) M. Guettari, I. Gharbi, S. Hamza
UVC disinfection robot *Environ. Sci. Pollut. Res.*, 28 (2021), pp. 40394-40399

(23) Ana L Santos. (wavelength dependence) *PubMed/PMID*: 23090570
DOI:10.1007/s00203-012-04847-5

(24) M. Raeiszadeh, F. Taghipour. Microplasma UV lamp as a new source for UV-induced water treatment: protocols for characterization and kinetic study *Water Res.*, 164 (2019), [10.1016/j.watres.2019.114959](https://doi.org/10.1016/j.watres.2019.114959).

- (25) N. Demeersseman, V. Saegeman, V. Cossey, H. Devriese, A. Schuermans
Shedding a light on ultraviolet-C technologies in the hospital environment
J. Hosp. Infect., 132 (2023), pp. 85-92, [10.1016/j.jhin.2022.12.009](https://doi.org/10.1016/j.jhin.2022.12.009).
- (26) J. Hadi, M. Dunowska, S. Wu, G. Brightwell
Control measures for SARS-CoV-2: a review on light-based inactivation of single-stranded RNA viruses
Pathogens, 9 (2020), p. 737.
- (27) H. Inagaki, A. Saito, H. Sugiyama, T. Okabayashi
Rapid inactivation of SARS-CoV-2 with deep-UV LED irradiation
Emerg. Microbes Infect. (2020), pp. 1-8, [10.1080/22221751.2020.1796529](https://doi.org/10.1080/22221751.2020.1796529).
- (28) M. Ploydaeng, N. Rajatanavin, P. Rattanakaemakorn
UV-C light: a powerful technique for inactivating microorganisms and the related side effects to the skin
Photodermatol. Photoimmunol. Photomed., 37 (2021), pp. 12-19, [10.1111/phpp.12605](https://doi.org/10.1111/phpp.12605)
- (29) J. Jean, R. Morales-rayas, M. Anoman, S. Lamhoujeb
Inactivation of hepatitis A virus and norovirus surrogate in suspension and on food-contact surfaces using pulsed UV light (pulsed light inactivation of food-borne viruses)
Food Microbiol., 28 (2011), pp. 568-572, [10.1016/j.fm.2010.11.012](https://doi.org/10.1016/j.fm.2010.11.012)
- (30) F. Graeffe, Y. Luo, Y. Guo, M. Ehn
Unwanted indoor air quality effects from using ultraviolet C lamps for disinfection
Environ. Sci. Technol. Lett. (2023), [10.1021/acs.estlett.2c00807](https://doi.org/10.1021/acs.estlett.2c00807)
- (31) U. Robots .UVD Robots <https://uvd.blue-ocean-robotics.com/applications> (2021) accessed 1.22.23.
- (32) S.E.S. Drph, R.C. Jr, K.J. Alfson, H.M.S. Bs, C. Jinadatha, W.R. Jarvis, P. Sampathkumar, R.F. Chemaly, F. Khawaja, M.P. Pharmd, S. Jackson, K.S. Kaye, R.M. Rodriguez, M.A. Stibich
Deactivation of SARS-CoV-2 with pulsed-xenon ultraviolet light: implications for environmental COVID-19 control
Infect. Control Hosp. Epidemiol., 1-4 (2020), [10.1017/ice.2020.399](https://doi.org/10.1017/ice.2020.399).
- (33) R. Mandal, X. Mohammadi, A. Wiktor, A. Singh, A.P. Singh
Applications of pulsed light decontamination technology in food processing: an overview
Appl. Sci., 10 (2020), [10.3390/app10103606](https://doi.org/10.3390/app10103606).
- (34) Buonanno, M.; Ponnaiya, B.; Welch, D.; Stanislauskas, M.; Randers-Pehrson, G.; Smilenov, L.; Lowy, F. D.; Owens, D. M.; Brenner, D. J., Germicidal Efficacy and Mammalian Skin Safety of 222- nm UV Light. *Radiat. Res.* 2017, 187 (4), 483-491.
- (35) Buonanno, M.; Randers-Pehrson, G.; Bigelow, A. W.; Trivedi, S.; Lowy, F. D.; Spotnitz, H. M.; Hammer, S. M.; Brenner, D. J., 207-nm UV light - a promising tool for safe low-cost reduction of surgical site infections. I: in vitro studies. *PLoS One* 2013, 8 (10), e76968.

The Geologic Contribution to the Mountain Slopes Instability and its effect on Rockfall Hazards. A Case Study to the Zintan Road, Jabal Nafusah, Libya

Abdunaser, K.M^{1*}, Swei, G², Bergeg K³, Saeed M³

¹ k.abdunaser@lpilibya.com, ² ghsweib@gmail.com, ³ k. Bergeg@lpilibya.com, ³m.
Saeed@lpilibya.com

¹ Petroleum Research Center, ² Department of Geology Engineering, College of Engineering,
Tripoli University, Libya, ³ Petroleum Research Center,

*Corresponding author email: k.abdunaser@lpilibya.com

Received: 00 October 2022 / Accepted: 00 November 2022

ABSTRACT

The paper is intended to address geological characteristics for risk evaluation of rockfall hazards attributable to the high cut in weathered rock that sometimes obstruct the passage of vehicles in the Zintan mountain road case study region and recommend mitigation steps to reduce these threats. The geological structure of the area, the composition of the rocks, the hydrologic conditions, and the steepness of the slopes all affect these materials' strength and susceptibility to failure. The areas at the source of the falling rock have been identified. The evaluation of geological formation and its structures as rocky units of slopes determined in this present study demonstrates that it is mostly comprised of friable rocks interbedded within hard rock such as dolomitic limestone. In addition, it contains a group of fractures and joints, which take different directions, with a slight dipping for the rock layers. Based on field investigation and a detailed study, the weathering and erosion effects of rocks have also been examined in all stratigraphic sequences that contribute to rockfalls. Sidi as Sid Formation which is composed of dolomitic limestone of Ain Tobe Member interbedded with Yafran Marl Member is identified as the typical source areas of rockfalls. The results of this study indicate that the study area is at risk of rockfall and requires adequate preventive measures to reduce these risks. Finally suggestions and recommendations are made to predict rockfall and help provide optimal solutions.

Keywords: rock, mountain road, mass movements.

1 Introduction

Rockfall is a widespread phenomenon in mountain ranges, coastal slopes, volcanoes, river banks and on the edge of slopes due to gravity [1; 2; and 3] and these collapses can occur in any terrain if and only if it has ideal conditions, such as soil, moisture, and inclination angle. In this study, rockfalls are classified according to [4] as a type of landslide that consists of the detachment of a rock block (or several individual rocks) from a vertical or sub-vertical cliff followed by rapid down-slope motion which is characterized by free-falling, bouncing, rolling and sliding phases. Landslides redistribute soil and sediments in a way that can be in the form of sudden landslides [5] or slow gradual slides along with mudflows, rock debris flows, and landslides, which can be among the most important causes of their occurrence: rain, floods, earthquakes, and factors Other Naturals [6]. Some factors are due to humans, such as land levelling, terrain cutting and filling, and others. Landslides are studied to reduce their risks which may cause more disasters than any other geological hazard combined, and can also cause damage to facilities, transport, and any other type of infrastructures. Geological structure and rock formation are an important factor in the formation of slopes and in the stability of rock masses that are at risk of collapse [7], as they can accelerate or slow down the process of slipping, as the elements of instability represented by fractures and application contribute to the occurrence of such slides. It increases when the inclination and direction of these elements correspond to the inclination and direction of the slope of the rock threatened with collapse, while the delay or non-slip gets delayed when there is incompatibility with the inclination and direction. When there is a variation in the nature of the rocks and the extent of their hardness, the erosion of soft internal rocks due to different erosion factors takes place quickly, leading to an imbalance of the upper layers, and thus to the occurrence of processes of falling and slipping rocks [8], and increases that if these rocks are porous and permeable to water and affected by fractures and joints, all of these factors facilitate the process of reaching water to other rocks, and this leads to saturation of the lower layers with water, and then falls and sliding. In contrast, the presence of fractures, faults, and joints in areas of landslides of steep slopes makes them geologically unstable, and the ancient and recent erosion factors in those areas lead to the breakdown and decomposition of some parts of the rocks that lead to their alteration into clay rocks that play an important role in the occurrence the landslides because it is swollen, and then become liquid, which leads to the collapse of rocks containing fractures and faults. Most of the stratigraphy of the study area is composed of sedimentary rocks, most of which consist of layers of limestone, sandy, clay, mudstones of varying rigidity, as the variability in their hardness and the degree of ductility of their rocky formations leads to heterogeneity between successive rocky layers, and this difference leads to an increase in the activity of its weathering and erosion forming different terrain. Through the properties of successive rock layers and the different mineral components, their texture, porosity, permeability, and geological

structure are represented by folds, faults, fractures, and joints that can explain the different types of geomorphological phenomena that are formed by exogenous processes.

2 Location and Case Study area description

The target area of the study of rockfall is located in the Nafusah Mountain in the western region of Libya, between the longitude of $12^{\circ} 11' 45''$ to $12^{\circ} 14' 30''$ east, and latitudes $31^{\circ} 56' 50''$ to $31^{\circ} 58' 00''$ north (Fig. 1).



Figure 1 Location map of the study area

The study area (the Zintan mountain road) is considered one of the regions with a dry and semi-arid climate and the rainfall rates are variable, and this descent is in a limited period between October and April and is often due to the gust of western or northwestern winds, in limited quantities and the amount of rain varies from region to another, which is about 150-300 mm, and this amount decreases as one head south. The temperature ranges in January between $3-15^{\circ}\text{C}$ and rises in August to reach between $20-40^{\circ}\text{C}$, which is often subjected to a cycle of drought that increases the loss of moisture levels that high porous surface rock formations can store and maintain, especially during periods of the hot south wind.

The targeted road is a part of the main road which connects the coast cities, through the Zintan Village, to other cities and villages on the mountain plateau (Fig. 2). The starting point of the road under this study is the mountain foot at an altitude not exceeding 360 meters above sea level, which is characterized by frequent zigzagging, where many twists (5 turns) are observed when penetrating the road to the mountain front (Fig. 2), then upward towards the Zintan Village from after that, the road gradually returns to semi-flatness in the regions of the mountain plateau. The Nafusah

mountains region elevations in the western region of Libya ranges between 71 meters in the Jafarah Plain and 900 meters in the mountainous area above the sea surface with a gradual decrease whenever we head south. Zintan Village is about 136 km to the southwest of Tripoli city, located on one of the hills in the middle of this mountain. The targeted road is a part of the main road which connects the coast cities, through the Zintan Village, to other cities and villages on the mountain plateau (Fig. 2).

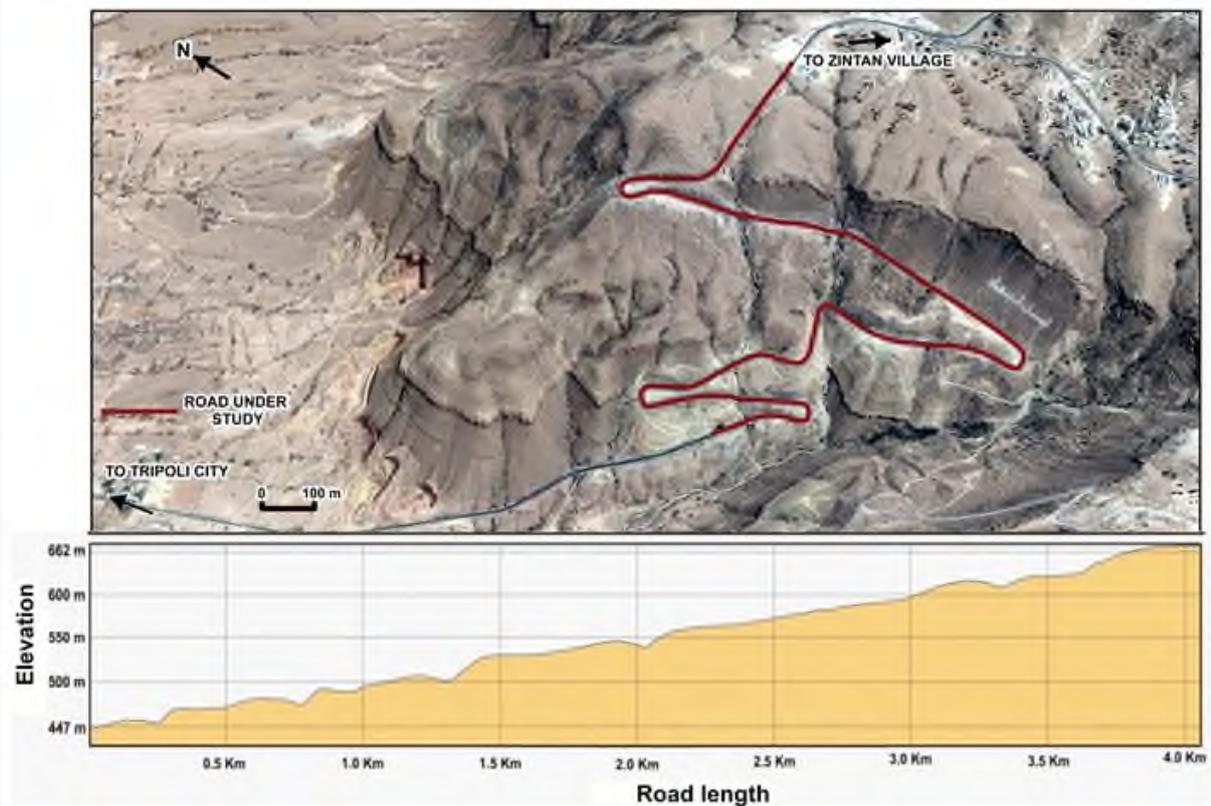


Figure 2 A Google earth 3D satellite image and its profile showing elevation points along the Zintan mountain road

Mostly there are friable rocks (sand, sandstone, marl, mud, and limestone), and erosion factors in the area of the rocks that make up this facade led to the formation of scattered hills around the road path and gave them the current geomorphological shape. It is characterized by the abundance of deep valleys that cut across north-south directions as one of the main reasons that cause rockfall in this region.

3 The aims and objectives of the case study .

The aims and objectives of this study are to identify the main source areas of rockfalls based on the comprehensive field investigation and geological analysis of the mountain slopes adjacent to the Zintan road with a focus on:

1. Study the current status of the area and determine the main reasons for the possibility of landslide or rockfalls in the study areas.
2. Preparing a detailed geological study to identify the stratification of the rocks along the path of the study area.
3. Conducting laboratory analysis for samples collected from the affected areas and many matching columns are drawn for the rock units that appear along the slopes,

4 Geological Characterization of the Study Area

The Jabal Nafusah escarpment extending from southeaster Tunisia to north-western Libya encompasses over a distance of 400 km as distinctive topographic strikes in a WSW-ENE orientation as a gently south westward dipping ($1-2^\circ$) monocline, which represents the northern border of the Ghadames Basin. Consists of a succession of Mesozoic sediments, with the early to mid-Cretaceous part. This part of Libya (Fig. 1) is considered geologically from a region rich in abundance of information, and a large number of studies [9; 10; 11; and 12] that have been carried out by geologists, in addition to the fact that the Nafusah mountain region is an ideal place to study the sediments of the Mesozoic era, where the rock sequences appear clearly, also cut many mountain roads led to increasing recognition of the geology of the region. The presence of various sediments of the terrain forming this mountain extends within the Libyan borders for a distance of more than 150 km, which is a plateau, and volcanic cones, the maximum height of which sometimes reaches about 900 meters above sea level.

The study area as a part of this escarpment consists of a number of 6 rock units (Fig. 3 and 4).

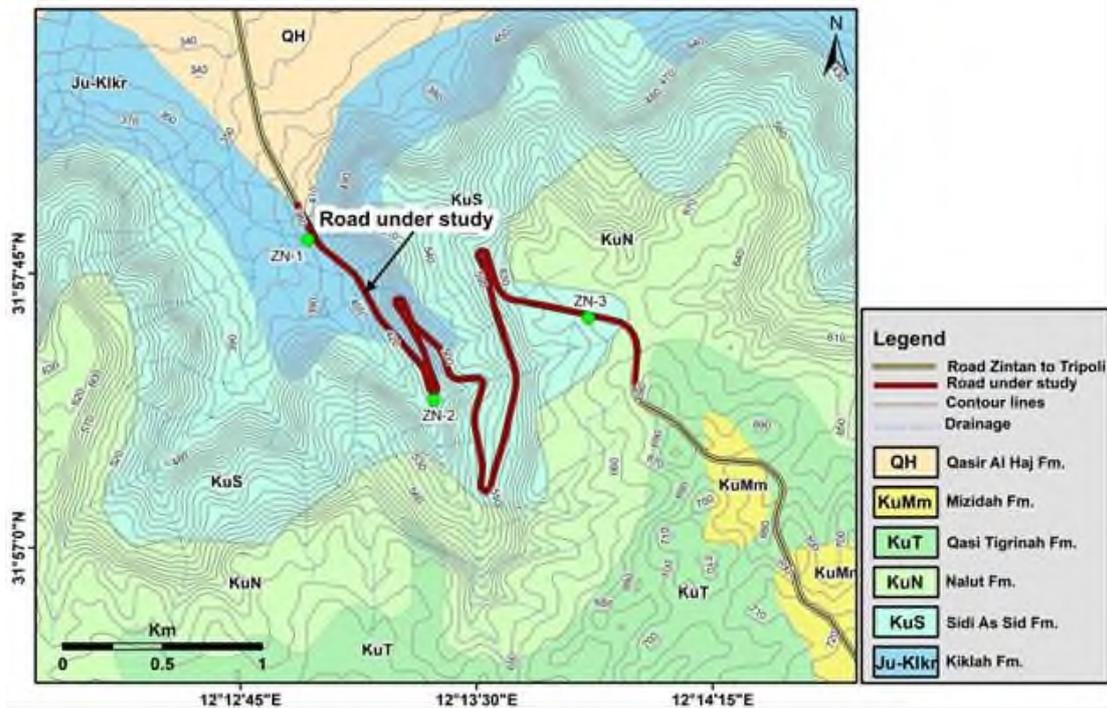


Figure 3 Geological map of study area as a part of Nafusah mountain region

From the oldest to the recent are sandstone and clay deposits of kiklah Fm., limestone and marl deposits of Sidi as Sid Fm., and limestone and dolomitic limestone of Nalut Fm., the marl deposits and marly limestone of the Qasi Tigrinah Fm., and deposits of marl, marly limestone, and limestone of Mizidah Fm. In addition to the deposits of proluvial cemented and non-cemented gravels, sand and sandstones with calcareous crust interbed with the Qasir Al Haj Fm.

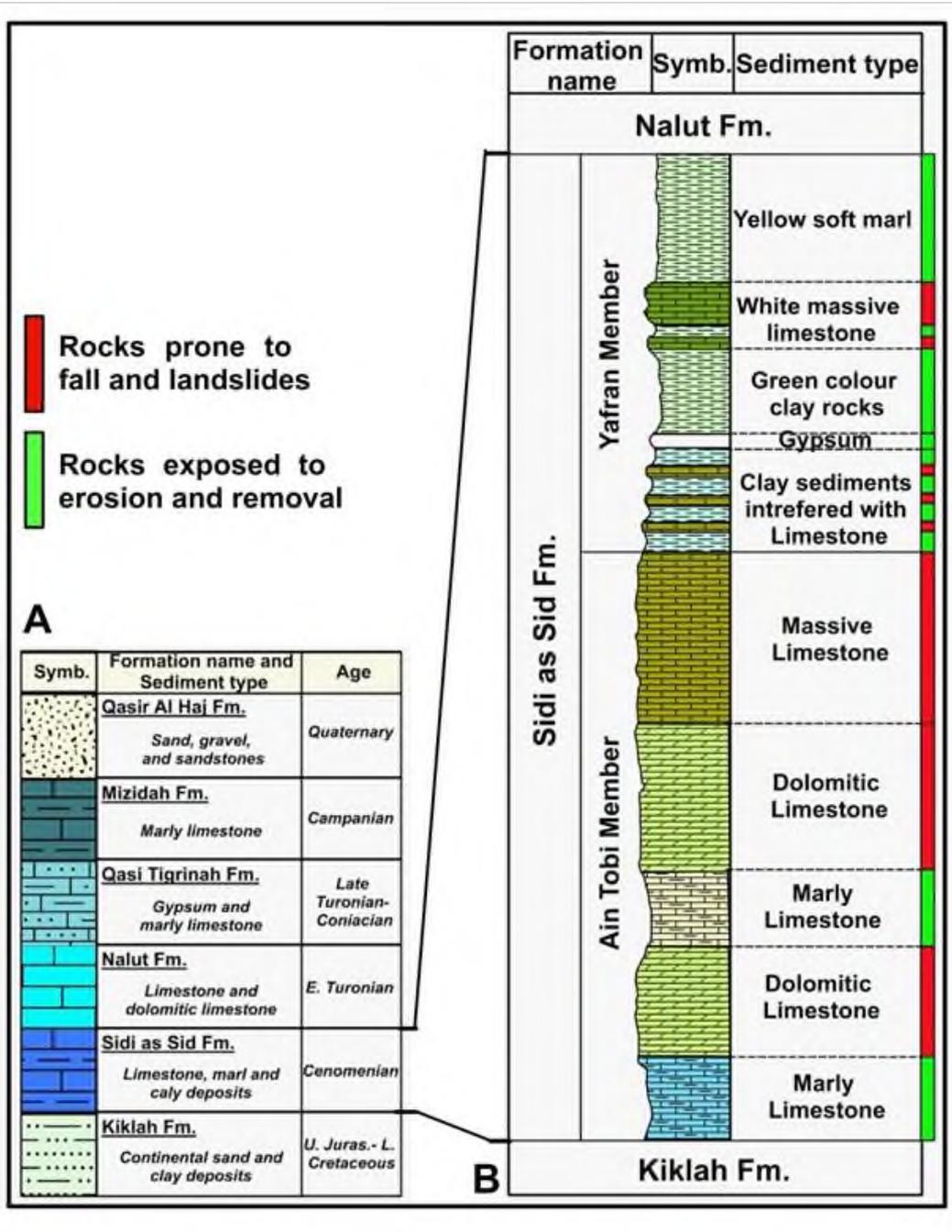


Figure 4 Stratigraphical columnar section (A) for whole area (B) Along the road under this study.

Tectonically, it is believed that the northern Ghadames Basin is mostly influenced by the Hercynian and Alpine unconformities and other movements in the Jurassic and Cretaceous and the Tertiary time, and these movements are the cause of the emergence of most geological structures in the mountain such as faults, fractures, small folds, domes and unconformity surfaces. During the Hercynian orogeny, this part of the basin treated as inverted, culminated in late Carboniferous, and formed a

broad arch trending in an eastern-western direction called the Jeffara–Nefusa Arch [13] which eroded during the Permian time [12]. Then during the Mesozoic until Palaeocene times, sedimentation has been resumed again. Moreover, the Alpine phase reactivated and uplifted the Nafusah escarpment during the time of the dextral strike-slip movement on the basement-rooted Sabratah-Cyrenaica fault system [11].

5 Discussion and Results

5.1. The Zintan mountain road

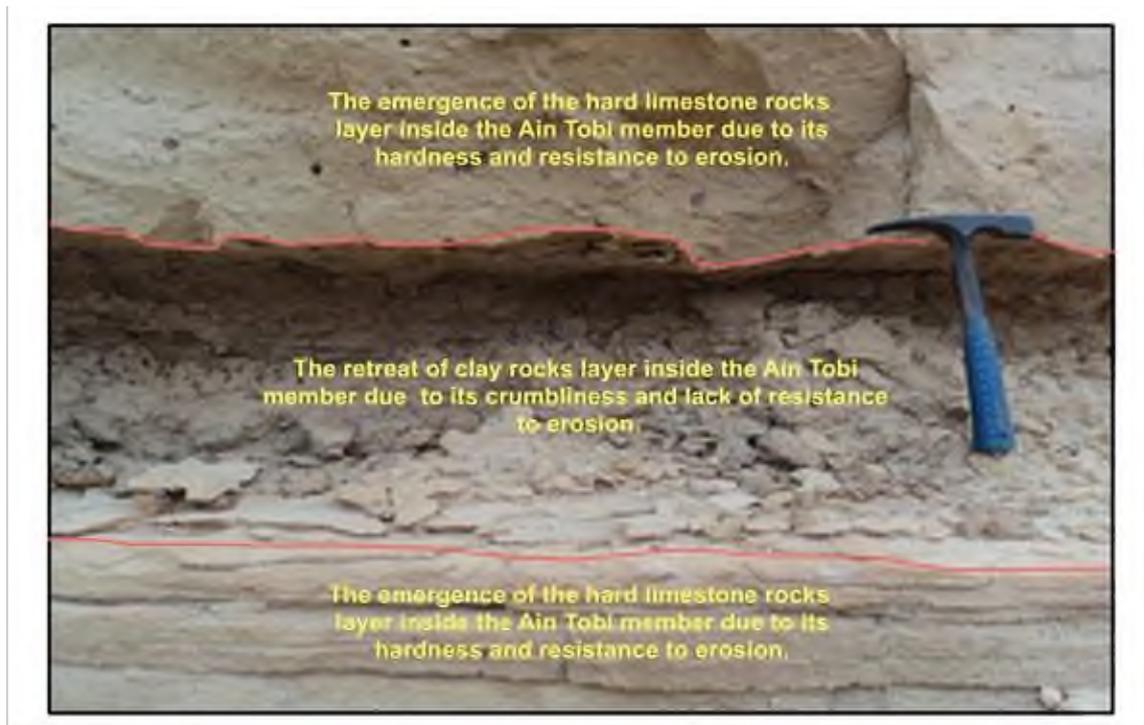
The road under study is about 4.04 km long, starts from the valley of Zart, at the mountain foot at an altitude of 500 meters above sea level, characterized by frequent zigzags of steep and winding climb up the face of the mountain to Zintan village which rises about 600 meters. Along this one-lane road, there are 5 hairpin turns and blind corners with an average northward inclination of 4.1% according to measurements taken from (Google Earth). It crosses the path of the mountainous façade (Fig. 2) up towards the Zintan village, after which the path gradually returns to the semi-levelling in the mountainous plateau areas, with a slightly smooth slope towards the south. This road passes through many exposed areas of natural and abnormal earth material on the surface, as their shape was varied geologically and geometrically, and the heights of cuttings and slopes facing the road range from several meters to 160 meters above the road level.

Usually, this road is showing some rock falling and slipping, particularly during and after the rains, which causes this road to be closed during these periods. For this, it is very necessary to determine the field evidence and laboratory work of the geotechnical properties of the soil and rocks required in the process of assessing the stability and instability of these materials on slopes. Likely, the main causes of the occurrence of falling and rolling rocks in the study area are due to the nature and rigidity of the rock structure, stratigraphy, the presence of joints and fractures, heights, and the degree of slope of the earth where the action of gravity increases as the angle of slope exceeds 35 degrees. In addition, the presence of interruptions in rock layers is related to separations during the rock slopes and mainly to differential weathering during weak and non-resistant rocky ranges such as soft material (clay, mud, or marl) with massive limestone and sandstones. Through fieldwork it was found that the exposed rock types that deposited along the two sides of this road to the end belong to two geological rock units (formations) (Figure 4), arranged according to the geological age from the oldest to the recent as follows:

- Kiklah Formation, which ages back to the Cretaceous period (Albian).
- The formation of Sidi as Sid Formation, which ages back to the Cenomanian era.

5.1.1 Kiklah Formation (Albian).

The geologist (Christe 1955) first described this formation as belonging to the geologic rocks of the Wealden epoch. Kiklah Formation exposed on the Jabal Nafusah escarpment from the Tunisian border to the east of Gharyan, which characterized by a significant lateral trend with three main facies variations, in the western part, central and in the easternmost of the region [10]. It overlies with marked unconformity the Early Cretaceous, Jurassic and Triassic sediments of Jabal Nafusah. In contrast, this formation is overlain by the Sidi as Sid Formation with overlying angular unconformity units as it is evident only in the central Gharyan area. In the study area which is located in the central part of the Jabal Nafusah escarpment, Kiklah formation rocks in the study area (Figure 3, and 4) are exposed on both sides of the road at the beginning of the turned road, which is dominated by sandstone with rare occurrences of red silty clay intervals with medium to very coarse grain sizes (poorly sorting). It is also spread with a few conglomeratic facies interbedded with clay-rich mudstone and grains of quartz, which is a well-cemented sometimes (due to the presence of cemented material of silica and hematite) and when these rocks corrode, they collapse due to weathering factors down and as a result of their proximity to the road footnote leading to the use of the construction of concrete walls to reduce from the rockfall (photo 1).



Photograph 1. Shows the hard rocks (hard limestone) emergence and the retreat of soft, friable (marl) rocks within Ain Tobi member as one of the main causes of rock falling. Alternating hard and soft rock is favourable for the occurrence of landslides.

5.1.2. Sidi as Sid Formation (Cenomanian).

The geologist [14] divided the later Cretaceous formations into two main formations, the Sidi as Sid Formation (the oldest) and the Nalut Formation of (the latest). The composition of Nalut dates back to the late Cretaceous and contains recrystallized dolomitic limestone and dolomite, irregular, or cross-bedded, and marly in some parts. Cherty nodules and concretions are common in the upper part of the sequence which is sometimes red. The term Sidi as Sid Formation has been introduced by [15] as one of the most widely distributed rock units of Jabal Nafusah occurring from the Tunisian border to the Mediterranean coast near Al Khums (see Fig. 3). It is divided into two members: Ain Tobi and Yifran Mbs [16; 12]. The lower part of the Sidi as Sid Formation is known as Ain Tobi Member. It consists mostly of Limestone deposits of yellow and grey dolomite limestone with various spherical, tubular, and nodal interferences of Cherts (Fig. 3 and 4). The rocks of this member are distinguished by the abundance of pores and the high rock strength due to its rock composition known as (DOLOSTONE) [17], and this helped to increase the action of mechanical weathering, especially the thermal effect and the weak activity and impact of chemical weathering [18].

The upper part of the Sidi as Sid Formation is known as a Yifran Marl Member (Fig. 3 and 4), and it consists of limestone partially changed to dolomite, with overlays of Marly limestone and yellowish-grey silt [15]. The rocks of Sidi as Sid Formation are exposed on both sides of the turned road in the Zintan region, first with the rocks of the Ain Tobi Member characterized by the occurrence of siliciclastic deposits (silt to very coarse sandstone, with a carbonate matrix) interbedded with the dolomitic sediments. Is mainly consisting of limestone classified as (wackestone-mudstone) grey yellow, containing an average percentage of clay, and solid with many pores scattered from mold porosity, and irregular pores (dissolving pores) are filled with some adhesives.

These beds of interlocking layers of friable mudstone are intertwined with weathering due to the influence of water and wind. Most of the mountainous round (turned) road was cut through the rocks of Ain Tobi Member of Sidi as Sid Formation so that it was discovered almost at right angles to the edge of the road.

5.2. The distance between the bottom of the exposed rock and the road footnote:

The distance varies between the bottom of the exposed rocks of Kiklah and Ain Tobi Mb. Of Sidi as Sid formations along with the twisted road range from less than one to two meters, and part of these distances are covered with rockfall while the other part

remains free of rocks (photograph 2).



Photograph 2. Shows the distance between the exposed rocks units and the road footnote.

This road which is in the form of a zigzag starting from the Zart Valley is characterized by the presence of concrete walls, lamellar metal walls (photograph 3A-B,) and metal grids created to reduce the fall of those rocks that were created on the edge of the road to prevent the rockfall. The rocks of these formations are highly affected by weathering factors such as wind and rain, which contribute greatly to the closure of the road as a result of the rockfall of this formation, which led to the creation of laminar metal walls to reduce the risk of rockfall and landslide.

5.3. Physical, chemical, and biological weathering factors

As a result of the formation of the rocks outcropping, this led to exposure to many physical, chemical, and biological weathering factors that contributed to their fragmentation and fracturing. Physical factors (such as earthquakes and vibrational movements caused by the vehicle passage and heavy machinery, in addition to the vibrations caused by explosives that were used during the road construction) led to many fractures and fractures in the formation rocks.

The difference in temperature (day and night - summer and winter) also led to the expansion and contraction of rocks, which in turn caused the external parts to become loose and fragmented over time. The lower temperatures in the freezing of water trapped between the pores of the rock contributed to the increase in the size of

fractures due to the freezing and increase of water volume. Laboratory results of Kiklah Formation showed that these rocks have very little ability to absorb water by 0.09% (Figure 5) whereas for Ain Tobi Mb. of Sidi as Sid Formation was 1.67% (Figure 6) and Yafram Marl was 1.98% (Figure 7).



Photograph 3 (A - B). Showing the use of metal nets fences and concrete walls to prevent the rockfalls of Ain Tobi Member.

As for the chemical factors, due to the interaction of freshwater (rain) with the formation rocks, which led to dissolving and removing friable rocks (clay layers), which removed the supporting clay of the rocks that are above them.

Also, the mountainous facades and their slope affected by the wet season rains, despite their scarcity, resulted in weakness and loosening of the clay rocks, thus removing them, which caused the rocks to slip. As for the biological factors, their effect is very clear, as the nature of this type of rock and its contents include clay and sand helped the growth of some small and large herbal trees, especially inside fractures and fissures (Photo 4).

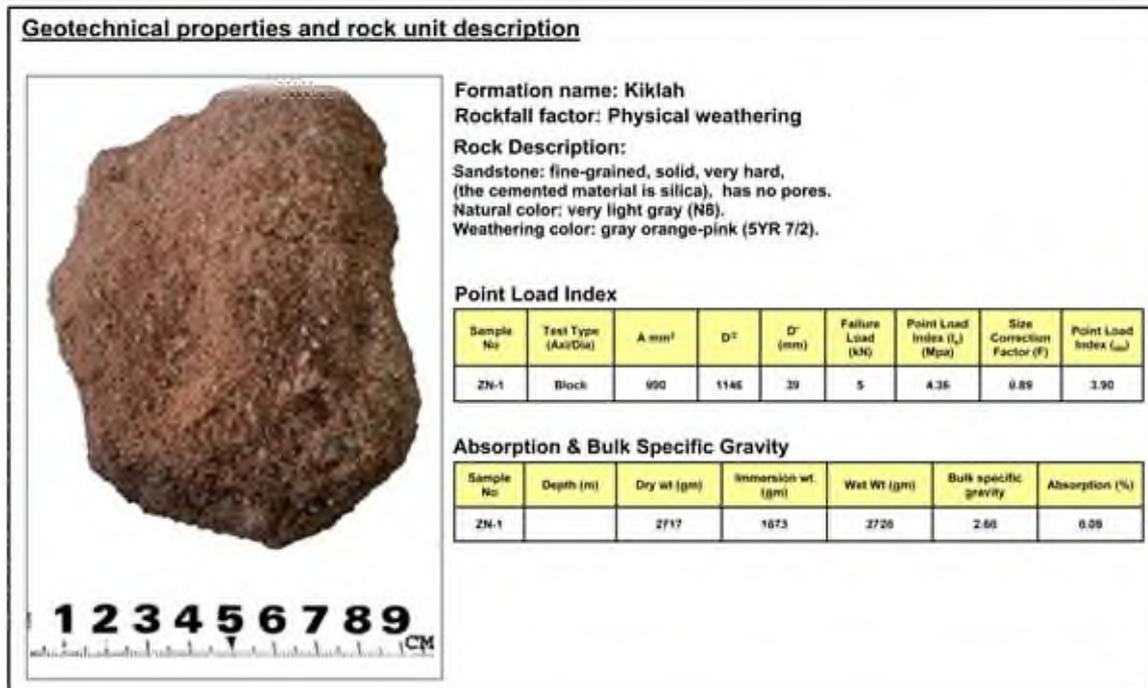


Figure 5 Geotechnical properties and rock unit description of the rock sample (ZN-1) of Kiklah Formation

Regarding Yafran Marl Member of Sid as Sid Formation rocks which lie on top of Ain Tobi Mb., they are relatively far from both sides of the road and appear in one of the quarries, as they do not contribute in any way to the closure of the road due to the rockfall. Laboratory results showed that these rocks have the ability to absorb water at a very small rate of 1.98% (Figure 7).

5.4. Influence of Lithology and geological structures factors

The landscape of the study area includes ridges and valleys with an N-S trend corresponding to the strike of the main structures. The ridge crests and upper parts of the valley slopes develop over the most resistant lithologies such as hard limestone. It became clear from this study that on most slopes that evolved over the resisting rocks, the rocks are exposed to weathering and erosion with the little cover of discontinuous soil or recent deposits.

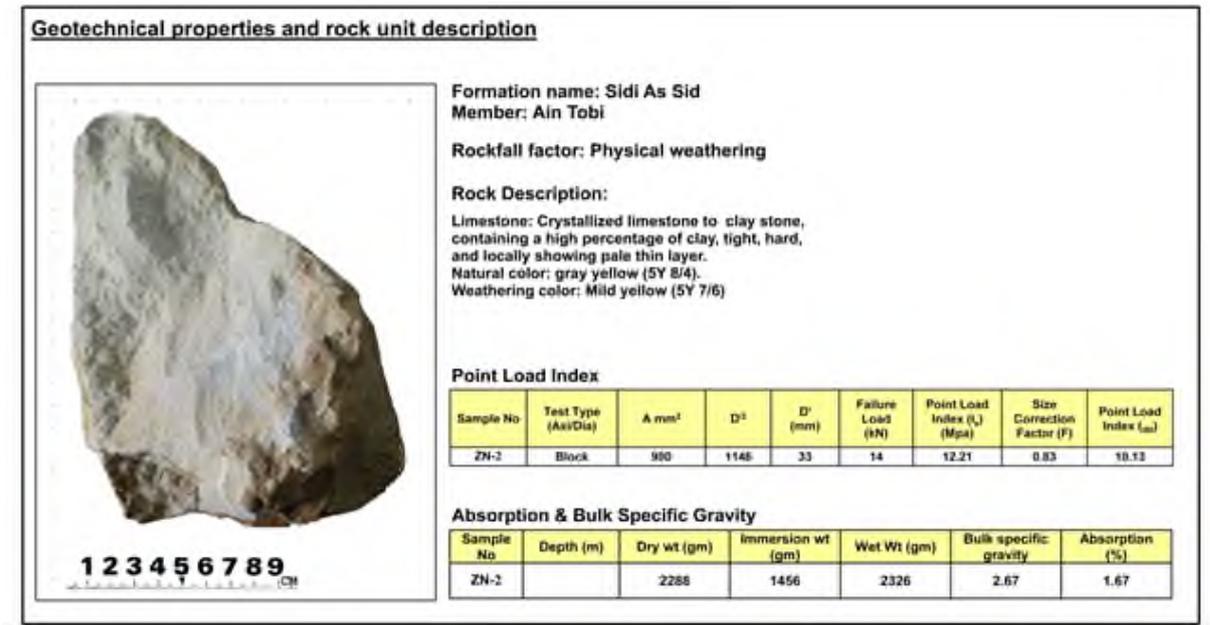


Figure 6 Geotechnical properties and rock unit description of the rock sample (ZN-2) of the Ain Tobi Mb. of the Sidi as Sid Formation.

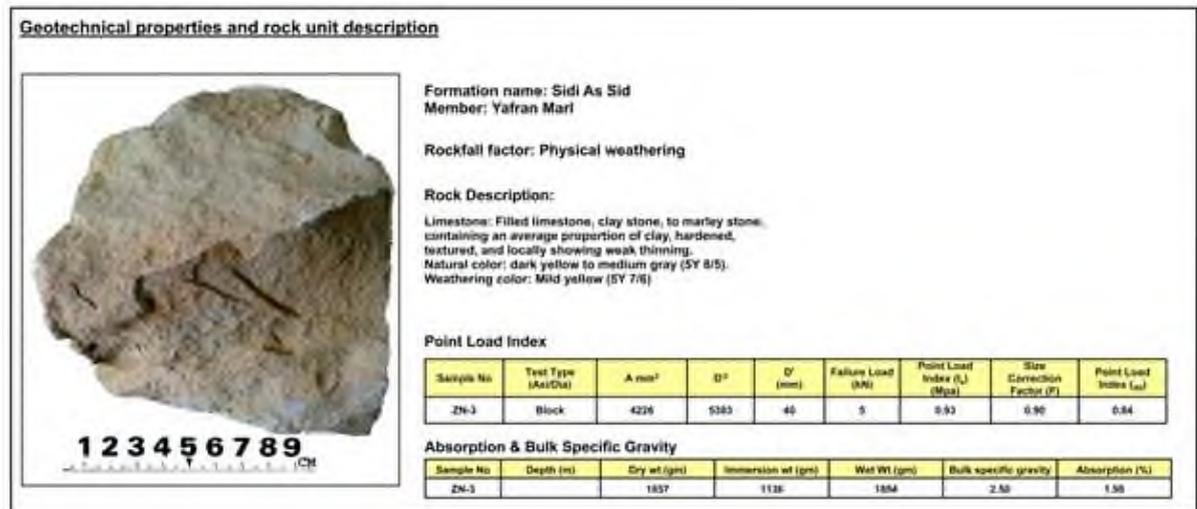


Figure 7 Geotechnical properties and rock unit description of the rock sample (ZN-3) of the Yafran Marl Mb. of the Sidi as Sid Formation.

The lithology on both sides of the road is mainly dolomitic limestone, and marl, of Ain Tobi Member, which is cut by several sets of joints to form blocks, wedges, and other geometric forms that are likely to move downward from the parent rocks in the form of rockfall.

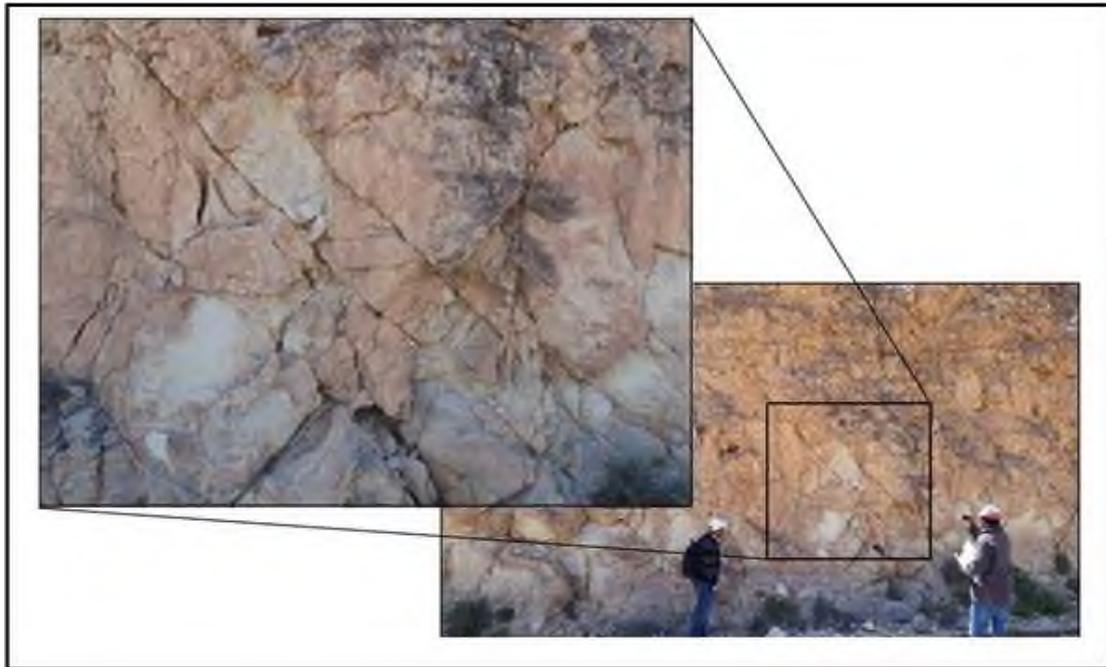
Therefore, the rockfall sources in the study area are concentrated on the dolomitic

limestone and mudstone areas and the risk of rockfall and landslides is increased by the presence of some orthogonal fractures, especially in the Free Faces.



Photograph 4. *Illustrates grow of some trees especially inside the fractures and fissures.*

In this regard, soft rock such as mudstone and clay in the study area can be considered weak interlayers within the hard rock of dolomitic limestone, potentially cutting the hard rock into discontinuous segments and more easily inducing landslides and rockfalls. It is evident that lithologic variation coincides with differential weathering and a greater number of joint sets increase the probabilities of rockfall. The number of joints or fractures sets (Photo 5) is significant predictors of rockfall and landslides. In addition to the aforementioned geological factors, likely, the rock blasting techniques for the purpose of making the road that was used at that time have caused significant damage to the fragmentation and fracturing of the rocks mass. Moreover, the conditions of stability are likely to be degraded due to weathering of the rocks, the loosening of the surficial blocks by water and wind, as well as due to the growth of tree roots. All of these effects can lead to persistent instability that may require extensive studies and treatment programs.



Photograph 5. *Illustrates the abundance of fracture and joints in Ain Tobi Member that helped break rocks and fall (People for scale).*

6 Conclusions

Based on the comprehensive analysis it is found that the presence of the path of the case study road in a mountainous area is characterized by the deep slopes, which leads to the falling of the rock masses that get detached from the layers of the mother rock (rocks of Ain Tobi Member in the Sidi as sid Formation). The lithology on both sides of the road is mainly dolomitic limestone, and marl, of Ain Tobi Member, which is cut by several sets of joints to form blocks, wedges, and other geometric forms that are likely to move downward from the parent rocks in the form of rockfall. The occurrence of the clay and mudstones between the layers of hard limestone rocks of Ain Tobi Member that are subjected to the differential weathering of rocks and erosion. This type of rock when it is saturated with water has a potential of liquefaction process due to chemical weathering operations.

When this phenomenon occurs, the clay and mudstones would behave like a liquid and as a result of a layer of solid limestone rocks above these layers, an imbalance will occur and this leads to occurrences of falling and slipping rocks. Since these rocks are porous and permeable to water due to their impact by fractures and joints, which facilitates the process of reaching water to other rocks of the lower layers and this also leads to their saturation with water and then causes falls and slipping. It is noted that

there are some trees and shrubs with large roots that are located along the edge of the path slopes that played a large role in the sliding process. Its roots grow inside the fractures and fractures in the rocks, which led to its expansion. It also helps to preserve an amount of water when it freezes, causing the rocks to be broken and converted into debris over time. The current study reveals indicates that the study area is at risk of rockfall and preventive measures must be taken to reduce these risks. The results of this study have the potential for being considered as a reference for predicting rockfall areas under similar conditions.

7 Suggestions and Recommendations:

Following guidelines, if adopted has potential for prevention of rockfalls

1. Clean, dry and remove dirt from rainwater drainage channels.
2. Designing and constructing new rainwater drainage channels to prevent it from penetrating and reaching the rocky masses that fall.
3. Building concrete walls and barriers that work to prevent the falling blocks of rock from falling and fill the rock fractures with cement materials in order to prevent rainwater from penetrating the rocks.
4. Use metal screws to fix parts of the rock that are expected to collapse.
5. Reduce the slope angle and minimize the stresses which affect the slope.
6. Working on graduating the slopes of large or high slopes as agricultural terraces.
7. Carry out tectonic and seismic geological studies in addition to studying the soil and rock mechanics of the sites to be used when implementing any new construction projects.
8. During the rainy season, it is necessary to monitor the existing fractures and joints and to know their wideness.
9. Preparing geological maps that determine the locations of landslides and their severity.

8 Acknowledgment

The author wishes to thank LPI Management for their unconditional assistance, encouragement and completion of this project. The authors express their sincere gratitude to Prof Satya P.Bindra Head of UNDESA Focal Point Libya for his useful comments suggestions and proof reading.

References

- [1] Hungr O, Evans SG, Hazzard J., 1999. Magnitude and frequency of rock falls and rock slides along the main transportation corridors of southwestern British Columbia. *Can Geotech J* 36:224–238.

- [2] Chau KT, Wong RCH, Liu J, Lee CF., 2003. Rockfall hazard analysis for Hong Kong based on rockfall inventory. *Rock Mech Rock Eng* 36:383–408.
- [3] Corominas J, Copons R, Moya J, Vilaplana JM, Altimir J, Amigó J 2005. Quantitative assessment of the residual risk in a rock fall protected area. *Landslides* 2:343–357.
- [4] Varnes DJ., 1978. Slope movement types and processes. In: Schuster RL, Krizek RJ (eds) *Landslide analysis and control*. Transportation Research Board, Special report 176. *National Academy Sciences, Washington, DC*, pp 11–33.
- [5] Andriani, G.F. and Walsh, N., 2007. Rocky coast geomorphology and erosional processes: a case study along the Murgia coastline South of Bari, Apulia—SE Italy. *Geomorphology*, 87(3), pp.224-238.
- [6] Xu, Q., Liu, S., Wan, X., Jiang, C., Song, X. and Wang, J., 2012. Effects of rainfall on soil moisture and water movement in a subalpine dark coniferous forest in southwestern China. 26(25), pp.3800-3809.
- [7] Nakhla, Fakhry, H., Moheb E., and Fahmy, H., 1975. *Engineering Geology*, ninth edition, Cairo, Egypt, Dar Al-Maarif. (In Arabic).
- [8] Cruden DM, Varnes DJ., 1996. Landslide types and processes. In: Turner AK, Schuster RL (eds) *Landslides investigation and mitigation*. National Research Council, Transportation Research Board, *Special Report 247*, pp 36–75.
- [9] Christie, A. M. 1955. Geology of the Garian Area, Tripolitania, U.N. *technical assistance commission*, New York.
- [10] El-Zouki, A.Y., 1980. Stratigraphy and lithofacies of the continental clastics (Upper Jurassic and Lower Cretaceous) of Jabal Nafusah, NW Libya. In: Salem, M.J., Busrewil, M.T. (Eds.), *The Geology of Libya, vol. 2: London, Academic Press*, p. 393-418.
- [11] Anketell, J.M., Ghellali, S.M., 1991. A palaeogeologic map of the pre-Tertiary surface in the region of the Jifarah Plain and its implication to the structural history of Northern Libya. In: Salem, M.J., Sbeta, A.M., Bakbak, M.R. (Eds.), *The Geology of Libya, vol. 6, Elsevier, Amsterdam*, p. 2381-2406.
- [12] Hallet D. 2002. Petroleum geology of Libya, *ELSEVIER*, 503p
- [13] Boote, D.R.D., Clark-Lowes, D.D., Traut, M.W., 1998. Palaeozoic petroleum systems of North Africa. In: MacGregor, D.S., Moody, R.T.J., Clark-Lowes, D.D. (Eds.), *Petroleum Geology of North Africa, Geological Society of London, Special Publication*, p. 7-68.
- [14] Desio, A., Ronchetti, R.C, Pozzi, R., Clerici, F., Invernizzi, G., Pisoni, C. and Vigano, P.L. 1963. Stratigraphic studies in the Tripolitanian Jebel (Libya). *Mem. Riv. Ital. Paleont.* vol. 9, 126p.

[15] El-Hinnawy, M. and Cheshitev, G. 1975. Sheet Tarabulus (NI 33-13), Geological Map of Libya, scale 1:250,000, *Explanatory Booklet, Industrial Research Centre, Tripoli*.

[16] El-Bakai, M.T., 1997. Petrography and palaeoenvironment of the Sidi as Sid Formation in Northwest Libya. *Petroleum Research Journal*, 9, 9-26.

[17] Alakhdar, A, 2019. The effect of basalt dikes on the stability of slopes parallel to the mountainous Tobi road in Gharyan (NW Libya), *International Science and Technology Journal (ISTJ)*, V. 7. (In Arabic).

[18] Alakhdar, A, Mansur, A, 2018. Evaluation of the stability of the rock masses on the slopes adjacent to the mountain road Zintan (NW Libya) *JOPAS Vol17 No.1pp.485-556*.